

ذِيَوَانْ
إِسْمَاعِيلُ صَبْرِي
أَبُو أَمِيَّةَ



إسماعيل صبري

« أبو أمية »

١٨٨٦ - ١٩٥٣ م

دراسة لحياة الشاعر وعصره

لـ د. ناز عامر محمد مجبى

مدير إدارة إحياء التراث
بوزارة الثقافة والإرشاد القومي

١

استنّت إدارة إحياء التراث ، بوزارة الثقافة والإرشاد القومي ، سنة طيبة في العمل على تحقيق ونشر دواوين الشعراء المحدثين ، بين ما تحققه وتنشره من كتب التراث الأخرى ، قديمها وحديثها . يستوى في ذلك عندها الشعراء الذين تألقت حظوظهم ، وأزدهرت أسماؤهم ، في حياتهم وبعد مماتهم ، من أمثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومحرم ونسيم وغيرهم ، وإخوانهم الشعراء الآخرون الذين لم يواتهم من الحظوظ ، ولا من بُعد الصيت ما واثى أندادهم الأولين .

وقد اختارت الإدارة من الفريق الأخير شاعراً ، يشترك في اسمه ولقبه مع أحد المشهورين من أفراد الفريق الأول ، وإن كان على تقيضه من حيث الشهرة في الحياة ، والحظ منها . فقد كان شاعرنا إسماعيل صبرى — وأعني به أبا أميمة — ممن فرضت عليهم الحياة شتى أعباء ثقيلة منذ نشأته ، ويبدو أن ظروفه لم تمكنه من إتمام تعليمه العالي ، فاكتفى بالمرحلة الثانوية . ثم طرق ميدان الحياة فظل يعمل في التعليم سنوات طويلاً لم تكن كلها خيراً .

وكان إلى جانب ذلك كله قد خلق فناً موهوباً في ضروب عدة . . فهو يحسن الخط العربي إلى درجة الإتقان ، وهو يجيد الرسم إلى مرتبة جعلته يختص بتدريس مادة الرسم في مدارس الوزارة مبرزاً في فنه ، وهو ينظم الشعر عاطفياً ملهماً ، قوى الديباجة ، سليم اللغة ، جياشاً بنوازع النفس . حتى إن شعره لتختار منه المقطوعات المناسبة ، يلحنها الملحنون ، ويفنيها المغنون ، من أبناء جيله . . ويحفظها عن طريق تسجيلها على اسطوانات الحاكي — وهو وسيلة نشر الفناء الكبرى يومئذ — كثيرون من أبناء ذلك الجيل . . وهذا هو الباب الذي نفذ منه شاعرنا إلى مجتمعه ، رغم القيود والسدود لكي يحصل على لقمة العيش من ناحية ، ولكي يشغل مكاناً هاماً في الوسط الفني من ناحية أخرى . . فلم يكن بالأمر الهين يومئذ أن يكون الشاعر ممن ينظم

المصائد، ليقوم بتأحينها أمثال: القصبجي، وعبد قطر، وأحمد صبرى، ودواد حسنى، ومحمود صبح، ومحمد هاشم وغيرهم. كما يقوم بأدائها من المغنين أمثال: نجاة على، وأسمهان، وصالح عبد الحى، وغيرهم كذلك ..

ولقد كان هذا الاتجاه نفسه سبباً فى أن يلج شاعرنا باباً آخر من أبواب الفن، إذ كان التمثيل فى ذلك الوقت يختار فترة من أزهر فتراته، وكانت الروايات التى تعالج مشاكل المجتمع، على طريقة قصص ألف ليلة ونحوها، مما تموج به مسارح التمثيل يومئذ، ولذلك لم يخل التراث الذى خلفه إسماعيل صبرى من روايات ألفها لهذا المسرح الشعبى، كروايتى « الشبح » و « بدر البدر » وغيرها. وامتدت بالأديب الشاعر هوايته الأدبية فى ناحية التمثيل، فأكمل هذه الهواية بترجمة بعض الروايات الأجنبية، وهياها للمسرح العربى. ومن ذلك ترجمته لتمثيلية « ربيبة السكونج » لشارلس جارفيس، التى أثبتناها فى هذا الكتاب، كنموذج على مقدرته الأدبية فى فنى الترجمة والمسرح معاً. ولأنها قطعة من أدبه المكتوب باللغة العربية الفصحى أيضاً .

وهكذا تتضح ملامح الصورة العامة وتبرز .. فإذا نحن أمام شاعر فنان، وهبته الطبيعة حظاً كبيراً من المقدرة الفنية فى ضروب عديدة، كما حرمتة فى نفس الوقت الشئ الكثير مما يحتاج إليه الفنان النابه، أو الشاعر اللامع، ومع ذلك فقد كان على نفس طيبة كريمة، وروح مرحة منبسطة، يسلم أمره للمقادير تعصف بأماله كيف تشاء، لا يملك من ذلك كله إلا أن يقابلها بابتسامة ساخرة، أو نظرة عاتبة، أو قصيدة شاكية !

وهكذا ظل أبو أميمة يجاهد فى الحياة على الصاعدين حتى كل جهده، وكف بصره .. فترك الخدمة أسفاً، وهو ينظم للمسؤولين مرثية نفسه البليغة، التى سجل فيها هذا الحدث فى حياته .. فيقول :

لِيَجْزِ الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِهِ	وَمَنْ يَسْتَطِيعُ غِنَادَ الْقَدَرِ؟
دَهَنَتْنِي اللَّيْسَالِي بِأَرْزَائِيهَا	فَالْأَرْزَمُ جَفَنِي الْبُكَ وَالسَّهَرُ
خَدَمْتُ الْمَعَارِفَ عَهْدًا طَوِيلًا	أَمِينًا وَفِيًا حَمِيدَ الذِّكْرِ
مُجِدِّدًا نَشِيطًا سَلِيمَ الْقُوَى	حَلِيفَ النِّجَاحِ، حَدِيدَ النَّظَرِ
وَبَعْدَ اجْتِهَادِي ثَلَاثِينَ عَامًا	أَحَاطَتْ حَيَاتِي غُيُومُ الْكَدْرِ

ومن كَلَفَ النَّفْسَ فوقَ الذى تُطِيقُ احتمالاً سَمَى لِلْخَطَرِ
لذلكَ كانَ لِإِرْهاقٍ عَنِى من الحِطِّ ما لم أَكُنْ أَنتَظِرُ
حَبَا الثَّوْبُ عن مُقَلَّتِي فَانْتَهت حَيَاةُ اجْتِهَادِي بِفَقْدِ البَصَرِ

وهكذا تم المأساة .. مأساة الشاعر الذى عاش يصور المأساة لغيره .. والمأساة كل
المأساة كامنة فى نفسه ، تعمل فيها عمل السيل فى الجدار .. والنتيجة معروفة بعد ذلك ، يتقوَّض
الجدار ويتداعى .. ويمضى السيل عارماً فى سبيله .

٢

ومن خير ما ترك لنا الشاعر من أعماله الشعرية ملحمتان طويلتان ، بلغت الأولى منهما قرابة
ألف من الأبيات ، كما بلغت الأخرى قرابة ستائة بيت . وهما ، فى العصر الذى عاش فيه ،
محاولتان جريئتان . فقد كانت المقدرة الشعرية تقاس بطول نفس الشاعر ، ومقدرته على الصبر
على النظم ، حتى ينتهى الموضوع . ومهما يكن من أمر الموضوع الذى اختاره لتقصيده ،
وهو موضوع واحد ، ومن أمر خصوبته ، وتعدد فروعه ، مما يفتح أمامه آفاقاً متجددة من
الفكر ، ومهما يكن من أمر الدافع النفسى الذى دفعه إلى نظم هاتين الملحمتين الكبيرتين ،
وما يحبه من صدق فى الشعور ، أو تقيضه ، مما كان السبب فيه هو هذا المجتمع المعقد الذى يعيش
فيه ، والحياة المتناقضة التى تضيق الخناق حول عنقه .. مهما يكن من أمر كل ذلك — وكل
ذلك مدروس دراسة متعمقة واعية ، فى الكلمة التالية عن « شاعر الكونيات » — فإنما
أنظر إلى هاتين الملحمتين على أنهما عمل شعري جرىء فى عصر شوق وحافظ وزملائهما ..

فقد كانت القصيدة تقاس بطول النفس كما قلت .. وكان شوق وحافظ ومحرم ومطران
وشعراء الوقت ، لا يتسابقون إلى شيء تسابقهم إلى تطويل قصائدهم .. حتى إن قصائدهم المعتادة ،
فى المناسبات المعتادة ، كانت تجرى أبياتها بين الستين والمائة من الأبيات .. ولم تكن قصائدهم
تلك ملاحم ، وإنما كانت نمطاً تقليدياً من القصيدة العربية القديمة ، لا تختلف عنها فى كثير
ولا قليل .. إلا من حيث الصياغة التى ناسبت روح التعبير المصرية بعض المناسبة .. وحتى
تقسيم شوق قصيدته إلى فقرات متباينة ، ووضع فاصلة بين كل فقرة وأخرى ، لم يكن بالأمر
الجديد ، فقد سبق إليه كثير من الشعراء القدامى ، كذى الرمة مثلاً .. حين كانوا يقسمون

قصائدهم إلى أغراض متعددة . . تبدأ بالنسيب وتنتقل إلى وصف الناقة ، وهي وسيلة السفر إلى المدح ، ثم نصف الطريق وما صادفه فيه الشاعر وما رآه . . ثم تنتهى بقاء المدح ، الذى هو فى النهاية — ولا بد أن يكون كذلك ! — خير من ركب المطايا ، وأندى العالمين بطون راح ^(١) !

على أن وسائل العصر ، وقيوده الثقيلة . . على ظروف الشاعر الثقيلة ، وعلى فنه الشعرى فى وقت معاً . . لم تتح له من الفرصة ما كان حرياً بالاستفادة منه . . وما كان حرياً بأن يجعل من ملحمتيه الكبيرتين عملاً شعرياً رائعاً فى الأدب العربى الحديث . . فلم يكن هناك من الدراسات الأدبية ، ولا من المقالات النقدية ، ولا من المحاولات التحريرية ، ما كان يمكن الشاعر من أن يسير على الطريق . . ولو متأمساً له . . فيحاول التخلص بعض الشيء من القافية الواحدة . . هذه « النون » التى تقيده طوال السير ألف مرة . . وهى فى آخر كل بيت قيد ثقيل يضاف إلى ماسبقه من القيود . . وليس بعجيب لمن يخصى القوافى فى مثل هذه القصيدة أن يجد أكثر من ثلثها ، أو حتى نصفها ، مكرراً بين حين وآخر . وهذا فى وقته مما كان يعد عيباً فى القصيدة . . وهو فى نظرى الدافع الأول الذى كان حرياً بأن يدفع الشاعر إلى التحرر من هذا القيد الثقيل ، ومحاوله التخلص منه ، والإلقاء به جانبا .

هذه ملاحظة على ملحمتى الشاعر الكبيرتين من حيث صياغتهما . . وأما من حيث مضمونهما ، فليس لدى جديد أضيفه ، فى هذا المجال المحدد ، بعد الكلمة التالية التى أشرت إليها عن « شاعر الكونيات » .

٣

وعاش الشاعر فى مجتمعه كما عاش الشعراء الآخرون . . أو لعله حاول أن يعيش فيه كما عاش الشعراء الآخرون . كان شوقى وحافظ وإخوانهما ، ينظمون فى كل مناسبة عامة . . وكان دافعهم إلى ذلك معروفاً : الشهرة ، والمكانة الاجتماعية والأدبية ، والقدرة على نشر قصائدهم فى الصحف السيارة التى كانت باباً يجلب لهم مزيداً من الشهرة . . وكان إلى جانبهم شعراء أقل منهم درجة من الناحية الاجتماعية على الأقل ، فكانت الصحف تنشر لهم قصائدهم أحياناً ، وتتغاضى عن ذلك فى أكثر الأحيان . على أن شاعرنا أستطاع فى وقته المبكر ذاك — عام ١٩١٠

(١) البيت المشهور لجرير ، والتقسيم السابق للقصيدة لدى الرمة .

وما حواليه — أن ينفذ إلى الصحف ، وأن ينشر بعض القصائد الاجتماعية على صفحاتها .
وجدناه قصيدة في رثاء قعيدى الطيران العثمانيين ، وأخرى في حرب طرابلس وإيطاليا عام ١٩١١
وثالثة في رثاء على أبى الفتوح ، ورابعة في تهنئة الخديو عباس بعد عودته من الحج ، وخامسة
في تشریف أمير المؤمنين ، بين كثير من القصائد « الإخوانيات » التى وجهها فى سماحة وبشاشة
ولطف إلى أصدقائه ، المحافظين ، والمأمورين ، والرؤساء وغيرهم . . وإذا كانت قصائده الإخوانيات
يدفعه إليها طبعه الدمث وخافقه الكريم ، وإذا كانت قصائده للرؤساء ، وعلى أبو الفتوح من بينهم ،
إذ كان وكيلًا لوزارة المعارف يومئذ ، يدفعه إليها رغبته فى الاحتفاظ بالعلاقة الطيبة معهم ،
ومن ثم الاحتفاظ بالقامة العيش . . فإن القصائد العامة الأخرى التى نجد نظائرها فى دواوين شوقي
وحافظ وغيرهما ، مما يدل على أن الشاعر لم يكن يعيش فى صومعته الخاصة ، بعيداً عن مجتمعه ، ولم
يكن قليل الرغبة فى الشهرة وحب الظهور ، ولكنه كان كغيره من الشعراء . . سعى ، وحاول ،
وظفر . . فنشرت قصائده فى الصحف . . وقد ظل ينشر قصائده فى الصحف إلى فترة متأخرة من
حياته ، مشاركاً بها فى أحداث المجتمع فى أعوامه الأخيرة ، مشاركتها فى أعوامه الأولى .

٤

وإلى جانب هذه الحياة الاجتماعية الجادة أو المتكيفة التى يحياها . . كان شاعرنا — أبوأيمىة —
يعيش حياة اجتماعية أخرى ، خاصة به ، يساعد بها على إزاحة هموم الحياة عن صدره . .
وأعنى بها هذه الحياة العاطفية المرحية ، التى عبر بها عن مواقف عاطفية خاصة ، والتى اندمج بها
فى الأوساط الفنية فى مجالات الغناء والتمثيل . . ولكن هل كان يستطيع الشاعر أن ينظم هذه
القصائد العاطفية الجياشة ، التى لحنها الملحنون ، وغنى بها المغنون ، دون أن تكون فى قرارة نفسه
بدور هذه العاطفة ، تعمل عملها فى قلبه ، وتجعله فعلاً نهب العيون الساحرة ، والتقدود الفاتنة ؟ !
نجد فى ديوان الشاعر كثيراً من هذه القصائد . . وإن خير ما يمثل به فى هذا المجال ، قصيدة
طويلة أيضاً . . ولكنها دون ملحمتيه . . إنها قصيرة . . ولكنها طالت حتى بلغت مائتى
بيت . . وأحسن فيها الشاعر للمرة الأولى بهذه الروح الجديدة العطرة التى تغمره ، وتدفعه إلى
التحرر من قيود المجتمع الثقيلة بعض الشيء . . فدفعه ذلك إلى التحرر من قيود القافية فى هذه
المرة ، ولكن على صورة جزئية بدائية . . فبعد أن بلغت قصيدته مائة بيت على قافية الميم ، ضاق
بهذه الميم ذرعاً ، فانتقل مكرهاً إلى النون . . والميم والنون على قرابة قريبة . . ولكنها محاولة

للتحرر على كل حال نسجلها للشاعر ، ونشهد له أنها جدّت نفساً ، وأطلقت خواطره من عقابها ، وجعلت القصيدة تحتفظ بمقدرتها على الاتصال بموضوعها ، والتكهن من مسيرته إلى غايته . وهكذا تتم الثقلة من المائة الأولى إلى الثانية في وثبة واحدة يقول فيها :

فَرَنَّا بِلِحْظِ جُفُونِهِ وَأَجَابَنِي شُكْرًا وَلَكِنْ حَانَ وَقْتُ مُنَايَ
فَرَأَيْتُ أَنْ وَجَبَ الْوُصُولُ لِدَارِهِ حَتَّى أَفُوزَ بِصُخْبَةٍ وَتَدَانٍ

على أن هذه القصيدة ، التي تمثل هو الشاعر في فترة شبابه ، لم تكن كل ما وصل إلينا من شعره العاطفي الذي يصور لنا جوانب من نفسه ، في فترات مختلفة من حياته . إن هذه الصورة العاطفية ، تتكرر في حياته كلها على شكل قصائد ، يتحدث فيها عن مواقف غرامية ، وقت له ، أو وقائع جرت فصورها شعره البليغ قصة منظومة ، لاتنقصها الحبكة الفنية ، ولا السرد القصصي . أو كوارث أصابته بفقد شخص عزيز عليه ، فهو يرثيه بالدمع الفزير . وهذا كله ظاهر في أما كنهه من الديوان .

٥

على أن ما بعد جديراً بالذكر حقاً في هذا المجال ، هو هذه القصائد — أو « المقطوعات » إن شئنا أن نضفي عليها هذا الوصف — التي سماها الشاعر « غزل الأغاني » . . . والتي اشتملت على عدة نواح فنية . . . فهي قصائد غزلية بادية بدء . . . وهي قصائد محكمة النظم ، متخيرة اللفظ ، بليغة الأسلوب ، ثم هي لاتطول إلا في النادر ، ومن هنا كانت تسميتها لها بالمقطوعات . . . وهي بعد هذا كله ، أو قبل هذا كله ، لم تنظم — كما يلوح لنا — إلا لكي تكون قصائد غنائية يتلقفها الملاحنون فيحسنون تلحينها ، ثم يتخطفها المغنون والمغنيات من نوابع العصر ، ونايفاته ، فيكسبون بها بأصواتهم هذا النغم ، الذي يصل بها إلى القلوب ويشنف بها الآذان .

هذه القصائد أو المقطوعات ، على ما فيها من الإتقان ، الذي قد يبدو مقصوداً كما ذكرت ، ولا أقول متكلفاً — لأنه ليس عليها مسحة تدعو لذلك — إنما هي أعمال تمد بحق في مقدمة عمل الشاعر الفني ، وإنتاجه الخالد .

ومن ثم لا بد أن نقف وقفة التقدير والإكبار لهذا الفن العاطفيّ الفنائيّ الأصيل ، الذي حشده شاعرنا في « غزل الأغاني » ، والذي نسيه الأدب إنتاجاً شعرياً قد يستوى وإنتاج غيره من شعراء قدامى أو محدثين ، فإن التاريخ — تاريخ الحياة الفنية في مصر لحقبة طويلة بعيدة الغور

عميقة الأثر — لن ينسى لإسماعيل صبرى — أبى أميمة — أنه قد غذى الفن الجليل ، فن
الفناء ، بأقوى الأغاني ، وأعذبها لفظاً ، وأرقها معنى .

لست أنسى فى فترة الصبا ، شعراً حفظته عن أسطوانات الفناء ، وكان له أجمل الوقع
فى نفسى المفتحة يومئذ لهذا الفن الفئائى الشعرى . . فإذا هو اليوم أمامى بمض نراث الشاعر
أبى أمية . . هيهات أن أنسى مثلاً قصيدة حفظتها عن أسطوانة المطربة أسمهان — وكان ذلك قبل
ثلاثين عاماً — وهامى اليوم أمامى قصيدة فى باب « غزل الأغاني » أذكرها لأنها أجل
قصائد هذا الباب ، فهناك ما هو أروع منها بكثير ، ولكن لجرد أنها نموذج لهذا الشعر ،
الذى ترك فى نفسى من الأثر مترك . . وهى قوله :

أَيْنَ اللَّيَالِيِ اللَّوَاتِي سَبَّيْتُ سَقَمِي	يَالَيْلَةَ بَعْدَهَا عَيْنَايَ لَمْ تَنَمْ
مَرَّتْ كَطَيْفِ خِيَالٍ كَانَ يُسْعِدُنِي	لَوْ دَامَ ، لَكِنَّهُ وَيْلَاهُ لَمْ يَدَمْ
يَانْظُرَةً أَرْسَلْتُ سَهْمًا إِلَى كَيْدِي	فَبَاتَ مِنْ جُرْحِهِ فِي ثَوْرَةِ الْأَلَمِ
سَرَى الْهَوَى كَلْهَيْبِ النَّارِ فِي جَسَدِي	فَالْقَلْبُ فِي حُرْقَةٍ ، وَالْجَنَسُ فِي سَقَمِ
سُهِدِي حَيْنِي عَذَابِي لَوْ عَتَى لَهْفِي	دُمُوعُ عَيْنِي غَدَتْ مَمْزُوجَةً بِدَمِ
يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنْ لَمْ تَرْجِمِي سَقَمِي	لَا بُدَّ يَوْمًا تُعَانِي زَفَرَةَ النَّدَمِ
أَيْنَ الْعُمُودُ اللَّوَاتِي عَمَلْتُ أُمْلِي	لَوْ طَالَ هَجْرِي لَأَفْضَتْ بِي إِلَى حَكَمِ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ مَهْمَا طَالَ بِي أَمْدِي	وَحَقٌّ مَنْ عِلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ !

٦

ولقد أشرت فى مفتتح هذه الدراسة ، إلى أن شاعرنا أبى أميمة يشترك فى اسمه ولقبه مع واحد
من كبار شعراء عصره . . وهو الشاعر إسماعيل صبرى (باشا) الذى كان أستاذاً ، يعترف
بأستاذيته شوق وحافظ وغيرها من شعراء تلك الفترة ، إذ كان سابقاً عليهم فى سنه ، ومنصبه ،
وكرام خلقه ، وطرافة مجلسه . . كان الشاعر إسماعيل صبرى يكبر هؤلاء الشعراء — ومنهم
أبو أميمة — فكانوا يدينون له بالولاء والتقدير . . ولكن الناقد البصير إذا قاس شعرهم إلى
شعره وجد منهم من يفوقه غزارة مادة . . وقوة إحساس . . وجمال ديباجة . . ولا غرو فى ذلك ،
فقد كان إسماعيل صبرى الكثير مقلداً إقلالاً ظاهراً ، ولئن عدَّ هذا الإقلال أحياناً من أسباب

توفيته ، فقد كان يعدّ في أحيان أخرى من دواعي ضعفه ، ونضوب معينه . . وإنه ليبدو من أطرف الطريف أن تقارن هنا ، بين إسماعيل صبرى « الكبير » وإسماعيل صبرى « الصغير » — دون غيره من أولئك الشعراء — لنرى موضع شاعرنا أبى أميمة من شعراء الجيل كله . بهرضه على هذه المرأة الصادقة ، التى لاشك أنها سوف تجلو لنا موقفه إلى حدّ كبير . . .

نظم إسماعيل صبرى الكبير قصائد اجتماعية ، شأنه فى ذلك شأن الآخرين من الشعراء ، إذ كانت هذه الحوادث الجارية ، كحرب طرابلس ، والانتقال العثماني ، وغيرها ، من أسباب المسابقة والمساجلة بين الشعراء ، وغذاء طينياً تسعى إليه كبريات الصحف ، وتتحدث به وتتدارسه أندية الأدب ومجتمعاته فى ذلك الحين . . ولشاعرنا الكبير فى هذا المجال قصيدة نختارها ، تعد من أطول قصائده ، وأهمها ، وكانت مما يختار للدراسة والحفظ لشباب ذلك الجيل ، وهى القصيدة التى بحث فيها الأمة المصرية على طلب المجد ويذكرها بماضيها . . وقد قالها على لسان « فرعون » يخاطب قومه . . وتاريخها عام ١٩٠٩ . . يقول فى مطلعها :

لَا الْقَوْمُ قَوْمِي وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعُلَى وَإِنْ

وسأكتفى من هذه القصيدة بأبيات قليلة جداً قالها فى وصف الأهرام ، لأخلص منها إلى وصف مشابه هو وصف أبى المول عن أبى أميمة ، فيتم بذلك من المقارنة بعض ماأردت . . قال إسماعيل صبرى الكبير :

أَهْرَامُهُمْ تِلْكَ حَتَّى الْفَنِّ مُتَّخِذًا	من الصُّخُورِ بُرُوجًا فَوْقَ كِيَوَانِ
قَدْ مَرَّ ذَهْرٌ عَلَيْهَا وَهِيَ سَاخِرَةٌ	بِمَا يُصَفِّعُ مِنْ صَرْحٍ وَإِيَوَانِ
لَمْ يَأْخُذِ اللَّيْلُ مِنْهَا وَالتَّهَارُ سِوَى	مَا يَأْخُذُ النَّمْلُ مِنْ أَرْكَانِ تِهْلَانِ
كَأَنَّمَا — وَالْعَوَادِي فِي جَوَانِبِهَا	صَرَغَى — بِنَاءِ شَيَاطِينِ لَشِيْطَانِ
جَاءَتْ إِلَيْهَا وَفُودُ الْأَرْضِ قَاطِبَةً	تَسْعَى اسْتِيْقَافًا إِلَى مَا خَلَدَ الْفَانِ
فَصَفَّرَتْ كُلَّ مَوْجُودٍ ضَخَامَتِهَا	وَغَضَّ بُنْيَانُهَا مِنْ كُلِّ بُنْيَانِ
كَأَنَّمَا هِيَ وَالْأَقْوَامُ خَاشِعَةٌ	أَمَامَهَا صُحُفٌ مِنْ عَالَمِ ثَابِ
تَسْتَقْبِلُ الْعَيْنَ فِي أَثْنَائِهَا صُورَ	فَصِيحَةِ الرَّمْزِ دَارَتْ حَوْلَ جُذْرَانِ
لَوْ أَنَّهَا أُعْطِيَتْ صَوْتًا لَكَانَ لَهَا	صَدَى يُرَوِّعُ صَمَّ الْإِنْسِ وَالْجَانِ

ولا أريد أن أقول هنا إن أبا أميمة — أو إسماعيل صبرى الصغير كما أسميته تجوّزاً منذ حين — يفوق سميّة الكبير، أو يمتاز بشاعريته عليه . . وإنما أكتفى بأن أروى أحياناً في وصف أبي الهول من قصيدته النونية أيضاً، التى سماها « مرآة الزمن ». والتى تمتاز بشيء واضح من العمق فى الدراسة، مما يدل على إحاطة الشاعر علماً بموضوعه، ودقته فى رسم صورته الفنية الملونة . يقول أبو أميمة فى وصف أبي الهول :

نَحْتُوا بِبَاطِنٍ مَنْفَ أَقْدَسَ مَعْبَدٍ	جَعَلُوهُ بَيْتَ سَرَائِرِ الْأَكْوَانِ
صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرِّ غَامِضٍ	نُقِشَتْ عَلَيْهِ طَلَاسِمُ الْكِتَابِ
صَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبٍ سَاهِيٍّ	لِلرَّابِضِ ، الْمُتَحَفِّزِ ، الْيَقْظَانِ
رَمَزُ الْمَهَابَةِ ، وَالرَّزَانَةِ ، وَالْحُجْبَى	لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلشُّكُونِ مَعَانِ
يَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرَةٍ قَدْ أَوْقَفَتْ	كَيْدَ الْعَوَادِي وَقَفَةَ الْخَيْرَانِ
جَسَدٌ حَوَى أَسْمَى الْقُوَى رَمْزاً لَهُ	جِسْمَ الْمُزَبَّرِ ، وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ !

ثم يشرح رسالته فى ذلك الزمان الباكر فيقول :

هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهِيْبِ ثَبَاتُهُ	مُنَى الْعُصُورِ ، وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
عَهَدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي	ضَمَّ الْكُنُوزَ ، غَوَالِي الْأَمَانِ
وَاسْتَخْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبُلُوغِهِمْ	مُجَدِّدًا تَعَذَّرَ عَنْ ذَوِي التَّيْجَانِ
حَتَّى أَتَى « مِينَا » وَأَسَّسَ مُلْكُهُ	وَطَوَى الزَّمَانَ صَحِيفَةَ الْكُهَّانِ !

ولعل هذه الالتفاتة إلى مجد مصر القديم، تكنى فى المقارنة بين الشاعرين، والناقد المتذوق حرّاً فى حكمه لهذا أولئك . . إلا أنه من المستحسن أيضاً أن نضرب مثلاً آخر للفرز عند الشاعرين . . فقد عرف إسماعيل صبرى الكبير بغاية الرقة فى غزله، وهانحن نجد أنفسنا من أبى أميمة أمام شاعر من كبار شعراء الفرز أيضاً، إذ اشتمل هذا الباب الذى أسماه « غزل الأغاني »، وأكثره من الشعر المتقن النسيج، على قسم كبير من ديوانه .

فمن قصائد إسماعيل صبرى الكبير المشهورة فى الفرز قوله :

تُحْمِي تَذَكَّرْنَا الشَّبَابَ وَعَهْدَهُ	حَسَنَاءَ مُرْهَفَةِ الْقَوَامِ فَتَذَكَّرُ
هَيْفَاءَ أُنْكَرَهَا الْجَمَالَ ، وَبَعْضَ مَا	أَوْفَى عَلَى قَدَرِ الْكِفَايَةِ يُسْكِرُ

تَنْسِبُ الْقُلُوبُ إِلَى الرُّءُوسِ إِذَا بَدَتْ وَتُطِلُّ مِنْ حَدَقِ الْعُيُونِ وَتَنْظُرُ !
وَتَبَيَّتْ تَكْفُرُ بِالْحُجُورِ قَلَاهُ فَإِذَا دَنَتْ مِنْ نَحْرِهَا تَسْتَغْفِرُ
وَتَزِيدُ فِي فَمِهَا اللَّالِي قِيمَةً حَتَّى يَسُودَ كَبِيرُهَا الْأَضْفَرُ !

فهل تجد عند أبي أميمة ما يشبه هذا أو يفوقه ؟ كم من مقطوعة نقرأها لأبي أميمة في « غزل الأغاني » ولكننا لانستطيع أن نقول إنها كفيلة بأن تثبت مقدرة الفاتحة في هذا الضرب ، فما زال إسماعيل صبرى الكبير — على إقالاته — محتفظاً بأستاذيته ، متميزاً بعبقريته . . . ولناخذ مثلاً أول قصيدة في هذا الباب لأبي أميمة ، وهى قصيدة « ستريس ، أو عذراء منف » . . . وفيها يقول :

يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِي حَنِينُهُ رَنَاتُ صَوْنِكَ تَبْعُثُ الْأَشْجَانَا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الْأَغَانِي عِنْدَمَا صَدَحَ الْهَزَارُ ، فَجَدَّى الْأَزْمَانَا
جَذَبَتْ عَوَاطِفُ الْقُلُوبِ فَأَقْبَلَتْ فَرَحِي ، تُحْيِي الْفَنَّ وَالْوِجْدَانَا
فَإِذَا شَدَوَتْ صَرَفَتْ عَنْ أَلَمِ الْهَوَى قَلْبًا أَسِيرًا ، حَائِرًا ، وَلِهَانَا
وَمَنْعَتْ عَنِ مُضْنَى الْفَرَامِ عَذَابَهُ وَكَأَنَّ خَفَقَ فُؤَادِهِ مَا كَانَا !

على أننى إذا اكتفيت بهذا فى المقدمة ، فلا يفوتنى أن أشير على القارىء بالعودة إلى هذا الباب الحافل فى الديوان الذى بين يديه ، ليقرا مقطوعات الغزل الكثيرة العدد ، التى تفيض فيها للعانى المشرقة والمشاعر المتدفقة ، والأحاسيس الجياشة .

٧

وإلى هنا يمكن أن نكف القول فى الشاعر ، وفى موضوعات شعره ، لنقول كلمة يسيرة فى فنه الشعرى . . . وقد تكون الكثرة هنا مما يدعو الناقد إلى الحكم على بعض شعره بالهبوط عن المستوى الرفيع . . . إلا أن هذا الحكم يعد متسرعا إذا نظرنا إلى أننا إنما نحكم على تراث الشاعر كما وصل إلينا ، ولو قام هو على نشره لأعمل فيه النقد والحذف والتغيير . . . ومثل ذلك قصيدته النونية الكبرى ، التى صدرنا بها الديوان ، وغيرها من القصائد التى يبدو أنه نظمها فى صباه ، فجاءت أقل مستوى من غيرها ، مما نظم فى فترة نضوجه واستوائه . . . على أن درياجة الشاعر غالباً هى الدرياجة الرفيعة ، وألفاظه هى تلك الألفاظ الجزلة المتخيرة . . . وشعره يمتاز بالعناية ، كما يمتاز بالمطافة .

ونحن هنا نقطة هامة نريد أن نجلوها . . فقد كان شاعرنا — فيما يبدو — كثير المحفوظ من الشعر القديم . . وكان يختار للمنازين من الشعراء فيحفظ لهم ، وكانت فيه عادة لانحدها له ، وإن كان سببها هو هذا المحفوظ الكثير من شعر الأقدمين . . وهي أنه كثيراً ما كان يضمن شعره أبياتاً ليست له وهي في غالب الأمر للبحترى ، أو للتنبى . أو غيرها . . مما جعلنا نشك في أنه نقل أحياناً بعض هذه الأبيات ونسبها لنفسه . . ويمكن أن نشير في ذلك ، إلى قصيدة وجهها إلى أكثر من واحد من ممدوحيه واستعمل فيها أبيات البحتري في داليتها المعروفة والتي يقول في مطلعها :

يا عظيمًا قد نال عزاً ومجداً لست أنسى نذاك قرباً وبعداً

أو قصيدته في باب غزل الأغاني ، التي شابه فيها دالية التنبى ، وربما أخذ كثيراً من أبياتها ، وهي التي يقول في مطلعها :

لقد هاجنى وجد بمن زارها بعدُ فياليتنى بعدُ ، وياليتها وجدُ

ولعل هذه الإشارة تشفع لنا فيما يكون قد أنسرب بين الأبيات من شعر ليس لشاعرنا ، ووجدناه في ترائه !

٨

وبعد كل هذا ، فإني أشعر أنه مازال هناك كلام كثير ليقال في دراسة الشاعر وعصره وتحليل شعره . . ولكنني أخشى الإطالة على القارئ ، وأريد أن أترك له الفرصة ليقراء لنفسه الديوان ، فيستمع به ويحكم عليه حكمه الخاص . . ولذلك لايسعنى إلا أن أختم هذه الكلمة . . راجياً أن أكون وزميلي قد وقفنا في دراسة الشعر الذي ضمه هذا الديوان الخافل بين دفتيه ، والذي أنبأ عن شاعر مجيد حقاً ، وإن كان قد عاش حياته كلها مغموراً أو شبه مغمور . . وهذا الموقف نفسه هو الحمدة التي تحفظ لوزارة الثقافة ، إذ تسوى بين الشعراء جميعاً ، في إحياء تراثهم ، وبخاصة بعد أن أصبحت أشخاصهم في ذمة التاريخ . ولم يبق للأحياء منهم إلا ما أنتجوا من شعر ، هو سرآة عصرهم ، وسجل حياتهم .

عاصر محمد بهيري

أبو أميمة شاعر الكونيلات

للكنور أحمد زكى كال

١

أقيم الرخاء الذى ساد النصف الأول من القرن العشرين على أساليب استعمارية خاصة؛ فكان القلق روح العصر، وعصفت به فلسفة نفعية حطمت كثيراً من القيم. فلا غرابة إذاً أن يكون الفكر المصرى إذ ذاك فِكْرَ الطبقات المتفاوتة حطاً من ذلك الرخاء، واستطاع الشعب بما فشا من سجايا فردية أن ينسأخ — فى الجملة — عن خُلُقِيَّاتٍ كان ينبغى أن تعمر على أساس ارتباطه بواقع عربى مصرى مسلم.

وقد ظهر هذا الانسأخ فى صورة أيديولوجيات ذاتية استهدفت فى الظاهر نظاماً سياسية اجتماعية، واستخفى وراءها جشع هو الابن الشرعى لمذهب، المنفعة وبدا الأمر عجيباً؛ رجال الدين يدعون دعواتهم على أسس يكاد يرفضها كثيرون، وإن يكونوا ينجحون إلى بعض غيباتٍ ما بعدت عن أن تضرَّ بهم!

ورجال الاقتصاد يحارون فى عمليات تنظيم الرصد لأقوات اليوم، يغريهم رخصُ الأسعار أحياناً؛ فإن ارتفعت اتَّجهوا إلى طاقات الغرب الإنتاجية، يعبّون منها ويسدّون النقص ويرأبون الصدع!

والمجتمعيون يحاولون تنظيم أساليب الأنانية، ويتجهون للمرأة أحياناً، وللطفل أحياناً، والمعجزة مرة... دون أن يربطوا بين حاجة المجتمع الحقيقية وما هو قائم فعلاً، على ضوء الموازنة العادلة وتقدير عمق الهوة بين المثل المنشود، والواقع المنكود.

وقد ظلت هذه البلبلة حتى قيام ثورتنا الأخيرة، وعاش فيها فنانونا... الرواد، ومن مهدّ للرواد! وأخذ بعضهم — بعيداً عن منطق الفن للفن — يرجون فى عالم التأمّلات قيام وحدة حقيقية بين أسباب الحياة وحقيقة الحياة. وقد دعاهم هذا اللون من التفكير إلى تقدير حقوق الفرد من ناحية، وربط هذه الحقوق بقوى، الدين وقوى القانون، وقوى التقاليد من ناحية أخرى. ولعل بعضاً منهم قدّر المجتمع حقّاً ترسم يوطوبيا أو تحدّد نظاماً يشبه نظام أصحاب المدن الفاضلة.

وإذا كان على شوق أن يدعو إلى تمجيد الإنسان المسلم مرة ، والإنسان العربي مرة أخرى وكان على حافظ إبراهيم أن ينفى بآلام المعبدين كافة ، وكان على ناجي وطه أن يهربا نهائياً من المسؤولية إلا في حالات معينة . . أقول إذا كان على هؤلاء أن ينحو هذا النجوى ، فقد كان لابدً لغيرهم أن يلتمسوا لأنفسهم موقفاً ، فيما أن يحلوا نمو الفرد شرطاً أساسياً لنمو المجتمع ، وإما أن يُقرُّوا بعجزهم عن تحديد الهدف !

وكان شاعرنا أبو أميمة واحداً من الذين عصفت بهم البلبلة ، وكاد يُطيح بهم القلق . وكان واحداً من الذين اعترفوا بعجزهم ، واكتفى بدعوات زهدية تشبه تلك التي هَدَّرَ بها أبو العتاهية في الكوفة و بغداد خلال القرن الثاني الهجري .

والعجيب أن كلا الشاعرين — أبا العتاهية وأبا أميمة — عاش حياةً معينةً ، أو قل عاش حياتين متناقضتين . حياة عملية فيها تمرُّسٌ فعلى على أسباب العيش كلها ، وحياة فنية فيها صدوف عن المتاع ، وفيها تذكير بالضياع .

وعن هذا التناقض صدر كل منهما بقصائد سمينها هنا بالكونيات ، إلى جانب شعر لاهٍ حفظه لنا عصرُ أبي أميمة ، وأهدره التاريخُ بالنسبة لأبي العتاهية . لأن النقاد شاؤا أن نعرف الشاعرَ القديم في إطارِ الزهد الخالص !

لقد كان القدماء يقولون إنَّ أبا العتاهية تَعَتَّه وتماجن ، ثم أفلح عن تعته ومجونه ، إلا أن التاريخ يقرر أن هذا الشاعر كان يكره الزهد الفعلي وإن اتخذ مذهباً فنياً . . وآية ذلك أنه ظل حريصاً على أن يرتاد مجالس الخلفاء والأمراء اللاهية حتى آخر أيامه ، فلم يكن كمؤرِّق المعجلىّ مثلاً ، ولم يحاول أن يكون كالحسن البصري أو كالخليل بن أحمد . بل رُوِيَ أن ابنه أراد أن يمارس الزهد فنهاه هو ، كما رُوِيَ أنه لم يَشْتَعْ شيئاً عند مماته كما انتهى أن يفنيه أحدُ المشهورين من قفاني عصره !

ولقد فهم أبو العتاهية الزهد — على هذا الأساس — فهماً آلياً ، ورأى أن مصلحة المجتمع العليا أن ينسلخ الفردُ عنه . وهذا يعارض فكرة حرية المخلوق القطرية ويحدُّ نموه ويقمع مطالبه ، كما يحول دون إيجابية الدعوات الهادفة ، لأنه بمباشرة الإيجابية تتحقق الحياة وتتشابك أسبابها . حتى القانون صار في مذهب الزهد عند أبي العتاهية أمراً في لا محل ، لأن القبر نهاية كل إنسان ، وحساب الله ينتظره ، فلم الدَّأْبُ ولم العَرَقَ والدموع ؟

ومعنى ذلك أن دين الله كان في نظره مجموع الكواجح التي تضغط على الأفراد لتحد من انجهااتهم الفطرية ، وأن الغاية المثلى على ضوء هذا أن يزداد ضعف المرء إزاءه ، ومن ثم يضمن آخرة طيبة جعل الموت نذيراً بها .

ولقد تولى شعرُ الشاعر ترجمة ذلك كله ؛ تولاه ببساطة ، ودقة عبارة ، ورقة أسلوب ، فضمن له قراء ، وضمن له سامعين ، وذاع قصيده حتى نافس به فحول عصره .

فماذا عن أبي أميمة ، إسماعيل صبرى ؟

ستتشكل حياة الشاعر بما تشككت به حياة أبي العتاهية ، وكان عصر كل منهما عصر تناقض وقلق ورخاء مصطنع ، وستتسع طاقاته إلى تقبل هذا التناقض ، فيعيش حياة ويعبر عنها ، ويتصور حياة أخرى يريد الفرد على أن يصل بها إلى أعلى درجة من التلاؤم مع الخير والمحبة . وسنجد في كونيانه نفعاً هو رد فعل للأفهام التي بعثتها مطالب العيش ، ومطالب النفس ، ومطالب الخواص جميعاً .

٢

كيف عبّر أبو أميمة عن حالة مجتمعه فيما سميناه بالكونيات . . فلقد قصرت دراستي هذه عليها ؟

كان الأدب المصرى في عصر الشاعر أدباً فردياً ، باعتباره النتاج الطبيعي لطاقت البرجوازية وباعتباره أثراً من آثار المنفعة . . فكان لا بد ألا نجد تسليماً مطلقاً بكل ماهو قائم ، لأن هذا التسليم يؤدى إلى إلغاء حاجات الفرد المختلفة ، وأستن بالطمع عرامة بعض الكبار ووعيمهم إلى ما يجب أن يكون !

ومعنى ذلك أن أبا أميمة كان ينبغي أن يصدر عن هذا المعين ؛ فهو يعيش عصره ، وهو يقبل على الدنيا فيصف شعره — في غير الكونيات — ذلك ، ولكنه يحس أنه مفضوح أمام أهله وأمام بعض من لا يجب أن يفصح عندهم ؛ ولهذا آثر المراءاة ، فكان على ما قدمنا كأبي العتاهية . وطلع بما يرسم له سمّت الوعاظ ، وما يلقى في الروع أنه لا يكره شيئاً كما يكره الشر ، يقول متجهاً إلى الله تعالى :

واهدنى للرشاد خير سبيل

وأكفنى شر فتنة الشيطان

ويقول مخوفاً منذرأ :

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ يَفْتِكُ فَتَكَ

بُضْصَافِ الْعُقُولِ وَالْإِيمَانِ

فيؤكد أن الإنسان ضعيف ، وأن تمجيده على نحو ما يفعل الرومانسيون خطأ شنيع ،
ولا فهل ينكر أحد أن كل هذا الكون فناء ، وأنه باطل ، وأن الإنسان عمر مخدوع !

يَا ابْنَ حَوَاءِ بَاطِلِ كُلِّ شَيْءٍ زَيْنَتُهُ مَطَامِعُ الْهَذْيَانِ

تلك دنيا الفناء دار اختبارٍ خادعٌ حسنُها كذبُ الأمانِ

يا ابن حواء باطل كل شيء لم تؤيده دعوة الإيمان

ومع ذلك فإنه فيما يبدو يمتد على الجانب الزجري من الدين الاعتماد الأكبر ، ومن ثمّ
تبدو ساليقته مدمرة مخيفة . وإذا كان أمره بالتطهر والعفة والإخلاص والتقوى قائماً على أساس
عقيدى ، فإن ما ينجم عن عصيانه رهيب ومدمر ، يلحق الكائن إلى حدّ الإفناء . ولهذا كان
مقياس الفضيلة مرتبطاً عنده بنُصْبِ العذاب ، ودعوات الخير موقوفة على التذكير بما وقع
للقرون الأولى .

أَيْنَ مَنْ عَمَّرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا

أَيْنَ مَنْ غَزَّوْا مَلِكُهُمْ وَتَسَامَى

أَيْنَ مَنْ كَانُوا الْمَصَاعِبَ حَتَّى

أَيْنَ مَنْ دَمَرُوا الْحُصُونَ بِبَاسٍ

أَيْنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بِصَبْرٍ

أَيْنَ مَنْ شَاءُوا الْهِيَائَ كُلَّ حُبًّا

أَيْنَ مَنْ خَرَّبُوا الْمَسَدَانِ جَبًّا

أَيْنَ شَيْخُ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ

أَيْنَ مَنْ حَطَّمُوا الْهِيَائَ كُلَّ حَتَّى

أَيْنَ عِمْرَانُهُمْ وَأَيْنَ الْبِنَاءُ

أَيْنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيْنَ الْمَلَاءُ

ذُلُّهُمَا وَأَيْنَ ذَاكَ الدَّهَاءُ

مِنْ حديدٍ وَأَيْنَ تِلْكَ الدِّمَاءُ

أَيْنَ مِنْ صَاوِلَتِهِمُ الْفُكْبَاءُ

وَاحْتِرَامًا لَهَا فَمَزَّ الْبِنَاءُ

رَيْنَ ، بَلْ أَيْنَ تِلْكَ الْأَشْلَاءُ

صَنَعَ الْفُلْكَ حِينَ حَلَّ الْبَلَاءُ

فَرَقَتْهَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءُ

أين من واصل البكاء حزينا فتواري عن مقتلته الضميه

أين موسى من جاء فرعون طفلاً ترقب النجم عينه النجلاء ؟

يطول ذلك لو تقصيناه ، ويطول إذا وقفنا عند ما ينطوى عليه من تهديد ووعيد ، ثم هو يطول إذا بذينا عليه أى حكم لأننا سنحتاج فى سبيل ذلك إلى مناقشة موضوعية لشتى قصائده ، ولكنه مع ذلك يشكل تياراً كالتيار الذى انحدر به أبو العتاهية شاعرنا القديم !

على أن أبا أميمة لم يفقد الأمل قط ، بل لعله لم يندِر بما أنذر به ولم يهدد على نحو ما هدد إلا ليستبدل بنعيم الدنيا أمل الآخرة ، وهذا اعتراف صريح بما آلت إليه روحه فى الكونيات فى حين وقف فى شعره الآخر عند كل ما يلدئ المرء وعند كل ما يمتعه . . وإن يكن ينزل دائماً على وقار مصطنع وخوف من الافتضاح . يقول عند اجتماعه بصاحبته فى خلوة :

خلونا ودارت بيننا نشوة الهوى وقد كنت أشكو هجرها وهى تسمع
أذاعت دموعى ما تكن سرائرى وأعلن سقى هوى ما كنت أجزع
فقال ويمناها تكفكف مدمعى شهيد الهوى العذرى لا يتوجع !

كما يقول مرة أخرى :

وقد خلونا وجو الحب راق لنا وراح عنا شديد الخوف والحدار
وبيننا دار كأس الحب تملؤه يد الطهارة فى وشي من الزهر
تبادلت شفتانا بيننا عزلاً أرق فى لفظه من نسمة السحر
حتى إذا اشتد بى وجد الهيام بداً طيف العفاف بنصح غير منتظر
فارتاح قلبى لنصح الطهر وانبسط منى لمن فتنتى كف معتذر

فهو كما نرى شهم ، والشهامة دائماً ثالث للحبيين . . فكانها عوض عن الشيطان الذى لم يكف عن التحذير منه . ومن هنا كان غزله كله يقف عند مجرد وصف الحبيب وتصوير اللقاء به ، ورصد التحدث معه ، ثم يكون الوداع بعد ذلك . وهو من هنا يخالف للمرة الثانية طبيعة حياته ، لأن المتصلين به لم يكونوا يبرئون منه من علاقات ما !

على أن هذا يكشف من ناحية أخرى عن حقيقة التجربة الفنية ، ومدى مطابقتها للواقع

المعاش . وقد أثبت أبو أميمة أنه لا ضرورة لأن يترس الشاعرُ عملياً على التجربة في الواقع ، وسيكون برغم ذلك رقيقَ النفس صافي العبارة ، مخلصاً للفن إلى حد بعيد .

وسواء أكان أبو أميمة مؤمناً بالعفة في الحب أم غير مؤمن ، فإنه كان يعبر بحرارة عن هذه العلاقة البشرية ، وتعبيره عنها يقف عندما وقف عنده على نحو ما رأينا ؛ ومن ثمّ اتفق هذا المنحى مع ما تحدّث عنه في كونيّاته ، وكأنما كا الشاعرُ بذلك يصدر عن فلسفة استقر عندها بعد أن رأى شرور البرجوازية تفشو وتذيع .

ولقد انتهت سلبية أبي أميمة بالكشف عن كثير من الحقائق ، يودعها يوطوبياهُ في ثقة ، وإذا الصدق والإخلاص والوقار والصبر والدأب دعائم لكل حياة سليمة مبتغاة .

٣

ولكن ما النظام الذى يقرره أبو أميمة ؟

لقد شاهد ذلك الشاعر قوة الأرستقراطية الإقطاعية ومكافحة البرجوازية لها ، ورأى فيما يبدو من قرب ومن بُعد ، عوامل الهدم تعصف بالحياة إبان أزمت عصره السياسية والاجتماعية ، واكتفى كغيره بالشكوى حيناً ، والتعرض بالنقد البسيط لما يشور حيناً آخر ، وأما السبيل إلى تحقيق يوطوبيا معينة فلم يحدّده أحد . ولكن بعض الشعراء الكبار على ما أشرنا نحواً نحواً إيديولوجياً ؛ فشوق لم يكن شاعراً فحسب يعبر عن وجوده الشخصى وإنما حاول أن يقيم قيماً جديدة .

ووجد شعراء ينتمون أصلاً للأزهر كالأسمر ، وهؤلاء اكتفوا بنزعات صوفية تشبه في بعض جوانبها ما صدر به أبو أميمة في كونيّاته . وفي شعر هؤلاء بعامة السلبية نفسها التى نراها عند شاعرنا ، والتخويف أحياناً ، والترغيب فى الآخرة . وهنا نسرع فنقول إن أصحاب هؤلاء ، كانوا فى الغالب من الطبقات الدنيا .

ولكن الجانب الإيديولوجى فى حركة العقاد وشكرى قد أثر إلى حد ما فى شعراء حاولوا أن يأخذوا جماعية شوق ، وهؤلاء هم الذين بعدوا عن الرومانسيين ، وأبوا أن يسيروا مثلهم وراء الغمام وخلف أمواج الملاح التأه !

ومن هذا وذاك ، ومن النفقات المتعارضة التى ضج بها العصر كوّن أبو أميمة خطوط الحياة الباهتة التى تشكل كونيّاته . . فكانت فى النهاية مجرد تفنّات ، لأنها افتقدت الإيجابية والسبيل إلى التطبيق العملى ، كما افتقدت ملامح أى مجتمع يريد أن يقوم .

كثيراً من شعراء عصره في تسجيل حياة النبيين ، وهم بسبيل التعرض لحياة النبي « محمد صلى الله عليه وسلم » . فعل ذلك شوق في أرجوزته المشهورة ، وفعله غير شوق ، ولاسيا الشعراء الذين نشأوا نشأة دينية ، والذين كانوا يحاولون تسجيل إحسانهم الديني على أساس الانفعال الفني بأخبار الرسل !

وأبو أميمة صريح جداً في هذا الجانب ، ويتخذ التقريرية أسلوباً للنظم حتى ليستحيل شعره هنا إلى مجرد قائمة بالأسماء . . فثمة نوح شيخ الطوفان ، وإبراهيم محط الهياكل ، ويعقوب الحزين ، ويوسف الأسر ، وأيوب المبتلى ، وشعيب نبي مدين ، وموسى عدو فرعون ، ودلود وسليمان ويونس وزكريا وعيسى ، إلى آخر أسماء النبيين الذين خلّد ذكرهم

فعل ذلك في همزيته الكبرى . . فعله وكأنه يجعله أساساً لهذه القصيدة ، في حين يستغنى في نونيته الصفري بمجرد الإشارة حتى يصل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فينظم سيرته كما نظمها البارودي وكما نظمها شوقي .

بل هو في الهمزية يصل حتى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يخرج عن النمط التقليدي ، ولا يعدل عن أسلوب المدّاحين في التعبير ، بل يبدأ مدحه بقوله :

من كنوز اليقين بذر قرّيش أحمد المصطفى عليه الثناء

ولا يعني من ثمّ بتتبع حياته كما فعل في النونية ، وإنما يمدح ويقوم مدحه على صفات عامة تصلح لكل رسول ونبي . . فهو خير روح في أشرف جسم ، وهو الهادي والبشير ، وهو صاحب الهمة التي جاوزت أقاصي الأمانى وهكذا . ولولا وصفه إياه بأنه جامع الأنبياء تحت اللواء ، وأنه آخر الرسل ، لما تبينا شيئاً يختص به عليه الصلاة والسلام .

هذا هو الجانب الثالث ، فأما الرابع والأخير فيبدو في سلبية الوعظ ، وهذه السلبية تظهر في كونيّاته كلها ، وفي نونيته بصفة خاصة ، تلك النونية التي يقول في أولها :

هون عليك فكلّ حتى فإن وأذكر بقاء مدبر الأكوان
وأضرب على ما قد أصابك وأحتمل مرّ الأذى ومطامع الإنسان

والمتنبع لأبيات القصيدة يرى الشاعر يستخدم لغة النصح البالية في إيقاظ الغافلين . ولم يكن منتظراً منه أن يفعل أكثر من ذلك لأنه لم يكن أولاً صاحب أيديولوجية واضحة السمات ، وثانياً

أنه كان أضعف من أن يكسر حدود التقليد . . فلا بد أن عوامل العبث تثيره ، ولا بد أن يقول
للائين : قفوا !

وإذا كان الانحراف قد أُنذر بأن يقضى على المجتمع كوحدة ، فقد كان طبيعياً إذن أن
يتوجس المصلحون شراً ، وأن يتخوفوا هذا الفساد المستشري ، وأن يجدوا مافى الخير من أسباب .
والاتجاه الشائع عند الشعراء إذ ذاك هو الهرب من الواقع كجزء من الحركة الرومانسية السائدة ؛
فكان صوت الشاعر صدى عكسياً لما يقولون ، وصدى عكسياً لما يفعل هو ! وليس في ذلك
تناقض ، لأن التعبير الفني عن روح عصر القلق يجب أن يكون مضطرباً ، وأكثر ما يكون
التناقض عقب الهزات الكبرى التي تهز العصر كشورة ١٩١٩ ، وكاقلاب الدستور سنة ١٩٣٠ .
كان الرومانسيون في حياتهم وأقوالهم ثورة ، وكانت نداءات الشاعر الوعظية تحد من رغبتهم
في التحرر . إلا أن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في مسلك الشاعر كواحد من الرومانسيين ، لأنه لم يكن
يصدر عن إيمان فعلى بكل ما يقول .

وبعد ، فإن هذه النصائح الطوبوية لاتعقب شيئاً على الإطلاق ، ولا ترمى إلى أكثر مما يرمى
إليه واعظ المسجد ، وأما الخروج على الوضع القائم ، وأما الدعوات إلى حياة مجتمعية ذات ملامح
أخرى ، فذلك شيء لم يكن لأبي أميمة قدرة عليه . ومن هنا نقول إن هذا الشاعر لم يكن
يستهدف إقامة أى نظام جديد ، بل كان ينشد إصلاح النظام القائم .

أحمد كمال زكى

الدَّيَّانُ

النونية الكبرى

فاتحة

رَبِّ هَبْ لِي هُدًى وَأَطْلِقْ لِسَانِي وَأَنْزِلْ خَاطِرِي وَثَبِّتْ جَنَانِي
مُلْهِمِ النَّفْسِ بِالتَّقَى خَيْرَ مَسَرَى لِمَفَازَاتِ نَوْرِكَ الرَّبَّانِي
كُنْ مُعِينِي إِنْ أَعْجَزَتْنِي الْقَوَافِي وَنَصِيرِي فِي سَامِيَاتِ الْمَعَانِي
أَنْتَ قَضَيْتَ وَغَايَتِي وَرَجَائِي مَالِكَ الْمُلْكِ مُبْدِعَ الْأَكْوَانِ
يَا جَلَالاً عَمَّ الْوُجُودَ بِلُطْفٍ وَسَلَامٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَأَقْتَدَاراً أَحَاطَ بِالْكُونِ عِلْماً نَظَمْتَ عِقْدَهُ يَدُ الْإِتْقَانِ
وَجَمَالاً فِي كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى سَبَّحَ الْحَسَنَ فِيهِ لِلرَّحْمَنِ

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

جَلَّ شَأْنُ الْإِلَهِ رَبِّ الْبَرَايَا خَالِقِ الْخَلْقِ دَائِمِ الْإِحْسَانِ
وَاحِدٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَالِمُ الْغَيْبِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
حَكَمٌ عَادِلٌ لَطِيفٌ خَبِيرٌ نَافِذُ الْأَمْرِ وَاسِعُ الْفُقْرَانِ
قَابِضٌ بَاسِطٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ مُرْسِلُ الْغَيْثِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
وَاجِدٌ مَاجِدٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ تَرَقَّبُ الْخَلْقَ عَيْنُهُ كُلَّ آنٍ
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي الصُّدُورِ وَأَخْفَى وَإِلَيْهِ سَيُحْشَرُ الثَّقَلَانِ^(١)
ظَاهِرٌ بَاطِنٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ نِعَمٌ مَنْ فَازَ مِنْهُ بِالرِّضْوَانِ
وَاعْدُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَلَمَنْ خَافَ رَبَّهُ جَنَّاتٍ
مُنْعِمٌ وَارِثٌ عَلَى عَظِيمٍ بَاعَثَ الْخَلْقَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ

(١) الثَّقَلَانِ : الْإِنْسُ وَالْجِنُّ .

كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ وإلى الله مَرْجِعُ الْإِنْسَانِ
إِنْ يَوْمًا تُطَوَّى السَّمَاوَاتُ فِيهِ كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمَيِّمِينَ فَانِ (١)
يَوْمَ تَهْوِي الْأَفْلَاكُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ آفَلَاتٍ وَيُجْمَعُ النَّيِّرَاتِ
وَتَذُكُّ الْأَرْضُ انْهِيَارًا وَيُقْضَى كُلُّ أَمْرٍ وَيَسْجُدُ الْخَافِقَانِ (٢)

البعث والحساب

صِيحَةٌ تَجْعَلُ الرُّوَاسِيَ عَنْهَا تَنْسِفُ الْأَرْضَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانِ (٣)
وَتُدَوِّيْ أُخْرَى فَيَحْيَا رُفَاتٌ ضَمَّةُ التُّرْبِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ (٤)
تَحْرَتُهُ يَدُ الْبَلَى وَهَشِيَا بَعَثَتْهُ الرِّيحُ فِي الْوُدَيَانِ (٥)
مَنْ عَلَى رَجْعِهِ كَاوِلٌ خَلْقٍ قَادِرٌ غَيْرُ فَاطِرِ الْإِنْسَانِ ؟
كَانَ غُصْنَا غُصْنَا فَتِيًّا رُطِيًّا لَمْ يَفْكُرْ فِي الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ
هَيَمَنَّتُهُ عَلَى الثَّرَى خَيْلًا زَيْنَتُهَا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ
سَوْفَ يُدْعَى إِلَى قِيَامٍ رَهِيْبٍ أَنْكَرَتْهُ حِمَاةُ الْعُثْمَانِ
يَوْمَ تَجْرَى الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى بَيْنَ لُجٍّ وَقَسْطَلٍ مِنْ دُخَانٍ
يَوْمَ يَدْعُو كُلُّ أَمْرٍ : رَبِّ نَفْسِي ! وَيُنَادِي الْحِسَابُ : أَنْ أَوَانِي !
فِي ذُحُولِ الْمَأْخُودِ لَمْ تَدْرِ نَفْسٌ لَنَعِيمٍ تُسَاقُ أَمْ لَهْوَانِ
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشْرٌ مَهِيْبٌ قَدْ أَحَاطَتْهُ أَلْسُنُ النَّبِيَانِ
يَقْذِفُ الرَّعْبُ فِي الْقُلُوبِ ارْتِجَافًا وَالْمَسَاوِي تَمُرُّ بِالْأَذْهَانِ

-
- (١) الجملة في الشطر الثاني خبر « إن » كأنه قال « إن يومًا تطوى السموات فيه هو يوم يضي فيه كل حي إلا الله »
(٢) الخافقان : المشرق والغرب ، يريد أهل الخافقين .
(٣) المهن : دقيق القطع من الصوف يسبح في الهواء .
(٤) الرفات : ما قدم وتفتت من العظام ، تقول رفت الشيء فته .
(٥) « هشيا » حال مقدمة .

يجمع الخلق منذ أول نفسٍ وافت الأرض من رياض الجنان
لم يُغَيَّبْ عن عَرَضِهِ أَى فردٍ صَمَّمَهُ الرُّوحُ من بنى الإنسانِ
هذه الساعةُ الرهيبةُ فانظروا يا ابن حواءِ آيةَ الرحمنِ
قد تجلت مصداقَ ذكرِ حكيمٍ جاء للنَّاسِ بالهدى والبيانِ
أرسلته للعالمينَ سلاماً رحمةُ اللهِ واسعُ الفقرانِ

حكمة البعث

خُلقَ الناسُ للبقاءِ وهذى آيةُ البعثِ أصدقُ البرهانِ
كلُّ فردٍ فى الحشرِ لأبَدٍ يلقى جنةَ الخلدِ أو لظى النيرانِ
إن يكن صدقَ الكتابِ فأمنٌ وسلامٌ ورحمةٌ وتهانى
والذى أنكر القيامةَ كبراً وعُلُوّاً هوى مع الشيطانِ
سوف يلقى العذابَ من كلِّ صوبٍ ويُمانى عواقبَ الطغيانِ

أهوال القيامة

ظلماتٌ تعمَّتْ الخلقُ فيها كالفرش المبثوث فى الكُتبانِ
أو كَسِيلٍ من الجرادِ خِصَمٍ قدفتها الأحداثُ كالطوفانِ
رَجْفَةٌ دَكَّتِ الجبالَ فالقتُ حملها الأرضُ وأختفى النيرانِ
صدقُ الوعدُ فانظروا كيف تَمَّتْ آيةُ البعثِ أيها الثقلانِ
باغنتكم والنفس تفرح سكرى بين غنائِ روضةٍ وأغانى
ساقها الطيشُ لارتكاب المعاصى فإطاعت غوايةَ الشيطانِ
حبَّبَ الفسقَ والفجورَ إليها ورمها فى كاذباتِ الأمانِ
أفسح المالُ للفسادِ مجالا بين كأسِ الطلأِ ودلِّ الفوانى
فتنتكم أموالكم فكفرتمُ وارتكبتم ما ليس فى الحُسابانِ

خَدَعْتُمْ بِسِحْرِهَا أُمَّ دِفْرِ^(١) وَسَبَّتُكُمْ بِحُسْنِهَا الْفَتَانِ^(٢)
فُشِغْتُمْ عَنْ الْحَقِيقَةِ جَهْلًا وَأَنْصَرَفْتُمْ إِلَى التَّلَاعِ الْفَانِ
وَعِمِيتُمْ عَنِ الْهَدْيِ وَأَنْطَلَقْتُمْ فِي مَهَاوِي الْفَجْورِ وَالْعِصْيَانِ
وَكَفَرْتُمْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ حَتَّى نَبَذْتُكُمْ مَرَاحِمُ الْغُفْرَانِ
فَإِلَى الْمَوْقِفِ الرَّهِيبِ هَلُمُوا قَدْ بُعِثْتُمْ إِلَى الْمَصِيرِ الثَّانِي
هَامِي الْأَرْضِ أَخْرَجْتُكُمْ لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَ الْأَصْغَرَانِ^(٣)
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمِّنْ وَسَلَامٌ وَرَحْمَةٌ فِي حَنَانِ
أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَوَيْلَ مَنْ عَذَابٍ وَنَقْمَةٍ وَهُوَ
كُلُّ نَفْسٍ يُغْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنٌ عَنْ سَوَاهَا وَأَيْنَ يَهْرَبُ جَانٌ ؟
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ انْتِصَارًا وَلَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ كُلَّ آتٍ
كُلُّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ شَهِيدٌ سَجَلَتْ فِيهِ صَادِقَاتُ الْبَيَانِ
قَوْلُهَا الْحَقُّ بِالَّذِي قَدَّمَتْهُ طَوَّعَ شَيْطَانُهَا يَدُ الْإِنْسَانِ
لَمْ يُغَادِرْ صَفِيرَةً مَا حَوَاهَا قَدْرَةٌ نَزَّهَتْ عَنِ النِّسْيَانِ

الجنة

كُلُّ شَيْءٍ غَيْرُ الْبَدِيعِ ظِلَامٌ وَهُوَ نُورُ الْآفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
حَلَقَتْ هَيْبَةً فَأَشْرَقَ نُورٌ وَاعْتَلَى الْعَدْلُ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
وَتَلَا الذِّكْرَ خَلْفَهُمْ شَهَادٌ بَارَكْتُهُمْ مَرَاحِمُ الْغُفْرَانِ
تَلَكُمُ الْجَنَّةُ الَّتِي قَدْ وُعِدْتُمْ أُدْخِلُوهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
قَدْ صَبَرْتُمْ مُصَدِّقِينَ فَفُزْتُمْ بِخُلُودٍ فِي عَالِيَاتِ الْجَنَّانِ
فَسَلَامٌ أَهْلَ الْيَمِينِ عَلَيْكُمْ كُلُّ مَنْ فِي النِّعَمِ يَهْدِي التَّهَانِ

(١) أم دفر: من أسماء الدنيا .

(٢) الأصغران : القلب واللسان ، وقد قيل « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » .

جَنَّةُ الْخُلْدِ زُيِّنَتْ فَأَقِيمُوا ومع الحقِّ لا تَضِيعُ الْأُمَانُ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ فَاضَ نُورًا وجلالاً من الرِّضَى لِلرَّيَافِ
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهًا عبقرىُ الثَّنَى عَظِيمِ الْجَنَانِ
خَصَّه اللهُ بِالشَّفَاعَةِ عَطْفًا وحناناً على بنى الْإِنْسَانِ
صَلَوَاتُ الْإِلَهِ تَحْبُوكُ دَوْمًا يَا نَبِيَّ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

قدرة الله

بَيْنَ رَهْبٍ وَذَلَّةٍ وَخُشُوعٍ خَفَقَ الْقَلْبُ خَفَقَةً الْخَيْرَانِ
وَبَدَأَ الْهَوْلُ وَالنَّوَاطِرُ حَسْرَى زَائِعَاتٌ فِي رَجْفَةِ الْوَلَهَانِ
وَجَثَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي خُضُوعٍ إِذْ تَجَلَّتْ مَهَابَةُ الرَّحْمَنِ
وَقَفَّ الْعَبْدُ فِي رِحَابِ إِلَهٍ نَافِذِ الْأَمْرِ قَاهِرِ السُّلْطَانِ
لَمْ يَغِبْ عَنْهُ فِي السَّمَوَاتِ شَيْءٌ وَعَلِيمٌ بِمَا جَنَى الثَّقَلَانِ
مَلَأَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَجُودًا خَالِقِ الْكَوْنِ لَمْ يَغِبْ عَنْ مَكَانِ
أَبَدَى يُدِيرُ الْأَمْرَ فِرْدَاً سَرْمَدِي الْجَلَالِ وَالسُّلْطَانِ
بَيْنَ حَرْفَيْنِ كَلِمَا يَقْضَى مَطْلُقِ الْحُكْمِ لَمْ يُشَارِكْهُ ثَانٌ (١)
قُدْرَةٌ أَحْصَتْ الْخَلَائِقَ عَدَا مِنْذُ أَوْفَى عَلَى التَّرَى الْوَالِدَانِ (٢)
رَحْمَةٌ عَمَّ رِزْقُهَا كُلَّ حَيٍّ جَلَّ وَهَابُهَا عَنْ النِّسْيَانِ
خَبْرَةٌ أَبْدَعَتْ مُحَاسِنَ خَلْقٍ فِي جَلَالٍ مِنْ دِقَّةِ الْإِتْقَانِ
فَيْضُ عِلْمٍ مَا ذَرَّةٌ عَنْهُ غَابَتْ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ وَالْأَكْوَانِ
مَلِكٌ يَرْقُبُ الْخَلَائِقَ جَمْعًا وَيُدِيرُ الْأَفْلاكَ فِي الدُّورَانِ
يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِلَّذِي سَاءَ جُودًا وَهُوَ أَذْرَى بِالْخَيْرِ لِلْإِنْسَانِ

(١) الحرفان : هما الكاف والنون « كن » .

(٢) أوفى على المكات : أشرف عليه . والوالدان : آدم وحواء ..

يرسلُ الماءَ فوقَ جرداءٍ مَيَّتِ
 فتموجُ الأرضُ اهتزازاً وتربو
 تُخْرِجُ الحَبَّ والثمارَ وتزهو
 رَوَحَاتُ النسيمِ تحملُ عبقاً
 كلُّ شَيْءٍ يَسْبُحُ اللهَ حَمْداً
 نِعَمَ ساقِها المهيمنِ للناسِ
 أعجزَ الخلقِ عدوها فتعالى
 فاطرُ الأرضِ والسمواتِ فَرَدُّ
 عالمُ الغيبِ والشهادةِ نُورُ
 نافذُ الأمرِ في جميعِ البرايا
 غافرُ الذَّنْبِ قابلُ التَّوْبِ مُلْكُ
 كاشِفُ الضُّرِّ والبلاءِ مجيبُ
 في دياجى الظلامِ يَرْحَمُ دمعاً
 ويخبرُ الملهوفَ مِنْ هَوْلِ كَرْبِ
 ويمدُّ المظلومَ مِنْه بِنَصْرِ
 أحكمُ الحاكمينَ كَنْزُ العطايا
 واهبُ العِزِّ للضعيفِ لِيَقْوَى
 واسعُ الحِلْمِ لا يَعْجَلُ بِطُشاً
 يُنْهَلُ الظالمينَ حتى إذا ما
 لم يَدَعْ ذَرَّةً تَمُرُّ هَبَاءً
 فيردُّ الحياةَ للوديانِ
 ثم تبدو في سُندُسٍ فتانِ
 في عقيقٍ ولؤلؤٍ وَجْهانِ
 من أريجِ الزهورِ والريَّحانِ
 كي يؤدَّى فرائضَ الشُّكرانِ
 سِخْراً للنعيمِ المَنَّانِ
 باسطُ الرِّزْقِ دائمُ الإحسانِ
 صاحبُ الطولِ في علوِّ الشَّانِ
 يملأُ الكونَ فيضُهُ الرَّبَّانِ
 مُطْلَقُ الحُكْمِ لم يشاركهُ ثانِ
 جَلَّ تشبيهه عن الحدَّانِ
 دعوةِ الوامقِ الحزينِ العاني
 أمطرتهُ قهراً صروفُ الزمانِ
 دَبَّرَتُهُ مَظَالِمُ الإنسانِ
 ويسوقُ الظُّلومَ لِلنَّيرانِ
 أرحمُ الراحمينَ رَحْبُ الخنانِ
 ولمن خافَ مُنْعِمٌ بالأمانِ
 خَيْرُ أَهْلِ العفوِّ والفُقرانِ
 شاءَ ذاقوا عواقبَ الطغيانِ
 في طريقِ الأَعْمَالِ الإنسانِ

البحيم

كل نفس سيقَتْ إلى الخَيْرِ تَلْقَى
والتي قادها إلى الشرِّ طَيْشُ
جامعُ الناسِ والموازنِ قِسْطُ
أى وَيْلٍ إذا الموازينُ خَفَّتْ
واستشاطت غضباً وهي تُدَوِّ
فَزَعٌ يَمَلُّ الفؤَادَ ارتجافاً
من حَمِيمٍ تنسابُ فيها سيولُ
وهوى المجرِّمونَ بين رعودِ
فَهَلُمُّوا يَا مَنْ ظَلَمْتُمْ وَجُرْتُمْ
إن هذا تصديقُ ما قد كَذَبْتُمْ
أَعْظَمَ الأَجْرِ في علا الرِّضْوَانِ
سَوْفَ تُجْزَى بما جَنَّهُ اليَدَانِ
يَوْمَ لم تُجِدِ زَفَرَةُ النَّدْمَانِ
وزفيرُ البَحِيمِ في ثَوْرَانِ
في زئيرِ يروحُ بالآذَانِ
حين تبدو ذاتُ الشَّوَى للعيانِ^(١)
في جحيمٍ وظُلْمَةٍ من دُخَانِ
أَطْلَقْتُمْ زَوَابِعُ النيرانِ
وكفرتُم بالواحدِ الديَّانِ
وأطعتمُ غُـوايَةَ الشَّيْطَانِ

المؤمنون في النعيم

كلُّ حَظٍّ وكلُّ فوزٍ عَظِيمٍ
بِاتِّبَاعِ الهُدَى وَتَرْكِ المعاصي
خالف النفسَ بينَ عَزْمٍ وَصَبْرٍ
وَأَطَاعِ الإلهَ طَاعَةً عَبدٍ
للذين اتَّقُوا أُعِدَّتْ قُصُورُ
والفراديسُ زِينَتُ بَيْدُورٍ
وبدارِ النعيمِ صُفَّتْ بِيوتُ
غُرُفٌ تحتَ زَهْرِها الماءُ يَجْرِي
للذى نال رُجْحَةَ المِيزَانِ
والتَّغَاضَى عن المَتَاعِ الفانى
وَمَضَاءِ وَعِفةٍ وَأَمَانِ
قَرَبَتُهُ مَثُوبَةُ الشُّكْرِانِ
عَالِيَاتُ في خَالَدَاتِ الْجَنَانِ
كاللآلِى ما بين حورٍ حَسَانِ
من كَرِيمِ اليَقُوتِ والمَرْجَانِ
من نُضَارٍ ومن نعيمِ الْجَمَانِ

(١) ذات الشوى : يريد جهنم التي تشوى .

تَجَلَّى عَلَى الْأَرَاثِكِ فِيهَا حُورٌ عَيْنٍ مِنْ كَاعِبَاتِ قِيَانٍ^(١)
 وَعَلِيهِنَّ طَافَ وَلَدَانُ خُلْدٍ بِشْرَابِ الْأَعْنَابِ وَالرَّوْمَانِ
 فِي أَبَارِقَ مِنْ لُجَيْنٍ شَذَاهَا عَرَفُ مِسْكٍ وَنَفْحَةُ الرِّيْحَانِ
 وَعَلَى الْجَانِبَيْنِ صُفَّتْ عَرُوشُ سُرُرٌ حَوْلَهَا الْقُطُوفُ الدَّوَانِي
 رَصَعَتْهَا يَدُ الْعَطَاءِ بِدَرٍّ فَوْقَ وَشْيٍ مِنْ نَادِرِ الْعَقِيَانِ
 إِنْ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَتَاعًا جَعَلَ الْمُتَقِينَ فِي مَهْرَجَانِ
 أَرْضَهَا سُندُسٌ يُقَطِّعُهُ زَهْرٌ يَنْشُرُ الطَّيْبَ فِي رِيَاضِ الْجَنَانِ
 رِيحُهَا عَاطِرٌ يَفِيضُ عَبِيرًا حَيْثُ مَالِ النَّسِيمِ بِالْأَغْصَانِ
 فَوْقَ فَيْحَاهَا وَتَحْتَ الدَّوَالِي فِي مَرْوَجِ الْكَافُورِ وَالْأَقْحَوَانِ
 دَفَقَتْ أَنْهَرُ وَفَاضَتْ عُيُونٌ بَارَكْتَ نَبْعَهَا يَدُ الرَّحْمَنِ
 مِنْ سُلَافٍ وَمِنْ مَعِينِ فِرَاتٍ تَهَادَى الْأَنْهَارُ كَالْخِيزِرَانِ^(٢)
 ثُمَّ تَجْرَى أُخْرَى بِدَرٍّ طَهُورٍ لَمْ يُلَوِّثْ بِفَاسِدِ الْأَذْرَانِ^(٣)
 بَيْنَ طَيْبِ الزُّهُورِ تَجْرَى الْهُوَيْنَى أَنْهَرُ الشَّهْدِ فِي فَسِيجِ الْجَنَانِ
 لَمْ يُسَبِّهْ نَعِيمُهُ نَعِيمٍ كَانَ أَشْهَى أُمْنِيَّةَ الْإِنْسَانِ
 نَوْرُهَا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا يَانَعَاتُ الْمَرْوَجِ وَالْأَفْنَانِ
 إِنْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى كُلُّ نَفْسٍ وَجَنَاهَا أَيْانَ تَدْعُونَ دَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ غَضٌّ وَرَطِيبٌ وَيَانَعُ كُلٌّ آانِ
 كَيْفَ تَدْنُو يَدُ الْبَلَى مِنْ جَنَاهَا وَالَّذِي فِي الْخُلُودِ لَيْسَ بِقَافِ
 كُلُّ وَصْفٍ مِمَّا تَسَامَى بِحَيَالَا فِي نَعِيمِ الْفَرْدُوسِ غَيْرُ الْعِيَانِ
 رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ أَفَاضَتْ عَلَيْهَا سَابِقَاتٍ مِنْ أَنْعَمِ الرِّضْوَانِ

(١) الصواب أن يقال حور عين ، على الوصف لا الإضافة ، والعين جيلات العيون ، الواحدة عيناء .

(٢) السلاف : الحمر ، ومعين فرات : نبع عذب ، والتشبيه في البيت بعيد المأخذ .

(٣) الذر بفتح الدال : المدرار أى الغزير السيلان ، وأصله للمطر .

وأعدت هذا النعيم جزاء
لسميد قد فاز بالغفران
يانعيم الجنات رحب وبارك
وتقدم بعاطرات التهان
وابتسم يا جمال واهتف سلاماً
وتألق في الحور والولدان
هاهم الاتقياء حلوا كراماً
بين فيض من الرضى والأمان
ياعباد الرحمن ها قد بلغت
فاشكروا من هدى إلى الإيمان
مالك الملك إن وعدك حق
من له الحمد غيره كل آن
كل شيء يسبح الله تحمداً
أبد الدهر خيفة الرحمن
خالق الخلق من ضياء ونار
وتراب في رافعة وحنان
عرشه الأرض والسماء قريب
لم يغيب فيض نوره عن مكان

الشمس

صانع مبدع عليم خير
بالغ صنعه ذرى الإتيان
كل حي إلى علاه مدين
بالغوى من أنعم الإحسان
خلق الشمس في السماء سراجاً
وحياة للعالم الحيوان
تملأ الأرض كل يوم ضياء
وهيجاً كلفحة النيران
تحوّل الغيث من أجاج خضم
ثم تعلو بذره كالدخان
فوق متن الهواء يعلو جليداً
طود ماس في صفحة من جمان
شاء للأرض أن تموت وتحيا
حكمة جدت قوى العمران
كما أجديت نسقاها سحباً
بمعين من غيثه المتيان
هكذا نم للحياة نظام
يجعل الجسم يانع الريان
إن للشمس في العناصر سرّاً
فهى روح الحياة للأبدان
لو خبا نورها عن الأرض صارت
بلقماً قد خلا من السكان

قدرةٌ حَيرتْ عقولَ البرايا	غاب إدراكها عن الأذهانِ
أبدعتها يد المهيمن رفقا	وحنانا على بني الإنسانِ
ملهم النفس والتدبير تجري	محكمات في عالم الأكوانِ
فاز من بالتقى أطاع ووفى	والذى ضلّ باء بالخسرانِ
أنزل الثور رحمةً وسلاماً	وشفاء في مُحكم القرآنِ
جاء بالحق هادياً وبشيراً	ونذيراً للشارد الغفلانِ
فاض علماً بالوحي صدر نبي	عبرى النهى فصيح اللسانِ
خير نفس حلت بأشرف جسم	خاتم المرسلين فخر الزمانِ
أحمد المجتبي شفيع البرايا	هادم الكفر شائد الإيمانِ
جاهد المشركين بالسيف حتى	دمر الحق دولة الأوثانِ

سبيل الإيمان

أيتها الناس آمنوا وأطيعوا	واذكروا الله خيفة كل آن
سبحوه مستغفرين وتوبوا	واستعينوا به من الشيطانِ
طهروا النفس باجتنب المعاصي	واستزيدوا هدياً من القرآنِ
واتقوا الله رهبةً واشكروه	أن هذا كم لنعمة الإيمانِ
واستقيموا فهو الرقيب عليكم	ومحال أن يختفى عنه جاني
وأسلكوا للهدى أعف سبيل	وتفانوا في طاعة الرحمن
واطلبوا الرزق طيباً وحلالاً	واحفظوه بالبر والإحسانِ
واجعلوا العدل إن حكتم شعاراً	واذكروا بطش صاحب السلطانِ
وتواصوا بالحق واسعوا كراماً	واستعينوا بالصبر والإيمانِ

ضعف ابن حواء

يَا بْنَ حَوَاءٍ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا وَحَلِيفًا لِلسَّهْوِ وَالنَّسْيَانِ
 خَدَعَتْكَ الدُّنْيَا فَأَقْبَلْتَ تَلَهْوُ طَائِرَ اللَّبِّ غَارِقًا فِي الْأُمَانِ
 قَادَكَ الْجَهْلُ فَارْتَكَبْتَ الْخَطَايَا وَتَزَوَّدْتَ بِالْمَتَاعِ الْفَانِ
 وَتَجَبَّطْتَ فِي دِيَا حَيَاةٍ كُنْتَ فِيهَا فَرِيسَةً الشَّيْطَانِ
 يَا بْنَ حَوَاءٍ كَيْفَ تَنْقَادُ أَعْمَى كَيْفَ تَنْسَى عُقْبَى الْمَصِيرِ الثَّانِي؟
 كَيْفَ تَصْبُو إِلَى الْمَلَاهِي وَتَرْضَى يَا بْنَ حَوَاءٍ وَقَفَةً النَّدَمَانِ
 قَدْ فَقَدْتَ النَّهْيَ طَرُوبًا تُغْنَى بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَانِ!
 لَمْ تَفَكَّرْ فِي غَيْرِ دُنْيَاكَ يَوْمًا أَمِنًا مِنْ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
 يَنْقُضِي الْعُمُرُ وَالشَّبَابُ يُؤَلَّى بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
 سِنَةٌ كُلُّهَا الْحَيَاةُ وَصَحْوٌ فِي دِيَا حَيَاةِ الْقُبُورِ وَالْأَكْفَانِ
 يَوْقُظُ النَّفْسَ بَيْنَ حَرْبٍ وَكَرْبٍ فِي جَحِيمٍ مِنْ زَفَرَةِ النَّدَمَانِ
 إِلَيْهِ يَأْنِسُ قَدْ تَفَاوَلَتْ جَنَى سَكَنَ اللَّهُؤْمُكَ غَدَرَ الزَّمَانِ
 لَا اعْتَذَارَ وَلَا شَفِيعَ يُرَجَّى هَكَذَا فَاجْرَعِي كُؤُوسَ الْهَوَانِ
 فِتْرَةُ الْأَرْضِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ فِيهِ يُجْزَى الْمَطِيعُ بِالْإِحْسَانِ
 وَبِدَارِ الْبَقَاءِ تَخْلُدُ نَفْسُ فِي نَعِيمٍ أَوْ فِي لَظَى النَّيْرَانِ
 تُنْقَلُ النَّفْسُ مِنْ حَيَاةٍ لِأُخْرَى إِذَا يَنَادِي الْحِمَامُ آنَ أَوَانِي
 إِنَّهُ الْمَوْتُ لَمْ يَدْعُ أَيَّ حَيٍّ فَالْبَرَايَا جَمْعًا بِهِ سَيَّانِ
 فَإِذَا جَاءَ أَمْرُهُ لَمْ يُؤَخَّرْ وَإِذَا حُمَّ فَلَمَقْدَرُ دَانِ
 ضَجَعُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يُفْقَدُ الْإِنْسَانُ فِيهَا ، وَيَسْكُنُ الْخَلْقَانِ
 فَهُوَ بَابٌ يَحْتَازُهُ كُلُّ حَيٍّ وَهُوَ كَأَشَدُّ لَابِدًا لِلظَّمَانِ

غرور ابن حواء

يا ابن حواء دع غرورك واعلم
خالف النفس واجتنب كل شر
وافعل الخير ما استطعت وأصلح
واتق الله إنه خير زاد
وتواضع واصفح وسامح كريماً
وتوكل على المهيمن واصبر
إن كيد الشيطان يفتك فتكا
فتنة تملأ العيون جمالاً
خادع ما كره عدو لدود
لا تطع كيدته وخالفه حتى
أن من عفا عاش في اطمئنان
وتباعد عن حمأة العدوان
وتسابق في البر والإحسان
للذي رام خالد البنيان
واجعل الحلم زائد الوجدان
واذكر الموت بين آن وآن
بضعاف العقول والإيمان
وانطلاق في كاذبات الأمان
شر نفس شقت عصا العصيان^(١)
لا تنزل عليك لعنتان !

مصير ابن حواء

يا ابن حواء باطل كل شيء
جسمك الفض هيك من تراب
يتوارى تحت الترى بعد حين
وهشها عظامه تتداعى
كل جسم مشى على الأرض فيها
أخرجته يشقى وخجل طوته
إن هذى دنياك فاحذر أذاها
هي أفعى في ثوب حسناء تسعى
زينة مظاهر الهذيان
سوف يبلى على يد الحدثان
حيث يغدو فرسة الديدان
وإلى التراب مرجع الإنسان
هي ترب وهو الوليد الفاني
فهي أم لكن بغير قران
وتجنب مصارع الأزمان
بجمال مبرج فتان

(١) تقول شقت عصا الطاعة ، وهذا ما أراد الشاعر ولكنه أخطأ التعبير .

تَنْشِبُ النَّابَ فِي الذِّى نَالَ مِنْهَا وَاسْتَمَاتَهُ مَغْرِيَاتُ الْحِسَانِ
وَالَّذِى كَانَتْ لَهُوُهُ بِالْأَفَاعِى كَيْفَ يَنْجُو مِنْ وَثْبَةِ الثُّغْبَانِ ؟
هَكَذَا الدَّهْرُ صَفْوُهُ مُسْتَحِيلٌ غَرَضٌ لِلْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ
مَا صَفَا الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِنَفْسٍ مَتَّعَتْهَا الدُّنْيَا بِأَقْصَى الْأَمَانِ
مَنْ هِنَاءٌ إِلَى شَقَاءٍ وَذُلٌّ وَمَنْ الْعِزُّ لِلْأَسَى وَالْهُوَانِ
إِنْ هَذَا كَيْدُ اللَّيَالِى فَحَسْبِ يَا أَبْنَ حَوَاءَ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ

مطامع ابن حواء

يَا أَبْنَ حَوَاءَ بَاطِلٌ كُلُّ شَيْءٍ زَيَّنَتْهُ مَطَامِعُ الْهَذْيَانِ
فَالْجَمَالُ الَّذِى سَبَّكَ خِيَالٌ وَالْأَمَانِيُّ خِدْعَةُ الشَّيْطَانِ
هَذَّبَ النَّفْسَ لَا تَطْعَ مَا تَمَنَّتْ وَتَمَسَّكَ بِشِرْعَةِ الْقُرْآنِ
وَتَفَكَّرْ فِي صُنْعِ رَبِّكَ يَبْدُو لَكَ نُورٌ مِنْ فِيضِهِ الرَّبَّانِ
وَإِذَا كَرَّ اللَّهُ مَا خَلَوْتَ كَثِيرًا فَهُوَ أَزْكَى مَا يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ
وَأَخْشَهُ إِنْ لَهَوْتَ فَهُوَ رَقِيبٌ وَقَرِيبٌ لِلْقَلْبِ وَالشَّرَّيَانِ
لَا تَقْلُ إِنْ خَلَوْتَ إِنْى وَحِيدٌ فَمَعَ اللَّهُ أَنْتَ فِي كُلِّ آنٍ
إِنْ عَيْنَ الْإِلَهِ مَا غَابَ عَنْهَا أَيْ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
تَرْقُبُ الْخَلْقَ فِي جَلَالٍ وَحَلْمٍ وَاقْتِدَارٍ وَرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
أَيْنَ مِنْهَا الْمَفْرُ؟ يَا نَفْسُ سِيرِي فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَالْإِطْمِنَانِ
قَدِّمِي الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ وَتَوْبِي وَأَطِيعِي أَوَامِرَ الرَّحْمَنِ

ضلال ابن حواء

يَا بْنَ حَوَاءِ أَنْتَ لَهِ عَبْدٌ وَعَلَى الْعَبْدِ وَاجِبُ الشُّكْرِ أَنْ
كَيْفَ تَنْسَى فَضْلَ الْإِلَهِ وَتَمْشِي مَطْمَئِنًّا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ ؟
لَمْ تَتَفَكَّرْ فِي غَيْرِ لَهْوٍ يُؤَدِّي يَاضِعِيفَ النَّهْيِ إِلَى الْخُسْرَانِ
قَدْ دَعَاكَ الشَّيْطَانُ فَانْقَدْتَ تَهْوَى فِي ضَلَالِ الْغُرُورِ وَالْعِصْيَانِ
تُتَكَبَّرُ الْحَقُّ وَالْهُدَى كَبْرِيَاءَ مُسْتَحَقًّا لِنِقْمَةِ التُّكْرَانِ
إِنْ مَثَوَى الْمُسْتَكْبِرِينَ خُلُودٌ فِي زَفِيرِ الْجَحِيمِ وَالنَّيْرَانِ
أَيُّهَا الْأَحْبَقُ الْجَهْلُ تَدَبَّرْ أَوْ تُعَاقَبْ بِالطَّرْدِ وَالْحَرَمَانِ

السماء والأرض

هَلْ لِهَذَا الْوُجُودِ غَيْرُ إِلَهٍ وَاحِدٍ فِي الْعَالَا فِي السُّلْطَانِ ؟
أَمْرُهُ الْأَمْرُ لَمْ يُشَبَّهْ بِشَيْءٍ مُطْلَقُ الْحُكْمِ مَبْدَعُ الْأَكْوَانِ
دَبَّرَ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ بِصُنْعٍ غَايَةِ فِي الْجَلَالِ وَالْإِتْقَانِ
رَتَّبَ النَّجْمَ وَالْبُرُوجَ وَأَوْحَى لِلنَّظَامِ الْعَجِيبِ بِالْدُّورَانِ
سَابِحَاتٍ تَشْقُ جَوْفَ فِضَاءٍ بَيْنَ مَهْوَى الثَّرَى إِلَى كَيَوَانِ^(١)
خَامِلَاتٍ الْأَبْصَارِ كَالْبَرْقِ تَسْرَى فِي مَدَارِ الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ
قُدْرَةُ اللَّهِ سَيَّرَتْهَا وَحَفَظَهَا زَوَّدَتْهَا بِنُورِهَا الرِّبَاقِ
مِنْ بَدْوٍ كَوَاكِبٍ وَشُمُوسٍ سَبَّحَتْ فِي الْعَالَا عَظِيمِ الشَّانِ
تَقْطَعُ الْأَفْقَ فِي سَلَامٍ وَأَمْنٍ لَاحِظَتَهَا عَنَايَةُ الرَّحْمَنِ
سَبَّحَ النَّجْمُ فِي السَّمَاءِ يُؤَدِّي وَاجِبَ الْحَمْدِ مَبْدَأَ الْمُلُوكِ^(٢)
تَمَّ أَمْرُ السَّمَاءِ سُبْحَانَ رَبِّي إِذْ بَنَاهَا قُوَّةَ الْبَنِيَانِ
خَلَقَ الْأَرْضَ جَذْوَةً مِنْ شَهَابٍ لَارْتِبَاطِ الْأَفْلَاكِ بِالْأَكْوَانِ

(٢) الملوك : الليل والنهار .

(١) كيوان : زحل .

ودحاها من بعد ذلك دَحِيًّا وَهَبَ الْأَرْضَ سَرْعَةَ الدَّوْرَانِ

القمر

ثُمَّ أَوْحَى لِلْبَدْرِ أَنْ خُذْ مَدَارًا
وَمِنَ الشَّمْسِ خُذْ ضِيَاءَكَ فَأَعْكِسْهُ
إِنِ لِلْبَدْرِ فِي خُطَاهُ بَرُوجًا
هُوَ يَجْرِي وَكَوْكَبُ الشَّمْسِ يَجْرِي
آيَةُ الشَّمْسِ فِي النَّهَارِ ضِيَاءٌ
وَإِذَا اللَّيْلُ أَلْبَسَ الْأَرْضَ سِتْرًا
ظَهَرَ الْبَدْرُ فِي السَّمَاءِ فَالْقَى
نُورُهُ يَمْلَأُ الْقُلُوبَ أَنْشِرَاحًا
إِنِ هَذَا النِّظَامَ صَنَعَ إِلَهٌ
خَلَقَ الشَّمْسَ رَحْمَةً وَحَنَانًا
وَأَفَاضَتْ يَدُ الْعَطَاءِ عَلَى الْأَرْضِ
بَعْدَ تَقْدِيرِ قُوَّتِهَا أَوْدَعْتَهَا
نِعْمَةُ الْخَالِقِ الْحَكِيمِ فَأَكْرَمَ
بَسَخَّرَ الْمَاءَ وَالْهَوَاءَ فِرَاتًا
جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِبَاسًا
جَعَلَ الشَّمْسَ فِي النَّهَارِ عُرُوسًا
وَأَحَلَّ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ مَلِيكًا
إِنِ لِلنَّيِّرَيْنِ أَكْبَرُ فَضْلٍ
كُلُّ هَذَا آلاءُ رَبِّ قَدِيرٍ

حَوْلَ سَيَّارِهَا وَسِرٌّ فِي أَمَانٍ
عَلَيْهَا لِلْسَّارِبِ الْوَجْلَانِ
تَتَجَلَّى فِي وَجْهِهِ كُلُّ آنٍ
وَعَلَى الْأَرْضِ يَشْرَفُ الْكُوكَبَانِ
وَحَيَاةٌ لِعَالَمِ الْحَيَوَانِ
مِنْ دِيَاغِي الظَّلَامِ كَالطَّيِّسَانِ
صَفْحَةُ النُّورِ مِنْ سَيُولِ الْجَمَانِ
وَيَمْدُ النَّبَاتِ بِالْأَلْوَانِ
مَالِكِ الْمَلِكِ وَاحِدِ مَنَانِ
لِبَقَاءِ الْحَيَاةِ فِي عَنُقُونِ
ضِغْيُونًا مِنْ خَيْرِهَا الْهَتَّانِ
مَائِنُمَيَّ جَوَاهِرِ الْأَبْدَانِ
بِحَنَانٍ لَمْ يُوْتَهُ الْوَالِدَانِ
وَعَلِيلًا فَوْقَ الثَّرَى يَجْرِيَانِ
وَمَعَاشًا كِلَاهُمَا آيَتَانِ
تَتَجَلَّى فِي إِمْرَةِ السُّلْطَانِ
مُشْرِقًا فِي الدُّجَى عَلَى الْأَكْوَانِ
أَلْبَسَ الْأَرْضَ حُلَّةَ الْعِمْرَانِ
سَخَّرَهَا رُحْمَاهُ لِلْإِنْسَانِ

ذلك الهيكلُ المفضلُ عقلاً وذكراءُ عن سائر الحيوانِ
كَرَّمَ اللهُ خَلْقَهُ واصطفاه وحباه مَوَاهِبَ العِرفانِ

سعة ملك الله

يا بَنِي الأَرْضِ إِنَّ لِلَّهِ مُلْكاً واسعَ الأفقِ بين قاصٍ ودانٍ
تَعْلَمُ الأَرْضُ والسماهُ مداهُ في سُمُومِ الجلالِ والسلطانِ
قَبْضَةُ اللهِ تَجْمَعُ الأَرْضَ في يَمِينِهِ تَطْوِي مسارحُ الدورانِ
هِيَ ذاتُ البروجِ سبعُ طباقٍ كلُّ يومٍ بديعها في شانٍ
رَفَعَتْ سَمَكُهَا بغيرِ عمادٍ قُوَّةُ القاهرِ العزيزِ الباني
عِزَّةٌ تَجْعَلُ القلوبَ سُجُوداً في خُشُوعٍ من هَيْبَةِ الديانِ
حِكْمَةٌ دَبَّرَ المهيمنُ فيها ماخبا نورُهُ عن الإنسانِ
تَتَرَاى غيرَ الذي أبرمته وتُنَاقِي ماقدَ بدا للعِيانِ
شَاءَها الخالقُ الحَكِيمُ فتمَّتْ طَبَقَ ما في صحائفِ الأَكوانِ
إنما اليُسْرُ ما أَرَادَ ، وقَدَمًا خُطَّ في اللُّوحِ ما نطوى في الجَنانِ
خَبِرَةُ أَتَقَنَ المصوِّرُ فيها ما تَوَارَى عن عبقريِّ البيانِ
أَبْدَعَتْ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوْحَتْ فيه سرًّا من غَيْثِها الربَّاني
آيَةُ الصانعِ العليمِ أَمَدَّتْ كُلَّ حَيٍّ ما بينَ إنسٍ وجانِ
لَمْ تَدْعُ كائناً بغيرِ حنانٍ من لَدُنْها أَكْرَمَ به مِن حنانِ
هِيئَةُ خَرَّتِ الجبالُ لَدَيْها ساجداتٍ وكَبَّرَ المشرقانِ
وَتَجَلَّتْ على الوجودِ جمالاً كُلُّ شَيْءٍ مُسَبِّحٌ بلسانِ
حُضْرَةُ تَجْمَعُ العوالمُ طُرّاً تحتَ نِبراسِ نورِها الربَّاني
كُلُّ مَنْ في الوجودِ يَبِينُ يَدَيْها يَطْلُبُ العَفْوَ والرضى كُلَّ آنٍ

نظرة ملؤها الخنوع وحلم	في اقتدار وهيبته في أمان
رأفة عمت البرايا ولطف	قدسه للحمد سبع مئان
سجد الكون للمهيمن شكراً	وجلالاً وكبر الخلقان
يُخرج الميت من سلاله حي	وكذا الحي من رميم فان
يمتد الخلق من دياجى قبور	هشمتها تقلبات الزمان
بموت ما بها العوادي وقدماً	أورثتها البلى يد الحدثان
يأمر الشمس بالطواف مع البدر	جميعاً في دورة يسبحان
يحمل الماء من أجاج معيناً	رحمة بالنبات والحيوان
يُرسل النيث هاطلاً في الروابي	فتعج الأنهار بالقيضان
عاصفات الرياح بالأمر تجرى	فتميد الأغصان بالأغصان
تنتى ملقحات فجلت	قدرة الخالق العليّ الشان
من بطون الثرى يبارك ماء	يحمل الطيبات للعبدان
زودته النعمى عناصر شتى	وأمدت به جنى النعمان
من غير ومن أريج زكى	يعبق الزهر مُشرق الألوان
سكر منعش وشهد شهى	وسلاف من طاهرات الدنان
نعم أبدع المصور فيها	ما تناءى عن فطنة الإنسان

عالم الحيوان

ثم أوحى رب الوجود إليها	ماهمات أعيت علوم البيان
نسج العنكبوت أو هن بيت	شاده في الوجود أبرع بان !
ولم التحل أن أعدى بيوتاً	في أعلى الربا وفي الأفنان
واطلى القوت بين ماء وزهر	من ثمار بديمة الألوان

واقْتَفَى بَلَسَمَ الدَّوَاءَ وَرُدَّ
 وَإِلَى النَّمْلِ عَالِمِ الْفِطْنَةِ الْجَدِّ
 أُمَهَّرُ الْبَاحِثِينَ فِي الْأَرْضِ شَعْبًا
 يَعْمَلُ النَّمْلُ دَائِبًا وَصَبُورًا
 مَلْهُمَاتٌ قَدْ حُيِّرَ الْعَقْلُ فِيهَا
 فِي بَطُونِ النَّزَى يُعِدُّ بِيوتًا
 حَوْلَ جُدْرَانِهَا بَنَى حُجُرَاتٍ
 صَالِحَاتٍ لِحَفْظِ مَا ادَّخَرَتْهُ
 جَامِعَاتِ الْأَقْوَاتِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 غُرْفٌ أَبْدَعَ الْمُهَنْدِسُ فِيهَا
 قَاهِرَاتٌ يَدَ الْبَلَى وَنُحَالَ
 إِنْ لِلنَّمْلِ فِي الْحَيَاةِ خِلَالًا
 عَامِلٌ مَاهِرٌ مُطِيعٌ صَبُورٌ
 أُمَّمٌ مَثَلَتْ أَدَقَّ نِظَامٍ
 يَتَّقِي الْبَرْدَ فِي الشِّتَاءِ فَيَبْقَى
 وَإِذَا مَا الرَّبِيعُ أَذِنَ يَسْعَى
 إِنْ وَحَى الْإِلَهَامُ أَفْضَى إِلَى النَّهْ
 يَعْرِفُ الْجَوَّ وَالْأَعَاصِرُ فِيهِ
 مِنْ رِيَّاحٍ وَمِنْ سَيُولٍ وَنَارٍ
 عَالِمُ النَّمْلِ آيَةُ الْجَدِّ فِي الْأَرْضِ
 يَهْ شَفَاءُ شَهْدًا إِلَى الْأَبْدَانِ
 وَرَمَزِ النِّشَاطِ وَالْإِتْقَانِ
 وَحَلِيفُ النِّظَامِ وَالْعُمُرَانِ
 فَوْقَ إِدْرَاكِ فِطْنَةِ الْحَيَوَانِ
 أَكَسَبَتْ فَهْمَهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
 مُحْكَمَاتِ السَّاحَاتِ وَالْجُدْرَانِ
 شَاهِدَاتِ بَخْبِرَةِ الْفَنَانِ
 جَاهِدَاتِ بِحَاثَةِ الْوُدْيَانِ
 مَا ثَنَاهَا عَنْ عَزَمِهَا مَا تُعَانِي
 أَحْكَمَ الْوَضْعِ كَيْ تَدُومَ الْمَبَانِي
 أَنْ يَكِيلَ الْأَذَى لَهَا الْعَابِثَانِ
 مَيَّزَتْهُ عَنْ عَالَمِ الْحَيَوَانِ
 صَادِقُ الْعَزْمِ مَخْلَصُ الْإِيمَانِ
 لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ فِي الْعُمُرَانِ
 بَيْنَ دِفْءٍ وَمَطْعَمٍ فِي أَمَانِ
 طَالِبِ الرِّزْقِ جَاهِدًا غَيْرَ وَانٍ
 لِلسِّرِّ مِنْ تَفْحَةِ الْكَيْمَانِ
 سَارِيَاتٌ مَا بَيْنَ آفٍ وَآنٍ
 لَا تَقَاءُ الْأَذَى قُبَيْلَ الْأَوَانِ
 ضَ فُسْبَحَانِ مُلْهِمِ الْحَيَوَانِ

عالم البحر

أودعَ البحرَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا بَارِكِ اللَّهُ مَرَثَعَ الْحَيْتَانِ
سَابِحَاتُ الْأَسْمَاكِ تُكْثِرُ ذِكْرَ اللَّهُ فِيهِ مَا سَبَّحَ الْجَارِيَانِ
أَكُلْ طَيِّبٌ طَرِيٌّ شَهِيٌّ فِيهِ شَقَى الْأَنْوَاعِ وَالْأَلْوَانِ
وَحُلِيٌّ تَأَلَّقَتْ لَامِعَاتُ بَيْنَ أَصْدَافِهَا كَلَمَجِ الْحَسَانِ
لَوْ لَوْ نَادِرٌ وَدُرٌّ يَتَسِيمٌ وَعُقُودٌ مِنْ فَاتِنِ الْمَرْجَانِ
نِعَمٌ سَاقَهَا الْخِضَمُّ إِلَى النَّاسِ مِنْ بَأْسِهِ مِنْ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ

عالم الطير

أَمُّ الطَّيْرِ أَكْثَرُ الْخَلْقِ حَمْدًا مَا سَهَتْ لِحَظَةً عَنِ الشُّكْرَانِ
مَاتِبْدَى نَوْراً وَغَشَى ظِلَامٌ وَمَعَ الْكَوْنِ كَبَّرَ الْمَشْرِقَانِ
إِذْ تَهَادَى النِّسِيمُ يَحْمِلُ شِدْوَاً رَجَعَتْهُ الْآفَاقُ بِالْأَلْحَانِ
سَبَّحَ الطَّيْرُ فِيهِ رَبًّا رَحِيماً قَدْ تَجَلَّى بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
وَاحِدٌ مَنْعَمٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ غَامِرُ الْخَلْقِ بِالْبَنْدَى وَالْحَنَانِ
يَرْزُقُ الطَّيْرَ أَيْنَمَا حَلَّتِ الطَّيْرُ بِأَقْصَى الْقَفَارِ وَالْوُدَيَانِ
عَالَمُ الطَّيْرِ فِي الْوُجُودِ عَجَابٌ فَهُوَ رَمَزٌ لِلشَّاكِرِ الْيَقْظَانِ
وَلِكُلِّ فِي عِلْمِ الْأَرْضِ نَفْعٌ تِلْكَ آلَاءُ قُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
مِنْ رَسُولٍ قَدْ جَاءَ بِلُقَيْسٍ يَدْعُو رَبَّةَ التَّاجِ رَبَّةَ الصَّوْلَجَانِ
أَمِنْ الْجِنَّ أَمْ مِنَ الْإِنْسِ؟ لَا بَلْ كَانَ هَذَا مِنْ عَالَمِ الطَّيْرِ
هَدَاهُ قَدْ أَحَاطَ عِلْماً بِمَا لَمْ يَعْلَمِ الْعَاهِلُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
مَلَكٌ يَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَجْرِي وَنَبِيٌّ دَانَتْ لَهُ النَّقْلَانِ

خَصَّهُ اللهُ مَنْطَقَ الطَّيْرِ لَمَّا نَالَ مُلْكًا غَنَى بِهِ النَّيِّرَانِ
 إِنَّ يَوْمًا تَقَقَّدَ الطَّيْرَ فِيهِ فَجَرُّ مُلْكٍ قَدْ سَاسَهُ تَاجَانِ
 تَاجُ بَلْقَيْسَ تَاجِ قَامِعَةِ الْجِ نَّ وَذَاتِ الْجَلَالِ وَالسَّلْطَانِ
 وَسُلَيْمَانَ رَبُّ أَكْبَرِ مُلْكٍ جَمَعَ الْخَلْقَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
 وَقَفَ الطَّائِرُ الضَّعِيفُ ذَلِيلًا فِي انْكَسَارٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانِ
 يَرْتَجِي الْعَفْوَ وَالْمَلِيقُ غَضُوبَ وَيَدُ الْبَطْشِ سَخَطُهَا مِنْهُ دَانِ
 لَمْ تَبْرُئْهُ غَيْرَ أَنْبَاءِ قَوْمِ قَدْ تَمَادَوْا فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ
 عَبَدُوا الشَّمْسَ عَاكِفِينَ عَلَيْهَا وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
 حَكَمَتْهُمْ بَلْقَيْسُ فِي جَبْرُوتٍ قَبْلَ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى الْإِيمَانِ
 وَأَنَاهَا نَوْرُ الْهُدَايَةِ لَمَّا رَأَتْ الْحَقَّ سَاطِعَ الْبُرْهَانِ
 وَاسْتَقَرَّتْ وَعَرْشُهَا بَيْنَ أَيْدِي مَنْ تَفَنَّى بِمُلْكِهِ الْمَاضِيَانِ
 مَلِكُ الْمَشْرِقَيْنِ بَرًّا وَبَحْرًا أَيْنَمَا حَلَّ حَلَقَ الْفَرْقَدَانِ
 رِحْلَةُ الْهُدُودِ الْأَمِينِ إِلَيْهَا أَيْقَظَتْ أَهْلَهَا مِنَ الْهَذْيَانِ
 أَقْدَتَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ فَكَانَتْ آيَةً النُّورِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ
 أُمُّ الطَّيْرِ تَذْكُرُ اللَّهَ دَوْمًا ضَارِعَاتٍ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرَانِ
 بَيْنَ أَوْكَارِهَا وَبَيْنَ الدَّوَالِي وَأَعَالَى الرُّبَا فِي الْأَفْنَانِ
 عَاطَرَاتِ التَّسْبِيحِ فِي الْكُونِ تَسْبِي سَرَيَانَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَبْدَانِ
 تَمَلَّا الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ حَمْدًا شَاكِرَاتٍ لِلوَاحِدِ الدِّيَّانِ

عالم الهوام والحشرات

جَلَّ مَنْ أَمْطَرَ الْخَلَائِقَ رِزْقًا وَتَعَالَى مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ
 كُلُّهُ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا لِمَدِينٍ بِالشُّكْرِ لِلدِّيَّانِ

فِي بُطُونِ الثَّرَى وَغَابِ الْفَيَافِي زاحفاتٍ مَلَأْنَ كُلَّ مَكَانٍ
 أَعْجَبَ الْخَلْقَ صُنْعُهُ وَحَيَاةُ دِقَّةُ أَعْجَزَتْ قُوَى الْإِمْكَانِ
 عَالَمُ الذَّرِّ وَالْبَعُوضِ شُهُودُ بِاِقْتِدَارِ الْمَحِيطِ بِالْأَكْوَانِ
 كُلُّ هَذِي الْأَحْيَاءِ تَسْبِيحٌ فِي الْكُو نِ فَيَدُو مِنْ سَبْحِهَا عَالِمَانِ
 عَالَمٌ زَائِلٌ مَدَاهُ قَصِيرُ وَمُقَامٌ مَدَاهُ لَيْسَ بِفَانٍ !
 تِلْكَ دُنْيَا الْفَنَاءِ دَارُ اخْتِيَارِ خَادِعٌ حُسْنُهَا كَذُوبُ الْأَمَانِ
 مَا تَقَضَّتْ حَتَّى تَلَاهَا خُلُودُ أَبَدِيُّ الْحَيَاةِ لَيْسَ بِفَانٍ
 تِلْكَ دَارُ الْبَقَاءِ سَيَقَتْ إِلَيْهَا كُلُّ نَفْسٍ فِي عِزَّةٍ أَوْ هَوَانٍ
 كُلُّ شَيْءٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ تُرْبُ مِنْهُ صِيغَتْ هَيَا كُلُّ الْأَبْدَانِ
 وَلِكُلِّ عُمُرٍ إِذَا تَمَّ يَذُودُ ثُمَّ يَبْلَى عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ
 مِنْ هَشِيمٍ وَمِنْ رُفَاتٍ عِظَامِ بَعَثَتْ ذَرَّهَا يَدُ الْخَدَّائِنِ
 طَبَقَاتٍ تَكَدَّسَتْ فَوْقَ بَعْضِ فِي بُطُونِ الْوَهَادِ وَالْوُدَيَانِ ^(١)
 وَدَفِنَ عَلَى بَقَايَا دَفِينِ فِي ظَلَامٍ عَنْهُ اخْتَفَى النَّيِّرَانِ ^(٢)
 وَقُبُورِ ضَاقَتْ بِأَشْلَاءِ خَلْقِ مِنْ قَدِيمِ الْآبَادِ وَالْأَزْمَانِ
 كُلُّ جِسْمٍ يَدُ الْإِلَهِ حَوْلَتَهُ مِنْ رُفَاتٍ تُرْبًا كَذَرِّ الدُّخَانِ
 مِنْ عَلَى عَدِّ ذَرَّهَا ذُو اِقْتِدَارِ غَيْرُ رَبِّ الصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ
 بَاعِثِ الْخَلْقِ فِي قِيَامٍ رَهيبِ وَالسَّمَوَاتِ وَرَدَّةٍ كَالْدِهَانِ !
 سَتَقُومُ الْأَجْسَادُ مِنْ عَالَمِ الذَّرِّ سِرَاعًا لَمْ تَحْتَلِطْ ذَرَّتَانِ !
 قُدْرَةٌ أَوْدَعَ الْمُهَيِّمِينَ فِيهَا مَا تَنَاءَى عِلْمًا عَنِ الْأَذْهَانِ
 عِلْمُهُ قَدْ أَحَاطَ بِالْكُونِ قَدَمًا قَبْلَ خَلْقِ الْأَرْوَاحِ وَالْجَسَامِ

(١) الصحيح أن يقال : بعضها فوق بعض .

(٢) سبقه إلى ذلك أبو العلاء المعري في داليتة المشهورة والبيت بأكمله هو :

ودفين على بقايا دفين من قديم الأزمان والآباد

خَطَّ فِي اللَّوْنِجِ مَا أَرَادَ وَلَمَّا يَبْدُ لِلثُّورِ هَيْكَلُ الْإِنْسَانِ
مَنْ سَعِيدٍ وَمَنْ شَقِيٍّ قَضَاءُ قُدْرَتُهُ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَاهُ عِلْمًا وَعَدًّا فِي إِمَامٍ مُفْصَّلِ التَّبَيَّانِ

عالم الوحش

فِي مَرْوِجِ الْغَابَاتِ تَحْتَ شَعَارِ مِنْ كَثِيفِ الظَّلَالِ وَالْأَغْصَانِ
وَبِحَوْفِ الْأَحْرَاشِ بَيْنَ سُدُولِ مِنْ شَبَاكِ الْجَذُوعِ وَالسَّيْقَانِ
يَسْكُنُ الْوَحْشُ هَادِثًا فِي كُهُوفِ آمِنَاتٍ مِنْ وَطْأَةِ الْإِنْسَانِ
لَمْ تَنْلَهَا يَدُ الْأَذَى وَبِرْفَقِ لَأَحْظَتْهَا عَنَاءَةُ الرَّحْمَنِ
بَيْنَ آجَامِهَا تَرُوحُ وَتَعْدُو ضَارِيَاتُ السَّبَاعِ فِي اطمئنانِ !
فِي عَرِينِ الْأَسْوَدِ كُلُّ هَزْبَرٍ فِي فَيَافِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
ضَيْغَمٌ بِاسِلٌ رَهِيْبٌ مَهِيْبٌ مَلِكٌ قَادَ دَوْلَةَ الْحَيَوَانِ (١)
قُوَّةُ زَانِهَا حَنَانًا وَعِلْمًا خَلَقَ الْفَيْضَ الْجَرِيءَ الْجَنَانِ
عَالَمُ الْوَحْشِ مِنْ نَمُورٍ وَفُهْدٍ وَذُنَابٍ وَأَرْقَمٍ أَفْعَوَانِ
تِلْكَ أَكَاثَةُ اللَّحُومِ افْتِرَاسًا وَاقْتِنَاصًا فِي فَجَعَةِ النَّهْمَانِ

عالم الأنعام

يَمْلَأُ الْبَيْدَ حَوْلَهَا رَاتِمَاتُ مِنْ بَهِيمِ الْأَرَامِ وَالغَزَلَانِ
آمِنَاتٍ شَرًّا انْقِضَاضِ الضُّوَارِي سَارِيَّاتٍ فِي الْعُشْبِ وَالغُدْرَانِ
تَأْكُلُ الْعُشْبَ وَهُوَ يَنْسَجُ لَحْمًا وَيُنَمِّي عِظَامَهَا بِاللَّهَابِ
إِنَّ أَجْسَامَهَا مَصَانِعُ لِلَّحِّ مِ تَغْدَى الضَّعِيفُ غَذْوُ السَّمَانِ
مَرْقَتَهَا شَرَاهَةُ الْوَحْشِ ظُلْمًا فَأَبِيدَتْ عَلَى مَرُورِ الزَّمَانِ

(١) الضيغم والباسل من صفات الأسود ، وقد تسمى بهما .

حَفِظَتْهَا وَقَايَةُ اللَّهِ لُطْفًا وَسَلَامًا مِنْ ثَوْرِ الْعُدْوَانِ
لَا حَظَّهَا عَيْنُ الْعَنَاءِ حَتَّى يَحْفَظَ الْأَمْنُ دَوْلَةَ الْعُمَرَانِ
فِي بَقْلِهِ يَدُومُ فِيهَا صِرَاعٌ يَصْنَعُ الْأَرْضَ بِالنَّجِيعِ الْغَانِ
لَوْ تَبَارَتْ فِيهَا لِلضَّوَارِي لِأَخْلَتْ أَرْضَ قِيَمَانِهَا مِنَ الشُّكَّانِ
هَلْ يَحِيرُ الضَّعِيفَ غَيْرُ قَوِيٍّ أَوْ يَحْسُ الْجَبْرُوتَ غَيْرُ الْجَبَانِ
يَمْلَأُ الْوَحْشُ رَهْبَةً الْغَابِ ذُعْرًا شَرُّ نَفْسٍ تَمِيلُ لِلْعُدْوَانِ
شَرِيسٌ يَتَغَفَّكُ الدَّمَاءُ وَيُرْدِي بَاغْتِيَالٍ مُسْتَضْعَفَ الْحَيَوَانِ

الأسد ملك الحيوان

خَلَقَ اللَّهُ رَحْمَةً بِالضَّحَايَا حَارِسًا بِإِسْلَاءٍ جَرَى الْجَنَانِ
فِيَصْلًا يَقَهْرُ الْوَحْشَ جَمِيعًا لَا يُبَالِي بِمُرْهَفٍ أَوْ يَمَانِ
قُوَّةٌ أَكْسَبَتْ مَلِيكَ الضَّوَارِي أَسَدَ الْغَابِ هَيْبَةَ السُّلْطَانِ
ضَيْفًا قَاهِرًا وَلَيْثًا هَصُورًا خَيْرَ مَلِكٍ فِي دَوْلَةِ الْحَيَوَانِ
خَصَّهُ اللَّهُ بِالْبَسَالَةِ وَالنَّبِيَّةِ لِـ مَهِيًّا جَوَارِدُهُ فِي أَمَانِ
لَا يُجَارِيهِ فِي الْمُبَارَاةِ خَصْمٌ وَمَحَالٌ يَفِرُّ مِنْ مِيدَانِ
ثَابِتُ الْعِزِّ فِي خُطَاهُ وَقُورًا يَتَهَادَى فِي خِفَّةٍ وَاتِّزَانِ
نَظَرُهُ مِلْؤُهَا الرِّزَانَةُ وَالْحُدُ مُـ وَقَلْبُهُ يَحْبُوهُ فَيْضُ الْخَنَانِ
وَزَيْبُرٌ كَالرَّعْدِ قَدْ رَجَعَتْهُ جَنَبَاتُ الْأَجَامِ وَالْوُدَيَانِ
يَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الضَّوَارِي لِتُؤَلَّى عَنْ سَاكِنِ الْقِيَمَانِ
جَعَلَ اللَّهُ سَطْوَةَ اللَّيْثِ أَمْنًا وَسَلَامًا فِي صَالِحِ الْعُمَرَانِ
حَارِسٌ سَاهِرٌ قَوِيٌّ أَمِينٌ مَلِكُ الْوَحْشِ حَامِلُ الصَّوْلِ الْجَانِ

غفلة ابن حواء

يا ابن حواء كيف تُلهيك دنيا
كيف تنسى أن الإله سميع
كيف تنسى ذكر الرقيب وتمشى
تُنْفِقُ العُمْرَ في الضلالة تلهو
رَبَّكَ جَنَدُهُ إِلَيْكَ المعاصي
أنكرت نَفْسَكَ الضعيفة فضلاً
وَضَلَّتَ الْهُدَى فَأَعْمَاكَ طَيْشُ
لم تَرَ النُّورَ وهو في كلِّ شَيْءٍ
أيها الغافلُ الأثيمُ تَذَكَّرْ
كيف سَوَتْ مِنْكَ الْبَنَانَ وَلَمَّا
فَافَاضَتْ يَدُ الْمَصُورِ حُسْنًا
أَلْبَسَتْكَ النُّعْمَى بِأَحْسَنِ خَلْقٍ
نُظْفَةً كُنْتَ فِي الظَّلامِ جَنِينًا
فَغُلَامًا غَضَّ الشَّبَابُ فِتْيَا
يَصْعَدُ الْعُمُرَ سُلَّمًا فِي سِرَاجٍ
ثم يَخْبُو سِرَاجُهُ حِينَ يُنْمَى
دَبَّ شَيْخًا عَلَى الْعَصَا فِي اكْتِثَابِ
طَارَدَتْهُ الْهَمُومُ يَبْكِي شَبَابًا
يَتَمَنَّى لو كَانَ يَرْجِعُ يَوْمًا
أَنْهَكَ الضَّعْفُ هَيْكَلًا هَشَمَتْهُ

كَ عَنْ الْحَقِّ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ
وَبَصِيرَةٍ يَرَاكَ فِي كُلِّ آنٍ
فِي ظَلَامٍ مِنْ غَفْلَةِ النَّسِيَانِ
مُسْتَجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
فَتَخْبِطُ فِي دِيَارِ الْأُمَانِ
لِلرَّقِيبِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
وَعُرُورًا جَاهَرَتْ بِالْعِصْيَانِ
يَتَجَلَّى وَلَسْتَ بِالْوَسْطَانِ
قُدْرَةَ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ الشَّانِ
تَكُنْ شَيْئًا فِي ذِكْرِيَاتِ الزَّمَانِ
أَبْدَعْتَهُ بَرَاعَةً الْإِتْقَانِ
وَحَبَبْتَكَ الْآلَاءِ بِالْإِحْسَانِ
ثُمَّ طِفْلًا مُطَهَّرَ الْأُرْدَانِ
مِنْ رُبْعِ الْحَيَاةِ فِي رَيْعَانِ
مِنْ نَشَاطٍ وَقُوَّةٍ وَمِرَانِ
فِي مَسِيْبٍ مُهْدَمِ الْأَرْكَانِ
سَابِحَ الدَّهْنِ فِي دُجَى الْأَحْزَانِ
كَانَ حُلْمًا فِي خَادَعَاتِ الْأُمَانِ
حَاسِرَ الْقَلْبِ مِنْ قَوَاتِ الْأَوَانِ
رَوْعُهُ الْبَيْنِ وَاتِّقَامُ الزَّمَانِ

شَبَّحَ أَشْمَطُ تَقَوَّسَ ظَهراً في انحناء عَيْنَاهُ غَاثَرَتَانِ (١)
 يَسْمَعُ الْأَرْضَ وَهِيَ تَدْعُوهُ : هَيَّا
 أَنْ لِلتُّرْبِ أَنْ يَضُمَّكَ فَاَنْظُرْ كيف تُطَوِّى صَحِيفَةُ الْإِنْسَانِ
 هَاهُو الْقَبْرِ مُسْتَقَرُّكَ حَتَّى صَحْوَةَ النَّاسِ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
 ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَتَوَارَى الـ جِسْمُ فِيهَا عَنْ أَعْيُنِ الْخَدَتَانِ

دعوة الإيمان

يَا أَبْنَ حَوَاءِ بَاطِلٍ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ تُؤَيِّدْهُ دَعْوَةُ الْإِيمَانِ
 أَنْزَلَ الْحَقُّ دَعْوَةَ الْحَقِّ نُوراً وَشَفَاءً فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
 فَصَلَّتْهَا آيَاتُ ذِكْرِ حَكِيمٍ مِنْ كَلَامِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
 خَيْرِ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى بَيِّنَتُهُ لِلْبَرَايَا شَرَائِعُ الْقُرْآنِ
 إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ جَاءَ حَقًّا بِمُعْجَزَاتِ الْبَيَانِ
 حَصَّنَتْهُ عَيْنُ الْعَنَاءِ حَتَّى لَمْ تُبَدِّلْ حَرْفًا يَدُ الْإِنْسَانِ
 أَبَدَ الدَّهْرِ سَوْفَ يَنْقَى كَرِيماً حُجَّةَ الْمُهْتَدِينَ طُولَ الزَّمَانِ

موسى عليه السلام

بَدَّلَ الْعَاشُونَ تَوَرَّاةَ مُوسَى وَتَمَادَوْا فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
 غَضِبَ اللَّهُ وَالْكَلِيمُ عَلَيْهِم حَيْثُ بَاؤُوا بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ

المسيح عليه السلام

وَبَسِطَ الْمَسِيحُ إِنْجِيلَ عِيسَى حَرَفَ الْفِتْرُونَ آتَى الْبَيَانِ
 غَيْرَ الْإِفْكَ حُجَّةَ الْحَقِّ مَكْرَأً وَتَعَدَّى جَهْلًا عَلَى الْأَدْيَانِ
 وَيَحْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَهْدَ النَّصَارَى إِذْ أَحَسَّ الْمَسِيحُ بِالْعُدْوَانِ

(١) وصف الشبح بأنه أشمط وهذا غريب لأن الأشمط هو الذى اختلط شعره بياضا وسواداً .

يَوْمَ قَالَ الْمَسِيحُ : مَنْ أَنْصَارِي ؟
 دَبَّرَ الْآمَنُونَ كَيْدًا وَلَكِنْ
 كَانَ صَلْبُ الْمَسِيحِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
 فَضْلٌ كَيْدُ الْيَهُودِ إِذْ سَوْفَ تَمْحُو
 صَوْرَ اللَّهِ لِلْمَسِيحِ شَبِيهَاً
 هَكَذَا يُصْهَرُ النَّصَارُ لِيَصْفَوْا
 أَرْضُ كُونِي عَلَى الْمَسِيحِ حَرَامًا
 سَوْفَ يَرْقَى إِلَى السَّمَوَاتِ حَيًّا
 رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عَيْسَى
 بَعْدَ رَفْعِ الْمَسِيحِ ضَلَّتْ يَهُودُ
 وَتَفَشَّتْ فَوْضَى أَدَارَتْ رَحَاَهَا
 خَيَّمَتْ ظُلْمَةً تَحَجَّبَ فِيهَا
 ظَلَّ دِيحُورُهَا الْمُضَلَّلُ حِينًا
 خَبَطَ عَشَوَاءُ يَضْرِبُ النَّاسُ فِيهِ
 إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا
 يُوَقِّعُ النَّاسَ خَادِعًا وَكَذُوبًا
 يَدْفَعُ النَّفْسَ لِلْفُجُورِ فَتَشْقَى

وَهُوَ يَدْعُو لِلرُّشْدِ وَالْإِيمَانِ
 أَحْبَطَ اللَّهُ فِتْنَةَ الشَّيْطَانِ
 لَيْسَ إِلَّا ضَرْبًا مِنَ الْهَدْيَانِ
 آيَةُ الْحَقِّ ظُلْمَةُ الْبُهْتَانِ
 حِينَ قَامُوا بِعَرْضِهِ لِلْعِيَانِ
 وَبِهَذَا تَمَّتْ لَهُ آيَاتَانِ
 فَهُوَ سِرٌّ مِنَ الْعُلَا الرَّبَّانِي (١)
 جَسَدًا فِيهِ سَبَحَ الْأَطْهَرَانِ
 قَبَسَ النُّورِ فِي عَيُونِ الزَّمَانِ
 كُلُّ حِزْبٍ بَدَأَ لَهُمْ فِي بَيَانِ
 فِتْنَتُهُ الْعَابِثِينَ بِالْأَدْيَانِ
 مِنْ سَمَا الرَّشْدِ وَالْهَدَى كُوكَبَانِ (٢)
 فِي سَعِيرٍ مُؤَجَّجِ النَّيِّرَانِ
 بَيْنَ حَالِ الْوَسْطَانِ وَالْيَقْظَانِ
 وَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ وَالْعِصْيَانِ
 فِي شَبَاكِ مِنْ مُغْرِيَاتِ الْأَمَانِ
 وَالْمَلَذَاتِ طُعْمَةُ النَّيِّرَاتِ

محمد عليه السلام

مَا أَتَقَبَّضَتْ فَتْرَةُ التَّخَبُّطِ حَتَّى
 وَتَبَدَّى نَوْرُ الْيَقِينِ بِأَفْقِ
 أَعْلَنَ الصُّبْحُ دَعْوَةَ الْإِيمَانِ
 صَدَعَتْهُ زَلَزِلُ الْهَدْيَانِ

(١) بضمة على الضاد في أرض لأنها منادى .

(٢) يريد بالكوكبين موسى وعيسى عليهما السلام .

وَنَجَّتْ شَمْسُ الْهُدَايَةِ لَمَّا أَرْسَلَتْهَا مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ
بَيِّنَاتٌ مِنَ الْهُدَى فَصَّلَتْهَا مُحْكَمَاتُ الْآيَاتِ فِي الْقُرْآنِ
سَاقَهَا الرُّوحُ لِلْأَمِينِ لِيُبْدِيَنِي مَا تَدَّاعَى مِنْ طَاهِرِ الْبُيُوتَانِ ^(١)
فَاضٌ بِالذِّكْرِ صَدْرُ أَحْمَدَ نُورًا سَيِّدِ الْخَلْقِ صَفْوَةُ الْإِنْسَانِ ^(٢)
خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ خَيْرِ بَشِيرٍ حَصْنَتَهُ الْآلَاءُ بِالْقُرْآنِ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى فِي خُشُوعٍ طَاهِرِ النَّفْسِ صَادِقِ الْإِيمَانِ
أَنْفَقَ الْعُمْرَ فِي الْجِهَادِ لَتَعْمَلُوا دَعْوَةَ الْحَقِّ غَفْلَةَ الْبُطْلَانِ
فَأَحْلَلَ الدِّينَ الْخَفِيفَ مَقَامًا كَانَ مَجْدَ الْأَجْيَالِ وَالْأَزْمَانِ

الإسلام

إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ ذُخْرٌ سَيَبْقَى أَبَدَ الدَّهْرِ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءُ لِلنَّاسِ نُورًا قَدْ قَضَتْهُ إِرَادَةُ الدِّيَانِ
يُرْشِدُ النَّفْسَ أَيْنَ تَبْنِي لِيَبْقَى مَا أَقَامَتْهُ خَالِدَ الْبُيُوتَانِ

القرآن

دَعْوَةُ الْحَقِّ فِي كِتَابٍ كَرِيمٍ أَعْجَزَ الْخَلْقَ مَا حَوَى مِنْ بَيَانِ
سَيَّرَتْ آيَةُ الْجِبَالِ وَأُخِيتْ سَمِعَ مَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
أَفْظَهُ مُحْكَمٌ غَنِيٌّ فَصِيحٌ عَرَبِيٌّ الْمُبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِي ^(٣)
فَاضٌ مَجْدًا بِبَلَاغَةٍ وَتَسَامَى فِي جَلَالٍ لَهُ انْخَنَى الثَّقَلَانِ
إِنَّهُ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ مَعْجَزُ الرَّأْيِ حُجَّةٌ فِي الْبَيَانِ
لَمْ يُبَدَّلْ مِنْ آيِهِ أَيْ حَرْفٍ هَكَذَا شَاءَ فَاطِرُ الْإِنْسَانِ

(١) يريد بالروح هنا جبريل ، وأما الأمين فهو محمد صلى الله عليه وسلم وهو في البيت التالي أحمد .
(٢) سيد في محل جر على أنها بدل من أحمد وكذلك صفوة في البيت نفسه ، وخاتم وخبر في البيت التالي .
(٣) المبق : الفاظ .

رَاقِبَتُهُ عَيْنُ الْعِثَابَةِ حِفْظًا وَأَنَارَتْ بِهِ فُؤَادَ الزَّمَانِ ^(١)
هو باقٍ كما تَنَزَّلَ حَتَّى يُبْعَثَ الْخَلْقُ لِلْمَصِيرِ الثَّانِي
لَمْ يُفَادِرْ مِنَ الشَّرَائِعِ شَيْئًا وَهُوَ سِرُّ الرُّقِيِّ وَالْعُمُرَانِ
جَاءَ نُورًا لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا مُنْقِذًا مِنْ حِمَاقَةِ الطُّغْيَانِ
نَاسِخًا قَبْلَهُ لِتُورَةِ مُوسَى وَلِسِفْرِ الْمَسِيحِ بَعْدَ زَمَانٍ ^(٢)
مُعَلِّنًا لِلضِّيَاءِ دَعْوَةَ صُبْحٍ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ عَلَى الْأَكْوَانِ
كَانَ نَبْرَاسُهُ عَلَى الْأَفْقِ طَاهٍ مُرْسِلًا نُورَ دَعْوَةِ الْإِيمَانِ
خَيْرَ دَاعٍ إِلَى الْمُهْدَى أَرْسَلَتْهُ رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْخَنَانِ

الإسراء والمعراج

صَفْوَةُ الْأَنْبِيَاءِ بَدْرُ قُرَيْشٍ أَحَدُ الْمُصْطَفَى رَفِيعُ الشَّانِ
وَعَلَيْهِ صَلَّى إِلَهُهُ فَأُكْرِمَ بِحَبِيبِ الْعِلَا وَحِيدِ الزَّمَانِ
هَاشِمِيٌّ أَمَرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا وَبِمَرَّآهُ كَبَّرَ الْمَسْجِدَانِ
بَيْنَ حَقْلٍ مِنَ الْمَلَائِكِ صَلَّى فِي جَلَالٍ مِنْ نِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى وَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَابَ قَوْسَيْنِ سَارِعَتْ لاحتِضَانِ
خُطْوَةٌ نَالَهَا شَفِيعُ الْبَرَايَا لَمْ يَنْلَهَا مِنَ التَّبْيِينِ ثَنَانِ
أَغْرَقَ الْإِخْلَاقِ رُبَّةً وَمُقَامًا خَيْرُ نَفْسٍ مَا شَاغَلَتْهَا الْأَمَانِ
جَوْهَرٌ خَالِصٌ يَتِيمٌ نَقِيٌّ فَاضٌ لِأَلَاؤِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ
خُلِقَتْ رُوحُهُ الشَّرِيفَةُ نُورًا قَبْلَ خَلْقِ الْمَرِّخِ وَالْمِيزَانِ
مَنْ كَطَّهَ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْبَرَايَا أَيْدَتْهُ السَّمَاءُ بِالْقُرْآنِ

(١) لا يزال الشاعر يشير إلى القرآن وكيف أن عين الله تراقبه وتحفظه وتدير به قلب الزمن ليهتدى .
(٢) نسخ القرآن الكريم منازل قبله من الكتب السماوية ، والنسخ هنا التغيير والإلغاء ، والنسخ في القرآن قد يكون معنى وقد يكون لفظاً وقد يكون معنى ولفظاً والأخير لم يقع بعد تدوين كتاب الله .

عن شديد القوى تَلَقَّنَ عِلْمًا أَكْبَرَتْهُ مَدَارِكُ الْعِرْفَانِ ^(١)
خَصَّهُ اللَّهُ بِالرِّضَى وَاجْتَبَاهُ وَحَبَاهُ فَصَاحَةُ التَّبَيَّنِ
جاء للناس منقذاً من عذابٍ . كان هَوَلاً لَوْ حَلَّ بِالْأَبْدَانِ

جهاد الرسول عليه السلام

ظَلَّ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ وَيُعَانِي مِنَ الْأَذَى مَا يُعَانِي
جَاهِدَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَدَاهُمْ وَأَبِيدَتْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
فَوْقَ أَقْصَا جَهْلِهِمْ كَانَ يَبْنِي فِي ثَبَاتٍ دُعَاءَ الْإِيمَانِ
بَيْنَ صَحْبٍ مُصَدِّقِينَ كِرَامٍ جَاهَدُوا مُخْلِصِينَ لِلرَّحْمَنِ
حَارَبُوا الْكُفْرَ وَالضَّلَالَةَ حَتَّى طَهَّرُوا الْأَرْضَ مِنْ أَذَى الْكُفَّانِ
وَتَجَلَّى الدِّينُ الْخَنِيفُ وَعَمَّتْ شَمْسُ الْأَرْضِ فَازْدَهَى الْمَشْرِقَانِ
سَبَّحَ الْكَوْنُ رَبَّهُ فِي خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَكَبَّرَ النَّيِّرَانِ ^(٢)
وَتَسَامَتْ كَنْفَحَةُ الْمِسْكِ تَسْرِي صَلَوَاتُ تَزَكُو بِكُلِّ لِسَانِ
حَامِلَاتٍ إِلَى النَّبِيِّ سَلَامًا لَمْ يُكْرَمْ بِهِ رَسُولٌ ثَانِ
كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ وَأَبْعَى النُّورَ مُشْرِقًا بِالْأَمَانِ
نِعْمَةُ اللَّهِ بِابْنِ حَوَاءَ تَمَّتْ فَتَزَوَّدَ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ

ظلم ابن حواء

يَا ابْنَ حَوَاءِ أَنْتَ غِرٌّ خَصِيمٌ وَجَمَالُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ فَإِنْ
سَأَلَكَ الطَّيْسُ فَاَنْطَلَقْتَ جَهُولًا لَمْ تُفَكِّرْ فِي وَاجِبِ الْإِنْسَانِ
فَتَهَالَكْتَ فِي أَقْتِنَاصِ الْمَلَاهِي مُسْتَفْزِرًا شَرَاهَةَ الْحَيَوَانِ
تَسْتَحِلُّ الْحَرَامَ غَيْرَ مَبَالٍ بَعَوَادِي تَقَلُّبَاتِ الزَّمَانِ

(١) كان الرسول يتلقى العلم الشريف من جبريل ويوصف بأنه شديد القوى .

(٢) النيران : الشمس والقمر .

وَتَبْدِجُ الْفُجُورِ نَشْوَانِ هَوَى
وَكُنَّ الشَّيْطَانِ غَاوِيكَ أَلْقَى
فَاسْتَبَقْتَ الْخُطَى تَجُوبُ ظَلَامًا
طَائِرَ اللَّبِّ سَابِحًا فِي خِيَالِ
أَحَقَّ أَرْعَنُ شَقِيٍّ ظُلُومٍ
لَمْ تُفَكِّرْ فِي غَيْرِ لَهْوِكَ يَوْمًا
وَلِيَالٍ سَبَتَكَ فِيهَا عَيُونُ
قَدْ أَعَدَّ الشَّيْطَانُ فِيهَا شِبَاكَ
سَلَبَتِكَ النِّهَى فِقَادُكَ أَعَى
زَيَّنَتْهُ لِلْغَافِلِينَ الْمَسَاهِي
مُعْرِياتُ الْأَهْوَاءِ تَلْعَبُ دَوْرًا
فِي دَيَاجِي الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
بَيْنَ عَيْنِكَ خَالَةَ النَّسْيَانِ
فِيهِ قَادَتُكَ لَذَّةُ النَّشْوَانِ
عَنْ مَخَازِيكَ مُغْمَضِ الْأَجْفَانِ
دُنْيَوِيُّ الْهَوَى كَذُوبُ الْأُمَانِ
بَيْنَ خَمْرِ وَبَيْنَ غَيْدِ حِسَانِ
خَادَعَاتُ بِسِحْرِهَا الْفَتَّانِ
مُحْكِمَاتُ مِنْ كَيْدِهِ الْخَوَّانِ
فِي طَرِيقِ مُهْدَمِ الْبُنْيَانِ
وَأَحَاطَتْهُ خَادَعَاتُ الْأُمَانِ
كَأَدَّ فِيهِ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

قصر الحياة والأمل

أَيُّهَا الْغَافِلُ الْجَهْلُولُ تَنَبَّهْ
سِنَةٌ كُلُّهَا حَيَاتُكَ مَهْمَا
أَيُّهَا الْأَحَقُّ الظُّلُومُ تَذَبَّرْ
كُلُّ شَيْءٍ تَصْبُو إِلَيْهِ خِيَالُ
أَيُّهَا الْجَاهِدُ الْكَنُودُ تَذَكَّرْ
دَعْ مَلَاهِيكَ سَاعَةً وَتَفَكَّرْ
أَيَّنَ مِنْهُ الْمَفْرُءُ وَهُوَ مُحِيطٌ
حَاضِرٌ شَهِيدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
وَتَقِظْ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْوَاسِ
طَالَ عَمْدُ اتِّصَالِهَا بِالْزَّمَانِ^(١)
وَأَكْبَحِ النَّفْسَ عَنْ هَوَى الْعِصْيَانِ
وَسَنِي الْأَفْرَاحِ فِيهِ ثَوَانِ^(٢)
كَيْفَ سَوَّاكَ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي جَلَالِ الْمُهَيَّمِنِ الرَّحْمَنِ^(٣)
بِالْبَرَايَا جَمْعَاءَ فِي كُلِّ آتٍ
مَانَسَايَ فَيَضُ نُورِهِ عَنْ مَكَانِ

(١) سنة : نوم . (٢) سنى الأفراح : سنوات .

(٣) المهيمن : الله المسيطر على كل شيء .

يقظة القلب

أينما كنت فالإله قريبٌ عالمٌ سِرٌّ ما أنطوى في الحنانِ
كلُّ جسمٍ ينأى إلا شهيداً يذكُرُ اللهَ خافقاً بلسانِ
إنه القلبُ يا ابنَ آدمَ فاعجبِ لِمَ ألكِ قد حلَّ في شيطانِ
صِالةُ الثورِ بينَ عبدٍ وربِّ نعمةٌ ساقها عظيمُ الحنانِ
لم تغبْ لحظةً عن الذِّكْرِ نجوى أصغريه ، فؤاده واللسانِ^(١)

تسبيح الخلائق

كلُّ شَيْءٍ مَشَى عَلَى الْأَرْضِ حَيًّا أو تَمَّأَ فِي مَرَاتِبِ الْحَيَوَانِ
أَمُّ أَوْدَعَ الْمُهَيَّمِينَ فِيهَا مُلَهِّمَاتٍ مِنْ قَيْضِهِ الرَّبَّانِي
شَاكِراتٍ لِأَنْعَمِ اللهُ دَوْمًا ذَاكِراتٍ آلاَهُ كُلِّ آفِ
الْأُسْنُ سَبَّحَتْ بِذِكْرِ إِلَهِ خَالِقِ رَازِقِ عَظِيمِ الْحَنَانِ
تلكَ شَيْءٌ عَوَّالِمِ الْأَرْضِ إِلَّا عَالَمَ الظُّلَمِ عَالَمَ الْإِنْسَانِ
نَسِيَ اللهُ وَهُوَ نَشْوَانٌ يَلْهُو بَيْنَ كَأْسِ الطَّلَا وَدَلِّ الْغَوَايِ
فَتَمَتَّتُهُ الدُّنْيَا وَالْآهَاءُ غَاوٍ أَبْعَدَ الرُّشْدَ عَنْ مَدَى الْعِرْفَانِ
زَيْنَ الْفُسْقِ وَالْفُجُورِ وَأَمَلَى كُلَّ كَيْدٍ يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
هَيَّاَ النَّفْسَ لَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي فَاسْتَبَاحَتْ رَذِيلَةَ الْعُدْوَانِ
مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ لَا بُدَّ يَلْقَى فِي الْحَيَاتَيْنِ زَفْرَةَ النَّدْمَانِ
تَنَقَّضَى ذُنْيَاهُ يَوْمًا فَيَوْمًا بَيْنَ حَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
زُخْرُفٌ خَادِعٌ وَصَفْوٌ كَذُوبٌ وَمَتَاعٌ مَهَا تَفَاخَرَ فَاغِ
مُشْرِقَاتٌ أَعَارَهَا الْوَهْمُ ثَوْبًا مِنْ جَمَالِ طِلَاوِهِ مِنْ دُخَانِ

(١) قِيلَ فِي الْمَثَلِ : الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ ، قَلْبِهِ وَلسَانِهِ .

مَرَّ طَيْفًا كَلِمَحَةِ الْبَرْقِ يَسْرِي
 إِنَّهُ الْعَمَرُ يَا ابْنَ آدَمَ مَهْمَا
 يُخْتَمُ الْعَمَرُ بِالرَّدَى وَهُوَ كَأْسٌ
 فَإِذَا حُمَّ لَا مَرَدَّ لِأَمْرِ
 خَطِّ فِي اللَّوْحِ مَا قَضَى لِلْبَرَايَا
 يُنْبِتُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَمْحُو
 هَكَذَا كُنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ نَوْرًا
 قُدْرَةُ أَعْجَزَ التَّفَكُّرُ فِيهَا
 قُدْرَةُ الْوَاحِدِ الْمُنَزَّهِ حَقًّا
 صَاحِبُ الْأَمْرِ وَحْدَهُ فِي وُجُودِ
 تَمَلُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ حَمْدًا
 إِنَّ ذِكْرَ الْإِلَهِ يُرْسِلُ نَوْرًا
 أَكْثَرَتْ ذِكْرَ رَبِّهَا فَاطْمَأْنَنْتِ
 يَا ابْنَ حَوَاءَ مَنْ رَعَاكَ جَنِينًا
 وَتَوَلَّاكَ بِالْعَنَايَةِ طِفْلًا
 وَأَمَدَّ الشَّبَابَ مِنْكَ بِعِزِّمْ
 وَإِذَا مَا ضَعُفَتْ أَوْلَاكَ نَعْمَى
 تِلْكَ آلَاؤُهُ وَقَدْ صِرْتَ شَيْخًا
 عَمَّ فَيَاضُ رِزْقِهِ كُلَّ حَيٍّ

فِي قُرُونٍ مَرَّتْ كَمَرُ الثَّوَانِي
 طَالَ يُقْضَى فِي غَفْوَةِ الْوَسْنَانِ
 لَمْ تُغَيَّبْ عَنْ وَرْدِهَا شَفَتَانِ
 قَدْ قَضَاهُ الْحَيْطُ بِالْأَكْوَانِ
 مِنْ قَدِيمِ الْآبَادِ وَالْأَزْمَانِ
 وَبِأَمِّ الْكِتَابِ أَصْلُ الْبَيَانِ
 قَدْ تَجَلَّى فِي الْجُدَى وَالسَّرَطَانِ^(١)
 أَلْمَعَ النَّابِهِينَ فِي الْعِرْفَانِ
 عَنْ شَيْبِهِ وَعَنْ حُدُودِ الْمَكَانِ
 مَا بِهِ ذَرَّةٌ بِغَيْرِ لِسَانِ
 شَاكِرَاتٍ لِأَنْعَمِ الرَّحْمَنِ
 فِي قُلُوبٍ تَفِيضُ بِالْإِيمَانِ
 وَسَيَخْطِي الْمَطِيعُ بِالْفَقْرَانِ
 مُطْمَئِنًّا فِي عَزْلَةٍ وَأَمَانِ
 حَافِظًا وَافِيًا عَظِيمِ الْخِصَانِ
 قَدْ تَجَلَّى فِي نُصْرَةِ الرَّبْعَانِ
 تَتَوَالَى بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 أَوْهَنْتَ عَظْمَهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ
 ضَمَّهُ الرُّوحُ بَيْنَ قَاصٍ وَدَّانِ

عالم الله

يَا أَبْنَى حَوَاءِ مَنْ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأُفْتَدَارًا أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
 يَبْعَثُ الْأَرْضَ كُلَّ عَامٍ فَتَحْيَا بَعْدَ مَوْتٍ بِهِيجَةِ الْأَغْصَانِ
 تُنْبِتُ الْحَبَّ وَالثَّمَارَ وَتَرْزُهُو فِي بَسَاطٍ مُرْصَّعٍ الْأَلْوَانِ
 يَمْزِجُ الْمَاءَ وَهُوَ يَجْرِي حَثِيثًا فِي جُذُوعِ النَّبَاتِ بِالْأَدَهَانِ
 كُلُّ شَرِبٍ لَهُ مِذَاقٌ وَطَعْمٌ قُدْرَةٌ أَعْجَزَتْ قُوَى التَّيْبَانِ
 فَيَنْضُ عِلْمُ الْحَكِيمِ رَبِّ الْبَرَايَا مَا بَدَأَ نُورُ سِرِّهِ فِي جَنَانِ
 لَمْ يَدْعُ ذَرَّةً عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا ضَمَّهَا عِلْمُهُ بِأَجَلِي بَيَانِ
 مَالِكُ الْمُلْكِ نَافِذُ الْأَمْرِ فَرَدَّ كُلَّ يَوْمٍ سُلْطَانُهُ فِي شَانِ
 خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُجْزَى طَيِّبَاتُ الْأَعْمَالِ بِالْإِحْسَانِ
 وَيَنَالُ الْقَصَاصَ كُلُّ أَثِيمٍ لَمْ يُصَدِّقْ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
 كُلُّ شَيْءٍ خَلَا مِنَ الْمَاءِ مَيِّتٌ فَهُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ لِلْأَبْدَانِ
 أَطْلَقَ الرِّيحَ زَعَزَعًا وَرُخَاءً وَجَنُوبًا وَشَمَالًا تَجْرِيَانِ
 مُنْعِشَاتٍ لَوَافِحًا تَنْهَادَى حَيْثُ مَالَ النِّسِيمُ بِالْأَغْصَانِ
 وَهَبَ الشَّمْسُ قُوَّةً فَأَضَاءَتْ فِي لِحَاجَاتِ عَالَمِ الدَّوَرَانِ
 تُرْسِلُ الثَّوَرَ مِنْ بَعِيدٍ مَدَاهَا بِشُعَاعٍ يَفِيضُ فِي الْأَكْوَانِ
 يَمْلَأُ الْأَرْضَ بِهِجَةً وَحَيَاءً وَيُنَمِّي عَنَاصِرَ الْأَبْدَانِ
 تِلْكَ أُمُّ الْقُوَى وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا جَمْعُ ذَرٍّ مِنْ جُرْمِهَا النَّيِّرَانِ
 هِيَ أُمُّ وَالْأَرْضُ لِلشَّمْسِ بِنْتُ وَبَسِرَ التَّكْوِينِ تَتَّصِلَانِ
 جَذَبَتْهَا يَدُ الْأُمُومَةِ حَتَّى لَمْ تَهْدِدْ بِطَارِيءِ الْخَدَتَانِ
 وَهِيَ تَهْوِي كَالْبَرْقِ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ فِي نِظَامٍ لِلْجَدَى وَالسَّرَطَانِ

واستوت في مدارها وهي تجري
أطفأ الله سطوحها ودحاها
دارت الأرض في اتزان وأمن
تم للشمس في السماء نظام
يجمع الأرض فيه والبدر يجري
عالم الشمس أبدع الخلق صنعا
ولد الليل والنهار ، وأجرى الـ
وأمد النبت البهيج بروح
وأطار الرياح من كل فج
وأباد الوهيج كل كرية
طهر الأرض والذي دب فيها
لو تارت أشعة الشمس يوما
يا ابن حواء كوكب الشمس عبدا
هو يرعون كوكب الأرض جرما
شق جوف السماء كالبرق يجري

وعليها قد أشبرق النيران
وحباها الأوتاد من صفوان
وجال يحفها القمران
أبدعت سيره يد الإنقان
يملا الليل لالا من جمان
سخرته الآلاء للإنسان
ماء غيثا من هاطل هتان
أكسبته الحياة في عنفوان
كي يعم الهواه كل مكان
من حيث الأدران والديان
وأمد الحياة بالريمان
كل شيء نما على الأرض فان
سـيرته إرادة الرحمن
فوق عدد المليون في الحسبان
في مدار يحده الأبعدان

في قبضة الله

يا ابن حواء أملك الأرض أدت
جاءت الأرض والسموات طوعا
ساجات الأفلاك في كل برج
سيرتها يد العناية لطفاً
باسم رب السماء كالبرق تجري

طاعة العبد للندا الرباني
حين نادى مسير الأكوان
تذكر الله خيفة كل أن
وحبتها بفيضها النوراني
كل نجم يدور في حساب

قُدْرَةُ الْخَالِقِ الْعَلِيمِ تَعَالَى
فَلَكَ دَائِرَةٌ بِأَبْهَى نَظَامٍ
شَاكَرَاتُ أَجْرَامِهِ فَضَّلَ رَبِّ
صَانَعٌ مُبْدِعٌ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
حَاضِرٌ شَاهِدٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
لَمْ يُكَيِّفْ وَلَمْ يُشَبَّهْ بِمِثْلٍ
كَانَ فَرْدًا وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَيْءٌ
بَدَأَ الْخَلْقَ وَالْعَالَمَ ذَرًّا
رَافِعًا سَمَكَهَا بِغَيْرِ عَمَادٍ
زَيَّنَتْهَا كَوَاكِبُ لَامِعَاتٍ
كَالدَّرَارِي تَطُوفُ فِي كُلِّ بُرْجٍ
سَارِيَّاتٍ ثَوَابِتٍ مَشْرِقَاتٍ
تِلْكَ سَبْعُ مُحَلَّقَاتٍ طِبَاقٍ
وَالِى الْأَرْضِ وَهِيَ جَرْدَاهُ قَحْلٌ
مِنْ أُجَاجٍ أَجْرَى فُرَاتًا مَعِينًا
أَنْزَلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ سُبُورٌ
صَيَّرَ الثَّرْبَ وَهُوَ يَنْسَابُ طِينًا
وَبِمِرِّ الْهَوَاءِ دَبَّتْ حَيَاةٌ
أَكْسَبَتْهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ دِفْنًا
كُلَّ يَوْمٍ تَدِيرُهُ فِي شَانَ
رَتَبَتْ عِقْدَهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
قَدْ حَبَّاهَا بِاللُّطْفِ وَالْإِحْسَانِ
مُعْجِزٌ وَصَفُهُ قُوَى الْعِرْفَانِ
وَمُحَالٌ إِدْرَاكُهُ بِالْعَيَانِ
أَبْدَى لَمَّا يَقْبُ عَنْ مَكَانٍ
تَمَّ خَلْقًا فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
وَالسَّمَوَاتِ شَادَهَا مِنْ دُخَانٍ
جَلَّ شَأْنًا وَعِزَّةٌ خَيْرُ بَانَ
مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ بُدُورٍ حِسَانٍ
فِي اتِّزَانٍ مِنْ شِرْعَةِ الدُّورَانِ
سَابِحَاتٍ فِي الْخُوتِ وَالسَّرَطَانِ
قَدْ تَقَضَّى فِي صُنْعِهَا يَوْمَانِ
أَرْسَلَ الْمَاءَ فَالتَقَى الْبَحْرَانِ
مِنْ أَعَالَى الرُّبَى إِلَى الْوُدَيَانِ
مَاطِرَاتٍ مِنْ سَاسِلِ هَتَّانِ
كِي تَسْوَى عُنَاصِرُ الْحَيَوَانِ
حَرَّكَتْ فِيهِ دَوْلَةَ الدِّيدَانِ
وَنُمُوًا وَنَفْحَةً مِنْ دِهَانِ

الله القادر

لَا يَأْتِي الشَّمْسُ فِي الْوُجُودِ حَيَاةٌ
دَبَّ فَوْقَ الثَّرَى عَوَالِمُ شَيْءٍ
وَعَلَى الْأَرْضِ آيَةُ الْعُمُرَانِ
وَنَمَا النَّبْتُ وَارِفَ الْأَغْصَانِ

وَيَبْطِنُ الثَّرَى أُعِدَّتْ كُنُوزُ
 مِنْ فُحُومٍ وَمَعْدِنٍ وَعُيُونٍ
 وَعَقَاقِيرَ مِنْ جَوَاهِرَ أَغْيَا
 حَصَرَتْهَا يَدُ الْحَكِيمِ لِنَحْيَا
 خِزْبَةُ الْوَاحِدِ الْمَحِيطِ جَلَالًا
 أَوْدَعَ الْأَرْضَ رَحْمَةً مِنْهُ رِزْقًا
 كُلُّ جِسْمٍ نَمَا عَلَى الْأَرْضِ يَحْيَا
 وَأَدِيمُ الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ مِنْهَا
 لَمْ يَغِبْ عَنْصَرُ عَنْ الْأَرْضِ مِهَا
 تَمَّ لِلْأَرْضِ أَمْرُهَا حَيْثُ بَاتَتْ
 بَارَكَ اللَّهُ مَا بَهَا وَعَلَيْهَا
 مَنْ كَرَّبَ الْعُلَا تَفَرَّدَ حُكْمًا
 بَيْنَ حَرَقَيْنِ كُلَّمَا شَاءَ يَقْضَى
 كُلُّ حَيٍّ قَدْ صَمَّمَهُ الرُّوحُ عَبْدٌ
 صَاحِبِ الطَّوْلِ فِي جَلَالٍ وَمُلْكٍ
 لَمْ يُشَبَّهْ وَلَمْ يُمَآثَلْهُ شَيْءٌ
 مُطْلَقُ الْحُكْمِ لَامِرَدَّ لِأَمْرِ
 أَمْرُهُ الْأَمْرُ بَيْنَ كَافٍ وَنُونٍ
 إِنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
 وَاهِبِ النُّورِ لِلَّذِينَ اتَّقَوْهُ
 قَاهِرٌ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

أَوْدَعَتْ مَا بَهَا يَدُ الْحَنَّانِ
 مُفْعَمَاتٍ بِالزَّيْتِ وَالْأَذْهَانِ
 فَهَمُّ إِدْرَاكِهَا قُوَى الْأَذْهَانِ
 سَالِمَاتٍ عَوَالِمُ الْحَيَوَانِ
 بِجَمِيعِ الْأَفْلَاكِ وَالْأَكْوَانِ
 وَحَبَاهَا الْأَقْوَاتِ بِيضَ الْأَمَانِ
 لَوْ تَوَلَّيْتُهُ نُضْرَةً الرَّبِّ الْبَاقِ
 فِيهِ تَسْرِي عَنَاصِرُ الْأَبْدَانِ
 عَزَّ بَعْدًا عَنْ عَالَمِ الْإِمْكَانِ
 خَيْرَ مَهْدٍ لِلدَّوْلَةِ الْإِنْسَانِ
 بَاسِطُ الرِّزْقِ مُقْسِطُ الْمِيزَانِ
 لَمْ يَغِبْ نُورُ ذَاتِهِ عَنْ مَكَانِ
 وَلَهُ النَّجْمُ وَالْثَّرَى يَسْجُدَانِ^(١)
 فِي نِظَامِ الْمَلَكُوتِ لِلرَّحْمَنِ
 أَزَلِّي مُهَيِّمٍ صَمْدَانِي
 مَالِكُ الْمُلْكِ لَمْ يَشَارِكْهُ ثَانٍ
 مِنْ لَدُنْهُ جَرَى بِهِ حَرْفَانِ
 قَدَرٌ نَافِذٌ بِفِيْرِ تَوَانِ
 وَاحِدُ الطَّوْلِ فِي قُوَى السُّلْطَانِ
 وَمُحِيطٌ بِالْجَهْرِ وَالْكَيْتَانِ
 وَاسِعُ الْغَفْوِ لَمْ يُعْجَلْ بِجَبَانِ

(١) الحرفان هما الكاف والتون في « كن » .

كلُّ هذا في اللّوَجِ بَادِيءٌ بَدَأَ قَبْلَ ضَمِّهِ لِلأَرْوَاحِ لِلْجِسْمَانِ
سَجَلَتُهُ يَدُ الْقَضَاءِ نَفَادًا لَمْ يُؤَخَّرْ عَنِ الْمَدَى وَالْمَكَانِ
لَمْ يَغَادِرْ نَفْسًا عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا ضَمَّ أَطْوَارَهَا دَقِيقُ الْبَيَانِ
سُنَّةُ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ تَجَلَّتْ كُلُّ يَوْمٍ أَقْدَارُهُ فِي شَانَ
لَوْ أَجَاجُ الْبَحَارِ صَارَ مِدَادًا وَأَمَدَّ الْبَحَارَ سَبْعَ دَوَانِ
نَفَدَ الْمَاءُ قَبْلَ أَنْ تَتَقَضَى كَلِمَاتُ الْحَيْطِ رَبِّ الْبَيَانِ^(١)
فَيُضْ بِرٍّ عَلَى الْخَلَائِقِ أَسْدَى سَابِقَاتٍ مِنْ غَيْثِهِ الْهَتَّانِ
نِعْمَةُ اللَّهِ لَا تُعَدُّ وَحَاشَا أَنْ تَنَالَ الْإِحْصَاءَ فِي الْحُسْبَانِ
مُنْعِمٌ يَمْنَحُ الْبَرَايَا جَمِيعًا طَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ لِلْعُمُرَانِ
رَازِقٌ مُحْسِنٌ رَوْفٌ رَحِيمٌ كُلُّ شَيْءٍ لَدَيْهِ طَوَّعَ الْبَنَانِ
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ مِنْ كَائِنَاتٍ يَتَبَارَى فِي الْحَمْدِ وَالشُّكْرَانِ

يوم البعث والوعيد

صَيَحَّتْ الْقَهْرُ تَجَلُّدُ الْوَلَدِ شَيْبًا وَتَفِيمُ الْجَنِينِ قَبْلَ الْأَوَانِ
وَتَهْدُّ الْقُلُوبَ ذُعْرًا وَهَوْلًا وَبَرِيقُ الْأَبْصَارِ فِي لَمَعَانِ
مَوْقِفٌ يُورِثُ الذُّهُولَ عَسِيرٌ مَلَأَ الرُّعْبُ فِيهِ كُلَّ مَكَانِ
زَائِفَاتٌ فِيهِ النِّوَاطِرُ حَيْرَى وَسَيُولُ الرُّحْضَاءُ كَالطُّوفَانِ^(٢)
لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ فِيهِ نَصِيرٌ أَوْ مُجِيرٌ مِنَ أَلْسِنِ النَّيِّرَانِ
لَا فِدَاءَ مِنْ كَرْبِهِ أَوْ شَفِيعٌ يَذَرُ الْوَيْلَ وَهُوَ رَأَى الْعِيَانِ
خَشَعَ الصَّوْتُ غُصَّةً فَهُوَ هَمْسٌ وَمَشَى الْخَوْفُ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
وَانْكَسَارًا فِي ذِلَّةِ الْعَبْدِ أَضْحَى كُلُّ فَرْدٍ فِي حَضْرَةِ السُّلْطَانِ

(١) يريد نقد بكسر الفاء وهو يعرض للآية الكريمة « قل لو كان البحر . . . » .

(٢) الرُّحْضَاءُ بضم الراء وفتح الحاء : ومن عرق الحمى وقد سكن الماء ضرورة .

مَلِكٌ قَادِرٌ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
 هَيْبَةٌ تَرْجُفُ الْعَوَالِمَ مِنْهَا
 وَاقْتِدَارٌ أَطَاعَهُ كُلُّ حَيٍّ
 حُكْمُهُ الْحُكْمُ لَا يُبَدَّلُ لَفْظٌ
 ذَرُّهُ يَمَلَأُ السَّمَوَاتِ وَجُوداً
 أَبَدَ اللَّاهِرِ لَفْظُهُ سَوْفَ يَحْيَا
 أَيْنَ مِنْهُ الْمَفْرُوعُ وَهُوَ شَهِيدٌ
 حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ خُشُوعٌ
 وَتَلَقَّتْ أَعْمَالُهَا كُلُّ نَفْسٍ
 إِنْ هَذَا يَوْمُ الْوَعِيدِ وَهَذِي
 بِأَعْتَنَكُمُ مِصْدَاقُ قَوْلِ حَكِيمٍ
 كُلُّ مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَامَةَ كِبْرًا
 بَشَرٌ مَتَوَاهٍ فِي الْجَحِيمِ وَعَدَلًا
 وَسَيَصِلِي السَّعِيرَ فِي أَصْفَادٍ
 دَرَكَاتٍ مَبْعُوعٌ طَبَاقُ عَذَابٍ
 سَارِيَاتُ السُّمُومِ تَنْسَابُ فِيهَا
 يَوْمٌ يُدْعَى: هَلْ امْتَلَأَتْ؟ وَتَدْعُو
 مَنْ كَرَّبَ الْعُلَا يُدِيرُ نِظَامًا
 مَلِكٌ عَرْشُهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
 حَوْلَ أَرْجَائِهِ الْمَلَائِكُ صَفَّتْ
 رُكْعًا سَجْدًا قِيَامًا قُعُودًا
 ذِكْرُهُ يَمَلَأُ الْوُجُودَ جَلَالًا
 نَافِذُ الْأَمْرِ وَاهِبُ الْغُفْرَانِ
 وَجَلَالُ أَحَاطَ بِالْأَكْوَانِ
 وَنَفُوذُ يَقْضِي بِغَيْرِ تَوَانٍ
 سَجَلَتُهُ مَعَهَا نَائِي الشَّفَتَانِ
 وَصَدَاهُ يَحُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
 لِيَزَكِّي مَاسْطَرَّ الْكَاتِبَانِ
 سَوْفَ يُدْلِي بِمَا جَنَّتُهُ الْيَدَانِ
 وَاسْتَطَارَتْ بَوَاعِثُ النَّسِيَانِ
 بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَهَوَانٍ
 سَاعَةُ الْفَصْلِ أَيْهَا الثَّقَلَانِ
 جَاءَ حَقًّا فِي مُحْكَمَاتِ الْبَيَانِ
 وَجُحُودًا هَوَى إِلَى النَّيِّرَانِ
 سَوْفَ يَدْقُ عَوَاقِبَ الْكُفْرَانِ
 أَنْقَلَبَ الْأَغْلَالُ لِلْأَذْقَانِ
 مِنْ جَحِيمٍ وَهَاجَةِ الْأَرْكَانِ
 وَسَيُؤَلِّمُ الْجَحِيمَ فِي غَلِيَّانِ
 رَبِّ زِدْنِي مِنْ طَعْمَةِ الْإِنْسَانِ!
 يَشْمَلُ الْكَوْنُ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
 ضَرْقُ رَقِيبٍ عَلَى الْوَرَى كُلِّ آنٍ
 هُمْ جُنُودُ الْمُهَيَّمِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 كُلُّ سِرْبٍ مُسَبِّحٌ بِلِسَانٍ
 أَرْزَلِي مُطْمَئِنِّ لِلْجَنَانِ

سَبَّحَ اللهُ كُلُّ شَيْءٍ لِتَبْقَى
جَلَّ شَأْنُ الْقَدِيرِ رَبِّ الْبَرَايَا
وَارِثِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ جَمِيعًا
قَوْلُهُ الْحَقُّ إِذْ يَقُولُ أُخْشَوْنِي
يَا ابْنَ حَوَاءَ يَا صَرِيحَ الْمَلَاهِي
يَا جَهُولًا حَمَلْتَ نَفْسَكَ إِثْمًا
وَسَبَّكَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ مِنْهَا
قَادَكَ الْحُبُّ لِلضَّلَالَةِ أَعْمَى
وَتَقَانَيْتَ فِي الْمَلَدَاتِ حَتَّى
قَتَّالَكَ فِي ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي
تَسْهَرُ اللَّيْلَ فِي سُرُورٍ وَأُنْسٍ
مُشْبِعًا يَاطْلُومُ مَطْمَعِ نَفْسٍ
زَيْنَ الشَّرِّ حَوْلَهَا كُلَّ شَيْءٍ
لَا تَرَى الثُّورَ إِذْ تَحْجَبُ عَنْهَا
إِنَّهَا النَّفْسُ يَا ابْنَ آدَمَ فَانْظُرْ
مَادَعَاهَا إِلَى الْغَوَايَةِ إِلَّا
يَا ابْنَ حَوَاءَ إِنَّمَا الْعَيْشُ نَوْمٌ
وَتَمَادِيكَ فِي غُرُورِكَ جَهْلٌ
وَإِخْشَ عَيْنَ الرَّقِيبِ فَهُوَ شَهِيدٌ
أَيْنَمَا كُنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَاعْلَمْ
لَوْ حَوَتْكَ الْجُوزَاءُ أَوْ أَعْمَاقُ
أَوْ تَسْتَرَتْ تَحْتَ لُجٍّ خِصْمٍ
يَا سَلِيلَ التُّرَابِ أَنْتَ ضَعِيفٌ

فِي دَوَامِ فَرِيضَةِ الشُّكْرَانِ
خَيْرَ هَادٍ لِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ
يَوْمَ نَادَى الْقَضَاءُ أَنْ أُوَانِي
وَلَمَنْ خَافَ نِقْمَتِي جَنَّتَانِ
يَا مُجِيبًا لِدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ
بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَخَدْعِ الْأُمَانِ
مَا تَبَدَّى مِنْ زُخْرُفٍ فَتَّانِ
فَتَدَّهَوْرَتْ فِي مَهَاوِي الْهَوَانِ
سَاقَكَ الطَّيْشُ لِلطَّلَا وَالْفَوَانِ
خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
بَيْنَ كَأْسٍ وَقَيْنَةٍ وَأَغَانِي
أَشْعَلَتْ نَارَهَا وَعُودُ الْأُمَانِ
قَمَادَتْ فِي اللَّهِوِ وَالْعِصْيَانِ
وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
كَيْفَ بَاتَ فَرِيسَةَ الشَّيْطَانِ
سِرٌّ إِعْرَاضَهَا عَنِ الْإِيمَانِ
كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو لِعَيْنِكَ فَإِنْ
فَتَقَيِّظْ مِنْ غَفْلَةِ الْوَسْطَانِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ سِرٌّ لِحَافِي
أَنَّ رَبَّ الْوُجُودِ نُورُ الْمَكَانِ
مَنْ بَطُونِ الثَّرَى أَوْ الْقُطْبَانِ
فِي كُهُوفِ الْأَصْدَافِ وَالْحِيتَانِ
كُنْ مَعَ اللَّهِ تَحْطَ بِالْفُقْرَانِ

عظة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
أَرْسَلْتُهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
فِي كِتَابِ آيَاتِهِ مُحْكَمَاتٌ
جَاءَ هَدِيًّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
يَجْعَلُ الْعُرْفَ لِلْعِبَادِ شِعَارًا
وَعَنِ الْبَقْيِ وَالْفَوَاحِشِ يَنْهَى
وَبِنَارِ الْجَحِيمِ جَاءَ نَذِيرًا
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ عَلِيمٍ حَكِيمٍ
كَتَبْتُ عِلْمَ آيَاتِهِ بَيِّنَاتٍ
زَاخِرَةً بِالْهُدَى كِتَابٌ مُنِيرٌ
أَنْزَلْتُهُ السَّمَاءَ لِلنَّاسِ بُشْرَى
أَنْ يَبْعِدَ الدِّينَ الْخَفِيفُ ضَلَالًا
لَقَدْ نَزَّلَ الْوَحْيَ آيَةً لِنَبِيِّ
خَبَرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
هَلَّلَ الْكَوْنُ إِذْ تَلَأَلَا فِيهِ
خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ خَيْرُ حَنِيفٍ
أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ يُصَلَّى
جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرَّسَالَةِ لَمَّا
وَكَلَّى النَّاسَ نِعْمَةُ اللَّهِ تَمَّتْ
إِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ خَيْرُ صِرَاطٍ

فَصَلَّتهُ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ
رَحْمَةُ الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ الْخَنَانِ
مِنْ كَلَامِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
صَادِقَ الْوَعْدِ وَاضِحَ التَّبَيَّنِ
وَيُوصِي بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ^(١)
كَيْ تَقْوَى دَعَاؤُ الْعُمَرَانِ
وَبَشِيرًا بِخَالَاتِ الْجَنَانِ
قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِالْقُرْآنِ
فَاضَ نُورًا بِسَامِيَّاتِ الْبَيَانِ
عَرَبِيٌّ الْمَبْنَى جَزِيلُ الْمَعَانِ
حِينَ شَاءَتْ إِرَادَةُ الرَّحْمَنِ
وَلَدَّتْهُ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ^(٢)
عَزَّ قَدْرًا عَنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
عَبَقَرِيٌّ النَّهْيَ عَظِيمِ الْجَنَانِ
نُورُ طَهٍ وَكَبَرُ الْمَشْرِقَانِ
رَفَعَ الدِّينَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
كُلُّ حَيٍّ فِي عَالَمِ الْأَكْوَانِ
حَرَفَ الْمُفْسِدُونَ فِي الْأَدْيَانِ
حِينَ وَافَى الْأَمِينُ بِالْفُرْقَانِ
يُرْشِدُ الْقُدْسَ لِلْمَصِيرِ الثَّنَائِي

أيها الناس خَالِفُوا غِيَّ نَفْسٍ
 طَهِّرُوهَا مِنَ الرَّذِيلَةِ حَتَّى
 حَارَبُوهَا بِالطَّيِّبَاتِ عَسَاهَا
 حَذَرُوهَا عَيْنَ الرَّقِيبِ لَكُنَّ مَا
 عَوَّدُوهَا عَلَى الْفَضِيلَةِ حَتَّى
 أَلْبَسُوهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ نُورًا
 زَوَّدُوهَا مِنَ التَّقْوَى فَإِنَّ جَنَاهَا
 ذَكَرُوهَا أَنَّ الْحِسَابَ عَسِيرٌ
 وَجَمَالَ الدُّنْيَا الَّذِي يَسْتَبِيهَا
 سَنَوَاتُ الْأَعْمَارِ تَجْرَى سِرَاعًا
 سَاخِرَاتٌ أَبَاهَا مِنْ ظُلُومٍ
 ضَاخِكَاتٌ وَالْمُغْرِبَاتُ تُنَادِي
 كُلُّ مُخْمَرٍ مِمَّا تَرَاهِي طَوِيلًا
 قَصُورَةٌ أَيْقَظُ الْحَقِيقَةَ مِنْهَا
 دَهَمَ النَّفْسَ حِينَ حُمِّ قَضَاءُ
 خَلَفَ الْجِسْمَ فِي سُكُونٍ وَرَهَبٍ
 وَإِلَى الرَّمْسِ حَيْثُ وَارَاهُ تُرْبٌ
 فَاخِرَاتُ يَدِ الْبَلَى فِي عِظَامٍ
 حِكْمَةُ الْمَوْتِ فِي الْوُجُودِ انْتِقَالَ
 عَالَمِ الظُّلْمَةِ الْقَصِيرِ مَدَاهُ
 أَيُّهَا النَّاسُ لِلْبَقَاءِ خُلِقْتُمْ
 كُلُّ جِسْمٍ بَعْدَ الْبَلَى سَوْفَ يَخْبَأُ
 شَاغَلَتْهَا وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ
 تُنْقِذُوهَا مِنْ ثَوْرَةِ الْعِصْيَانِ
 تَتَوَارَى عَنْ مُفْزَعَاتِ الْأَمَانِ
 تَذَكَّرُ اللَّهُ خِيفَةً كُلَّ آنٍ
 تَتَحَلَّى بِالسَّابِقَاتِ الْحِسَانِ
 فِيهِ تَبْقَى سَعِيدَةً فِي أَمَانٍ
 خَيْرٌ زَادٍ لِلْمَنْهَلِ النَّفْسَانِ
 لَوْ تَمَادَّتْ فِي اللَّهْوِ وَالْعِصْيَانِ
 يَتَلَاشَى مِمَّا بَدَأَ كَالِدُ الْخَانِ
 كَمَنَامٍ يَمُرُّ مَرَّ السُّيُوفِ
 لَمْ يُفَكِّرْ فِي يَقْظَةِ الدُّنْيَانِ
 مَا صَفَا اللَّاهِرُ نِصْفَ يَوْمٍ لِهَانٍ
 كَانَ حُلُمًا فِي جَوْلَةِ الْوَسْنَانِ
 مَلَكَ الْمَوْتِ فِي حُلُولِ الْأَوَانِ
 وَهِيَ تَهْوِي فِي ظُلْمَةِ الطُّغْيَانِ
 وَطَوَاهُ فِي وَحْشَةِ الْأَكْفَانِ
 فِيهِ أُمْسَى فَرِيَسَةُ الدُّيْدَانِ
 حَوَّلَتْهَا ذَرًّا يَدُ الْخَدَّيْنِ
 كُلُّ جِسْمٍ يَضُمُّهُ عَالَمَانِ
 وَخُلُودٌ فِي الْعَالَمِ النُّورَانِ
 وَمَقَامٌ الْخُلُودُ لَيْسَ بِفَانٍ
 يَوْمَ عَرْضِ الصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ

وَتُوفِّيَ مَا قَدَّمَتْ كُلُّ نَفْسٍ
 حَصْصَ الْحَقِّ وَالْمَوَازِينَ قِسْطًا
 وَعِیُونَُ الْجَحِيمِ مِنْ كُلِّ فَبْجٍ
 فِي زَفِيرٍ كَقَاصِفِ الرَّعْدِ يَجْرِي
 لَهَبٌ يَخْطِفُ النَّوَاطِرَ رُغْبًا
 حَوْلَ حَشْدٍ تَكْدَسُ الْخَلْقُ فِيهِ
 وَسُيُولُ الرُّحْضَاءِ تَنْسَابُ مُهْلًا
 وَقَدَةُ الْحَشْرِ ضَاعَتْ كُلُّ كَرْبٍ
 هَذِهِ السَّاعَةُ الَّتِي قَدْ وَعَدْتُمْ
 مَوْقِفٌ لِلْحِسَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ
 كَمْ أَفَاضَ التَّنْزِيلُ عَنْهُ بَيَانًا
 أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ رَعَاكُمْ حَلِيمًا
 وَأَفَاضَتْ أَيْدِيهِ أَكْبَرَ نِعْمَى
 غَيْرُ نُورِ الْوُجُودِ رَبُّ الْبَرَايَا
 بَاعِثُ الْعَالَمِينَ فِي مَلَكُوتٍ
 مِنْ رُفَاتٍ تَكْدَسَتْ فِي قُبُورٍ
 نَاشِطَاتٍ تَقُومُ بَعْدَ رُقُودٍ
 كَجَرَادٍ يَفِرُّ مِنْ أَجْدَاثٍ
 ضَاقتِ الْأَرْضُ عَنْ جَمْعِ سُيُولٍ
 كَشَفَ الْمَوْقِفُ الرَّهيبُ غِطَاءَ
 أَسْدَلَتُهُ حِمَاةُ الْجَهْلِ كِبَرًا
 إِنَّهُ الْحَقُّ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَهْوَى

بَيْنَ خَوْفٍ وَرَجْفَةٍ وَأَمَانٍ
 وَالْمَخَازِي تَمَثَّلَتْ لِلْعِيَانِ
 مُرْسِلَاتُ لَوَائِمِ النَّيِّرَانِ
 فِي دَوَى يَرُوعُ كُلُّ جَنَانٍ
 وَأَزِيرٌ يُحُوبُ كُلَّ مَكَانٍ
 كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ فِي الْقِيَعَانِ
 كَحَمِيمِ السَّعِيرِ فِي غَلِيَانِ
 مَرَّ بِالْقَلْبِ وَالنَّهْيِ وَاللِّسَانِ
 صَدَقَ الْوَعْدُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
 لَمْ يُغَيَّبْ عَنْ حَشْدِهِ أَضْغَرَانِ
 وَاعِدَ الْمُؤْمِنِينَ خُلْدَ الْجِنَانِ
 وَحَبَاكُمْ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
 شَمَلَتْكُمْ فِي رَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
 خَالِقِ الْخَلْقِ فَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 وَحْدَهُ فِيهِ صَاحِبُ السُّلْطَانِ
 أَوْرَثَهَا الْبَلَى يَدُ الْخَدَثَانِ
 كَانَ يَطْوِي الْأَحْقَابَ فِي الْأَكْفَانِ
 يَمْلَأُ الْبَيْدَ بَيْنَ قَاصٍ وَدَانٍ
 سَابِحَاتٍ فِي لُجَّةِ النَّدْمَانِ
 كَانَ يَفْشَى مَحَاجِرَ الْوَسْنَانِ
 وَعُتُوا وَشَدَّهُ الْغَاوِيَابِ
 عَنْ رُبَا الظُّلَمِ رَايَةُ الْعِصْيَانِ

أيها الناسُ قد بُعِثْتُمْ وَغَدَلًا
 وَعَمِيتُمْ عَنْ الْهُدَايَةِ حَتَّى
 فَهَضَمْتُمْ دُنْيَاكُمْ فِي ضَلَالٍ
 قُضِيَ الْأَمْرُ وَاتَهَى كُلُّ شَيْءٍ
 فَهَلُّوْا إِلَى الْحِسَابِ وَحَاشَا
 إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمْنٌ
 أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَأَنْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ مَا خَلَقْتُ لَتَحْيَوْا
 بَلْ حَبَّبْتُكُمْ مُوَاهِبٌ وَعَقُولٌ
 نِعْمَةُ اللَّهِ حِينَ تَمَّتْ عَلَيْكُمْ
 كَرَّمَ اللَّهُ خَلْقَكُمْ وَرَعَاكُمْ
 كُلُّ نَفْسٍ تَخْشَى الْإِلَهَ سَتَمَشِي
 لَقَيْتَهَا الدُّنْيَا قَرِيرَةً عَيْنٍ
 حَلَقَ الرُّعْبُ وَالْمَلِكُ يُنَادِي :
 يَا عَصَا الرَّحْمَنِ حَلِّ بَلَائِي
 مَا جُنُودَ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ
 لَا فِدَاءَ وَلَا شَفِيعَ يُرْجَى
 وَاقْتَدَارِي وَعِزَّتِي وَجَلَالِي
 إِنَّ عَفْوِي يَنَالُهُ كُلُّ عَبْدٍ
 أَيُّهَا الْمُحْسِنُونَ هَذَا نِعْمِي
 فَهَلُّوْا إِلَى فَرَادِيسِ خُلْدٍ
 وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا صَدَّقْتُمْ

قَدْ تَلَّاشَتْ سَفَاهَةُ الشُّكْرَانِ
 نَبَذَتْكُمْ مَرَاحِمُ الْفُفْرَانِ
 مُسْتَحْيِينَ دَعْوَةَ الشَّيْطَانِ
 وَتَجَلَّى مَا أَغْفَلَ النَّاطِرَانِ
 أَنْ يَرَى الظُّلْمَ نَفْسَهُ فِي مَكَانٍ
 وَسَلَامٌ وَجَنَّةٌ وَتَهَانِي
 وَالشَّيَاطِينُ طُعْمَةُ النَّبِرَانِ
 كَدَوَاتٍ تَفْنَى بِمَرِّ الزَّمَانِ
 فَضَّلْتُكُمْ عَنْ سَائِرِ الْخَيَوَانِ
 زَوَّدْتُكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 وَهَدَاكُمْ لِلْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ
 يَوْمَ هَوْلٍ الْخُرُوجِ فِي أَطْمِشَانٍ
 وَبِخُلْدٍ الْأُخْرَى لَهَا جَنَّتَانِ
 هَا وَعِيدِي وَالْوَيْلُ مِنْ سُلْطَانِي
 كَيْفَ يَنْجُو مَنْ نَقَمْتِي مَنْ عَصَانِي ؟
 أَبْعَدُوكُمْ عَنْ طَاعَتِي وَحَنَانِي
 إِنَّهُ الْفَصْلُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
 سَوْفَ يُجْزَى الْمُسِيءُ بِالْحُرْمَانِ
 كَانَ يَخْشَى بَطْشِي وَلَا يَنْسَانِي
 قَدْ وَعَدْتُكُمْ بِهِ وَذَا غُفْرَانِي
 فِي قُصُورٍ أَعَدَّهَا رِضْوَانِي
 وَصَبَرْتُكُمْ عَلَى كُرُوبِ الزَّمَانِ

إن هذا وعدى وَقَدْ تَمَّ وَعْدِي
 فَهَيِّئْ لَكُمْ نِعْمَتُمْ وَفُزْتُمْ
 أَيُّهَا النَّاسُ حَارِبُوا النَّفْسَ زُهْدًا
 وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِأَمْتِهَانِ مَتَاعٍ
 طَهِّرُوا الْقُلُوبَ مِنْ بُدُورِ الْخَطَايَا
 وَاجْعَلُوا اللَّهَ كَرَّ زَادَهُ فَهُوَ نُورٌ
 وَاعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا جَاءَ فَجَرُّهُ
 وَاسْلُكُوا لِلْهُدَى صِرَاطًا سَوِيًّا
 زَوِّدْهُمَا التَّقَى فَيَخْبُو سِرَاجٌ
 وَأَمْلِئُوا الْقُلُوبَ رَحْمَةً وَيَقِينَا
 إِنَّمَا الظُّهْرُ لِلنَّفُوسِ جَالٌ
 وَاضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخِرَافَاتِ وَابْنُوا
 وَأَقْصِرُوا فِي الْخُطَا وَغَثُوا وَتَوْبُوا
 وَأَزِيحُوا عَنِ الْعُيُونِ سِتَارًا
 أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَطِيعُوا عَدُوًّا
 لَمْ يُطِيعْ فِي السُّجُودِ أَمْرَ إِلَهِ
 كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَبْدٌ
 أَيْ مَقْتٍ لِمَنْ تَمَرَّدَ كِبْرًا
 أَغْضَبَ اللَّهَ إِذْ أَبَى أَنْ يُلَبَّى
 يَا عِبَادِي اسْجُدُوا لِآدَمَ إِنِّي
 سَجَدَ الْكُلُّ طَائِعًا فِي خُضُوعٍ
 وَتَأْتَى عَنِ السُّجُودِ شَقِيٌّ

وجزاء الإحسانِ بِالْإِحْسَانِ !
 يَا عِبَادِي بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ
 يَتَجَلَّى الْيَقِينُ مِلءُ الْعِيَانِ
 عَرْضِي مَهْمَا تَرَفَّهَ فَانِ
 وَازْرِعُوا فِيهِ زَهْرَةَ الْإِيمَانِ !
 فِيهِ يَسْعَى إِلَى الرِّضَا الرَّبَّانِي
 بِجَدِيدٍ وَمَا بَدَأَ النَّبِيرَانِ
 تَأْمَنُ النَّفْسُ زَفْرَةَ النَّدْمَانِ
 أَشْعَلَتْهُ حَمَاقَةُ الْهَذْيَانِ
 تُبْعِدُوهُ عَنْ غِلْظَةِ النَّهْمَانِ
 فَإِذَا ضَاعَ ضَيِّعَتَهَا الْأَمَانِي
 لِلْحَيَاتِينَ أَثْبَتَ الْبُيُوتَانِ
 تَأْمَنُوا فِي الْقِيَامِ عَضَّ الْبَنَانِ
 أَسْدَلَتْهُ أَصَابِعُ الشَّيْطَانِ
 شَنْ حَرْبًا عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ
 مَالِكُ الْمَلِكِ أَمْرُهُ حَرْفَانِ
 لِلْبَدِيعِ الْمُهَيَّمِينَ الرَّحْمَنِ
 وَاسْتَفَزَّتْهُ حَمَاقَةُ الْعِصْيَانِ
 أَمْرَ رَبِّ الْعَالَا عَظِيمِ الشَّانِ
 خَالِقُ مِنْهُ عَالَمِ الْإِنْسَانِ
 وَتَسَامَى التَّقْدِيسُ لِلرَّحْمَنِ
 ضَلَّتْهُ حَمَاقَةُ الطُّغْيَانِ

مَلَأَ الشَّرُّ نَفْسَهُ كِبَرِيَاءَ
 إِلَيْهِ . . . إِبْلِيسُ لَعْنَةُ اللَّهِ حَلَّتْ
 كَيْفَ تَنْجُو مِنْ نِقْمَتِي وَعِقَابِي
 قَالَ : رَبِّي ذَرَنِي لِمِيقَاتِ يَوْمِ
 سَوْفَ يَفْجُرُ أَبْنَاءُ آدَمَ مَكْرِي
 وَأَبْثُ الْفَسَادَ فِيهِمْ وَكَيْدِي
 وَأَوْرُثُ النُّفُوسَ أَزًّا فَتَهْوِي
 سَابِحَاتٍ فِي ظُلْمَةٍ مِنْ خِيَالِ
 سَوْفَ تَبْقَى كَمَا تَمَنَيْتَ حَتَّى
 يَوْمَ عَرْضِي لِمَنْ خَلَقْتُ وَلَمَّا
 وَأَدْعُ إِبْلِيسُ مَا اسْتَطَعْتَ وَغَرَّرْ
 هَا سَعِيرِي وَزَمْهَرِيرِي يَدْعُو
 يَوْمَ أَدْعُو : هَلِ امْتَلَأْتَ؟ وَغَيْظًا
 وَتُنَادِي غَضَبًا : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟
 أَيُّهَا الظَّالِمُ الْمَكْدُبُ هَيَّا
 ذَا سَعِيرِي مُوجَّجٌ وَحَمِيمِي
 فَهَلُّوْا إِلَيَّ يَا مَنْ كَفَرْتُمْ
 أَنَّ إِبْلِيسَ أَنْ أَذِيقَكَ هَوْلِي
 يَا سَجِينِي أَنْ الْقَصَاصُ وَهَذَا
 يَأْعِدُو الْإِنْسَانَ قَدْ كُنْتَ حَرْبًا
 كُنْتَ تَدْعُو إِلَى الضَّلَالِ وَتَسْمَى
 كَمْ تَرَبَّصْتَ بِابْنِ آدَمَ حَتَّى

بَاءَ مِنْهَا بِالْحَزَنِ وَالْخُسْرَانِ
 يَا رَجِيمًا خَسِئْتَ مِنْ شَيْطَانِ
 أَيُّ عَبْدٍ يَفِرُّ مِنْ سُلْطَانِي؟
 فِي نُحَاءٍ سَيُحْشَرُ الثَّقَلَانِ
 وَاجْتِيَالًا يُطْفِئُهُمْ شَيْطَانِي . .
 يُبْلِيسُ الرُّشْدَ طَلَسَمَ النَّسِيمَانِ
 فِي حَضِيضٍ مِنْ مُهْلِكَاتِ التَّفَانِ
 غَارِقَاتٍ فِي لُجَّةِ الْهَذْيَانِ
 يَوْمَ فَصَّلِ مَا بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانِ
 لَمْ يُبَدَّلْ مَا أُخْرِجَتْ شَفَقَاتَانِ
 مِنْ أَطَاعَتِكَ نَفْسُهُ بِالْأَمَانِ
 لِعَذَابِ الْحَرِيقِ مَنْ قَدْ عَصَانِي
 تَذَبَّدَى فِي ثَوْرَةِ الْغَضَبَانِ
 كَيْفَ تَنْسَى وَقُودَهَا نِيرَانِي؟
 هَا جَحِيمِي خُلُوْ مِنْ السُّكَّانِ
 لِعُصَاةِ الرَّحْمَنِ يَنْتَظِرَانِ
 مَا أَشَدَّ الْعَذَابَ فِي أَحْضَانِي
 فِي عَذَابٍ لَمَّا يُهَيَّأُ لِشَانِ
 وَعَدُ رَبِّي حَقًّا لِأَوَّلِ جَانِي
 أَعْلَنْتَهَا حِمَاةُ الطُّغْيَانِ
 فِي انْتِشَارِ الْفَسَادِ وَالْعِصْيَانِ
 نَبَذَتْهُ مِهَاجِمُ الْغُفْرَانِ

وَنَصَبْتَ الشَّبَاكَ كَيْدًا وَمَكْرًا
قُضِيَ الْأَمْرُ وَاتَّهَى كُلُّ شَيْءٍ
ذُقْ أَشَدَّ الْعَذَابِ يَاسِرًا غَاوٍ
يَا رَجِيمَ الدَّارَيْنِ بَيْتَسَ خُلُودٍ
يَا ابْنَ حَوَاءَ مَا خُلِقْتَ لِتَحْيَا
أَنْتَ بِالْعَقْلِ قَدْ بَلَغْتَ مَكَانًا
صَوَّرَ اللَّهُ فِيكَ أَحْسَنَ خَلْقٍ
وَأَمَدًا الْفَوَادِ فِيكَ بَنُورٍ
كُلُّ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ لَكَ كَيْمَا
يَا ابْنَ حَوَاءَ أَنْتَ أَكْثَرُ خَلْقٍ
كَرَّمْتِكَ النُّعْمَى وَأَوْلَيْتَكَ فَضْلًا
فَاشْكُرِ النُّعْمَ الرَّحِيمَ وَسَبِّحْ
وَإِذْ كَرِّمُوتَ فَهُوَ أَحْسَنُ ذِكْرِي
وَاجْعَلِ اللَّهُ وَحْدَهُ لَكَ مَوْلَى
تَقْضِ دُنْيَاكَ مَا حَيَّيْتَ سَعِيدًا
إِنَّ هَذَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ فَكَبِّرْ
حَكَمَ الْعَقْلَ يَا ابْنَ آدَمَ وَأَحْذَرْ
لَا تَطْعُمُهُ وَتَتَخِذْهُ وَلِيًّا
يَطْبَعُ الشَّرَّ فِي النُّفُوسِ وَيُمْلِي
إِنَّ هَذَا الطَّاغُوتَ شَرُّ لَعِينٍ
أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ أَنَا كَمْ كِتَابٌ
كِي تُصَلِّهُ عَنْ هُدَى الْإِيمَانِ^(١)
دَبَّرْتَهُ مَكَايِدُ الشَّيْطَانِ
أَبْعَدَ النُّورَ عَنْ بَنِي الْإِنْسَانِ
صَدَقَتْ فِيهِ آيَةُ الرَّحْمَنِ
كَحْيَا الْأَنْعَامِ وَالْحَيَوَانَ
عَبَقْرِيًّا، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَكَانٍ
أَبْدَعَتْ صُنْعُهُ يَدُ الرَّحْمَنِ
جَعَلَ الْخَارِقَاتِ طَوْعَ الْبَنَانِ
تَتَسَامَى دُعَايُ الْعُمَرَاءِ
غَمَّرَتْهُ الْآلَاءُ بِالْإِحْسَانِ
أَيَّدَتْهُ مُوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
فِي خُشُوعٍ بِحَمْدِهِ كُلَّ آنٍ
تَنْفَعُ النَّاسَ يَوْمَ عَصَى الْبَنَانِ
وَتَزَوِّدُ مِنْ حِكْمَةِ الْقُرْآنِ
وَيُخَلِّدُ الْأُخْرَى لَكَ الْجَنَّتَانِ
بِاسْمِ رَبِّ هَذَاكَ لِلْإِيمَانِ
مِنْ أَضَالِيلِ فِتْنَةِ الشَّيْطَانِ
فَهُوَ يَدْعُو لِلشَّرِّ بِالرَّحْمَنِ
كُلَّ غَيٍّ يَقُودُ لِلْكَفْرَانِ
مِنْ أَلَدِّ الْأَعْدَاءِ لِلْإِنْسَانِ
نَاطِقٌ بِالْهُدَى فَصِيحُ الْبَيَانِ

(١) جزم «تصله» خطأ لأن «كي» من النواصب، فإذا حرك بالفتح نصباً اختل البيت.

بَيِّنَ الرُّشْدَ وَالضَّلَالَ بِشِيرًا
 يَبْعَثُ النُّورَ فِي الْقُلُوبِ فَيَهْدِي
 وَالَّذِي صَمَّ قَلْبُهُ ظُلًّا أَعْمَى
 يَبْنَتُ قَدْ فَصَلَتْ كُلُّ شَيْءٍ
 وَنَهَتْكُمْ عَنِ الْخَبَائِثِ وَالْمُنَكَرِ
 أَيْ فَوَزِ لِمَنْ أَطَاعَ وَلَبَّى
 طَاهِرَ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي
 يَسْمَعُ الذِّكْرَ وَهُوَ يُتْلَى فَيَجْنُو
 بَيْنَ وَعْدِ مُبَشِّرٍ بِنَعِيمٍ
 وَوَعِيدٍ مُصَوِّرٍ لِعَذَابٍ
 مَنْ تَوَلَّى وَلَمْ يَخَفْ مِنْ وَعِيدٍ
 خَدَعَتْهُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ يَلْهُو
 مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا تَبَوُّاً مِنْهَا
 دَارُ لَهْوٍ طَاشَتْ بِعَقْلِ جَهُولٍ
 مَلِكَتْ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ شَرًّا
 أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ حَتَّى
 أَوْدَعَتْهُ الدُّنْيَا بُطُونَ ثَرَاهَا
 أَيُّهَا النَّاسُ آمِنُوا وَأَطِيعُوا
 مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي فَتَنَتْكُمْ
 غَيْرُ يَوْمٍ أَحْلَامُهُ سَابِحَاتُ
 سَنَوَاتِ الْأَعْمَارِ كَالْبَرْقِ تَجْرِي
 فَتَرَةُ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ اخْتِبَارُ
 وَنَذِيرًا يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ
 مِنْ بَشَاهِ الْحَيْطُ بِالْأَكْوَانِ
 لَا يَرَى النُّورَ وَهُوَ مِلَّةُ الْمَكَانِ
 أَمَرْتَكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 رِ تَلَكُمُ دَسَائِسُ الشَّيْطَانِ
 دَعْوَةُ الْحَقِّ ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ
 مُؤْمِنَ الْقَلْبِ صَادِقَ الْإِيمَانِ
 سَاجِدًا بَاكِيًا مِنَ الْقُرْآنِ
 فِي فَرَادِيسَ خَالِدَاتِ الْجَنَّاتِ
 يُفْقِدُ الرُّشْدَ فِي لَطَى النَّيِّرَانِ
 أَيْ مَقْتٍ يَرَى وَهَوْلٍ يُعَانِي
 فِي نَعِيمٍ مِنَ الْمَتَاعِ الْفَآئِي
 كُلَّ مَا يَشْتَهِي وَنَالَ الْأُمَانِ
 مِنْهُ مَدَّتْ لِلْمُوبِقَاتِ يَدَانِ
 فَتَمَادَى فِي الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ
 دَهَمَتْهُ لَقَائِفُ الْأَكْفَانِ
 فَتَوَارَى عَنْ أَعْيُنِ الْحَدَثَانِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ فَوْتِ الْأَوَانِ
 وَسَبَّحْتُكُمْ بِالْمُعْرِيَاتِ الْحَسَانِ
 بَيْنَ مَوْجِ الشَّرُورِ وَالْأَحْزَانِ
 مُسْرِعَاتٍ كَأَنَّهُنَّ ثَوَانِ
 لِلنَّعِيمِ الْمُقِيمِ أَوْ لِلْهَوَانِ

فاعملوا الطيبات تأمن نفوس
 واطلبوا الرزق ما حيزتم حلالاً
 واسلكوا للصالح خير سبيل
 واضربوا الأرض بالغرفات وامشوا
 وازرعوا اليوم تحصدوا بعد حين
 واهجروا الخمر فهي أكبر رجس
 تسلب الرشد من نهى محتسبها
 لقبوها أم الخبائث حقاً
 وأقيموا الصلاة لله شكراً
 سبحوا الله بكرة وأصيلاً
 وأعيروا خلق السموات فيضاً
 فكروا خاشعين في ملكوت
 فلك خير العقول نظماً
 ساريات فراقده وشموس
 سابحات كل يشق مداراً
 ملكوت فيه العوالم تجري
 لاحظتها عين الرقيب لتبقى
 فإذا جاء وعده تتوارى
 إنه الفصل بين دنيا وأخرى
 إن عيش الدنيا وإن طال يوم
 طائر ناطق كتاب شهيد
 عززت صدقه شهادة أبدي

يوم عرض الأعمال عصف البنان
 واستعينوا بالصبر والإيمان
 منه تبدؤ مغارة الرضوان
 صوب نور اليقين في اطمئنان
 واستزيدوا من خالد البنيان
 مفسد الروح متلف الأبدان
 حين تسرى في الحس كالأنفوان
 فهي أقوى حائل الشيطان
 واذكروه في السر والإعلان
 في سجود ما ضوأ المشرقان
 من صفاء الإدراك والإيمان
 أبدعت صنعه يد الرحمن
 لم يشبه في دقة الإنقلاب
 خاطفت الأبصار قاص ودان
 في فضاء الآفاق والأكوان
 آمنت طواريء الخلد ثمان
 ما أرادت مشيئة الرحمن
 آفلات ويختفي النيران
 أعلنته على الورى صيحتان
 فيه تمت حيفة الإنسان
 سجلت فيه صدقات البيان
 وجود وأعين لسان

فَاخْشَوْا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ تَقُومُوا
يَوْمَ يَهْتَزُّ مِنْكَبُ الْأَرْضِ رُعْبًا
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ فِدَاءً
وَلَهُ الْأَمْرُ وَخِذَهُ فِي جُجُوعٍ
حُكْمُهُ الْفَصْلُ فِي مَصِيرِ عَبِيدِ
فَازَ بِالْخُلْدِ فِي فَسِيحَاتِ عَدْنٍ
وَأَضَلَّ السَّبِيلَ مِنْ تَاهٍ كَبِيرًا
وَإِذَا تَمَّ فِي الْمَشِيئَةِ أَمْرٌ
آيَةُ النُّورِ بَيَّنَّتْ كُلَّ شَيْءٍ
مَا سَعِيدُ الدَّارَيْنِ يَا نَفْسُ إِلَّا
وَالشَّقِيُّ الْمَالْعُونُ دُنْيَا وَآخِرَى
يَا إِلَهَ الْوُجُودِ نِعْمَاكَ عَمَّتْ
مِنْ دِيَاجِي أَجْدَائِكُمْ فِي أَمَانٍ
وَالسَّمَوَاتُ وَوَدْعُهُ كَالْدِهَانِ !
أَوْ فِرَارًا مِمَّا تَرَى وَتُعَايِنِ !
تَسْأَلُ الْعَفْوَ بَيْنَ إِنْسٍ وَجَانٍ
الِدَارِ الْجَحِيمِ أَمْ لِلْجَنَّةِ
مِنْ هَدَاهُ الرَّحْمَنُ لِلْإِيمَانِ
وَعُتُّوْا وَخَادَعَتْهُ الْأُمَانِي
لَمْ يُبَدَّلْ مَا سَجَّلَ الْخُوفُ
وَكَفَى الْآنَ أَيُّهَا الضَّالُّونَ
مَنْ تَقَانِي فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
كُلَّ غَرٍّ هَوَىٰ مَعَ الشَّيْطَانِ
كُلَّ حَيٍّ فِي سَائِرِ الْأَكْوَانِ

المنزلة الكبرى

فاتحة

أيها الناس أنتم الفقراء لا تمشوا في الأرض ظلمًا وبغيًا
فاذكروا من له الغنى والبقاء وأنقوا الله إنكم ضعفاء
واستعينوا بالله في كل أمر أكرم الخلق عنده الأتقياء
لا يفرّجكم نعيم حياة ورخاء وصحة وهناء
إنما العمر لمحة فمات إنما العمر لمحة فمات
ملك الموت يفتني كل حي يترك الجسم هامدًا ، ليت شعري
كل نجم مهّد بأفول كل شيء غير البديع ظلام
يا بني الأرض إن الله ملكا يترك الجسم هامدًا ، ليت شعري
إن ربًا يدير ملكًا كهذا كل شيء غير البديع ظلام
حار الخلق في تصوّر ذات يابني الأرض إن الله ملكا
بين حرفين أمرها والقضاء^(١) حار الخلق في تصوّر ذات

* * *

مالك الملك إن وعدك حق من له الحمد غيره والثناء^(٢)
ترجف الأرض والجال ويقضى كل أمر ويستكن الهواء
وتعمر السماء موراً ويهوى كل نجم وتفرع الأرجاء

(١) الصواب في أمرها والقضاء بالجر لأنه بدل من حرفين ويمكن لإعرابها على الابتداء ، بتقدير « هما أمرها والقضاء » . (٢) في البيت التفات ، إذ قال وعدك ، فكان الاستمرار أن يقول غيرك .

حَلَقَتْ رَهْبَةً وَسَادَ سُكُونٌ وَأُنْجِلَتْ قَدْرَةٌ وَأَبَ الْوَفَاءِ
كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُتَيْمِنُ فَإِنْ صَاحَ سُبْحَانَ مَنْ لَهُ الْكِبَرِيَاءُ

السَّاعَةُ

دَنَتْ السَّاعَةُ الرَّهِيئَةُ لَمَّا جَاءَ أَشْرَاطُهَا وَحُقَّ الْجَزَاءُ
وَعَلَتْ صَيْحَةً تَجْمَعُ مِنْهَا بَالِيَاتُ الرِّفَاتِ وَالْأَشْلَاءِ
دَكَّتِ الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَهَدَّتْ كُلَّ طَوْدٍ مُرْبِعَةً بِطُشَاءٍ
صَيَّرَتْ شَامِخَ الرِّوَاكِخِ عَنْهَا وَتَنَحَّتْ عَنْ حَمَلِهَا الْجُرْدَاءِ
أَلْقَتْ الْأَرْضُ مَا بَهَا وَتَحَلَّتْ وَتَدَاعَتْ عَنْ أَفْقِهَا الصَّمَاءِ
هَالَمَا الرُّوعُ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءٌ غَيْرَ الصَّدْعِ حَالَهَا وَالْفَنَاءِ
وَأَنْشَقَّاقًا ذَاتُ الْبُرُوجِ تَرَامَتْ فَنَوَارَتْ أَقْمَارُهَا الزَّهْرَاءُ^(١)
ثُمَّ غَابَتْ نَجْمُهَا وَأَكْفَهَرَتْ وَاخْتَفَى نُورُهَا وَزَالَ الْبَهَاءُ

* * *

إِنَّ هَذَا يَوْمُ الْحِسَابِ فَطَاشَتْ يَابْنِي الْأَرْضِ مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ
يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ ابْنُ آدَمَ إِلَّا حَسَنَاتٌ تَقَدَّمَتْ وَوَفَاءُ
يَوْمٌ يَدْعُو كُلُّ امْرِئٍ: رَبِّ نَفْسِي! وَتَفَرُّ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
يَوْمٌ يَلْتَفُ كُلُّ سَاقٍ بِسَاقٍ وَيُسَاقُ الضُّعَافُ وَالْأَقْوِيَاءُ
يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ الْمُسِيءُ اعْتِذَارُ عَنْ ذُنُوبٍ وَيَذْلَهُمُ الْبَلَاءُ
يَوْمٌ حَشَرِ حَوَى الْبَرَايَا جَمِيعًا شَاخِصَاتٍ أَبْصَارُهَا فَرْعَاءُ
يَوْمٌ فَضَّلِ تُبْلَى السَّرَائِرُ فِيهِ حَاطَاتٌ مِنْ هَوَاهُ هَلَمَاءُ
يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ النُّفُوسُ اتِّصَارًا وَلَهُ الْأَمْرُ وَحْدَهُ وَالْقَضَاءُ
كُلُّ نَفْسٍ يُفْنِي لَهَا فِيهِ شَأْنُ عَنْ سِوَاهَا وَلَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ

(١) يريد : وترامت ذات البروج انشقاقاً ، ولو قال ذلك لم يتغير الوزن .

كلُّ نفسٍ لها لِسَانٌ وَعَيْنٌ وفؤادٌ وكلُّها رُقْبَاءُ
ثم أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وجُلودٌ تَنْطِقُ الحقَّ أَنَهُمْ شُهَدَاءُ

البعث

يُهرَعُ النَّاسُ مُنْذُ أَوَّلِ خَلْقٍ وَاحِفَاتٍ قُلُوبُهَا حَيْرَاءُ
بَعَثَتْهَا الْقُبُورُ تَجْرِي سِرَاعًا أَفْزَعَتْهَا مِنْ نَوْمِهَا الدَّهَاءُ
مَا جَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقٍ كَجَرَادٍ يَضِيقُ عَنْهُ الْفَضَاءُ
مُدَّتِ الْأَرْضُ كَيْ تُوَفَّى جُمُوعًا فَوْقَهُمْ تُمَطِّرُ الْعَذَابَ السَّمَاءُ

* * *

يَا بَنِي الْأَرْضِ تِلْكَ وَقْفَةٌ حَشِرٍ يَا ابْنَ حَوَاءِ أَنْتَ صِينٌ وَمَاءُ
كُلِّ فَرْدٍ لَهُ كِتَابٌ قَدِيمٌ سُجِّلَتْ فِيهِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
لَمْ يُعَادِرْ صَغِيرَةً مَا حَوَاهَا قُدْرَةُ اللَّهِ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
كُلٌّ مِنْ مَدَّةٍ لِلْكِتَابِ يَمِينًا صَمَهُ الْأَمْنُ وَالرِّضَا وَالْهِنَاءُ
وَلَهُ قَالَتْ التَّهَانِي سَلَامٌ وَبَدَأَ الْعَفْوُ بِأَسْمَاءٍ وَالْعَطَاءُ
وَيَنْحَ مَنْ كَانَ حَظُّهُ بِشِمَالٍ هَالَهُ الْخِزْيُ خِيفَةً وَالْعَنَاءُ
صَلَحَ فِيهِ صَوْتُ الْعَذَابِ وَعِيدًا : قَدْ تَمَحَّى عَنْ مُقَاتِلِكَ الْفِطَاءُ !
أَنْظِرِ النَّارَ كَيْفَ تُزْجِي سَعِيرًا وَعَقَابُ الْمُكَذِّبِينَ الشَّوَاءُ

* * *

قَبْضَةُ اللَّهِ تَجْمَعُ الْأَرْضَ جَمْعًا وَيُيْمِنِي الْبَدِيعُ تُطَوِّي السَّمَاءُ
قُدْرَةُ اللَّهِ حَيَّرَتْ كُلَّ لُبٍّ فَتَفَانَتْ فِي كُنْهَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ
قُوَّةُ اللَّهِ أَذْهَلَتْ كُلَّ لُبٍّ فَتَفَانَتْ فِي وَصْفِهَا الْعُلَمَاءُ
حِكْمَةُ اللَّهِ أَحْكَمَتْ كُلَّ أَمْرٍ فَاسْتَنَارَتْ بِرُوحِهَا الْحُكَمَاءُ
خَيْرَةُ اللَّهِ أَثْقَنَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَتَبَارَتْ فِي مَدْحِهَا الشُّعْرَاءُ

رَحْمَةُ اللَّهِ أَدْرَكَتْ كُلَّ خَلْقٍ فَتَلَاشَى فِي عَدَّهَا الْإِحْصَاءَ

* * *

إِنَّ عِلْمَ الْإِلَهِ عِلْمٌ قَدِيمٌ بِخُلُودٍ لَهُ يَدُومُ الْبَقَاءُ
وَصِفَاتُ تَنَزَّهَتْ عَنْ شَرِيكَ نَفِذُ الْأَمْرِ فِي جَمِيعِ الْبَرَايَا
كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ لِلَّهِ عَبْدٌ وَدَوَامًا إِلَيْهِ يَسْرِي الدُّعَاءُ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ اللَّهَ حَمْدًا أَبَدَ الدَّهْرِ كَيْ يَدُومَ الثَّنَاءُ
وَبِنُورِ الْإِلَهِ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ ضُوءُ وَجَاءِ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ (١)
وَقَضَى الْحَقُّ بَيْنَهُمْ حُكْمَ عَدْلٍ وَبِوَعْدِ الْإِلَهِ تَمَّ الرِّضَاءُ
يَا نَبِيِّينَ تِلْكَ جَنَّاتُ عَدْنٍ فَادْخُلُوهَا وَكَبِّرُوا بِأَسْمَاءِ
هَذِهِ الْجَنَّةِ الَّتِي قَدْ وَعَدْتُمْ شَهِدَ اللَّهُ أَنْكُمْ أَمْسَاءُ
دَارُ خُلْدٍ مِجْزَاهُ مَا قَدْ صَبَرْتُمْ تِلْكَ عُقْبَى الْجِهَادِ يَا أَنْبِيَاءُ
سَيِّدُ الْخَلْقِ بَيْنَكُمْ يَتَّهَادَى بِحَبِيبٍ يَفِيضُ مِنْهُ الضِّيَاءُ
أَشْرَفُ الْمُرْسَلِينَ قَدْرًا وَجَاهًا خَيْرُ بَذَرٍ قَدْ أَنْجَبَتْ حَوَاءُ
خَصَّمَهُ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لَمَّا أَذِنَ الْحَقُّ وَأَسْتَجِيبَ النَّدَاءُ
وَبِنُورِ الْقُرْآنِ كَانَ إِمَامًا وَحَكِيمًا عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءُ

* * *

أَوَّلَ الدَّاخِلِينَ جَنَّاتِ عَدْنٍ لَكَ نَفْسٌ أَيْبَةً ثَمَّاءُ
صَلَوَاتُ الْإِلَهِ تَرَعَاكَ دَوْمًا يَا ابْنَ عَدْنَانَ بَارَكْتَكَ السَّمَاءُ

(١) فِي الْبَيْتِ خَلَّلَ عَرُوضِي ، وَلَوْ قَالَ « النَّبِيُّ » لَاسْتَقَامَ الْوِزْنُ .

جنات النعيم

سِيقَ أَهْلُ الثَّقَى لِدَارِ نَعِيمٍ يَتَهَادَوْنَ حَيْثُ حَلَّ الْهَنَاءُ
تَتَلَقَّاهُمْ الْمَلَائِكُ بُشْرَى بِأَسْمَاتٍ وَجُوهَهَا سَمَحَاءُ
نَزَانَ أَبْوَابَهَا وَمِيزُ الدَّرَارِي تَتَسَامَى أَنْوَارُهَا الزَّهْرَاءُ
تِلْكَ دَارُ الَّذِينَ نَالُوا بِحَقِّ أَجَرَ إِيْمَانِهِمْ فَنِعْمَ الْجَزَاءُ
آمَنُوا بِالْكِتَابِ لَمَّا أَنَاهُمْ وَأَطَاعُوا الرَّسُولَ نِعْمَ الْوَفَاءُ
صَدَقَ الْوَعْدُ فَادْخُلُوا بِسَلَامٍ دَارَ خُلْدٍ يَطِيبُ فِيهَا الْبَقَاءُ
إِنَّ فِيهَا مَا تَشْتَهَى كُلُّ نَفْسٍ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ لَهَا مَا تَشَاءُ
حُورٌ عِيفٌ كَأَنَّهُنَّ اللَّالَى كَاعِبَاتٌ قُدُودُهُنَّ الصَّيَّاءُ (١)
يَتَسَابَقْنَ حَوْلَ زَهْرٍ وَمَاءٍ لَاعِبَاتٌ يَزِينُهُنَّ الْبَهَاءُ
رَاتِعَاتٌ عَلَى بَسَاطٍ بَدِيعٍ تَتَرَامَى أَطْرَافُهُ الْخَضْرَاءُ
تَتَوَارَى خَلْفَ الدَّوَالِي دَلَالًا تَتَشَتَّى أَعْطَافُهَا الْحَسَنَاءُ
ثُمَّ يُهْرَعْنَ لِلْقُصُورِ حُسَاةً مِنْ رَحِيقِ مِزَاجِهِ السَّرَّاءُ
حَيْثُ يَلْقَيْنَ أَهْلَهَا فِي نَعِيمٍ وَسُرُورٍ بِهِمْ أَحَاطَ الْهَنَاءُ
تَتَجَلَّى عَلَى الْأَرَائِكِ بُشْرًا وَابْتِهَاجًا عِيُونُهَا حَوْزَاءُ
وَعَلَيْهِمْ تَطُوفُ وَلَدَانُ خُلْدٍ بَكُورٌ سُلَافُهَا الصَّهْبَاءُ
وَأَبَارِيقَ مِنْ لُجَيْنٍ نَقِيٍّ صَفْهًا الْخُورُ كَيْ يَدُومَ الصَّفَاءُ
إِنَّ لِلْجَنَّةِ الْبَهِيجَةِ وَضْعًا فَوْقَ مَا قَدْ تَخَيَّلَ الشُّعْرَاءُ
ظِلًّا دَائِمٌ فَلَا لَيْلَ فِيهَا عَاطِرَاتُ رِيَاضِهَا الْفَيْحَاءُ
فَوْقَ أَغْصَانِهَا الْعَنَادِلُ تَشْدُو وَعَلَيْهَا تُرْفَرُفُ الْوَرْقَاءُ

(١) قوله حور عين بالإضافة ليس صحيحاً ، والصواب أن عين وصف للحوار بجمال العيون وسعتها .

وَتَفِيضُ الْأَنْهَارُ شُهَدَا مُصَقِّ
ثُمَّ تَجْرِي أُخْرَى بِدَرٍّ شَهِيٍّ
وَيَحْمَرُّ كَالْأَرَى تَنْسَابُ أُخْرَى
إِنَّ دَارَ الْفِرْدَوْسِ كَانَتْ مَابَا
أَدْخُلُوهَا قَدْ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا
فَانْعَمُوا وَاهْنَأُوا وَطِيبُوا نَفُوسَا
رَحْمَةُ اللَّهِ قَدْ تَجَلَّتْ عَلَيْكُمْ
حَيْثُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا رَغْدَاءُ
لَمْ تُغَيِّرْ مِنْ طَعْمِهِ الْأَجْوَاءُ
رِيحُهَا الْمِسْكُ رُوحُهَا نَشْوَاءُ^(١)
خَيْرَ دَارٍ يَحْطَى بِهَا الْأَتْقِيَاءُ
فِي خُلُودٍ لَا يَغْتَرِيهِ فَنَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ حُنَفَاءُ
فَاشْكُرُوا مَنْ لَهُ الرِّضَا وَالْبَقَاءُ

دار الجحيم

ثُمَّ سِيقَ الْكُفَّارُ نَحْوَ جَحِيمٍ
وَوَقُودُ السَّعِيرِ زَادَ اشْتِعَالَا
ثُمَّ هَاجَتْ دَارُ الْجَحِيمِ وَمَاجَتْ
فِي زَفِيرٍ كَالرَّعْدِ تَذَكُّ مِنْهُ
وَشَهِيٍّ يَنْقُضُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
شَرًّا كَالْجَالَةِ الصُّفْرِ تَرْمِي
تِلْكَ نَارُ الشَّوَى الَّتِي فِي لَظَاهَا
إِنَّ حُرَّاسَهَا غِلَظٌ شِدَادُ
مَا الْحَدِيدُ الشَّدِيدُ أَعْظَمَ بَأْسَا
حَوْلَ أَبْوَابِهَا الصَّوَاعِقُ دَوَّتْ
أَدْخُلُوهَا تَطَايَرَ الْأَمُولُ فِيهَا
يَسْتَفِيثُونَ حَيْثُ حَلَّ الْبَلَاءُ
وَأَسْتَشَاطَتْ مِنْ غَيْظِهَا الرَّمْضَاءُ
تَقْدِفُ الرُّغْبَ وَالْقُلُوبُ هَوَاءُ
هَامَةُ الشَّمِّ وَالذَّرَا الشَّمَخَاءُ
رَجَعَتْهُ مِنْ هَوْلِهِ الْأَرْجَاءُ
مِثْلُهُ الْقَصْرُ بِئْسَ ذَلِكَ التَّوَاءُ^(٢)
يُسْحَبُ الْمُجْرِمُونَ وَالْأَشْقِيَاءُ
يَتَفَانُونَ طَاعَةً ، أَقْوِيَاءُ
مِنْ قُلُوبٍ لَهُمْ بَرَاهَا الْقَضَاءُ
مُرْعِدَاتٍ صِيحَاتُهَا فَزَعَاءُ
فَاعِرَاتٍ أَقْوَاهَا غَضَبَاءُ

(١) الأرى : الشهيد

(٢) التواء : الهلاك

سَارِيَاتُ اللَّهَيْبِ تَنْسَابُ مِنْهَا
 مِنْ حَمِيمٍ تَفِيضُ فِيهَا عُمُوتٌ
 إِنَّ هَذَا شَرَابُ كُلِّ أَثِيمٍ
 وَطَعَامُ ذُو غُصَّةٍ وَعَذَابُ
 إِنْ دَارَ الْجَحِيمِ شَرُّ مَكَانًا
 مَا جَنُودُ الشَّيْطَانِ إِلَّا غَوَاةٌ
 شَاغَلَتْكُمْ بِفِيهَا فَعَمِيَتْكُمْ
 إِنْ هَذَا الشَّيْطَانُ كَانَ عَدُوًّا
 قَدْ سَلَكَكُمْ سُبُلَ الضَّلَالَةِ جَهْلًا
 أَيُّهَا الظَّالِمُونَ ذُوقُوا نَكَالًا
 فَتَنَّتْكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَبَنُوكُمْ
 وَكَفَرْتُمْ بِأَنْتُمْ اللَّهُ حَتَّى
 إِنْ هَذَا تَصْدِيقُ مَا قَدْ كَفَرْتُمْ
 فَهَلُمُّوا إِلَى الْجَحِيمِ جَمِيعًا
 إِنْ فِيهَا الْعَذَابُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ
 قَدْ أَطَاعُوا الرَّحْمَنَ فِي كُلِّ أَمْرٍ
 دَرَكَاتٌ سَبْعٌ طَبَاقٌ عَذَابُ
 كُلُّ مَنْ فِي الْعَذَابِ يَسْتَصْرِخُ الْمَوْتُ
 وَهَبَاءٌ يَضِيعُ كُلُّ تَمَنٍّ
 لَا تَمَاتُ بِهَا يَهُوُّ كَرْبًا
 كَمَا أَنْضَجَ الْحَرِيقُ جُلُودًا
 إِنْ هَذَا جَزَاءُ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ

وَبَرِيحِ السَّمُومِ يَجْرِي أَلْهُوَاءُ
 وَبِمَاءِ كَالْمُهْلِ يَجْرِي السَّقَاءُ
 مِنْهُ تُشَوَّى الْوُجُوهُ وَالْأَمْعَاءُ
 مِنْهُ تُكَوَّى الْجَبَاهُ وَالْأَحْشَاءُ
 لِعَصِيٍّ طَاشَتْ بِهِ الْأَهْوَاءُ
 قَدْ أَطَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ يَا رِعَاءُ
 عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَعَزَّ الدَّوَاءُ
 مِنْذُ وَافَتْ مِنْ خُلْدِهَا حَوَاءُ
 وَتَرَكْتُمْ مَا أَنْزَلَتْهُ السَّمَاءُ
 إِنْ هَذَا جَزَاءُ قَوْمٍ أَسَاءُوا
 وَظَلَمْتُمْ فَحَقَّ هَذَا الْبَلَاءُ
 حَلَقَ الْمَوْتُ فَوْقَكُمْ وَالْفَنَاءُ
 إِنْ صَبَرْتُمْ أَوْ إِنْ جَزِعْتُمْ سَوَاءُ
 لَا أَعْتَدَارُ لَكُمْ وَلَا شُفَعَاءُ
 وَعَلَيْهَا الْمَلَائِكُ الرُّقَبَاءُ
 وَبِأَمْرِ الْعَزِيزِ يَجْرِي الْقَضَاءُ
 لَا ظَلِيلٌ بِهَا يُحِيطُ الْقَضَاءُ
 تَ وَهَيْهَاتَ يُسْتَجَابُ النَّدَاءُ
 حَيْثُ حَلَّ الْخُلُودُ زَالَ الْفَنَاءُ
 أَوْ عَذَابٌ مُخَفَّفٌ أَوْ رَجَاءُ
 بَدَّلَ اللَّهُ غَيْرَهَا مَا يَشَاءُ
 وَعَلَى الْعَدْلِ قَامَ هَذَا الْجَزَاءُ

يَا ابْنَ حَوَاءٍ قَدْ قَضَى اللَّهُ أَمْرًا
هَامِي الْأَرْضِ وَفِيَتْ مَا اسْتَحَقَّتْ
قَدْ تَسَامَى عَرْشُ الْقَدِيرِ جَلَالًا
حَوْلَهُ حَقَّتْ الْمَلَائِكُ تَتَلَوُ
لَا يَمْلُونَ لَحْظَةً مِنْ دُعَاءِ
تَجِدُوا اللَّهَ بِالنَّسَاءِ دَوَامًا
هُمْ جُنُودُ الْمُهَيْمِينَ الْمُتَعَالِي
رُكَّعًا سُجَّدًا قِيَامًا قُعُودًا
وَبِحُكْمٍ عَدَلٍ تَجَلَّى الْقَبْضَاءِ
وَتَوَقَّى بِمَثَلِ هَذَا السَّمَاءِ
فَاسْتَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْأَرْجَاءِ
أَحْسَنَ الذِّكْرِ كِي يَعْمُ الرِّضَاءِ
هُمْ عَبِيدُ رَبِّهِمْ أَوْفِيَاءِ
حَمَلَ الْعَرْشَ مِنْهُمْ الْأَكْفَاءِ
مَظْهَرُ الْبَطْشِ مِنْهُمْ الْأَقْوِيَاءِ
مَنْ تَوَالَى تَسْلِيحِهِمْ سُعْدَاءِ

* * *

عَمَّ نُورُ الْإِلَهِ سَبْعًا طِبَاقًا
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
حَقَّهُ الْمَوْلُوعُونَ بِاللَّهِ حُبًّا
وَتَدَلَّى الْوَحْيُ الْأَمِينُ ابْتِهَالًا
فَتَلَاثَتْ أَمَامَهُ الْإِضْوَاءُ
ضُجُجًا جَمِيعًا ، وَفَاضَتْ الْآلَاءُ
وَحَبَّاهُ الْأُتَمَّةُ الْأَمْنَاءُ
يَا قَدِيرًا يَا مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ^(١)

* * *

أَسْفَرَتْ هَيْبَةٌ فَاشْرَقَ عَدَلٌ
يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ
وَسَلَامٌ لَكُمْ بِمَا قَدْ أَطْعَمْتُمْ
فَالِ الْجَنَّةِ الْفَسِيحَةِ سِيرُوا
فَتَعَالَى الْهَتَافُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
فَأَفَاضَ الْعَطَاءُ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَتَجَلَّى عَفْوٌ وَعَمَّ رِضَاءُ
مَ خُلُودٌ يَدُومُ فِيهِ الْمُنِيبَاءُ
شَهِدَ اللَّهُ أَنْكُمْ رُحَمَاءُ
قَدْ وَهَدْتُمْ بِهَا وَتَمَّ الْوَفَاءُ
جَاوَبَتْهُ الْآفَاقُ وَالْأَرْجَاءُ
لِلَّذِي الْمُلْكُ مُلْكُهُ وَالْبَقَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا بَيَانٌ
أَنْزَلَتْهُ الشَّرِيعَةُ الْمَمْحَاهُ

(١) يقصد بالوحي الأمين جبريل عليه السلام ،

جاء بالحق للقلوب ضياء
لم يُغَادِرْ من الشرائع شيئاً
جاءكم بالهدى كتاب كريم
إنه من لدن حكيم عليم
عاطِرُ الذِّكْرِ للقلوب شفاء
إنَّ هذا القرآن يكفيه نفراً
فاض نوراً بالوحي صدرُ نبيٍّ
ورسولٍ للرُّسلِ جاء ختاماً
جاء برداً للعالمين سلاماً
كافَحَ الكُفْرَ والضلالة حتى
وأقام الدينَ الحنيفَ وبانت
آيةُ الحقِّ قد تجلَّتْ عليكم

* * *

أيها الناسُ إن هذا بلاغٌ
إن دنا الخيرُ فالسَّاء صباحُ
إنَّ هذا الحديث أحسنُ ذِكْرِي

* * *

أيها الظالمون قد شاغلَتْكمُ
فأجبتُمُ نداءها واتَّبَعْتُمُ
وضربتمُ بشرعةِ الحقِّ عرضاً
وملكتم سُبُلَ الضلالة جهلاً
وعميتم عن الهدى ومُحالٍ
وأنذعتم إلى المعاصي سُكارى
وغزَّكمُ بِطيشها الأهواء
شَهَوَاتٍ يفرُّ منها أَلْيَاءُ
فأشمارَّتْ نفوسُها أَلْيَاءُ
نخبِ النورِ وأستحالَ الضياءُ
أن تَرَى النورَ مُقْلَةً عَمِيَاءُ
وأرتكبتم ما فاض منه الإِناءُ

وَاتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَ غَاوٍ مُضِلٍّ زَيْنَ الشَّرِّ مَكْرُهُ وَالْدَّهَاءُ
حَبَّ اللّٰهُوِّ وَالْفَسَادِ إِلَيْكُمْ وَحَدَنَكُمْ جُنُودُهُ الْأَشْقِيَاءُ
فَرَكَبْتُمْ غِمَارَ بَحْرِ خِصَمٍ هَائِجَاتُ أَمَوَاجِهِ الظَّالِمَاءُ
مَآخِرَاتُ عِبَابِهِ سُفُنُ اللّٰهِ وَرَمَاهَا أُنَى أَرَادَ الْهَوَاءُ
حَمَلَكُمْ إِلَى ضَلَالٍ بَعِيدٍ تَتَلَاشَى أَحْلَامُهُ الْخُلُقَاءُ
فَمَلِكْتُمْ مِنَ الْحَيَاةِ غُرُورًا زَيْنَتُهُ لَدَيْكُمْ الْخُلَيَاءُ
تَتَوَارَوْنَ فِي النَّزَاهَةِ وَالصَّدِّ قِيَامُ بَسْتَرِ الْإِنَاءِ الطُّلَاءُ
وَتَقِيمُونَ لِلنِّفَاقِ صُرُوحًا شِدَّتِهَا الْمَطَامِعُ الْجُوفَاءُ
وَتُبِيحُونَ لِلخُمُورِ مَجَالًا مَا أُيْحَتِ مِنْ أَجْلِ الصَّهْبَاءِ
قَدْ تَنَاهَى فِيهِ الْفُجُورُ وَأُخْجَى وَالْفَوَاقِي عَقُولُنَّ هَوَاءُ
وَسَلَبْتُمْ بِهِ عَقُولَ الْفَوَاقِي مِنْهُ يَبْكِي وَيَسْتَفِيثُ الْحَيَاءُ
فَقَضَيْتُمْ عَلَى الْعَفَافِ وَجْهًا زَالَ مِنْهُ الْحَيَاءُ زَالَ الْمَاءُ
إِنَّمَا الطُّهْرُ لِلنَّفُوسِ جَمَالًا فَإِذَا ضَاعَ زَالَ عَنْهَا الْبَهَاءُ
سَهَّلَ الْمَالُ كُلَّ غِيٍّ لَدَيْكُمْ فَلَمَّوْثُمْ بِهِ فَحَمَّ الْقَضَاءُ
إِنَّمَا الْمَالُ قُوَّةٌ فَتَنَّتْكُمْ فَضَحِكْتُمْ وَرَاحَ يَبْكِي الْوَفَاءُ
إِنَّهُ لِلنَّفُوسِ خَيْرٌ أَخْبَارٍ فَهُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ أَوْ بَلَاءُ
حِكْمَةُ الْمَالِ أَنْ يُبَرَّ يَدِيمٌ وَتُوقَى حُقُوقُهَا الْأَقْرَبَاءُ
وَتُوَدَّى لِلوَالِدَيْنِ فُرُوضٌ وَاجِبَاتُهَا يَدُومُ الْوَلَاءُ
وَتَعْمُ الْخَيْرَاتُ كُلَّ فَقِيرٍ دَهْمَتُهُ بِشَرِّهَا النُّكْبَاءُ
إِنْ لِلْمُحْسِنِينَ أَحْسَنَ ذِكْرِي يَشْهَدُ الدَّهْرُ أَنَّهُمْ رُحَمَاءُ
خُلِقَ الْمَالُ لِلْفَضِيلَةِ ذُخْرًا وَسَلَاحًا تَسْمُو بِهِ الْعَلِيَاءُ
فَأَسَأْتُمْ فِيهِ التَّصَرُّفَ حَتَّى

ذَهَبَ الْمَالُ حِينَ كُنْتُمْ سَكَارَى وَصَحَوْتُمْ وَقَدْ عَفَا الْإِغْوَاءُ
 قَدْ رَفَعْتُمْ عَنِ الْحَيَاءِ قِنَاعًا وَغَفَوْتُمْ حَتَّى اخْتَفَى ذَا الْبَطَاءِ
 أَيُّهَا الْجَاهِدُونَ فَضَلَ إِلَهٍ شَمَلْتَكُمْ مِنْ حِلْمِهِ النَّعْمَاءُ
 كَيْفَ يَعْصِي الضَّعِيفُ أَمْرَ قَوِيٍّ قَاهِرٍ عَادِلٍ لَهُ مَا يَشَاءُ؟
 كَمْ أَبَاحَتْ نَفُوسَكُمْ لَكُمْ الشَّ رٌّ وَكَيْفَ اسْتَطِيرَ هَذَا الْبَلَاءُ
 اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ الْمُتَّيِّبِينَ عَهْدًا أَمْ جَهِلْتُمْ بَأَنكُمْ مِنْ تُرَابٍ
 خَدَعَتْكُمْ بِسِحْرِهَا أَمْ دَفَرٍ جَرَّعَتْكُمْ سُومَهَا الرِّقَاطُ
 وَاسْتَمَاتَ عَقُولُكُمْ فَجُنِدْتُمْ خَاتَلَتْكُمْ مِنْ طَبَعِهَا الْإِغْوَاءُ
 إِنَّ فِيهَا مِنَ الْقَوَاتِنِ طَيِّفًا مِنْذُ جَاءَتْ لَادِمُ الْأَسْمَاءِ
 فَهِيَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْقَدَرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَيْسَ فِيهَا وَفَاءُ
 كُلُّ دَمْعٍ مِنْهَا يَسِيلُ عَلَيْهَا وَتَوَلَّى إِذَا تَصْعَدُ الْخَوْبَاءُ
 دَائِمًا تَسْتَرْدُّ مَا تَهَبُ الدُّ يَا كَأَنَّ كَانَ خُدْعَةُ ذَا الْعَطَاءِ
 وَعَجِيبٌ أَمْ بِغَيْرِ حَلِيلٍ عَشِقَتْهَا أَبْنَاؤُهَا التُّغْسَاءُ
 وَلَكِنَّهُمْ وَمَتَّعْتَهُمْ قَلِيلًا نَمِ ارْزَغَتْ كَأَنَّهُمْ أَعْدَاءُ
 فَطَوَّسَتْهُمْ فِي جَوْفِهَا وَأَطْمَأْنَنْتْ خَشْيَةَ الْعَارِ أَنْ يُقَالَ بِفَاءِ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ بَاطِلُ كُلِّ شَيْءٍ زَيَّنَتْهُ بِكَيْدِهَا الْهَيْفَاءُ!
 فَالْجَالُ الَّذِي سَبَّاحُ خِيَالٍ زَائِلٌ فَوْقَهُ يَحُومُ الْفَنَاءُ
 كُلُّ بَيْتٍ يَبْنَى عَلَى الدَّهْرِ مَاعٍ رَمَاهَا تَفَنَّنَ الْبِنَاءُ
 وَنَعِيمُ الدُّنْيَا الَّذِي نَالَ مِنْكُمْ مَا تَقْضَى حَتَّى تَلَاَهُ الْعَنَاءُ
 تَعْبُ النَّاصِحُونَ طَوْعًا وَكَرْهًا وَمِلَالًا أَعْيَى الطَّبِيبِ الدَّوَاءُ

لو نظرتم إلى الحقيقة يوماً
خُلِقَ الناسُ للبقاء وَجَهِلُوا
سِنَّةَ كُلِّهَا الحياة وَصَحَوْا
أَرْجَعِ السَّمْعَ للأصمِّ وصارت
وأعاد الضياءَ للعينِ حتى
ثم رَدَّ المسلوبَ من كلِّ جسمٍ
إنما عَيْشُكُمْ مَنَامٌ قصيرٌ
وكذا العمرُ والسنون خيالٌ
تتراءى لكم طَوَّالاً ولكن
ينقضى العمرُ بين عُسْرٍ وَيُسْرٍ
كلُّ مَنْ أَطْلَقَ البَصِيرَةَ بِحُثَا
فاسألوا مَنْ قَضَى ثمانينَ عاماً
لستُ أدري كيفَ انْقَضَى وكأني
كنتُ بالأمسِ لاهِياً بالتَّصَابِي
فَفَقَدَتِ الشَّبابَ حينَ دَعَانِي
إنما اللحظةُ التي أنا فيها

ما سهوْتُمْ حتى أذلَّهمَّ البلاءُ
بعد هذى الحياةِ يَفْقَى البقاءُ
فَارَقَ العَيْنَ بَعْدَهُ الإغفاءُ
تُحْسِنُ النُّطْقَ أَلْسُنُ خرساءِ
أَبْصَرَتْ مِنْهُ أَعْيُنٌ عَمِيَاءِ
عَذَّبَتْهُ الأمراضُ والأدواءُ
فيه تَشَقَّى وَتَسْعُدُ الأحياءُ
تَتَهَادَى كما يمرُّ الهواءُ
لو عَقَلْتُمْ لَزَالَ هذا انْقِفَاءُ
حُلُوهُ الْمُرُّ والهناهُ الشَّقَاءُ !
يَتَسَاوَى سُرُورُهُ والبُكَاءُ
كيفَ مرَّتْ وكيفَ زالَ الرُّؤَا؟
في مَنَامٍ أَحْلَامُهُ فَرَعَاءُ
لا أبالى بها أحاطَ الشَّقَاءُ
شَيْبُ رَأْسِي واللَّحْيَةُ البِيضَاءُ
هي عَيْشِي وليَكْفِنِي ذَا العَزَاءُ

* * *

ما الحياةُ الدنيا سِوَى دَارٍ لَهْوٍ
أو كسوفٍ قد هُدِّدَتْ بانْفِضَاضٍ
راجحاتُ قُوَى الفِطَانَةِ فيها
يُنْقَلُ الناسُ من حَيَاةٍ لِأُخْرَى
تلكَ دارٌ تدومُ فيها حَيَاةٌ

تَنْقَضِي متى تَوَارَى الضِّيَاءُ
سوفَ يَنْفَضُ بَيْعُهَا وَالشَّرَاءُ
خاسراتٌ من جَهْلِهَا الأغْيَاءُ
قَدَّرَ أَعْمَالِهِمْ يَكُونُ الْجَزَاءُ
حيثُ في هذهِ البِلَى والتَّوَّاءُ

خُلِقَ لِلْوُثِّ بَيْنَ دَارٍ وَدَارٍ
فَهُوَ بَابٌ يَحْتَازُهُ كُلُّ حَقِيصَةٍ
أَيُّهَا النَّاسُ إِن هَذِي لَدِّكَرِي
أَتُرِيدُونَ بَعْدَ هَذَا بَلَاغًا
أَيْنَ مَنْ عَمَّرُوا وَشَادُوا وَسَادُوا
أَيْنَ مَنْ زَيْنُوا الْعُرُوشَ جَمَالًا
أَيْنَ مَنْ عَزَّ مُلْكُهُمْ وَتَسَامَى
أَيْنَ مَنْ كَالَفُوا الْمَصَاعِبَ حَتَّى
أَيْنَ مَنْ دَمَّرُوا الْحُصُونَ بِبَأْسٍ
أَيْنَ مَنْ سَاقَعُوا الرِّيَّاحَ بِخَيْلٍ
أَيْنَ مَنْ جَالَدُوا الزَّمَانَ بِصَبْرِ
أَيْنَ مَنْ شَيَّدُوا الْمِهَاجِلَ حُبًّا
أَيْنَ مَنْ هَدَمُوا الْمَعَابِدَ ظُلْمًا
أَيْنَ مَنْ خَرَّبُوا الْمَدَائِنَ جَبًّا
أَيْنَ مَنْ جَاهَدُوا وَمَاتُوا كِرَامًا
أَيْنَ مَنْ كَانَ هَمُّهُمْ جَمْعُ مَالٍ
أَيْنَ مَنْ أَصْلَحُوا فَأَحْيَوْا أَنْفُسًا
أَيْنَ مَنْ أَوْقَفُوا الْحَيَاةَ لِنُصْحٍ
أَيْنَ مَنْ حَارَبُوا النُّفُوسَ بِزُهْدٍ
أَيْنَ مَنْ أَرْسَلُوا لِجَمْعِ شُعُوبٍ
لَمْ يَصِرْهُمْ مَرَّةً الْأَذَى وَبَصِيرٍ
رَفَعَ اللَّهُ ثُمَّ إِدْرِيسَ حَيًّا

مُجْتَمَعَةً بَعْدَهَا يَكُونُ التَّوَّاهُ
وَهُوَ كَأَنَّ فِيهِ الْبَرَايَا سَوَاءُ
وَعِظَاتٌ جَاءَتْ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ
فَصَلَتْهُ الشَّرَائِعُ السَّمَحَاءُ
أَيْنَ عُمَرَاتُهُمْ وَأَيْنَ الْبِنَاءُ
أَيْنَ تَبَجَّاهُكُمْ وَأَيْنَ الْبِهَاءُ
أَيْنَ سُلْطَانُهُمْ وَأَيْنَ الْعِلَاءُ
ذَلَّلُوهَا وَأَيْنَ ذَاكَ الدَّهَاءُ
مِنْ حَدِيدٍ وَأَيْنَ تِلْكَ الدَّمَاءُ
صَافِنَاتٍ تَهَابُهَا الْهَيْجَاءُ
أَيْنَ مَنْ صَاوَلَتْهُمْ النُّكْبَاءُ
وَأَحْتَرَامًا لَهَا فَعَزَّ الْبِنَاءُ
وَعُتُّوا وَأَيْنَ مَنْ قَدَّ أَسَاءُوا
رَيْنَ بَلْ أَيْنَ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ
أَيْنَ إِقْدَامُهُمْ وَأَيْنَ الْمَضَاءُ
أَيْنَ أَمْوَالُهُمْ وَأَيْنَ الثَّرَاءُ
أَوْشَكَتْ تَسْتِمِيلُهَا الْأَهْوَاءُ
أَيْنَ إِيْمَانُهُمْ وَأَيْنَ النَّدَاءُ
أَيْنَ تَقْوَاهُمْ وَأَيْنَ الْوَفَاءُ
مَرْقَتَهَا الْأَدْيَانُ وَالْخُلَطَاءُ
وَاصْلُوا الْهَدْيَ ، نِعْمَتِ الْأَنْبِيَاءِ !
حَيْثُ أَتَّخَذَتْ مَكَانَهُ الْعُلِيَاءُ^(١)

نوح

أَيْنَ شَيْخُ الطُّوفَانِ مِنْ بَعْدِ يَأْسٍ صَنَعَ الْفُلْكَ حِينَ حَلَّ الْبَلَاءُ
أَنْقَذْتَهُ وَأَهْلَهُ وَهِيَ تَجْرِي بَيْنَ مَوْجٍ جِبَالُهُ الدَّأْمَاءُ
بَرَكَاتُ الْإِلَهِ يَا نُوحَ حَلَّتْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَقْلِعِي يَا سَمَاءُ
هَذَا الرَّوْعُ بَعْدَ أَنْ قِيلَ بَعْدًا وَنَجَا الرَّكْبُ حِينَ غِيضَ الْمَاءُ
أَيْنَ هُودٌ وَقَدْ دَعَا قَوْمَ عَادٍ فَعَصَوْهُ فَحَلَّ فِيهِمْ وَبَاءُ
وَمُودُ الَّذِينَ قَدْ أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةُ الْقَهْرِ وَفُقَ مَا قَدْ أَسَاءُوا
نَاقَةُ اللَّهِ أَنْكَرُوهَا وَظَلَمُوا عَقَرُوهَا فَحَقَّتْ النَّكَبَاءُ

إبراهيم

أَيْنَ مَنْ حَطَّمَ أَهْلِيَا كُلَّ حَتَّى فَارَقَتْهَا أَصْنَامُهَا الصَّمَاءُ
أَوْقَدُوا النَّارَ فَاسْتَحَالَتْ هَبَاءُ وَمَحَلُّ تَذْوُقِهَا الْأَنْبِيَاءُ
إِنَّمَا النَّارُ لِلْعَصَاةِ عَذَابٌ وَهِيَ لِلشُّرَكِينَ بَيْتٌ أُلْجِزَاءُ
نَارُ كُونِي عَلَى خَلِيلِي بَرْدًا وَسَلَامًا وَفِي السَّلَامِ الْوِقَاءُ
وَأَرَادُوا كَيْدًا فَزَادُوا خَسَارًا حَيْثُ شَاءَ الْقَدِيرُ بِالْخَزْيِ بَاءُوا

* * *

يَا أَبَا الْخَلْقِ وَالرَّسَالَةِ وَحَى وَيَقِينُ وَمِلَّةُ وَابْتِلَاءُ
أَنْتَ خَلَقْتَ نَمَّ آلِهَةِ الْقَوَى مَرَّ جُذَاذًا وَهُمْ لَدَيْكَ سَوَاءُ
بَعْدَ أَنْ سِيلَ كُلُّهُمْ هَلْ يُرْجَوُ نَ طَعَامًا وَهَلْ يُجِيبُ الْفَضَاءُ
وَرَمَيْتَ الْكَبِيرَ مِنْهُمْ بِحُرْمٍ هُوَ فِينَا الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ
نَمَّ أَوْقَفْتَهُمْ لَدَيْهِ حِيَارَى يَتَمَارُونَ، حِينَ ضَلَّ الْمِرَاءُ
يَوْمَ لَمْ تَخْشَ غَيْرَ رَبِّكَ قَهًا رَا وَلَمْ يَنْتَقِصْكَ طِينُ وَمَاءُ

بَلْ تَقَدَّمَتْ وَالنَّوَاطِرُ حَسَرَى . وَرَفَعْتَ التَّوْحِيدَ وَهُوَ اللُّوَاءُ
 نَمْ لَمْ تَعْتَمِمْ بِأَجْنِجَةِ الرُّوحِ وَالطَّيْرِ فِي الْجَحِيمِ أَنْطَوَاءُ
 فَتَأَبَّيْتُ عَنْ سِوَى اللَّهِ غَوْنًا يَا رَسُولًا يَرَادَ مِنْهُ شِوَاءُ
 وَبِهَا كُنْتُ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ وَاللَّهُ فِي يَدَيْهِ الْعِطَاءُ
 وَاهِبُ الشَّيْخِ بَعْدَ ضَعْفٍ وَبَأْسٍ فَلَذَاتِ نَعِمَتِ الْأَنْبَاءِ
 نَمْ لَمَّا أُرِيتَ مِنْهُمْ ذَبِيحًا قُمْتَ لِلَّهِ ثُمَّ سِيقَ الْفِدَاءُ

يعقوب

أَيْنَ مَنْ وَاصَلَ الْبُكَاءَ حَزِينًا فَتَوَارَى عَنْ مُقْلَتَيْهِ الضِّيَاءِ
 يَوْمَ جَاءَهُ بِالْقَمِيصِ عِشَاءَ وَعَلَيْهِ لِلْإِفْكِ تَجْرَى دِمَاءُ
 وَأَدْعُوا كَاذِبِينَ أَنْ أَخَاهُمْ خَانَهُ الذُّبُّ وَأَعْتَرَاهُمْ بُكَاءُ
 قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ نَفُوسُكُمْ الْكِيَّةَ دَ فَصَبْرٌ وَرَحْمَةٌ وَرَجَاءُ
 كَظَمَ الْغَيْظَ بِالتَّصَبُّرِ دَهْرًا وَإِلَى اللَّهِ حَقٌّ مِنَ التَّجَاءِ
 وَدَعَا اللَّهَ وَالْهَامَا مُسْتَفِينًا خَاشِعًا قَانِتًا لِحُلِّ الرِّضَاءِ
 يَا أَبَا الْغَائِبِ الْعَزِيزِ سَلَامٌ بَعْدَ طُولِ الْفِرَاقِ أَنْ الْإِقْدَاءِ
 حِينَ رَدُّوا قَمِيصَ يَوْسُفَ فَارَةً دَ بَصِيرًا وَزَالَ عَنْهُ الْعِنَاءُ

يوسف

وَأَبْنُ يَعْقُوبَ إِذَا رَأَى الشَّمْسَ وَالْبَدْنَ رَ مَنْامًا وَلِلرُّؤْيَى فِيهِ
 وَبِمَرَامِهَا رَأَى أَحَدَ الْعَشْرِ رَ وَمَجْلَاهُ كَوَكَبٌ لِأَلَاءِ (١)
 سَجْدًا كُلُّهُمْ لَهُ وَهُوَ عَبْدٌ ذُبِحَتْ عَنْهُ سَخْلَةٌ عَجْفَاءُ
 وَتَجَلَّتْ كَانِهَا فَلَقِيَ الصُّبَّ حَجَّ لِسَبْطِ الذَّبِيحِ فِيهَا رَجَاءُ (٢)

(١) قوله أحد العشر خطأ .

(٢) سبط الذبيح : يراد به يوسف بن يعقوب بن إسحق ، وفي رواية ينسب الذبح إلى إسحق والأصح أنه لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وَنَهَاهُ عَنِ الْإِبَاحَةِ بِالسَّرِّ
هَكَذَا يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ بِالتَّائِبِ
وَرَأَوْهُ أَحَبَّ مِنْهُمْ إِلَيْهِ
وَرَأَوْا قَتْلَهُ فَقَالَ أَخُوهُ
قَالَ الْقُوَّةُ فِي غِيَابَةِ هَذَا الْجُلَّةِ
وَإِذَا بَيْعَ مَرَّتَيْنِ نَبِيٍّ
كُلُّ ضَرَاءٍ تَرْجُفُ النَّفْسُ مِنْهَا
يَا صَبِيًّا رَأَى الْكُوكَبَ فِي النَّوَى
حَكْمَةُ اللَّهِ فِي الْقَضَاءِ فَأَكْرَمَ
إِنْ زَوْجَ الْعَزِيزِ أَوْسَعُ عُذْرًا
إِذْ رَأَتْ مَشْهَدَ النُّبُوَّةِ نُورًا
وَعَزِيزٌ عَلَى الْقُلُوبِ التَّجَنِّي
غَيْرَ أَنْ الْحَيَاءُ أَدْنَى إِلَى الْإِفْ
حِينَ هَامَتْ وَحِينَ هَمَّتْ رَأَيْنَا
نَفْسَهَا سَوَّلَتْ وَأَسْبَاطُنَا أَدَّ
وَكَفَى نِسْوَةَ الْمَدِينَةِ عُذْرًا

* * *

حَسَمُوا فِتْنَةَ الْجَمَالِ بِسَجْنِ
بَيْعِ بَيْعِ الرِّقِيقِ مِنْ بَعْدِ رُؤْيَا
وَبَرُؤْيَا النَّدِيمِ صَادَفَ عَهْدًا
قَالَ مَا تَعْبُدُونَ إِلَّا خَيْالًا
وَبَرُؤْيَا الْعَزِيزِ حَطَّمَ أَصْفَا
ضَمَّ مَنْ كُلُّ أَهْلِهِ أَنْبِيَاءُ
وَالِى السَّجْنِ سَيْقَ وَهُوَ بَرَاءُ
بَدَأُ الْوَعْظُ فِيهِ وَالْإِلْقَاءُ
قَلَدَتْهُ وَشَاحَهَا الْأَسْمَاءُ
دَ الْبَلَايَا فَرَاثَ الْأَلْوَاءُ

وَدَعَوْهُ وَلِلْبَرَىٰ أَحْكَامٌ واحتجاجٌ وهكذا البراءة
 قال ما بالهنَّ قطعن أيديهنَّ من قبلُ أيها الوزراء؟
 قالت الآن حصحص الحقُّ إني أنا راودته وقدَّ الرداء
 ليس لي أن أخونَ بالغيِّبِ عهدًا ثورة النفسِ في ابنِ آدمَ داء
 هي نفسي وما أبرئُ نفسي إنما النفسُ لومها إغراء
 فتلقوه طاهر اليدِ والذِّبِ لي ولاحت بأفقه الجوزاء
 وأحلته عند ذى العرشِ حقًا مَقَمَدَ الصَّدقِ نفسُهُ العصماء
 واجتباهُ لنفسه وَخَلِيقُ وابنِ يعقوبَ عندها الاجتباء
 هكذا يُصهرُ النَّصارُ لِيَصْفُو والبلايا يَتِمُّ فيها الصَّفَاء

أيوب

أَيْنَ مَنْ قَامَ الْبَلَاءُ بِصَبْرٍ وَثَبَاتٍ وَلَمْ يُفِدْهُ الدَّوَاءُ
 مَسَّهُ الضَّرُّ وَانْبَرَى الدَّاءُ يَفْرَى جِسْمَ طَوْدٍ فَانْهَارَ هَذَا الْبِنَاءُ
 صَبْرَتُهُ يَدُ التَّحُولِ خِيَالًا وَتَعَدَّى عَلَى الصَّبُورِ الْبَلَاءُ
 إِيَّاهُ أَيُّوبَ قَدْ بَرَّكَتْ سِقَامُ كَادَ يَدْعُوكَ لَوْ جَزَعْتَ الثَّوَاءُ
 كَلَّمَا ازْدَادَ كَرْبُهُ زَادَ صَبْرًا هَزَمَ الدَّاءُ حَمْدُهُ وَالثَّنَاءُ
 كَشَفَ اللَّهُ ضَرَّهُ حِينَ عَادَتْ لَرِمِيمِ الْعِظَامِ تَجَرَّى الدَّمَاءُ

شعيب

أَيْنَ مَنْ قَالَ أَهْلَ مَدْيَنَ أَوْفُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ مَنْ لَهُ مَا يَشَاءُ
 فَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا ضَعِيفٌ أَنْتَ فِينَا وَهُمْ هُمُ الضُّعَفَاءُ
 وَأَصْرُوا عَلَى الْعِنَادِ عُتُوءًا وَنُفُورًا وَلَمْ يُفِدْهُمْ دَوَاءُ
 وَأَهَانُوا شُعَيْبَ بْنْتَ نَفُوسٍ قَادَهَا الْكُفْرُ وَالْعَمَى وَالرِّيَاءُ
 فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ لَمَّا تَعَالَوْا كِبَرِيَاءَ وَحَلَّ فِيهِمْ شِقَاءُ

موسى

أَيْنَ موسى مَن جَاءَ فِرْعَوْنَ طِفْلاً
 أُودِعَ الْيَمَّ خَوْفَ بَطْشِ عَدُوِّ
 أَكْرَمُوهُ إِذْ قِيلَ قُرَّةُ عَيْنٍ
 إِنْ فِرْعَوْنَ قَدْ طَغَى وَتَعَالَى
 آلُ فِرْعَوْنَ عَذَّبُوا قَوْمَ موسى
 وَدَعَوْا رَبَّهُمْ فَأَرْسَلَ سَيْفًا
 عَزَّ قَدْرًا فِي قِصْرِ فِرْعَوْنَ حَتَّى
 ثَمَّ لَمَّا آتَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
 بَاتَ فِي مِصْرَ لِلْمَلِكِ ظَهِيرًا
 وَأَتَى الْقَوْمَ يَرْقُبُ الْأَمْنَ فِيهِمْ
 فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوَّلَاهُ عَفْوَاً
 جَاءَهُ مُؤْمِنُ الْمَدِينَةِ بِسَعَى
 فَرَّ يَدُو تِلْقَاءَ مَدِينٍ خَوْفًا
 وَعَلَى مَائِهِ تَزَاحَمَ قَوْمٌ
 مَا لَيْدَتْنِي شُعَيْبٌ عَنْهُ تَذُودًا
 فِي مَضَاءِ كَعْرَمَةِ اللَّيْثِ وَفَى
 وَدَعَاهُ شُعَيْبٌ يَجْزِيهِ أَجْرًا
 فَالْتَقَى عِنْدَهَا نَبِيَّانِ شَيْخٌ
 هَذِهِ (صَفْوَةُ) الْعَزِيزَةُ فَاهْنَأُ
 بَعْدَ عَشْرِ سَعَى فَأَنْسَ نَارًا
 إِخْلَعَ النَّعْلَ وَأَسْتَمِعَ مَا يُوحَى
 تَرَقَّبُ النَّجْمَ عَيْنُهُ النَّجْلَاهُ؟
 وَتَوَلَّى مَهْدَ الْكَلِمِ الْمَاءُ
 تَمَّ حَقًّا مَا قَدَّرَتْهُ السَّمَاءُ
 بِئْسَ عَهْدٌ أُبِيحَ فِيهِ الدَّمَاءُ
 فَاسْتَجَارَتْ رِجَالُهُمُ وَالنِّسَاءُ
 كَانَ حِصْنًا عَزَّتْ بِهِ الْأَبْرِيَاءُ
 إِذْ بَدَأَ الرُّشْدُ دَبَّتْ الْبَغْضَاءُ
 وَأُسْتَوَى حِينَ فَاضَتْ الْأَلَاءُ
 وَتَوَارَتْ أُمَامُهُ الْأَقْوِيَاءُ
 فَالْتَقَتْهُ الْجَنَایَةُ النَّكْرَاءُ
 نِعْمَةٌ مِنْهُ وَأُسْتَحِيبَ الدَّعَاءُ
 حَذَرَ الْمَوْتِ هَكَذَا النُّصَحَاءُ
 خَشْيَةُ الْقَدْرِ يَوْمَ تَمَّ الْعَدَاءُ
 وَعَنْ الْوَرْدِ أُبْعِدَ الضُّعْفَاءُ
 نِ انْكَسَارًا إِذْ هَزَّ موسى الْوَفَاءُ
 وَسَقَى وَأَتَقَى وَحَقَّ الثَّنَاءُ
 وَهُوَ مِنْ مَوْقِفِ الْأَجْبَرِ بَرَاءُ
 وَفَتَى فَنِعْمَ هَذَا الْإِلْقَاءُ
 زَانِهَا الطُّهْرُ وَالْوَفَا وَالْحَيَاءُ
 مَا رَأَاهَا حَتَّى تَعَالَى النَّدَاءُ
 وَتَجَلَّدَ لَا تَضْطَرِبُ بِهَا هَسْوَاءُ

جَانِبَ الطُّورِ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
قَالَ أَلْقِ الْعَصَا فَادْبَرَ خَوْفًا
وَتَبَدَّتْ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ
آلَ فِرْعَوْنَ قَدْ أَتَاكُمْ رَسُولٌ
قَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
حِينَ أَلْقَى عَصَاهُ خَرُّوا جَمِيعًا
شَهِدَ الْكَلْبُ أَنَّ مُوسَى رَسُولٌ
فَتَمَادَى وَجُنْدُهُ فِي ضَلَالٍ
أَدْرَكَ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكُوهُ
وَأَقْتَفَاهُ عَوْفَرُنُ وَالْجُنْدُ سَعِيًّا
وَأَجْتَبَاهُ وَفَاضَتْ النَّعْمَةُ
قِيلَ خُذْهَا تَجِدُ بِهَا مَا تَشَاءُ
يَدُ مُوسَى وَأَيْدِيهِ السَّمَاءُ
فَأَطِيعُوهُ أَوْ يَحْقِيقَ الْبَلَاءُ
ثُمَّ طَارَتْ بِالسَّاحِرِ الْأَنْبَاءُ
سُجَّدًا وَأَعْتَلَتْ صُحَاهَا ذُكَاءُ
وَتَوَلَّتْ فِرْعَوْنَهُمْ كِبْرِيَاءُ
وَعَوَّتَهُمْ بِطَيْشِهَا الْخِيَلُ
وَهَوَى بِالْعَصَا فَشَقَّ الْمَاءُ
كَانَ قَبْرًا لَهُمْ وَتَمَّ الْجَزَاءُ

قَارُونَ

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى
أَيَّنَ مَا حَازَ مِنْ كُنُوزٍ وَمَالٍ
كُلُّ مَنْ يَفْتَرِى يَنَالُ جَزَاءُ
دَبَّرَتْ نَفْسُهُ الْخَيْثُوهُ كَيْدًا
وَأَعْتَدَى ظُلْمًا غَوِيًّا كَذُوبًا
فَرَمَاهُ الْقَضَاءُ مِنْهُ بِخَسْفٍ
غَرَّهُ الْجَاهُ وَالْمَنَى وَالزَّهْوُ
خَبَّأَتْهَا فِي جَوْفِهَا الْجُرْدَاءُ
وَنَحَّ قَارُونَ هَدَاهُ الْاِفْتِرَاءُ
وَعَلَى الْحَقِّ لَا يَفُوزُ الْمِرَاءُ
وَأَسْتَفْزَتْ عُدُوَّهُ كِبْرِيَاءُ
عِزَّةٌ لِلَّذِينَ عَاثُوا وَرَاهُوا^(١)

طَالُوتُ وَجَالُوتُ

أَيُّنَ جَالُوتُ مَنْ تَعَاظَمَ بِأَسَا
أَرْضَعَتْهُ لِبَانَتُهَا الْهَيْجَاءُ
أَوْقَدَ النَّارَ ثُمَّ شَادَ حُصُونًا
لجِيوشٍ ضَاقَتْ بِهَا الْبَيْدَاءُ

(١) الصحيح : وراءوا بفتح الهزلة وضما للضرورة .

ما تَمَادَى جَالوتُ في الظُّلْمِ حتى أمر الله قَوْمَ موسى فجاهوا
 كان طالوتُ قد تَمَلَّكَ فيهم وهو بَدَنٌ وكلُّهم ضَعْفَاءُ^(١)
 فَادَهُمْ مُرْعَمِينَ نحو الضَّوَارِي جَيْشُ جَالوتَ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
 أَظْلَمَ الجَوُّ حينَ مَا جَتِ جِيوشُ وَبَدَأَ الرُّعْبُ وَأَذْلَهُمُ البَلَاءُ
 صَالَ جَالوتُ حينَ آنَسَ ضَعْفًا وَتَمَشَّتْ في جَيْشِهِ الكِبْرِيَاءُ
 أَذْهَلَ الخوفُ جَيْشَ أبناءِ إِسْرَا ثِيْلَ أَوْ كَادَ فيه يَخْفَى الهَوَاءُ
 صَاحَ طالوتُ بينهم لَا تَخَافُوا كَمْ ضَعِيفٍ دَانَتْ لَهُ الْأَقْوِيَاءُ
 وَأَنْتَبَرَى كَالْحَسَامِ يَطْلُبُ خَصْمًا لَا يُبَارِيهِ في الْوَفَى قُرْنَاءُ
 رَحِمَهُ اللهُ أَرْسَلْتُ خَلْفَ طَالُو تَ غَلَامًا قَدْ عَزَزَتْهُ السَّمَاءُ
 كَانَ هَذَا دَاوُدُ سَابِعَ رَهْطٍ أَيْنَا حَلَّ زَالَتِ النَّكْبَاءُ
 رَفَعَ النِّصْرَ حينَ صَالَ لِيَوَاءِ وَكَسَاهُ ثَوْبَ الْجَلَالِ الصِّيَاءُ
 لَمْ يُرَوِّعْهُ بَأْسُ خَصْمٍ عَنِيدٍ وَجِيَادُ مَا جَتَ بِهَا الصَّخْرَاءُ
 فَتَمَشَّى كَاللَّيْثِ يَطْلُبُ قُوْتًا ثُمَّ نَادَى جَالوتَ أَنْ الْفَنَاءُ
 وَرَمَاهُ فَخَرَّ يَهُوِي صَرِيحًا وَتَرَامَى عَلَى الْعَدُوِّ الْقَضَاءُ
 سَبَّحَ اللهُ وَهُوَ يَرَى حَصَاهُ جَاوَبَتْهُ الْقِفَارُ وَالْأَرْجَاءُ
 نَزَلَ الْهَوْلُ وَاقْتَفَتَهُمْ جُنُودُ لَمْ يَرَوْهَا وَسَالَتِ الرُّحَضَاءُ^(٢)
 تَمَّ نَصْرُ الضَّعِيفِ حينَ تَجَلَّتْ قُوَّةُ اللهِ وَاسْتَقَامَ الْبِنَاءُ

داود

أَيْنَ دَاوُدَ مِنْ أَنْابِ بَقْلِبٍ خَشْيَةَ اللهِ حَلَّ فِيهِ الْحَيَاءُ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ تَحْسِينًا عَامًا لَمْ يَشُبْ حُسْنَ صِدْقِهَا إِعْيَاءُ
 حَوْلَهُ أَوَّبَتْ جَمِيعُ الرِّوَاسِي ثُمَّ حَنَّتْ لَصَوْتِهِ الشَّمَخَاءُ

(١) بدن : عظم البدن ، وفي القرآن : « وزاده بسطة في العلم والجسم »

(٢) الرحضاء : العرق

وَكَذَا الطَّيْرُ جَاوِبَتْهُ بِشَدْوٍ رَجَعَتْ حُسْنَ شَدْوِهَا الْأَرْجَاءُ
وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ هِيَ الدَّرُوعُ رِداءُ^(١)

سليمان

أَيَّنَ مِنْ سُخَّرَتْ لَهُ الْجِنُّ وَالْإِنُّ سِ وَغَنَّتْ بِمُلْكِهِ الْجُوزَاءُ
يَأْمُرُ الرِّيحَ حَيْثُمَا شَاءَ تَجْرِي مَلِكٌ صَدْرُ تَاجِهِ الزَّهْرَاءُ
زَادَهُ اللَّهُ مَنَاطِقَ الطَّيْرِ عِلْمًا وَتَبَاهَتْ بِمُلْكِهِ الشُّعْرَاءُ^(٢)
وَرِثَ الْمُلْكَ عَنْ أَبِيهِ وَمُلْكٌ شَادَهُ الْحَمْدُ طَابَ فِيهِ الثَّنَاءُ
يَا ابْنَ دَاوُدَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحُكْمٍ كَمْ تَمَنَّتْ مَنَالَهُ الْأَكْفَاءُ
كُنْتَ فِي الْأَرْضِ خَيْرَ مَنْ حَازَ مُلْكًا يَا سَلِيمَانَ تَمَّ فِيهِ الْعَطَاءُ

يونس

أَيَّنَ ذُو النُّونِ إِذْ تَوَلَّاهُ كَرْبٌ فَاغْتَمَطَى الْفُلُكُ حِينَ طَابَ الْهَوَاءُ
وَقَفَ الْفُلُكُ بَغْتَةً حِينَ قَالُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ سَاهُوا أَوْ تَسْأُوا^(٣)
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُونُسَ يُجْزَى لاختبارٍ وَأَنْ هَذَا الْجَزَاءُ
فَرَمَوْهُ فِي الْيَمِّ وَالْحَوْتُ يَجْرِي سَاقَهُ الْوَحْيُ رَحْمَةً وَالنَّدَاءُ
ظَلَّ فِي بَطْنِهِ يُسَبِّحُ حَتَّى أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَرْزُولَ الْعَنَاءُ
فَرَجَّ اللَّهُ كَرْبَ يُونُسَ عَدْلًا وَبِهِذَا تَمَّ الرِّضَا وَالصَّفَاءُ

زكريا

أَيَّنَ مَنْ قَالَ لَا تَذَرْنِي فَرَدًّا وَهَنَ الْعَظْمُ وَأُصْغِلَ الْبِنَاءُ
يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ هَبْ لِي وَلِيًّا يَرِثُ النُّورَ كِي يَدُومَ الصِّيَاءُ

(١) لاجه لرفع كلمة رداء ، وكان يصيب لو قال : (مي الدروع الرداء)

(٢) زاد : زود

(٣) قوله تساءوا خطأ ، صوابه تساءون ، أى يقع عليكم سوء .

هَدَى الرُّوعَ وَأُبْتَهِجَ زَكْرِيَّا يَا كَفِيلَ الْعِذْرَاءِ أَنْ الْوَفَاءِ
رَحْمَةُ اللَّهِ أَكْرَمَتِكَ بِيَحْيَى نَالَ حُكْمًا مَا نَالَهُ أَبْنَاءُ

عيسى

ظَلَّ حَيًّا مَنْ كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَمِّ دِ وَطِفْلًا وَعَظَّمْتُهُ السَّمَاءِ
خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَطْهَرِ أُمِّ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهَا عِذْرَاءُ
جَاءَهَا الْوَحْيُ فَاسْتَعَاذَتْ بِرَبِّهَا نَاسٍ مِنْهُ وَدَبَّ فِيهَا الْحَيَاءُ
قَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّكَ حَقًّا فَأَحْمِلِي النُّورَ نِعْمَ هَذَا الْعَطَاءُ
فَتَوَارَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا وَأَضَاءَتْ مِحْرَابَهَا الزَّهْرَاءُ
وَأَنَاهَا لِلْخَاضِ إِذْ تَتَنَاجَى لَيْتَنِي مِتُّ أَوْ دَعَانِي الثَّوَاءُ
وَضَعْتُهُ وَالْجَذْعُ يَحْنُو عَلَيْهَا وَاسْتَنَارَتْ بِوَضْعِهَا الْأَرْجَاءُ
إِيَّاهِ أُمِّي لَا تَحْزَنِي وَأَحْمِلِينِي سَوْفَ يَبْدُو لِلْقَوْمِ هَذَا الضِّيَاءُ
فَأَتَتْ قَوْمَهَا بِهِ وَهِيَ خَجَلَى فَرَمَوْهَا بِأَنْ هَذَا بِفَاءِ
أُخْتُ هَارُونَ كَيْفَ تَرْضَيْنَ هَذَا آلُ عِمْرَانَ كُلُّهُمْ أَتَقِيَاءُ
إِنْ هَذَا بَيْتُ الْعَفَافِ قَدِيمًا كُنْتُ نَذْرًا فَكَيْفَ ضَاعَ الْوَفَاءُ
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ فَاهْتَزَّ عَيْسَى وَتَجَلَّى عَلَى الْمَسِيحِ الْإِبَاءُ
بُوعِثَ الْقَوْمُ إِذْ تَكَلَّمَ فِي الْمَمِّ دِ صَبِيًّا وَخَيَّمَ الْإِصْفَاءُ
قَالَ إِنِّي عَبْدُ رَبِّ الْبَرَاءِ أُرْسَلْتَنِي بِالْبَيِّنَاتِ السَّمَاءِ
حَمَلْتَنِي أُمِّي كَمَا شَاءَ رَبِّي فَهِيَ أُمٌّ مَا شَابَهَتْهَا نِسَاءُ
أَحْسَنَ اللَّهُ نِدْبَهَا وَأَجْتَبَاهَا وَحَبَّاهَا الرِّضَا فَنِعْمَ الْعَطَاءُ
وَأَضْطَفَاهَا عَلَى النِّسَاءِ جَمِيعًا آيَةُ الطُّهْرِ دُرَّةٌ عَضْمَاءُ
أَمَّنَ الْكُلُّ بِابْنِ مَرْيَمَ حَقًّا أَمْطَرْتَهُمْ فِي عَهْدِهِ الْآلَاءُ
كَانَ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ وَجِيهًا فَتَفَانَتْ فِي حُبِّهِ الْأَوْفِيَاءُ

منه جاءت بالخارقات عِظَاتُ
طَالَمَا أَزْبَأَ الْمَسِيحُ وَأَحْيَا
سَأَلُوهُ أَنْزِلْ عَلَيْنَا طَعَامًا
قَالَ عِيسَى : اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا
فَرِحَ الْقَوْمُ حِينَ قَالَ بِشِيرُهُ
وَتَوَالَى نَزْوُلُهَا فِي أَوَانٍ
ظَلَّ يَدْعُو عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِيهِمْ
بِئْسَ قَوْمٌ كَالُوا لِعِيسَى عَدَاءً
دَبَّرُوا لِلْمَسِيحِ كَيْدًا وَدَوْمًا
رَفَعَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْهُ عِيسَى

حَدَّثَنَا عَنْ صِدْقِهَا الْأَنْبَاءُ
حَكَمَهُ اللَّهُ نَالَهَا مَنْ يَشَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ مَا أَصْرُوا وَشَاءُوا
مَا أَرَادُوا حَتَّى يَتِمَّ الْوَفَاءُ
إِيَّاهُ يَا قَوْمُ قَدْ أُجِيبَ الدَّعَاءُ
كَانَ عِيدًا لَهُمْ وَزَالَ الْمِرَاءُ
لِلْهُدَى نَاصِحًا فَسَادَ الْوَلَاءُ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ سَفَهَاءُ
يُحِيطُ اللَّهُ كَيْدَ مَنْ قَدْ أَسَاءُوا
أَكْبَرِي الضَّيْفَ رَحِيَّ يَا سَمَاءُ

محمد صلى الله عليه وسلم

من كُنُوزِ الْبَقِيَّةِ بَدْرُ قُرَيْشٍ
خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ مَنْ بَشَّرْتَنَا
أَرْسَلْتَهُ لِلْعَالَمِينَ سَلَامًا
وَرُؤُوسًا أَسْرَى بِهِ الْحَقُّ لَيْلًا
وَبِفَضْلِ الْإِلَهِ أَحْرَزَ مَجْدًا
وَتَدَانَتْ لَهُ الصَّعَابُ وَأَنْجَى
وَأَنَارَ الْقُلُوبَ بِالْهُدَى حَتَّى
وَأَقَامَ الدِّينَ الْخَنيفَ بِسَيْفٍ
وَأَعَزَّ الْإِسْلَامَ رَغْمَ أَنْوْفٍ
رَدَّ كَيْدَ الْعَدُوِّ شَرْقًا وَغَرْبًا
عَزَّزْتَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ جُنُودًا

(أَحْمَدُ) الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ التَّهْنَاءُ
قَبْلَ مِيلَادِهِ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَأَصْطَفَاهُ الْعَلَاءُ
فَأَعَزَّتْ مِنْ شَأْنِهِ الْإِسْرَاءُ
لَمْ تَحْزُ بَعْضَ قَدْرِهِ الْأَكْفَاءُ
يَتَسَامَى إِلَى السَّمَاءِ الْبِنَاءُ
عَمَّ نَوْرُ الْهُدَى وَسَادَ الضِّيَاءُ
كُتِبَ النَّصْرُ فَوْقَهُ وَالْمَضْنَاءُ
خَيَّمَ الْكُفْرُ حَوْلَهَا وَالْعَدَاءُ
بِحْيُوشِ رَجَالِهَا أَوْفِيَاءُ
لَا يُبَالُونَ بِالْوَفَى أَقْوِيَاءُ

طاردوا المشركين من كل صوب
 وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ جَنَّاتٍ عَذْنٍ
 جَاهِدُوا بَطَانِينَ أَمَرَ نَبِيِّ
 شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَهُ وَأَجْتَبَاهُ
 جَعَلَ اللَّهُ نُورَهُ بَدْءَ خَلْقٍ
 رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ وَأَصْطَفَاهُ
 جَاءَهُ الْوَحْيُ بِالرَّسَالَةِ لَمَّا
 كَانَ لِلنَّاسِ هَادِيًا وَبَشِيرًا
 كَانَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ عِيدًا
 كَبَّرِي يَا بُدُورُ مِنْ كُلِّ بُرْجٍ
 هَاهُوَ النُّورُ يَا شُمُوسُ تَجَلَّى
 سَيِّدُ الْعَالَمِينَ خَيْرُ بَشِيرٍ
 كَوْكَبُ الْفَاتِحِينَ أَشْرَفُ بَذْرِ
 أَوَّلِ الْخَلْقِ رُتْبَةً وَمَقَامًا
 شَرَفٌ عَزَّ أَنْ يُنَالَ وَمَجْدٌ
 هِمَّةٌ جَاوَزَتْ أَقْصَى الْأَمَانِي
 مُعْجَزَاتُهُ تَحْيِيْرُ الْعَقْلِ فِيهَا
 خَيْرُ رُوحٍ حَلَّتْ بِأَشْرَفِ جِسْمٍ
 جَوْهَرُهُ خَالِصٌ تَلَالُأُ نُورًا
 رَحْمَةٌ سَاقَهَا الْمُهَيِّمِينَ لِلنَّاسِ
 أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى شَفِيعُ الْبَرَايَا
 جَامِعُ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لَوَاءِ

فَتَفَشَّى فِي الْكَافِرِينَ الْفَنَاءُ
 فَتَمَنَّوْا لَوْ أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ
 كَمْ تَفَانَتْ فِي حُبِّهِ أَتْقِيَاءُ
 فَأَضَاءَتْ بِنُورِهِ الْعَلِيَاءُ
 وَعَلَى نُورِهِ سَعَى الْخُنْفَاءُ
 وَحَبَّاهُ مِنَ الْكَرِيمِ الْعَطَاءُ
 تَمَّ مِيقَاتُهَا وَحَابَ الْوَفَاءُ
 وَنَذِيرًا لِمَنْ عَصَوْهُ فَبَاهُوا
 يَوْمَ مِيلَادِهِ وَعَمَّ النَّدَاءُ
 وَأَمْلَى الْأَرْضَ رَحْمَةً يَا سَمَاءُ
 فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْطَعُ الْأَضْوَاءُ
 قَدْ أَقَرَّتْ بِبَيْعَتِهِ الْأَنْبِيَاءُ
 صَاغَتْ سَيْفَ نَصْرِهِ الْجُوزَاءُ
 خَاتَمُ الرُّسُلِ نُورُهَا الْوَضَاءُ
 وَافْتِدَارُ وَهْبَتِهِ وَمَضَاهُ
 وَوَفَاءُ وَحِكْمَةُ وَإِبَاءُ
 لَمْ تَنْلِ بُعْدَ شَأْوِهَا أَضْفِيَاءُ
 لَمْ يُمَادِلْهُ فِي الْوُجُودِ نَقَاءُ
 لَمْ يُبَايِلْهُ فِي السَّنَاءِ صَفَاءُ
 سِ دَوَاءُ فَكَانَ مِنْهُ الشِّفَاءُ
 يَوْمَ يَشْتَدُّ كَرْبُهَا وَالْعَنَاءُ
 رَفَعَتْهُ يَمِينُهُ السَّمْعَاءُ

قَائِدُ الْمُتَّقِينَ نَحْوُ خُلُودِ
صَاحِبِ الْخَوْضِ فِي فَيْحَاتِ عَدْنِ
أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ
ثُمَّ بَاتَ فَرَضًا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ
يَا ضِيَاءَ الْأَبْصَارِ يَا بَدْرَ كَوْنٍ
يَا شِفَاءَ الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ
يَا مُنِيرَ الْعُقُولِ فِي ظُلْمَةِ الْجَهْمِ
يَا رَجَاءَ الْعَيُونِ فِي كُلِّ آفٍ
يَا مُجِيرَ النَفُوسِ مِنْ كَرْبِ يَوْمٍ
يَا سِرَاجَ الْهُدَى عَلَيْكَ صَلَاةٌ

لَمْ يُشَبَّهْ نَعِيمُهُ وَالْمَنَاءُ
يَوْمَ يَخْلُو وَرُودُهُ وَالسَّعَاءُ
سَائِرُ الْكَائِنَاتِ وَالْآلَاءُ
تَتَنَاجَى بِذِكْرِهَا الْأَوْفِيَاءُ
أَبْدَى نُجُومُهُ الْأَنْبِيَاءُ
يَا طَبِيبًا مَا غَابَ عَنْهُ الدَّوَاءُ
لِي سَلَامٌ وَرَحْمَةٌ وَوَلَاءُ
يَا عَظِيمَ الثَّنَى عَلَيْكَ الثَّنَاءُ
يُقْفَدُ الرُّشْدَ هَوْلُهُ وَالْبَلَاءُ
وَسَلَامٌ يَعُمُّ مِنْهُ الرِّضَاءُ

* * *

كُلُّ نَفْسٍ لَابِدٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
سُنَّةُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ الْبَرَايَا
إِنَّمَا الْحَيُّ يَا أَبْنَ آدَمَ فَرَدُ
وَاحِدٌ لَمْ يَلِدْ قَوِيٌّ عَزِيزٌ
عَالِمُ الْغَيْبِ لَمْ يُمَآئِلْهُ شَيْءٌ

تَبَقِينَا مَتَى دَعَاهَا الْفَنَاءُ
وَنَفَاذُ مَا أَرَادَ الْقَضَاءُ
لَمْ يُنَازِعْهُ مَا قَضَى شُرَكَاءُ
نَافِذُ الْأَمْرِ صَاحِبُ مَا يَشَاءُ
وَلَهُ وَحْدَهُ الْعُلَا وَالْبَقَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ خَالِفُوا طَيْشَ نَفْسٍ
وَاتْرَكُوا اللَّهْوَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَعَارًا
وَاْعْمَلُوا الطَّيِّبَاتِ مَا لَاحَ فِجْرًا
وَاصْنَعُوا الْخَيْرَ لِلْحَيَاتَيْنِ حَتَّى
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ فِي كُلِّ خَطْبٍ

صَرَفَتْهَا عَنِ الْهُدَى الْأَهْوَاءُ
أَنْ تَوَلَّى فِي غَيْبِهَا الْخَوْبَاءُ
إِنَّ لِلطَّيِّبَاتِ نِعَمَ الْجَزَاءِ
تَأْمَنَ النَّفْسُ إِنْ تَدَانَى الْقَضَاءُ
فَهُوَ لِلنَّفْسِ وَالْفَوَادِ الدَّوَاءُ

أُنْفِقُوا الْمَالَ فِي الْمَبْرَاتِ حَتَّى
 وَاطْلُبُوا الرِّزْقَ طَيِّبًا وَحَلَالًا
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ فَرَضًا
 وَهِيَ تَهْدِي إِلَى الْعَفَافِ وَتَنْهَى
 وَأَقِيمُوا الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ حَتَّى
 وَاجْعَلُوا الْبِرَّ وَالزَّكَاةَ شَفِيعًا
 وَأَتِمُّوا شَهْرَ الصِّيَامِ قِيَامًا
 وَأَقِيمُوا مَنَاسِكَ الْحَجِّ سَعْيًا
 حَرَمٌ طَاهِرٌ وَرُكْنٌ شَرِيفٌ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ عَظْفًا
 وَأَغْنِيُوا الْمَلْهُوفَ جودًا وَحِلْمًا
 وَاكْطُمُوا الْغَيْظَ وَاصْفَحُوا عَنْ مُسِيءٍ
 وَأَطِيعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ حُبًّا
 وَاحْذَرُوا الشَّرْكَ فَالْمُهِمِّنُ فَرْدٌ
 قَادِرٌ قَاهِرٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
 وَأَقْصِرُوا فِي الْخَطَا وَسِيرُوا الْهُوَيْنَا
 وَاغْضُضُوا الطَّرْفَ فَالْعَيُونُ شُهُودٌ
 وَاجْعَلُوا حِلْيَةَ التَّوَاضُّعِ تَاجًا
 وَازْرِعُوا الْيَوْمَ تَحْصِدُوا بَعْدَ حِينٍ
 وَصِلُوا الْعَهْدَ بِالْوَفَاءِ دَوَامًا
 وَاجْعَلُوا الْعَدْلَ إِنْ حَكَمْتُمْ شِعَارًا
 وَاذْكُرُوا الْمَوْتَ بَيْنَ آنٍ وَآنٍ

لَمْ يُهْدِّدْهُ بِالنَّفَادِ الْفَنَاءِ
 فَإِذَا طَابَ عَزٌّ مِنْهُ الْبِنَاءُ
 فَهِيَ لِلْقَلْبِ وَالْيَقِينِ الضِّيَاءُ
 كُلَّ نَفْسٍ طَاشَتْ بِهَا الْفَحْشَاءُ
 لَا يَقُولُ الْكِرَامُ ضَاعَ الْوَفَاءُ
 يَوْمَ تَجْرَى بِالْمَوْقِفِ الرُّحَصَاءُ
 إِنَّ قُرْآنَ جَفْرِهِ لَأَلَاءُ
 حَوْلَ بَيْتِ عِمَادَةِ الْعُلِيَاءِ
 وَحَطِيمٌ وَكَعْبَةٌ وَلِوَاءُ
 وَحَنَانًا نِعِمَّتِ الرُّحَمَاءُ
 وَأَطْمَئِنُّوا فَلَا يَضِيعُ الْجَزَاءُ
 وَاذْكُرُوا عَذْلَ مَنْ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ
 وَاتَّقُوا يَوْمَ لَا يُفِيدُ الْفِدَاءُ
 لَا شَهِيدَ لَهُ وَلَا شُرَكَاءُ
 خَالِقُ الْخَلْقِ فَاعِلٌ مَا يَشَاءُ
 فَمَعَ الْعَدُوِّ تَعَثَّرُ الشَّهْبَاءُ
 وَاكْبَحُوا النَّفْسَ فَالْكَأَلُ الْخِيَاءُ
 وَاحْذَرُوا أَنْ تَفْرُكُمُ كِبْرِيَاءُ
 وَأُبْتَنُّوا حَيْثُ لَا يَزُولُ الْبِنَاءُ !
 فَمَنْ الظُّلْمُ أَنْ يَمُوتَ الْوَفَاءُ
 وَانصُرُوا الْحَقَّ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءُ
 فَهُوَ وَرْدٌ تَجْتَازُهُ الْأَحْيَاءُ

أَيْنَ كُنْتُمْ يُذَرِّكُمْ الْمَوْتُ حَتَّى
سَارِعُوا لِلْهَدَى وَعَفُوا وَتَوَبُوا
وَاتَّقُوا النَّارَ دَارَ كُلِّ أَثِيمٍ
يَوْمَ يُدْعَى : هَلْ امْتَلَأْتِ؟ وَتَدْعُو
وَأَذْرَأُوا النَّفْسَ عَنْ سُمُومِ الْأَفَاعِي
بَادِرُوا بِالسُّجُودِ لِلَّهِ شُكْرًا
لَوْ حَوَّسَكُمْ فِي بُرْجِهَا الْجُوزَاءِ
وَأَهْدُمُوا إِيَّاكَ مَا أَدْعَى الْأَدْعِيَاءِ
فَهَوَى النَّفْسَ حَيَّةً رَقِطَاءِ
وَأَطِيعُوهُ فَالْنَعِيمِ الْجَزَاءِ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَعْبُرُوا أَسْتِمَاعًا
وَأَضْرِبُوا الْأَرْضَ بِالْخُرَفَاتِ وَأَمْشُوا
وَأَسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ غَاوٍ
قَدْ عَصَى اللَّهَ فِي السُّجُودِ فَصَبَّتْ
قَالَ رَبِّ أَنْظِرْنِي حَتَّى تُوَافِيَ
يَوْمَ تَجْرَى الْأَجْسَادُ لِلْحَشْرِ حَيْرَى
إِنِّقَ حَتَّى مِيقَاتِ يَوْمِ عَبُوسٍ
حَارِبُوهُ بِالصَّالِحَاتِ وَأَذُوا
وَاتْرَكُوا الْخَمَرَ فَهِيَ أَكْبَرُ رِجْسٍ
سَهَّلَتْ لِلنَّفُوسِ كُلِّ الْمَعَاصِي
لَقَبُوهَا أُمَّ الْخَبَائِثِ قَدَمًا
وَادْفَعُوا بِالْعَفَافِ كُلَّ حَرَامٍ
وَانشُرُوا الْعِلْمَ وَالْفَضِيلَةَ حَتَّى
وَاقْطَعُوا دَابِرَ الْفُجُورِ وَإِلَّا
لَهْرَاءُ مِمَّا أَدْعَى الْأَغْبِيَاءِ
مُطْمَئِنِّينَ حَيْثُ شَاءَ الْقَضَاءُ
وَمُضِلِّ قَدْ أَنْذَرْتَهُ السَّمَاءُ
لَعْنَةُ اللَّهِ فَوْقَهُ وَالْبَلَاءُ
مِنْ دِيَاجِي أَجْدَائِهَا الْأَشْلَاءُ
وَيُنَادِي الْقَضَاءُ أَنْ الْوَفَاءُ
قَمَطَرِيرٍ أَهْوَالُهُ صَعْقَاءُ (١)
كُلَّ فَرَضٍ يَدْعُو إِلَيْهِ الْعَلَاءُ
زَيْلَتُهُ جُنُودُهُ الْأَغْـوِيَاءُ
تَحْتَ إِغْرَامِهَا جَنَى الْأَشْقِيَاءِ
حَيْثُ مَالَتْ بِالنَّفْسِ زَالِ الْحَيَاءِ
بَيْنَتُهُ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ
تَتَوَارَى الرَّذِيلَةُ الْحَقَاءُ
تَتَمَشَّى مَعَ الدَّمِ الْفَحْشَاءُ

(١) ابق : جواب قوله « أنظرني » في البيت الأسبق .

وَابْدَلُوا النَّفْسَ فِي صَيَّانَةِ هِرْغَضٍ كَيْ يُؤَارَى عَنِ الْعِيُونِ الْبَغَاءُ
وَاجْعَلُوا الصَّدَقَ وَالْأَمَانَةَ نُورًا فِيهِ تَمَشُّونَ حِينَ يَخْبُو الصَّيَّاءُ
وَامْنَمُوا بِالثَّقَى مَطَامِعَ نَفْسٍ تَسْتَبِيهَا بِمَكْرِهَا الْأَهْوَاءُ
طَهَّرُوهَا مِنَ الذَّنُوبِ عَسَاهَا تُتَمَنَّحُ الْعَفْوُ يَوْمَ تُطْوَى السَّمَاءُ
وَتَقَانُوا فِي صُنْعِ كُلِّ جَمِيلٍ إِنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ نِعَمُ الْعَطَاءِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَأَسْمَوْا كِرَامًا وَاطْلُبُوا الْعَفْوَ يَكْتَنِفُكُمْ رِضَاءُ
وَأَمْلُوا الْقَلْبَ رَحْمَةً وَحَنَانًا وَيَقِينًا إِيْمَانُهُ لَا يُرَاءُ (١)
وَأَشْتَرُوا الْخُلْدَ بِاجْتِنَابِ الْخَطَايَا صَحْوَةُ الْعَيْشِ لِحَقَّةٍ فَالتَّوَّاءُ

* * *

يَا أَبْنَ حَوَاءٍ قَدْ خُلِقْتَ ضَعِيفًا فَلَا لَامَ الْجَهْلَةِ لَهْلَهَ الْحَقَاءُ ؟
جِسْمُكَ الْفَضُّ هَيْكَلٌ مِنْ تُرَابٍ هَيْمَنَتُهُ عَلَى الثَّرَى الْخَيْلَاءُ
سَوْفَ يَنْبَلَى مِمَّا حَبَبَتْهُ الْأَمَانِي خَاضِعَاتٍ وَمَاجٍ مِنْهُ الْهَوَاءُ
وَأَقْبَنَتْهُ الْأَسْوَدُ بَرًّا وَبَحْرًا وَالتَّقَتُّهُ الْمَوَانِعُ الشَّمَاءُ
وَبَكَتُهُ الْعِيُونُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَرَبَّتُهُ الْأُمَمُ الشُّعْرَاءُ
وَتَدَانَتْ لَهُ الْمَطَالِبُ سَعْيًا وَاسْتَنَارَتْ حَيَاتُهُ الرِّغْدَاءُ
وَأَتَانَتْ لَهُ الْمَعَالِي كُنُوزًا لَمْ تَهَبَّهَا لغيرِهِ الْعَلِيَاءُ
وَأَعَدَّتْ لَهُ الْمَوَاهِبُ حُكْمًا مَا اسْتَطَاعَتْ بُلُوغُهُ الْحُكْمَاءُ
وَتَمَشَّتْ لَهُ الْمَصَاعِبُ طَوْعًا حِينَ طَارَتْ بِمَلِكِهِ الْأَنْبَاءُ

* * *

يَنْعَمُ الْجِسْمُ بِالْخِيَاةِ قَلِيلًا ثُمَّ يَدْعُوهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَنَاءُ
فَيَلْدِي نِدَاءَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ تِلْكَ الْفَضَارَةُ الْحُسْنَاءُ

(١) لعله يريد أن يقول إن إيمانه حق لا رياء فيه .

وَيُؤَارَىٰ عَنِ الْعِيُونِ وَيَبْلَىٰ
إِنَّمَا النَّفْسُ لِلْخُلُودِ فُحْشِي
مَوْقِفٌ حَاشِدٌ وَحَشَرٌ رَهِيْبٌ
يَجْمَعُ الْخَلْقَ كُلَّ قَاصٍ وَدَانٍ
فَادَّرِعْ مَا يَقِيكَ هَوْلَ عَذَابٍ
إِنَّ تَقْوَى الْإِلَهِ أَكْبَرُ ذُخْرِ

وَهَشِيًّا تَضُمُّهُ الْقَمَلُ بَرَاءً
يَا أَبْنَ حَوَّاءَ يَوْمَ يَدْنُو الْقَضَاءُ
وَقِيَامٌ أَهْوَالُهُ فَرْعَاءُ
مَنْذَرٌ عَاشَتْ عَلَى التَّرَى حَوَّاءُ
وَأَذْخِرُ مَا يَفِرُّ مِنْهُ الْبَلَاءُ
وَهِيَ كَنْزٌ لَا يَغْتَرِيهِ الْفَنَاءُ

* * *

أَيُّهَا النَّاسُ هَذِهِ بَيِّنَاتٌ
أَوْقَفَ النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ عَلَيْهَا
نَحْذَوْهَا مِلءَ الْيَقِينِ وَوَفُّوا
هَاهُوَ الْعَقْلُ رَائِدٌ فَذَرُّوهُ
إِنْ تَكُونُوا مُصَدِّقِينَ فَأَمِّنْ
أَوْ تَكُونُوا مُكَذِّبِينَ فَوَيْلٌ
فَاسْلُكُوا مَا حَلَّ لَكُمْ مِنْ طَرِيقٍ
لَا يَرَى الظَّالِمُونَ فِيهِ سَبِيلًا
فَاسْتَقِيمُوا وَآمِنُوا وَأَطِيعُوا
وَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ تَنَالُوا
وَادْكُرُوهُ وَسَبِّحُوهُ كَثِيرًا

وَعِظَاتٌ قَامَتْ لَهَا الْخُطْبَاءُ
عَلَمَاءُ أُمَّةٍ أَنْبِيَاءُ
مَا أَمَرْتُمْ بِهِ يَحِلُّ الرِّضَاءُ
يَتَخَيَّرُ لِحَظِّكُمْ مَا يَشَاءُ
وَنَعِيمٌ وَرَحْمَةٌ وَهَنَاءُ
وَعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ وَشِقَاءُ
خَيْرُهُ النُّورُ ، شَرُّهُ الظُّلُمَاءُ
وَبِنُورِ الْهُدَى يَرَى الْأَتْقِيَاءُ
يَهْدِيكُمْ رَبُّكُمْ وَيَحُلُّو الثَّنَاءُ
أَجْرَ إِيْمَانِكُمْ وَتَرْضَى السَّمَاءُ
مَا تَغَشَّى دُجَى وَلَا حَ ضِيَاءُ

مرآة الزمن

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلْ حَتَّى فَنٍ وَأُضْبِرْ عَلَى مَا قَدْ أَصَابَكَ وَأَحْتَمِلْ
وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ ثَبَاتِكَ قُوَّةً وَانْظُرْ (لِمِرَاةِ الزَّمَانِ) بِنَظَرٍ
صَوَّرَ عَلَى إِنْسَانٍ عَيْنِكَ مَسْرَحًا مِنْ كُلِّ عَاتٍ كَمْ تَخَيَّلَ أَنَّهُ
فَطَفَى وَتَاهَ بِمُلْكِهِ مُتَأَلِّيًا كَمْ مِنْ قُصُورٍ بِالْمَظَالِمِ شَادَهَا
سَفَكَ الدَّمَاءَ وَجَارَ جَبَّارًا وَقَدْ وَمَشَى وَمَقَتُ الْكِبْرِيَاءِ يَقُودُهُ

وَأَذْكُرْ بَقَاءَ مُدَبِّرِ الْأَكْوَانِ مُرَّةَ الْأَذَى وَمَظَالِمِ الْإِنْسَانِ
تَكْفِيكَ شَرَّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ رُسِمَتْ عَلَيْهِ عَجَائِبُ الْخُذَّانِ
لَهَيْتَ بِسَاحَتِهِ ذَوُومَ التَّيْجَانِ بَلَغَ السَّمَاءَ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ
وَدَعَتْهُ عِزَّتُهُ إِلَى الْعِصْيَانِ بَاتَتْ لِسُكْنَى الْبُيُومِ وَالْفِرْبَانِ
نَسِيَ الْحِسَابَ وَهَيْبَةَ الرَّحْمَنِ وَالْعُجْبُ يَمْلَأُ سَاحَةَ الْإِيْوَانِ

* * *

يُرَوِّى لَكَ الْمَاضِىَ عَجَائِبَ مَا رَأَى فَإِذَا وَهَبْتَ لَهُ التَّأَمُّلَ لَحْظَةً
طَوْرًا تَبَاغَتْكَ الْعِظَاتُ وَتَارَةً كَمْ فِي الْعُصُورِ السَّالِفَاتِ تَمَثَّلَتْ
نُقِشَتْ عَلَى نُحُوفِ الزَّمَانِ فَسَجَّلَتْ بَيْنَا الْجِرَائِمُ يَسْتَفْرِزُكَ بِطُشُهَا
يَنْجَابُ دَيْجُورُ الْمَظَالِمِ مُسْرِعًا وَيُرَوِّقُ لِلْعَيْنِ التَّمَتُّعُ حِينًا

وَيَمُرُّ بِالذِّكْرِ عَلَى الْأَذْهَانِ تَبْدُو إِلَيْكَ شَرَّاسَةُ الْحَيَوَانِ
تُدْمَى فُوَادَكَ قَسْوَةُ الْإِنْسَانِ عِبْرٌ جَرَتْ بِالْمَدْمَعِ الْهَتَّانِ
غَضَبَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَثِمِ الْجَانِ وَالظُّلْمُ يَفْتِكُ بِالْبَرِّ الْعَانِ
وَيُلَوِّحُ فِجْرُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ تَبْدُو الْفَضِيلَةُ فِي أَجَلٍ مَعَانِ

يَصِفُ الْكَرَامَ الْعَامِلِينَ وَمَالَهُمْ
وَيُعِيدُ ذِكْرَ مَا تَرَى قَدْ سَطَرَتْ
فِي الْمَجْدِ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ سُلْطَانٍ
لِذَوِي الْإِنَابَةِ آيَةَ الشُّكْرَانِ

* * *

هَمَّ تَجَاوَزَتْ السَّمَاءَ مَكَانَةً
لَمْ يُبْلِهَا مَرَّةً الْعُصُورِ وَلَمْ تَزَلْ
تَبْقَى بَقَاءَ الْعَالَمِينَ مَصُونَةً
تِلْكَ الْكُنُوزُ الْخَالِدَاتُ بَرَاءَةً
الْبَازِلِينَ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا
وَالْعَاكِفِينَ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَالْتَقَى
بِيضُ الصَّنَائِعِ خَيْرٌ مِنْ قَدْ أَنْجَبَتْ
نُورُ تَلَاوُلًا مِنْ سَنَاءِ مَوَاهِبِ
شَهِدَتْ بِمَا لِلْمُحْسِنِينَ أُولَى النَّهْيِ
وَبِمَا أَقَامَ الْمُصْلِحُونَ مِنَ الْهُدَى
وَبِصِدْقِ عَزْمِ الْمُتَّقِينَ وَمَالَهُمْ
وَعَلَتْ عَلَى الْجُوزَاءِ وَالْمِيزَانِ
مَا عَمَّرَتْ مَرْصُوعَةَ الْبُنْيَانِ
تَزْهُو بِثَوْبِ نَضَارَةِ الرَّيْعَانِ
لِلْعَامِلِينَ بِدَعْوَةِ الْإِيمَانِ
وَالطَّالِبِينَ مَرَاجِمَ الْفُقَرَاءِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
حَوَاهٍ مِنْ أَسْمَى بَنَى الْإِنْسَانَ
سَطَعَتْ بِجَوْهَرِ أَطْهَرِ الْأَبْدَانِ
فِي الْبَرِّ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
فِي عَالَمِ الذِّكْرِ بِكُلِّ مَكَانِ
بِالزُّهْدِ مِنْ قَدَرٍ عَظِيمِ الشَّانِ

* * *

تَتَمَثَّلُ الْحُسْنَى وَمَا قَدْ خَلَدَتْ
تَبْدُو وَآيَاتُ الرِّضَاءِ تَضُمُّهَا
سِرٌّ تَمَرُّ عَلَى الْبَصَائِرِ وَالنَّهْيِ
فَيَقْبِضُ مَاءَ الْغَيْثِ بَيْنَ سَمَوِلِهَا
حَتَّى إِذَا أَزْدَهَتْ الْمُرُوجُ وَأَيَنْعَتْ
وَجَرَتْ يَنْأَبِيعُ الْحَيَاةِ وَنُورَتْ
هَذِي قُلُوبُ الْمُهْتَدِينَ وَمَا حَوَتْ
بِصَحَائِفِ التَّارِيخِ مِنْ رِضْوَانِ
لِلْخُلْدِ ضَمَّ الرُّوحَ لِلْأَبْدَانِ
مَرَّةً الْكَرِيمِ الْمُزْنَ بِالْوُدَّانِ
وَيَسُوقُ سَيْلَ الْخَضْبِ لِلْعِيدَانِ
لَعِبَ النَّسِيمُ بِمُورِقِ الْأَغْصَانِ
شَقَى الزُّهُورِ بِأَبْدَعِ الْأَلْوَانِ
بِالْهُدَى مِنْ صِدْقٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

فَدَعَ التَّعَرُّدَ يَا ابْنَ آدَمَ وَأَنَعِظْ واعلم بأنك في نعيمٍ فأن
مهما بَلَغْتَ من المَكَانَةِ وَالْغِنَى والحظِّ والإقبالِ والسُّلْطَانِ
وَتَقَرَّرْتَ مِنْكَ الْحَاسِنُ كُلَّهَا وَسَعَتْ إِلَيْكَ مَوَاهِبُ الْعِرْفَانِ
وَمَشَتْ تُحْيِيكَ الْجَنُودُ وَفَوْقَهَا رَفَعَ اللُّوَاءَ بَوَاسِلُ الْفُرْسَانِ
وَالْمَلِكُ أَقْبَلَ نَحْوَ بَابِكَ حَامِلًا بِيَدِ الْمَهَابَةِ أَنْفَسَ التَّيْجَانِ
وَأُنْقَادَتِ الْأَمَالُ حَتَّى أَصْبَحْتَ كُلُّ الْمَطَالِبِ مِنْكَ طَوْعَ بَنَانِ
وَحَسِبْتَ أَنَّكَ قَدْ تَمَلَّكَتِ السُّهَى وَأَمِنْتَ شَرَّ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ
وَنَعِيمُكَ الزَّاهِي خِيَالُ زَائِلٍ كَالْوَهْمِ حَوْلَ فُطَانَةِ الْأَذْهَانِ

* * *

بَسَمْتَ لَكَ الدُّنْيَا وَغَرَّكَ حُسْنُهَا ففَدَوْتَ عَبْدَ جَاهِلِهَا الْفَتَّانِ
وَأُنْقَذْتَ مَدْفُوعًا بِطَيْشِكَ لِلْهَوَى وَسَبَّكَ مِنْهَا سَاحِرُ الْأُجْفَانِ
سَلَبْتَ نُهَّكَ بِغِيَّهَا وَدَهَائِهَا وَرَمَاكَ سَهْمُ خِدَاعِهَا الْخَوَّانِ
مَرَّ الشَّبَابُ وَأَنْتَ مَسْلُوبُ النُّهَى تَاهُو وَتَلْعَبُ فِي صَفَا وَأَمَانِ
وَدَنَا الْمَشِيبُ مُبَاغِتًا لَكَ نَاعِيًا عَهْدَ الشَّبَابِ لِسَالِفِ الْأَرْمَانِ
فَصَحَوْتَ مَرْتَجَفَ الْفُؤَادِ مُقَلِّبًا كَفَيْكَ تَصَلَّى زَفَرَةَ النَّدْمَانِ
تَبْكِي صَبَاكَ وَكَيْفَ ضَاعَ بَهَاوُهُ وَالنَّفْسُ طَامِحَةٌ إِلَى الْعِصْيَانِ
فَيُزِيلُ دَمْعَكَ ذِكْرُ أَيَّامِ الصَّبَا وَالذِّكْرِيَّاتُ مُشِيرَةٌ الْأَشْجَانِ
تُمْسِي وَتُصْبِحُ نَادِمًا مُتَحِيرًا وَتَبِيتُ فَوْقَ مَرَاجِلِ النَّيْرَانِ
يَالَيْتَ عُغْرَكَ مَا تَقْضَى غَضُّهُ فِي اللَّهْوِ بَيْنَ الْكُأْسِ وَالنَّدْمَانِ
وَالكَاعِبَاتِ السَّاحِرَاتِ رَشَاقَةً وَاللَّاعِبَاتِ قَوَاتِنِ الْغُرْلَانِ
وَالشَّارِدَاتِ الْغَيْدِ رَبَّاتِ الْبَهَا النَّاعِسَاتِ مَرِيضَةِ الْأُجْفَانِ
وَبَوَاعِثِ الْأَنْسِ الْقَصِيرِ زَمَانُهُ مَهْمَا طَرِبْتَ لِرِقَّةِ الْأَلْحَانِ

والمُغْرِيَاتِ الصَّافِيَاتِ وما لَهَا فِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ تَحَنُّانٍ

* * *

إِنَّ الْحَيَاةَ سُرُورَهَا وَبُكَاءَهَا وَنَعِيمَهَا وَشَقَاءَهَا سِيَّانٌ^(١)
وصفاه عَيْشِكَ يَسْتَحِيلُ دَوَامُهُ وَالنَّفْسُ لَا تَخْلُو مِنَ الْأَحْزَانِ
والدهرُ لَا يَبْقَى عَلَى صَفْوِ الْمُنَى يَلْقَاكَ بَيْنَ مَخَافٍ وَأَمَانٍ
بَيْنَا يَسُوقُ لَكَ السَّعَادَةَ بِاسْمًا وَيَزِيدُ فِيكَ مَهَابَةَ السُّلْطَانِ
يَنْسَابُ كَالْأَفْعَى فَيَنْشِبُ نَابَهُ فِي أَمْنِكَ الْمُتَغَافِلِ الْوَسَّانِ
قَتَبٌ مُلْتَمَاعٍ الْفَوَادِ مُعَذَّبًا وَتَذُوقُ سُوءَ عَوَاقِبِ الْخُسْرَانِ
تَبْكِي عَلَى مَافَاتٍ مِنْ زَمَنِ الْهَنَا وَتَنْوُحُ نَوْحَ الْحَائِرِ الْوَلْهَانِ

* * *

إِذْ ذَاكَ يَنْقَشِعُ الظَّلَامُ وَيَنْجَلِي نُورُ الْيَقِينِ بَيَّظَةً الْوُجْدَانِ
فَتَذِيْقُكَ الْأَيَّامُ مَرًّا كُؤُوسَهَا لِتَعِيشَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
عَدَلًا يُبَكِّغُكَ الْقَضَاءُ جِزَاءَ مَا أَسْرَفْتَ فِي حُبِّ الْمَتَاعِ الْفَانِ
فَاقْنَعْ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادِكَ رَاضِيًا وَاهْجُرْ نَيْمًا عَادَ بِالْخُسْرَانِ
وَاتْرُكْ هَذَاكَ اللَّهُ غَيْمِكَ وَاسْتَقِمْ وَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ خَالِدَ الْبُيُوتَانِ
وَإِذَا كَرِهَ وَانَكَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى فِي الْمَفْزَعَيْنِ الرَّمْسِ وَالْأَكْفَانِ

* * *

أَيُّنَ الَّذِينَ عَنَّا لِسَطْوَةِ مُلْكِهِمْ قَاصِيَ الْمَدَائِنِ رَهْبَةً وَالِدَانِي
وَمَسَّتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ تَحْتَ لَوَائِهِمْ طَوْعًا تَحِيْطُ بِهِمْ عُنَاةُ الْجَانِ
وَبَأْمَرِهِمْ جَرَتْ الرِّيَّاحُ وَسِيرَتْ لَهُمُ الْجِبَالُ وَسُخَّرَ الثَّقَلَانِ

(١) سِيَّانُ تَقَالُ لِلْأَتْنَيْنِ وَسَوَاءٌ لَمَّا زَادَ عَنْ ذَلِكَ ، وَفِي الْبَيْتِ مِطَابَقَةٌ بَيْنَ السُّرُورِ وَالْبُكَاءِ مِنْ جِهَةٍ ،
وَالنَّعِيمِ وَالشَّقَاءِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى .

أَيْنَ الْأَكَاْسَرَةُ الَّذِينَ تَفَاخَرُوا بعروشهم وجلالة الإيوانِ
ونخامة الملك الرفيع عماده في عهد أعدلهم أنور شروانِ
أَيْنَ الْغَزَاةُ الْفَاتِحُونَ وَبَأْمُهُمْ أين الأسود قياصرُ الرومانِ
أَيْنَ الرُّؤُوسُ الْعَبْقَرِيَّاتُ الَّتِي نَزَلَتْ عَلَيْهَا حِكْمَةُ الْيُونَانِ
تلك الكنوز الغاليات شهادة لبلوغهم أقصى مدى العرفانِ

* * *

أَيْنَ الْعَمَلِيقَةُ الْعُتَاةُ وَأَيْنَ مَا تركوه من ترفٍ ومن عُمرانِ
من قوم عادٍ والعراقِ وتُبَّعِجَ وتمدّد من شقوق عَصَا الْعِصْيَانِ

* * *

أَيْنَ الْعَصُورُ الْمَذْهَبَاتُ وَمَا حَوَتْ من فِطْنَةٍ أُعْيَتْ قُوَى الْإِنْسَانِ
عهدٌ له شهيد الزمانِ عجائبًا ضنَّ الْوُجُودُ بِهَا لَعْدِ ثَانِ
نَالَتْ بِهِ مَصْرُ الْفَرِيدَةِ هَيْبَةً لجلالها قد كبر القمرانِ
عِلْمٌ يُحَارُّ الْفِكْرَ فِي تَكْيِيفِهِ بَعُدَتْ مَدَارِكُهُ عَنِ الْأَذْهَانِ
سِرٌّ أَصُولُ الْعِلْمِ فِيهِ طَلَامِيمٌ أَوْحَى بِهَا الْكُهْنُوتُ لِلْكَهَّانِ
دَرَسَتْهُ بَيْنَ هِيَائِ كُلِّ وَمَعَابِدِ متعاقدين بأغلظ الأيمانِ
حَفَظًا لِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ وَمَاهِمِ فِي الْأَرْضِ مِنْ حُكْمٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
فَأَطَاعَهُمْ شَمُّ الْجِبَالِ وَصَلْدُهَا وَالْمَاءُ لِبَاطِمٍ بِكُلِّ إِسَانِ
وَأَنْصَاعَ مُخْتَلَفِ الرِّيَّاحِ لِأَمْرِهِمْ وَمَشَتْ سِبَاعُ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ
رَصَدُوا الْكَوَاكِبَ وَهِيَ بَيْنَ بَرُوجِهَا تَجْرَى بِقُدْرَةِ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ
وَمَوَاقِعَ النِّجَمِ الْبَعِيدِ مَدَارُهُ فِي الشَّاسِعِينَ الْخُوتِ وَالْمِيزَانِ^(١)
وَالثَّقَابَاتِ الشَّهْبِ سَابِحَةِ الْفَضَا كَالْبَرْقِ بَيْنَ الْجُدَى وَالسَّرَطَانِ

(١) الخوت والميزان : يرجان معروفان ، ويريد بالشاسعين البعدين

حَسَبُوا طَوَالِحَ كُلِّ نَجْمٍ وَاهْتَدَوْا
وَتَبَيَّنُوا تِلْكَ الْبُرُوجَ وَفِعْلَهَا
فَبَنَوْا هِيَ كُلَّهُمْ عَلَى أَسْرَارِهَا
عَلِمُوا بِأَنَّ الشَّمْسَ سَيِّدَةُ الْقُوَى
وَلِكُلِّ حِسٍّ حَلٌّ تَحْتَ شِعَاعِهَا
فَالنَّبْتُ وَالْحَيَوَانُ مُتَمَتِّعُونَ لَهَا
وَالْمَاءُ لَوْلَاهَا لِأَصْبَحَ رَاكِدًا
فَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ عَذْبًا جَارِيًا
بَعَثَتْ لِسَطْحِ الْأَرْضِ أَعْجَبَ آيَةٍ
نُورًا وَنَارًا مِنْ وَهِيَجِ سَنَائِهَا
حَمَلَتْ بَحَارَ الْمَاءِ عَذْبًا طَاهِرًا
صَعَدَتْ بِهِ مَتْنُ الْهَوَاءِ كَأَنَّهُ
حَتَّى إِذَا اصْطَدَمَتْ لِسُرْعَةِ سَيْرِهَا
طَوْرًا تُنْمِزُفُهَا الرِّيحُ وَتَارَةً
فَالغَيْثُ يَكْسُو الْأَرْضَ نَوْبًا يَانِعًا
وَلَهَا عَلَى سَيْرِ الرِّيحِ قِيَادَةٌ
وَالْأَرْضُ لَوْلَاهَا لَكَانَتْ بَاقِعًا
شَادُوا لِهَيْكَلِهَا الْعَظِيمِ مَعَابِدًا
نَسَبُوا لَهَا مَجْدَ الْأُلُوهَةِ رَهْبَةً
عَكَفُوا عَلَيْهَا عَابِدِينَ وَهَدَمُوا
وَاسْتَخْدَمُوا تِلْكَ الْقُوَى لِبُغْوِهِمْ

لعجائب الأفلاك في الدوران
في مصر أم المجد والعمران
لتدوم رغم طوارئ الحداث
رمز الحياة لهيكل الإنسان
وهي النمو لسائر الأبدان
والطير بين خمائل الأغصان
عفا من الأقدار والديان
فوق السهول وفي ربأ الوديان
حففت نظام العالم الحيواني
ملا الفضاء وعم كل مكان
خنوا من الأملاح والأدران
أطواد ماس في سهول جمان^(١)
تلك الجبال هوت من الدوبان
تجتأحها قيم من الصوان
والسيل يهدي الخصب للقيمان
وعلى العناصر إمرة السلطان
جرداء خالية من السكان
مزدانة بنفاس القران
فاندك صرح عبادة الأوثان
ماشيدوا للعجل والجعران
ما لم يكن من قبل في الحسان

(١) كلمة ماس خطأ شائع وصحتها: ألماس ، وبأداة التعريف : الألماس .

تَحْتُوا بِبَاطِنٍ «مَنْبَ» أَقْدَسَ مَعْبَدٍ
صَنَعُوا لَهُ مِفْتَاحَ سِرِّ غَامِضٍ
صَانُوهُ فِي أَعْمَاقِ قَلْبٍ سَاهِرٍ
رَمَزَ الْمَهَابَةِ وَالرَّزَانَةِ وَالْحِمَى
يَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَظَرَةٍ قَدْ أَوْقَفَتْ
جَسَدَهُ حَوَى أَسْمَى الْقُوَى رَمَزاً لَهُ
هَذَا أَبُو الْهَوْلِ الرَّهِيْبُ ثَبَاتُهُ
عَهْدُوا إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الْوَادِي الَّذِي
وَاسْتَعْدَمُوا أَرْصَادَهُ لِبُلُوغِهِمْ
حَتَّى أَتَى (مِينَا) وَأَسَّسَ مُلْكَهُ

جَعَلُوهُ بَيْتَ سِرَائِرِ الْأَكْوَانِ
نُقِشَتْ عَلَيْهِ طَلَاسِيمُ السِّكِّتَانِ
لِلرَّابِضِ الْمُتَحَفِّزِ الْيَقْظَانِ
لِلصَّمْتِ فِيهِ وَلِلسَّكُونِ مَعَانِ
كَيْدَ الْعَوَادِي وَفَقَةَ الْخَيْرَانِ
جِسْمَ الْهَزْبِ وَهَامَةَ الْإِنْسَانِ
مُنْفَى الْعُصُورِ وَقَاهِرُ الْأَزْمَانِ
ضَمَّ الْكُنُوزَ غَوَالِي الْأُمْنَانِ
مَجْدًا تَعَذَّرَ عَنْ ذَوَى التَّيْجَانِ
وَطَوَى الزَّمَانَ صَحِيفَةَ الْكُتُبَانِ

* * *

أَيَّنَ الْفِرَاعَنُ الْمُلُوكُ وَأَيْنَ مَنْ
أَيَّنَ الْأَسُودُ الْفَاتِحُونَ وَأَيْنَ مَا
آثَارُهُمْ فِي مِصْرَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ
عَهْدُ الْعَجَائِبِ عَصْرُ (مَنْفِيس) الَّذِي
وَطَلَّاسِيمُ السَّرِّ الَّذِي أَهْدَى إِلَى
وَادٍ كُنُوزِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَدِيمِهِ
لَوْ أَنَّ قِيَمَتَهَا وَمَا فَوْقَ التَّرَى
أَخْفَى مَخَابِيَهَا الْعَدِيدَةَ طَلَّاسِيمُ
حُرَّاسُهُ تَرْمِي الْفَضَاءَ بِنَاطِرٍ
مَهْرَتٍ عَلَى تَحْفِ الْمُلُوكِ أَمِينَةٍ

رَبَطُوا السِّفِينَ بِمَقْلَةٍ الرُّبَّانِ
بَلَفَتْهُ مِصْرُ بِهِمْ مِنَ الْعُمُرَانِ
كَانُوا الْأُمَمَةَ فِي قُوَى الْإِمْكَانِ
قَامَتْ لِذِكْرِي مَجْدُهُ الْهَرَمَانِ
وَادِي الْمُلُوكِ سِيَادَةَ الْوُدْيَانِ
مُخْبِوَةٌ عَنْ أَعْيُنِ الْخَدَثَانِ
فِي الْوُزْنِ نَالَتْ رَجَحَةَ الْمِيزَانِ^(١)
أَسْرَارُهُ غَابَتْ عَنِ الْأُذْهَانِ
يَقِظُ تَتَبَعَ خُطْوَةَ الْعُدُونِ
مَنْ بَطْنِ مَنْبَ إِلَى رَبِّ أَسْوَانِ

(١) فِي الْوُزْنِ : أَيْ فِي الْمِيزَانِ .

وعلى القباب البيض قام أشدها
كهن حوى كنز الكنوز ولم يكن
قد هياً الكهنوت أرساداً له
تيجان بيت الملك من (ميناء) إلى
وصولج الأسد الفراعنة التي
وحلي ربّات الخدور قلائد
عزماً يؤدّي واجب التيجان
أبداً لتدركه يد الإنسان
ألقت عليه طلاسّم النسيان
ملك الوغى (سينوستريس) الثانى!
سجرت عيون قياصر الرّومان
منصودة من جوهر فتان

* * *

أئن الجابرة الملوك وبأسهم
وجاهم الأعداء جنى سيوفهم
والجو أقتم والدروع تطايرت
وجيادهم تنساب تحت عجاية
كالأسد تنقض انقضاض صواعق
تتكسّس الأشلاء تحت ركبها
لم يثنها حشد الجوع عن المنى
مها تلاحت الصفوف لردّها
وأنذك صرح حصونه وتشتتت
ومشى القضاء إلى العدو ومزقت
وتقدّم النصر المبين مصافحاً
يوم اشتداد الكرب في الميدان
تهال تحت سنابك الفرسان
من هول ما قد حلّ بالأبدان
ظلماء بين أسنة ودخان
تحتاج ما تلقاه من بُنيان
في موج بحر من نجيع قان
كلّ ولم تحفل بهول طعان
فشل العدو وباء بالخسران
أبطاله في ظلمة الوديان
يمناه قهراً راية العيصان
أبطال مصر ضياغم الميدان

* * *

في كلّ وادٍ كان ميداناً لهم
أنراً يمثل بطشهم بعدوهم
نقشوا مواقعهم على الصّوان
فكّ الجياع الأسد بالغزلان!

صَوْرًا تَدُلُّ عَلَى سَلَامَةِ ذَوَقِهِمْ وَهَيَامِهِمْ بِالْفَرْوِ وَالْعُمَرَانِ !
 دَخَلُوا الْمَدَائِنَ فَاتَّحَيْنَ وَتَعَمَّرُوا مَا هَدَمَ الْجَبْرُوتُ مِنْ بُنْيَانِ
 وَبَنَوْا مِصْرَ الْمَجْدِ رَغْمَ مَطَامِعِ لِلْفَرْسِ وَالْأَشُورِ وَالرُّومَانِ
 دَوْلٌ تَمَنَّتْ مَا مِصْرَ مِنَ الْعُلَا وَلَكُمْ تَضِيعٌ مَعَ الْغُرُورِ أُمَانِ
 قَامَتْ لِتَبْنِي الْمَجْدَ لَكِنْ خَانَهَا بَطْشُ الْأَسُودِ بِهَا وَجَهْلُ الْبَانِ
 أَيْنَ الْفَرَاغَةُ الَّذِينَ تَأَلَّهُوا فِي مِصْرَ مِنْ (خُوفٍ) إِلَى الرِّيَّانِ (١)
 زَعَمُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَلَّ بِرُوحِهِمْ نَوْرًا وَهَيَمَنَهُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ
 فَطَفَعُوا وَعَاثُوا مُفْسِدِينَ وَأَسْرَفُوا فِي الظُّلْمِ وَالْجَبْرُوتِ وَالطُّغْيَانِ
 كَفَرُوا فَمَا الْإِنْسَانُ إِلَّا هَيْكَلٌ جَسَدٌ سَيُصْبِحُ طُعْمَةً لِلدِّيدَانِ
 وَالْكِبْرِيَاءِ إِذَا تَمَكَّنَ غِيَّهَا مِنْ نَفْسِهِ دَفَعَتْهُ لِلْعِصْيَانِ
 فَهِيَ الْجُنُونُ لِكُلِّ غَرٍّ جَاهِلٍ قَدْ هَاجَهُ مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ
 أَوْفَى مَقْتُ اللَّهِ صُبَّ عَلَى الَّذِي نَسَى الْإِلَهَ وَبَاءَ بِالْخُسْرَانِ
 ظَلَمُوا وَجَارُوا وَأَسْتَبَدُّوا قِسْوَةً وَأَسْتَسْلَمُوا لِأَوَامِرِ الْكُفَّانِ
 ظَنُّوا بِأَنَّ نَعِيمَهُمْ وَهَنَاءَهُمْ فِي مُلْكٍ وَادِي النِّيلِ لَيْسَ بِفَانٍ
 وَأَسْتَعْبَدُّوهُ بِرَهْبَةٍ وَهَوَانٍ وَأَسْتَعْبَدُّوا فِي أَهْوَائِهِمْ

* * *

نَحْتُوا الْجِبَالَ وَشَيَّدُوا مِنْ صُلْدِهَا فَوْقَ الْهَضَابِ غُرَابِ الْأَوْتَانِ
 رَمَزًا (لَا مَوْنَ) الَّذِي عَكَفُوا عَلَى تَقْدِيرِهِ رَدْحًا مِنَ الْأَزْمَانِ
 وَلِجِدِ (إِيرِيس) الَّتِي ظَنُّوا بِهَا سِرَّ الْحَيَاةِ وَصَحَّةِ الْأَبْدَانِ
 وَاعْجَلْ مَنْفَ وَمَالَهُ قَدْ هَيَّكَلُوا جَسَدًا يَمَثُلُهُ بِكُلِّ مَكَانِ

(١) الريان بن الوليد ، وهو في قول بعض المفسرين العرب اسم لفرعون موسى .

(آيسُ) حياً أكرموه وميتاً
ومشت تُشيعهُ الملوكُ يحفُّهم
عبدوه في ظلِّ الحياة وبعدَها
كفروا بمن خالق الوجود وأشرُّوا
وبنوا من الصَّخر الأصم معابداً
دوراً بطن الأرض لم تجسر على
قد أودعوها ما استحال وجوده
صوراً من الذهب المصفى مثلت
وعلى الهياكل حولها تحفُّ لها
وبأبداع الصُّور الجميلة سجَّلوا
نقشاً على الصخر الذي عجز البلي
مرت به الأجيال وهو كأنه
ترمى معانيه العجيبة عن مدى
علموا بأن الروح لا تقنى وإن
والجسم يقضى في الحياة نصيبه
فيفارق الدنيا إلى الدار التي
كلُّ النفوس إلى الخلود مصيرها
قد برهن الإيضاح في تصويرهم
عن حصة الأجساد بعد رقودها
حيرى تبسُّثها القبور كأنها
هذا هو البعث الذي جحدت به
حقاً له فطِنوا ولما تأتتهم

قد جهزوه بأنفس الأكَفانِ
كهنوت منف لمدفن الثيرانِ
سجدوا لهيكله الرميم الفاني
بالواحد المتكبر الديانِ
تحت الرُّبَا وبباطن الوديانِ
تدْمِرُها يوماً يدُ الحداثِ
مهما تولى الأرض من عُمرانِ
أشباح ما عبدوا من الهديانِ
قد رُصِّعت بالدرِّ والمرجانِ
أسرار ما اعتقدوا على الجدرانِ
عن مسَّه لدقيق صنْع الباني
لم يَمُضِ بعدُ لصنعه يومانِ !
بعدُ المُفَكِّر في المصير الثاني !
عبثَ البلي بالهيكل الجسماني
حتى يحين من الحمام تداني
بسعادةٍ تلقاه أو بهـوانِ
والحظُّ موكولٌ إلى الفُقرانِ
بأدقِّ فهمٍ في أتمَّ بيانِ
وقيامها للحشر والميزانِ
سئلُ الجرادِ بهم في الوديانِ
أمَّ غوثها فتنة الشيطانِ !
رُسلٌ لتَهْدِيهم إلى الإيمانِ

ولقد رأى الحكماء أن يد البلى
ففضل تنشيز في عظام رطبة
فإذا تجرد أصلها وتطهرت
أخذ البلى بسر فينخر هيكلها
عنها فتزبا كي يرد لأصله
لا بد يوماً كل من فوق الترى
لما بدا ليقينهم ماراعهم
خافوا على أجسادهم من هول ما
فمكّنوا بالعلم من تخايلها
فحصوا كرات دم الوريد وكيف قد
وتبينوا القلب العجيب بطينه
ليحوّلا مصل الوريد إلى دم
مخثوا العظام وما حوت أدوارها
بحثاً يحار الطب في تعليله
وبقاءها عمراً طويلاً غضة
فنخاعها واللحم سر حياتها
ما غاب عنهم عنصر لم يفقهوا
لهم انطوى العلم العجيب وصرحت
فتوصلوا لنوال ما قد أمّوا

لا بد أن تسطو على الأبدان
حتى تجردّها من الديدان
من كل ما حملت من الأدران
ينهار تحت عوامل الذوبان
والترب أصل سلاله الإنسان
ذراً يسكون على مدى الأزمان
وتبينوا أن كل شيء فان
ينتأبها في وحشة الأكفان
ودم الحياة يدب في الأبدان
رد الحياة لها دم الشريان !
وأذينه في الصدر ينقبضان !
حي إذا مدار ينبسطان
في الشيب والإطفال والشبان
عرفوا به ماهية الحيوان
في قوة وسلامة ومران
وما لحفظ كيانه حضان
تأثيره في الهيكل الجفاني
بالرغم منه غوامض الكتمان
ومع الهزيمة لا تضع أمان

* * *

كانت نتيجة بحثهم أن وفّقوا
علماء بسرّ صيانة الأبدان

بعدَ الماتِ من اتَّصالِ يدِ البليِّ يوماً لتبقى آيةَ الأزمانِ
 :أَمْناً تمَوُّ بها القُرُونُ وبعدها تتعاقبُ الأحقابُ في اطمئنانِ
 وقوامها صلبٌ فتى ذابِلٌ قد غادرتهُ نضارةُ الرِّيعانِ
 ألقى السَّباتَ عليه سلطانُ الكرى وقد اختفى عن أعينِ الحُدَّانِ
 لم تنتقصهُ سوى الحياةِ ولم يكنْ باليت أحرى منهُ بالوسَّنانِ
 ترمى مناعتهُ الزمانَ بنظرةِ سَخِرَتْ بفتكِ كوارثِ العُدَّانِ
 والدهرُ يعجبُ أن سلطانَ البليِّ مكتوفةٌ بالرغمِ منهُ يدانِ
 مرَّتْ به تلكَ العصورُ وتنقضى أمثالها وقواهُ في نقصانِ
 سدُّ رهيبٌ كلِّما قدَّ همٌّ أنْ يجتازهُ لايسطيعُ تدافى
 هذا هو الأسرُّ الذي هزمتْ به حكاه مصرَ عواديَ الملوانِ
 أقصى عن الإغريق كلَّ حضارةِ وقضى على مدنيةِ الرومانِ
 ما أبعد الإنسانَ في تفكيره لو كان منصرفاً إلى العِرْفانِ
 تأتي المَواهِبُ لو تكامل نورها بالمُعْجِزَاتِ بعيدةِ الإمكانِ
 هل بعدَ تلكَ الخارقاتِ فطانةُ أو بعدَ ذِيكَ النجاحِ أمانى ؟
 أجسادُهمُ شهدتْ بقوةِ غزيمهم وثباتهمُ وبحدَّةِ الأذهانِ
 ظهرتْ لنورِ الشمسِ وهى كأنَّها لم تقضِ بعدَ الموتِ غيرَ ثوانِ !
 وكانَّ آلافَ السنى تبدلت يوماً مضى فى راحةٍ وأمانِ
 هى بيننا وتظل دهرًا بعدنا وهى التى شهدتْ نحيى الطوفانِ !
 قد أظهر التحنيطُ أعجبَ آيةِ وصلت إليها حكمةُ الإنسانِ
 عجزتْ شعوبُ الأرضِ عن إدراكه وخبا سراجُ الطبِّ فى أليونانِ

وَحَلَّتْ بِحَارُ الْعِلْمِ مِنْ أَصْدَافِهِ مُذْ كَفَّ كَوْكَبُهُ عَنِ الدَّوَرَانِ
عِلْمٌ تَوَارَى أَصْلُهُ وَتَحَجَّبَتْ أَسْرَارُهُ وَنَأَى عَنِ الْبَرْهَانِ
صَعِدَتْ مَوَاهِبُهُ السَّمَاءَ فَأَصْبَحَتْ مَمْرُوجَةً بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِ
قَدْ كَانَ إِحْدَى الْمَعْجَزَاتِ وَلَمْ يَزَلْ أُعْجُوبَةً الدُّنْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
وَكَفَى بِهِ نَفَرًا لِمِصْرٍ وَأَهْلِهَا أُمُّ الْقُرَى سُلْطَانَةَ الْوِذْيَانِ
هِيَ جَنَّةُ الدُّنْيَا الَّتِي قَدْ أُحْرِزَتْ مَا عَزَّ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ عُمْرَانِ

حله

يَا مَنْ نَفَى عَنِّي لَذِيذَ مَنَامِي مَنِي إِلَيْكَ تَحِيَّاتِي وَسَلَامِي
يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظْرَةٍ قَدْ خَلَّتُهُ مَلَكًا تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
فَوَهَبَتْهُ قَلْبِي وَكُلَّ سَعَادَتِي وَحَسِبْتُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ مَرَامِي
عَامَانٍ قَدْ مَضَيَا لِعَهْدِ غَرَامِنَا أَمْسَى بِهَا جِسْمِي أَلَيْفَ سَقَامٍ
إِنِّي سَأُشْرِحُ قِصَّتِي لَكِنَّمَا أَخْشَى دُخُولَ الْوَجْدِ طَيِّئَ كَلَامِي

* * *

قَدِمَ الرِّيعُ فِقَاضَ بِالْإِنْعَامِ وَدَرَجْتُ أَرْسَمُ لِلرُّبَى أَحْلَامِي
أَعْدَوْ عَلَى النِّيلِ الْحَبِيبِ هَنِيئَةً وَهَنِيئَةً أَرْتَادُ أَرْضَ سَلَامِ
حَتَّى نَزَلَتْ بِرَوْضَةٍ فَوَاحَةٍ هِيَ مَسْرَحُ الْفُزْلَانِ وَالْآرَامِ^(١)
حَوَتْ الْعَجَائِبَ مِنْ فَصِيلَاتِ الْفَلَاحِ وَبَدَتْ جَمَالًا فِي أَتَمِّ نِظَامِ
فَوَلَجَتْهَا وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ غَبِطَةً وَسَمِعْتُ فِيهَا صَيْحَةَ الضَّرْغَامِ!
مَا سَتَ غُصُونُ الْبَانِ طَوْعَ نَسِيمِهَا فَانْجَابَ مِنْ فَرْطِ الْهَنَاءِ ظَلَامِي
يَا نِعْمَهَا مِنْ رَوْضَةٍ فِي مِصْرٍ قَدْ جَمَعَتْ جَمِيلَ الطَّيْرِ وَالْأَنْعَامِ
تَتَسَرَّبُ الْخُورُ الْحَسَنُ لِدُورِهَا مِنْ فَاتِكَاتِ اللَّحْظِ وَالْهَنْدَامِ!
أَلْفَيْتُ فِي وَسْطِ الْحَدِيقَةِ جَوْقَةً صَدَحَتْ تُوَقِّعُ أَطْيَبَ الْأَنْعَامِ
فَرَغَبْتُ أَنْ أَبْقَى لِأَطْرِبَ مِسْمَعِي وَكَأَنَّ سَرَى بِالزَّائِرِينَ مَرَامِي
فَتَسَابَقَتْ نَحْوَ الْمَكَانِ الْكَاعِبَا تِ الْغَيْدُ يُجَذِّبُهُنَّ صَدْحُ حَمَامِ
وَتَزَاخَمَتْ حَوْلَ الْكُوعِابِ فَنِيَّةً كُلُّ لَهُ شَفَفٌ بِكَأْسِ مُدَامِي

(١) في هذا البيت والأبيات التالية يصف الشاعر حديقة الحيوان بالجيزة . ويلاحظ في هذه القصيدة بعض الأبيات الضعيفة مما يوحي بأنها من حيث موضوعها وصياغتها من أوائل نظمه .

بَيْنَا السَّهَامُ مِنَ الْعُيُونِ تَبَادَلَتْ
كُنْتُ الْوَحِيدَ بِمَعْزِلٍ عَنْ جَمْعِهِمْ
سَرْعَانَ مَا انْقَطَعَ الْخَيَالُ لِأَنْتِ
ظَنِّي تَنَازَلَ مِنْ سَمَاءِ نَعِيمِهِ
حُلُو الشَّمَائِلِ أَهْيَفُ مُتَرَبِّبٍ
يُزْرِي بِغُضَنِ الْبَانِ فِي حَرَكَاتِهِ
وَيُمَاطِلُ الطَّائِفِينَ فِي خُطَوَاتِهِ
بَهْجِ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا
رَشَاءً تَسْرِبَلُ بِالْجَمَالِ فَوْجُهُ
فَإِذَا رَأَى لِلشَّمْسِ أَوْقَفَ سَيْرَهَا
وَالْبَدْرُ يَخْجَلُ مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
أَهْدَتْهُ مُبْدِعُهُ الدَّلَالَ لِحَاطَهَا
بَاهِيَ الْحَيَا زَانَ حُمْرَةِ خَدِّهِ

* * *

مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمًا
وَمَضَتْ ثَوَانٍ خِلْتُ فِيهَا أَنْتِ
وَجَرَى يُوجِّجُ بِالْأَرِيحِ ضِرَامِي
زُرْتُ الْجِنَانِ وَحَقَّقْتُ أَحْلَامِي

* * *

بَيْنَا أَنَا فِي بَحْرِ وَجْدِي سَابِحٌ
إِذْ قَدْ تَحَوَّلَ نَحْوُ وَجْهِهِ وَجْهُهُ
وَتَحَرَّكَ قَدَمَايَ لَا أَذْرِي إِلَى
وَمَشَيْتُ مِنْ خَمْرِ الْهَوَى مُتَمَاطِلًا
أَشْتَاقُ أَنْ لَا تَنْقُضِيَ أَوْهَامِي
فَدَسَعَرْتُ فِي مُهْجَتِي آلَامِي
أَيُّ الْجِهَاتِ تَحَرَّكَتْ أَقْدَامِي !
تَمَلًّا وَلَكِنِّي بَغِيرِ مُدَامِ

دَخَلَ الْهَوَىٰ قَلْبًا خَلِيًّا لَمْ يَكُنْ
وَطَفِقْتُ لَا أَذْرِي أَحْلَمًا مَا أَرَى
وَتَحَرَّكَ قَدَمَاهُ نَحْوِي فَأَغْتَدَى
يَا نِعْمَهَا مِنْ سَاعَةٍ فِيهَا جَرَى
وَتَحَرَّكَ شَفَتَاهُ نَحْوِي وَانْحَنَى
وَرَنًا وَقَالَ : الْوَقْتُ أَرْجُو سِيدِي
فَأَجَبْتُهُ وَيَدِي تُلَاعِبُ سَاعَتِي
قَدْ مَرَّ بَعْدَ السَّتِّ عَشْرَ دَقَاقِي
فَتَلَفَّتَ الظُّبَى الْجَمِيلُ كَأَنَّهُ
وَتَلَفَّظَتْ شَفَتَاهُ : هَيَّا سَاعَتِي
وَتَحَرَّكَ يُمْنَاهُ نَحْوِي وَانْدَنَى
فَرَأَيْتُ نَجْمَ سَعَادَتِي قَدْ أَظْهَتْ
وَجَعْتُ كُلَّ قَوَايِ بِلٍ وَبَسَّالَتِي
وَتَحَرَّكَ شَفَتَايَ رَغْمَ إِرَادَتِي
وَسَأَلْتُهُ : مَا الْإِسْمُ ؟ قَالَ وَلِحَظُهُ
إِنْ شِئْتَ أَسْقِطُ سِتَّةً مِنْ مَائَةٍ
فَصَبِرْتُ حِينًا لَمْ أَذُقْ طَعْمَ الْهَدَى
وَمَضَتْ ثَوَانٍ وَالسَّكُونُ مُخِيمٌ
حَتَّى عَثَرْتُ بِمَطْلَبِي فَفَدَوْتُ مِنْ
نَادِيَتِهِ فَاهْتَزَّ تَبْهًا جِيدُهُ

يَذْرِي الْهَوَىٰ حَتَّى اكْتَوَى بَغْرَامَ
أَمْ يَقْظَةً أَمْ فِتْرَةَ الْأَوْهَامِ
قَلْبِي يَدُقُّ وَخَانَتِي إِقْدَامِي !
مَلَهُ الْحَدِيثُ نَجَاءَ طَبَقَ مَرَامِي
بِعَوَائِدِ التَّرَكِّيِّ عِنْدَ سَلَامِ
إِيضَاحِهِ إِذْ حَانَ أَخْذُ تَرَامِي !
وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي :
وَأَرَى الْغَزَالَهَ أَعْلَنْتَ بِسَلَامِ (١)
يَخْشَى هُجُومَ الْبَاطِشِ الضَّرْعَامِ !
إِنِّي أَرَى قَدْ حَانَ وَقْتُ طَعَامِي
يَنْوِي الرَّحِيلَ مَضَاعِفًا آلَامِي
أَنْوَارُهُ وَغَرِقَتْ فِي أَوْهَامِي
وَأَفَقْتُ حَالًا مِنْ لَذِيذِ مَنَامِي
كَيْمَا أَقَاوِمَ عِلَّةَ الْإِبْكَامِ
كَالسَيْفِ يَلْعَبُ فِي يَدِ الصَّمْصَمِ (٢)
هَذَا الْحِسَابُ يَجْمَلُ الْأَرْقَامِ
وَكُنْتُ قَدْ صُدَّعْتُ أَقْلَامِي
مِنْ حَوْلِنَا وَالْفِكْرُ فِي آلَامِ
طَرَبِ الْمَسْرَةِ رَاقِصَ الْأَقْدَامِ
وَكُنْتُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ بِكَلَامِي

(١) الغزالة : الشمس ، وأعلنت : يريد غرت ، وقوله بعد الست عشر دقائق : يريد أن الساعة بلغت عشر دقائق بعد السادسة . (٢) الصمصام : هو السيف أيضاً بينما يقصد الشجاع .

وَأَجَابَ وَالْإِعْجَابُ صَيَّرَ خَدَّهُ
 مَابِينَ لَوْنِ الْوَرْدِ وَالْأَعْنَامِ^(١) :
 كَيْفَ اهْتَدَيْتَ إِلَى أَصُولِ حُرُوفِهِ
 كَيْفَ اتَّصَلْتَ بِفَائِهِ وَالسَّلَامِ ؟
 مِنْ أَيْنَ تَدْرِي أَنَّهُ مِنْ أَرْبَعٍ
 قَدْ صَيَّغَ وَالتَّكْرَارَ بِالْإِلْزَامِ^(٢)
 فَأَجَبْتُهُ : هَذَا الْحِسَابُ صِنَاعَتِي
 إِنِّي أَعْلَمُ صَيَّغَةَ الْأَرْقَامِ^(٣)
 فَرَنَّا وَقَالَ : سَأَلْتُمُوهُ فَأَجَبْتُكُمْ
 وَعَلَى حَقِّ سُؤَالِ الْاسْتِفْهَامِ !
 لَكَ مَا تَشَاءُ فَمَا يَتَنَانِ وَعَشْرَةٌ
 وَأَصِفْ إِلَيْهَا اثْنَيْنِ يَا ابْنَ كِرَامِ
 وَحُرُوفُهُ سَبْعٌ أَقُولُ بِوَصْفِهَا
 إِسْمًا بِهِ قَدْ عِيلَ صَبْرُ غَرَامِي^(٤)
 وَبِهِ وَقَدْ إِنْ أَخْرَجْتَ فَاسْتَبْدَلْتُ
 بِالْيَاءِ بَعْدَ الرَّاءِ تَمْ مِ سِرَامِي
 فَتَنَبَّهَ الظُّبَى الْجَمِيلُ وَتَمَتَّتْ
 شَفَتَاهُ : صُنْ يَا ابْنَ الْخَلِيلِ زِمَامِي
 فَكَأَنِّي يَعْقُوبُ أَبْصَرَ بَعْدَمَا
 قَضَى زَمَانًا فِي بَكَا وَظَلَامِ
 وَكَأَنَّ دُرَّ حَدِيثِهِ قَدْ جَاءَنِي
 كَقَمِيصِ يُوسُفَ فَانْجَلَتْ أَيَّامِي
 وَالرُّوضُ هَبَّ بِهِ النَّسِيمُ مَبَارَكًا
 وَالطَّيْرُ أَشَدَّتْ مُنْعِشَ الْأَنْعَامِ^(٥)
 وَبَلَابِلُ الْبُسْتَانِ طَارَتْ حَوْلَنَا
 وَكَأَنَّهَا تَدْعُو لَنَا بِدَوَامِ
 وَالتَّرْجِسُ الْغَضُّ الْجَمِيلُ تَمَيَّيَلَتْ
 أَعْطَافُهُ بِالْوَرْدِ وَالْأَكَامِ
 وَتَرَاقَصَتْ أَغْصَانُهُ وَتَبَسَّمَتْ
 أَزْهَارُهُ وَعَلَا هَدِيلُ حَمَامِ
 فَوَقَفْتُ مِنْ طَرَبِ الْمَسْرَةِ حَائِرًا
 أَشْتَأَقُ حَكْمَ النِّقْضِ وَالْإِبْرَامِ
 هَذَا النَّسِيمُ وَكُلُّ حَيٍّ حَوْلَنَا
 قَدْ صَارَ يُشْبِهُ صُورَةَ الْأَصْنَامِ

(١) الغنم : زهر أحمر اللون ، جمعها على أغنام .

(٢) يريد أنه مكون من أربعة أحرف ، ويريد بالـ تكرار تكرار الفاء واللام ، ولعله يقصد الباء واللام

فيكون الاسم المراد « بلبل » وبجوعه بحساب الجمل ٦٤ وهو أقرب إلى رقم ٩٤ الذي أشار إليه في بيت سابق

(٣) يشير في هذا البيت إلى أنه كان مدرسا للحساب . (٤) يريد أن اسمه إسماعيل صبري .

(٥) الصواب : والطير شدت ، ولو قال « تشدو » لاستقام الوزن أيضاً .

هَبَّ النسيمُ فشاغلتُ حركاتُهُ
وَتَدَقَّقْتُ عَنِّي حُنُوءًا نَحْوَهُ
وَتَحَرَّكَتُ يُمْنَايَ تَلَمَّسُ زَنْدَهُ
وَاشْتَدَّ فِي خَفَقَانِهِ قَلْبِي وَقَدْ
وَحَسِبْتُ أَنِّي عِنْدَمَا صَاحَبْتُهُ
وَكَأَنَّ مُوسِيقَى الْحَدِيقَةِ خَلَفْنَا
وَالشَّمْسُ عِنْدَ مَغِيبِهَا قَدْ قَبَّلَتْ
وَالطَّيْرُ عِنْدَ فِرَاقِهِ قَدْ أَبْدَلَتْ
وَحَنًّا عَلَيْهِ الْبَنَانُ يَمْنَعُ مَشْيَهُ
عَشِيقَتُهُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ لِحُسْنِهِ
خَطَّتْ يَدُ التَّكْوِينِ فَوْقَ جَبِينِهِ
وَعَشِيقَتُهُ لَا لِلْجَمَالِ وَإِنَّمَا
مَا زَالَ يُطَرِّبُنِي بِعَذْبِ حَدِيثِهِ

* * *

خَرَجَ الْأَمِينُ عَلَيْهِ يَسْتَدْعِي لَنَا
وَخَرَجَتْ وَالْيُسْرَى تُطَوِّقُ خَصْرَهُ
شَخَصَتْ لَهُ كُلُّ الْعْيُونِ وَلَيْتَنِي
سَاعَدْتُهُ حَتَّى جَلَسْتُ جِوَارَهُ
وَعَدْتُ هُنَالِكَ صَافِنَاتُ جِيَادِنَا
وَالْجَوْ رَقَّ نَسِيمُهُ مِنْ حَوْلِنَا
وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنَّهْيِ
وَكُوكَاكِبُ الْعَلْيَاءِ زَادَ وَمِيزُهَا

سَيَّارَةً مِنْ شَارِعِ الْأَهْرَامِ !
فَكَانَهُ بَدْرٌ بَدَأَ بِظُلَامِ
ثُوبٌ عَلَيْهِ لَكِي أُرِيحَ غِرَامِي
إِيوَانُ كِسْرَى كَانَ دُونَ مَقَامِي !
مَدَّتْ مِفَاتِنَهَا كَفَرَنُجِ نَعَامِ
وَالْبَدْرُ أَجْلَى مُزَعِجِ الْأَحْلَامِ
لَعِبًا تَضِيقُ لَوْصَفِهِ أَفْهَامِي
وَاصْطَفَتْ الْخُورُ الْحَسَنُ أَمَامِي

ما زال سائقنا يسوق جِيادَهُ حتى وصلنا مَلْعَبَ الأقدامِ^(١)
فسأله إن كان يَسْمَحُ وَقْتَهُ كما أقومَ بواجبِ الإكرامِ
فَرَنَّا بلحظِ جُهُونِهِ وأجابني شكراً ولكن حانَ وقتُ منامي

* * *

فَرَأَيْتُ أَنْ وَجَبَ الوصولُ لِدارِهِ حتى أَفُوزَ بِصُحْبَةِ وَتَدَانِي
قَصْرُ بِمصرَ على الولاءِ مُشِيدٌ بيت الكرامِ لِقاصِهَا والداني^(٢)
تَلْتَفُّ حولَ فنائه فيحاه قد عبت بسرُّ الوَرْدِ والرَّيْحَانِ
غناه نبسم والزهورُ تَزِينُهَا كقلائدِ الياقوتِ والمرجانِ
والطيرُ كانَ صغيرُهُ يدعو إلى تحريكِ أعطافِ لِفُصْنِ البنانِ
وَخَرِيرُ أَفْوَاهِ الجداولِ شاركت أنعامَ طَيرِ الرَّوْضِ في الألحانِ

* * *

وَلَجَّ العزيرُ عَرِينَهُ من بَعْدِ أَنْ أَهْدَى سلاماً ضاع فيه بياني
والبدرُ أسفرَ والزهورُ تَبَسَّمَتْ واستقبلته شقائق النُعمانِ
نطقَ اللسانُ مُتَرَجِّماً عن مُهَجَّتِي : سِرُّ في سلامٍ دائمٍ وأمانِ !
يا أيها البدرُ الذي عَنَى نَأْيَ ترعاك عَيْنُ عنايةِ الرحمنِ
إن كنتَ قد أَظْلَمْتَ جَوْ مَسَرَّتِي فكذلكَ شَأْنُ البدرِ في الدَّوْرانِ
صبراً فَوادى كُلُّ بَعْدٍ يَنْقُضِي والدهرُ ضِدَّ رَغائبِ الوُلْهَانِ

* * *

غَادَرْتُ ذاكَ القصرَ أَحْسَدُهُ عَلَى سِحْرِ به يُزْرِى بِسِحْرِ بياني
وقفَلْتُ مُكْتَنِباً أَحِنُّ إِلَى الذي مَلَكَ الفؤادَ بِلَحْظِهِ الْفَتَّانِ

(١) نعله يريد ملعب كرة القدم بالجزيرة . (٢) قول قاصها : خطأ ، والصحيح : قاصها .

سُبْحَانَ مَنْ زَرَعَ الْوَرْدَ بِمَخْدِهِ
مَنْ لِي بِدَمْعِي كِي أُرَوِّيَهَا بِهِ
سِيَانٍ فِي حُلْمٍ أَرَى أَمْ يَقْظَةٍ
وَقَضَيْتُ دَاجِي لَيْلَتِي مُتَقَلِّبًا
يَهْفُو النَّعَاسُ بِمُقَلَّتِي فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
بَادَرْتُ حَالًا بَارْتِدَاءً مَلَابِسِي
وَالشَّمْسُ قَدْ نَشَرَتْ ذَوَائِبَ شَعْرِهَا
فَفَرَجْتُ نَحْوَ الْقَصْرِ أَذْكَرُ مَا مَضَى
وَأُرَاقِبُ الظُّبَى الْغَرِيرَ لَعَلَّهُ
وَمَضَى طَوِيلُ الْوَقْتِ حَتَّى خِلْتَنِي
بَيْنَا أَنَا وَالْجَوْهُ حَوْلَى مُعْتَمٍ
فَتَحَوَّلَتْ عَنِّي السَّكَابَةُ وَأَعْتَلَتْ
وَرَأَيْتُ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ يَدْعُو إِلَى
غُصْنَيْنِ بَيْنَهُمَا مَهَابَةٌ قَدْ بَدَتْ
كَسَفَتْ جَمَالَ الشَّمْسِ وَجَنَّتْهَا وَمَا
فَاقَتْ غَزَالَ الْأَمْسِ عَشْرَ مَرَّاحِلٍ
وَالثَّوْبُ لَمْ يَحْجُبْ خَفَايَا جِسْمِهَا
بَاحَ الْقَمِيصِ بِسِرٍّ مَكْنُونِ الْهُوَى
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الْقَمِيصَ وَلَيْتَنِي
حُورِيَّةٌ ضَمَّ الْوِشَاحُ قَوَامَهَا
سَلَّتْ صَوَارِمَ لَحْظِهَا مِنْ غِنْدِهَا

وَجَلَّتْ سَنَاها زَهْرَةُ الرُّمَّانِ
حَتَّى تَضَاعَفَ حُسْنُهَا نِيرَانِي
دَاجٍ إِلَى خَدِّ الْحَبِيبِ دَعَانِي
حَيْرَانَ لَا يَهْوَى الْكَرَى أَجْفَانِي
طَيْفٌ يُجَدِّدُ ذِكْرُهُ أَشْجَانِي
شَمْسُ الضُّحَى تَزْهَوُ عَلَى الْأَفْنَانِ
وَخَرَجْتُ أَقْصِدُ مَسْرَحَ الْغُزْلَانِ
تَكْسُو الرُّبَى حُلًّا مِنَ الْأَلْوَانِ
وَأَعْلَلُ الْأَمَالَ بِالْوِجْدَانِ
يَنْسَابُ بَيْنَ مَعَاوِلِ الْوُدْيَانِ
فِي مِرْجَلٍ وَالْجَوْهُ أَحْمَرُ قَانِ
عَصَفَتْ رِيَّاحُ صَبَا الْحَبِيبِ الْجَانِ
وَجَهَى الْمَسْرَّةُ وَانْجَلَتْ أَحْزَانِي
نَظْمُ الْقَرِيضِ يَحَارُّ فِيهِ الْبَانِي
فَتَنَّتْ قُلُوبَ الْحُورِ وَالْوُلْدَانِ
لِلْبَدْرِ ضَوْؤُهُ جَبِينِهَا الْفَتَّانِ
وَعَلَتْ تُشَاهِدُ دَارَةَ الْمِيزَانِ
غُصْنًا تَرَبَّعَ فَوْقَهُ نَهْدَانِ
فَجَلَا سَنَا فُجْرٍ أَضَاءَ عِيَانِي
كَانَ الْمُعَذِّبُ فِي الْغَرَامِ مَكَانِي
فَكَأَنَّهَا وَوِشَاحُهَا قَمَرَانِ
فَسَطَّتْ عَلَى الْأَسَادِ وَالْغُزْلَانِ

وَتَبَسَّمتْ عَنْ لَوْلُوٍ مُتَمَنِّعٍ (مَرَجَ التُّهَى بِمُحَرِّينِ يَلْتَقِيَانِ) (١)
 تَرَكْتَهُ لِلْعُشَاقِ يَلْسِبُ خَدَّهَا وَاصْبُوتِي مِنْهُ بِأَحْمَرَ قَانِ
 خَدُّكَ يُرِيكَ نَعِيمَهُ فِي نَارِهِ يَأْمَنُ يَرَى الْفِرْدَوْسَ فِي النَّيِّرَانِ !
 تَرْنُو لَوَاحِظُهَا إِلَى عُشَاقِهَا فَتَصُولُ فِي أَحْسَائِهِمْ كَيْمَانِ
 صَاغَ الْجَمَالَ جَبِينَهَا مُتَعَبِّدًا (فَأَنَّى كَبِسِمَ اللَّهِ فِي الْعُنُونِ)
 شَخَّصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةً وَتَرْفَعَتْ عَنْ رُؤْيَا الثَّقَلَانِ (٢)
 وَعَلَتْ إِلَى الْجَنَّاتِ تَطْلُبُ أَنْ تَرَى هَلْ فِي السَّمَاءِ لَهَا شَيْبَةٌ ثَانِ

* * *

فَحَسِبْتُ أَنِّي عُدْتُ أَحْقَابًا إِلَى عَهْدِ الْخُرَافَةِ أَعْصَرَ الْيُونَانِ
 وَعَجِبْتُ حِينَ رَأَيْتُهَا قَدْ شَابَهَتْ تَمَثَّلَ (أُورَانِيَا) عَظِيمَ الشَّانِ
 وَجَرَى بِهَا نَبْتُونٌ يَسْبَحُ فِي الْفُضَا وَغَدَتْ لَهَا الْأَفْلَاكُ طَوْعَ بَنَانِ
 وَكَأَنَّ (كَالِينُو) تَغَارُ لِأَنَّهُمَا مَلَكَ الْجَمَالِ إِلَهَةُ الْأَغْصَانِ
 لَكِنَّا (جُوبِتِيرُ) تَخْشَى بَطْشَهُ فَهُوَ الْمُنْظَمُ خُطَّةَ الْأَكْوَانِ
 صَدَرَتْ أَمْرُهُ إِلَى الْأُلَى بَأَن تَبَقَّى تَرَاقِبُ دِقَّةِ الدَّوَرَانِ
 وَأَشَارَ لِلْآخَرَى إِلَى الْأَرْضِ أَهْبِطِي كَيْ تَظْهَرِينَ مُحَاسِنَ الْإِنْسَانِ (٣)
 وَعَلَا وَكُلُّ الْكَائِنَاتِ مُطِيعَةٌ رَغْمَ الْأُنُوفِ إِطَاعَةَ الْعِبْدَانِ

* * *

هَبَّ النَّسِيمُ فَأَقْشَعَتْ حَرَكَاتُهُ سِنَّةَ الْخَيَالِ وَغَدَتْ لِلْوُجْدَانِ
 فَوَجَدْتَنِي مَازِلْتُ أَفْتَحِمُ اللَّطَى وَالشَّمْسُ هَزَّ لَهْيُهَا أَرْكَانِي
 وَالرَّمْ يُظْهِرُ أَنَّهَا قَدْ لَاحَظَتْ أَنِّي أَصِبتُ بِسَهْمِهَا الْخُفَّانِ

(١) في البيت تضمين على عادة الشاعر .

(٢) الصواب أن يقول : الثقلين . (٣) الصواب أن يقول : كي تظهرى .

فَكَسَا الْحَيَاءُ وَرُودَ خَدَّيْهَا دَمًا ومشت وذيلُ فيصمها يرعاني
وَتَمَايَلَتْ كَالْفُضْنِ حَرًّا كُهُ الصَّبَا وَتَسَرَّتْ عَنْ نَاطِرِي وَعَيَانِي
نَاحَتْ لَهَا الْوَرَقَاءُ عِنْدَ فِرَاقِهَا وَأَحَاطَ جَيْشُ اللَّيْلِ بِالْبُسْتَانِ
وَبَقِيَتْ كَالْتِمَالِ لَيْسَ بِخَوْفِهِ قَلْبٌ يَذُوقُ بِفِرْقَةٍ وَتَدَانِي
لَمْ أُسْتَطِعْ تَحْرِيكَ أَعْضَائِي وَلَمْ يَحْسُرْ عَلَى نُطْقِ الْكَلَامِ لِسَانِي
لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَقْيَالٍ لَمَّا هَامَ الْمُلُوكُ بِبَهْجَةِ التَّيْجَانِ
وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ عَابِدٍ أَلِفَ السُّجُودَ مَحَبَّةَ الْغُفْرَانِ
لَرَنَّا لِطَلْعَتِهَا وَأَلْهَاءَ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ آيِ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
أَنَا لَمْ أَكُنْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَلَيْسَ لِي أَمَلٌ بَأَنْ أَغْدُو وَحِيدَ زَمَانِي
لَكِنَّمَا مَا حِيلَتِي وَالسَّهْمُ قَدْ رَاشَ الْفُؤَادَ وَبَاتَ طَيِّ جَنَانِي
هَذَا جَزَاءُ فَتَى تَلَاعَبَ بِالْهَوَى فَاعْتَاضَ حُلُوَ الْعَيْشِ بِالْأَحْزَانِ

* * *

وَوَظَلَّتْ أُتُنْظَرُ الْغَزَالَ وَإِنَّمَا نَارُ الْغَزَالَةِ أَحْرَقَتْ أَبْدَانِي
وَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ تَكُونُ شَقِيقَةً لِلْبَدْرِ أَمْ هَذَا مَلَاكٌ ثَانٍ
ظَهَرَ الْغَزَالُ وَتُغَرُّهُ مُتَبَسِّمٌ سَرْعَانَ مَا يَمِينِيهِ حَيَّانِي
(هَجَمَ السَّرُورُ عَلَىَّ حَتَّى أَنَّهُ مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي)
لِلَّهِ مَا أَبْهَى جَمِيلَ رِدَائِهِ ثَوْبٌ يُغَازِلُ خَلَّةَ السُّلْطَانِ
لَوْ أَنَّ كِسْرَى كَانَ فِي أَيَّامِهِ لِأَخْتَارِهِ خِلَافَةَ الْإِيوَانِ
مَدَّ الْيَمِينَ مُصَاحِفًا وَمُصَبِّحًا خِلْتُ الثَّرِيًّا عَلَّقْتُ بِنَتَانِي
صَاحْتُهُ وَضَغَطْتُ بِالْيُسْرَى عَلَى قَلْبِي أَخَفَّفُ وَطْأَةَ الْخَلْفَانِ !
وَسَأَلْتُهُ مَاءَ لِأُطْفِئَ مَا بَدَا فِي الْقَلْبِ مِنْ ظَمَأٍ وَمِنْ نِيرَانِ
فَأَشَارَ نَحْوَ الْقَصْرِ ثُمَّ تَلَهَّيْتُ وَجَنَاتِهِ كَعَشِيقِ بِنْتِ الْحَانِ

وَأَفْرَحْتِي لَوْ تَسَمَّحَنَ بِيَارِقِي
نَقَضِي قَصِيرَ الْوَقْتِ حَتَّى يَنْقَضِي
فَتَحَرَّكَتُ قَدَمَايَ تَتَّبِعُ سَيْرَهُ
وَوَلَّجْتُ دَاراً بِالْجَمَالِ تَسْرِبَلْتُ
مَا أَمَّهَا لَيْلٌ وَلَمْ تَذَرِ الدُّجَى
وَجَلَسْتُ أَرْشُفُ كَأْسِ حُبِّ طَاهِرٍ
وَخَلَوْتُ بِاللَّطْفِ الْجَمِيلِ وَبَيْنَنَا
طَوْرًا نُكَلِّمُ بِالشِّفَاهِ وَتَارَةً
مَا كَانَ أَشْهَى خَلَوْتِي بِمَسَامِرِي

* * *

غَابَ الْعَوَازِلُ وَالْوُشَاةُ وَلَمْ يَكُنْ
لَوْ أَعْتَقَدْتُ بِأَنَّهُ وَاشٍ بِمَا
وَلَكِنُ وَشَى لِلزَّهْرِ مَا مِنْ زَهْرَةٍ
خَفَّتِ النَّسِيمُ يُذْبِعُ أَسْرَارَ أَهْوَى
فَسَأَلْتُهُ كَيْتَمَانَ مَا قَدْ لَاحَظْتَ
فَأَجَابَنِي خَفْضُ عَلِيكَ وَلَيْتَنِي
وَجَرَى يَقْبَلُ وَجَنَّتِيهِ وَيَنْتَنِي
فَتَبَوَّدَلَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَازِلِي
يَهْفُو الْفَوَادُ لَوْعَهَا فِيرُدُّهُ
مَا أَسْعَدَ أَوْلَهَانَ حِينَ يَضُمُّهُ
يَالَيْتَهَا كَانَتْ تَدُومُ وَلَيْتَنِي
سَرَّعَانَ مَا تَجَرَّى أَوْيَقَاتُ الْهَنَاءِ

بِالسَّرِّ يَعْلَمُ غَيْرُ غُصْنِ الْبَانِ
قُلْنَا لَصُنْتُ السَّرَّ بِالْكِتْمَانِ
إِلَّا بَعَيْنَ صَبَابَتِي تَرَعَانِي
وَيَبُوحُ بِالْمَكْنُونِ مِنْ أَشْجَانِي
خَطَرَاتُهُ وَالسَّمْعُ وَالْعَيْنَانِ
كَهْفُ أَعْوُكَ طَارِيءُ الْخَدَّائِنِ
يُهْدِي إِلَى قَلَائِدِ الْعَقِيَانِ
قَبْلُ يَقْطَعُهَا غَرَامُ هَانِي
بِاللُّطْفِ صَوْتُ الطُّهْرِ وَالْإِيمَانِ
بَيْنَ الْمُحِبِّ بِخُلُوعٍ وَأَمَانِ
قَبْلُ أَنْقِضَاهَا كُنْتُ فِي الْأَكْفَانِ
وَمِنْ الْمَحَالِ يَدُومُ وَقْتُ تَدَانِي

نوديتُ والظبيَ الجليلَ : تَفَضَّلَا يدعوكا الطاهي إلى الألوَانِ !
بِئْسَ النداءُ فقد حُرِّمْنَا خُلُوءَ كَانَتْ دَوَاءً لِلْفُؤَادِ المَانِي
مَا كَانَ أَقْصَرَ مُدَّةً أَنْسَتْ بِهَا مِنْهُ الْعُيُونُ فَكَانَ وَضَلَّ غَوَانِي
كَرَّتْ وَلَكِنْ لَمْ تَطْلُنْ فَكَأَنَّمَا طَيْفُ الْخِلْيَالِ يَلْدُ لِلْوَسْنَانِ

* * *

لَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَفِي تَمَنَّا لَهَا لَبَدَلْتُ أَيَّامِي لَهَا بِشَوَانِي
أَوْ أَنَّ عَمَرَ المَرءِ طَوَّعَ بَنَانَهُ لَجَعَلْتُهَا عُمُرِي وَقُلْتُ كَفَانِي

قصائد اجتماعية ووجدانية

حرب طرابلس^(١)

التَّاجُ أَثْبَتُ مِنْ رَضْوَى يُحِيطُ بِهِ	جيشٌ على الحقِّ مكتوبٌ له الظفرُ
اللهُ يَحْرُسُهُ وَالَّذِينَ يَنْصُرُهُ	كأنَّه كوكبٌ يسمو له النظرُ
يَا آلَ عُمَانَ لَا زِلْمَ بِمَنْعَتِكُمْ	تَعْنُو الْمُلُوكُ لَكُمْ وَالَّذِينَ يَفْتَخِرُ
وَالْغَرْبُ يَعْرِفُ يَوْمَ الْحَرْبِ بِطُشْكُمُ	بقوَّةِ الله لا يُبْقَى وَلَا يَذَرُ
لَكِنْ تَجَاهَلْتَ الظُّلُمَانَ قَدَّرَكُمُ	فَأَصْبَحَ الذَّنْبُ قُرْبَ الْلَيْثِ يُخْتَضِرُ
يَا ذَنْبُ مَالِكٍ وَالْأَجَامُ تَدْخُلُهَا	إِنْ غَابَتِ الْأَسْدُ فَلَا شِبَالُ تَنْتَصِرُ!
(ياجيش روما) عليك اليوم قد نَقَمْتُ	أَهْلُ السَّمَاءِ وَجِنُّ الْأَرْضِ وَالْبَشَرُ
(ياجيش روما) فَلَا ذُقْتَ الْهَوَى أَبَدًا	أَغْرَاكَ بِالْجَهْلِ سَيْفٌ كَادِيْنَكَ كَسِرُ
وَكَيْفَ جَرَّدَتْهُ وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ	تَحْمَى الْعَرِينَ وَجَهْرُ اللَّاحِظِ يَسْتَعِرُ
أَهْلُ نَسِيتِ أَسْوَدَ التُّرْكِ مِنْ وَطَنَتِ	أَقْدَامُهُمْ هَامَةُ الْيُونَانِ فَا نَدَّ حُرُوا
فَسَلِ (أَيْنَا) زُفَرِ سَالُوسٍ كَمْ فَعَلَتِ	جِيُوشُ (أَدْهَمُ) لَمَّا سَاقَهَا الْقَدَرُ
إِنْ كَانَ أَدْهَمُ أَبِي أَمْرٍ خَالِقِهِ	فَكَلَّهْمُ (أَدْهَمُ) فِي السَّلْمِ مُسْتَتِرُ
وَيَوْمَ يَبْلُغُ أَمْرُ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ	تُرَى فَعَالَهُمُ مَا لَيْسَ يُنْتَظَرُ
سَلِ بَيْضَ عُمَانَ فِي الْهَيْجَاءِ كَمْ حَصَدَتْ	مِنْ الرُّؤُوسِ وَدَمْعُ الْبَيْضِ يَنْهَمِرُ
لِلتُّرْكِ كَمْ طَاطَأَتْ هَامُ الْمُلُوكِ وَكَمْ	عَنَّتْ وَجُوهُ عَلاَهَا الْجُنُودُ وَالصَّجَرُ
قِرْصَانِ رُومَا أَفِيَقُوا مِنْ سُبَاتِكُمْ	جَبْرُ الزُّجَاجِ عَسِيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ
أَهْلُ نَسِيتُمْ أَمَامَ التُّرْكِ مَوْقِفَكُمْ	وَكَيْفَ يَثْبُتُ ذَنْبٌ جَاءَهُ نَمِرُ

(١) قيلت في قنا في ١٥ أكتوبر ١٩١١ بمناسبة حرب طرابلس وإيطاليا وقد نشرت في الصحف في حينها .
(١٧ — ديوان)

خليفةُ الله ربُّ العرشِ حافظُهُ
(محمدُ الخامس) المولى العظيمُ ومن
أنعمَ به من ملكٍ ساس دولتهُ
يادولة السيفِ أين الضيفُ الأسدُ؟
ما من شُرُوطٍ ألوفا أن تتركى بلداً
فبادرى وأظهرى كالبدرِ في أفقِ
بنى ألهلالِ العدوِّ اليومَ بطمع أن
لا كان يومٌ ترى القرصان ظافرةً
قومٌ أساطيلُهُم في البحرِ واقفةً
قومٌ جيوشُهُم في البرِ شاردةً
ومن عجيبٍ نرى أسطولهم طمعاً
هم يحسبون بأن الدهرَ يسهم وأل
ويجهلون بأن الدينَ يأمرُنا
سيعلمون قريباً أى منقلبٍ
وتشرق الشمسُ والآفاقُ باسمه
ويحقق العلمُ المنصورُ فوق ربى
لكن على المسلمين اليومَ مدُّ يدٍ
والمالُ مالٌ إذا جادَ الكريمُ به

والمسامونَ لمثلِ اليومِ تدخرو
ألقت إليه مقاليدَ النهى البشرُ
وما بغيرِ علاءِ الدين يفتكرُ
قرصان رُوما عليك اليومَ تأتمُّ (١)
يحتلها الذئبُ والأعداءُ تنفجرُ
لنجعلى دولةَ الطليانِ تعتبرُ
يحتل داراً عليها القلبُ ينفطرُ
على طرابُلسٍ يا بنسٍ ذا الخبرِ !
تكاد من لطفِ الأمواج تنفجرُ
خوفاً من السيفِ والأرواح تُخضرُ
خاض الظلامَ ولكن غرةُ القمرِ
واشين ينفعهم أن أحرق الخطرُ
يومَ الجهادِ بأن للموت نبتدُرُ
ومن سينزلُ في ساحاته الكدرُ (٢)
ويظهرُ الحقُّ والأعداءُ تذهبُ
فرَّت جيوشُ العدا إذ هالها الخطرُ
فالحربُ يلزمه الإنفاقُ والسهَرُ
مالالمالُ مافي كنوزِ الأرضِ يدخرو

* * *

يامسلمي ألهندِ شُدُّوا أزرَ دولتكمُ
عن مجدكمُ حدثَ التاريخُ والسيرُ

(١) في البيت خلال عروضى في قوله « الأسد » .

(٢) تمام القول أن يقول : « أى منقلبٍ ينقلبون » .

يا مسلمي الصين واليابان هتكم
يا مسلمي القرض كسرى كان أكرم من
سكان أطلس إن الدين يأمركم
أبناء مصر أعيدوا اليوم مجدكم
قد كان مجدكم فاق السهى وسمّا
فبادروا بأداء القرض وأستبقوا
فالجيش يحتاج منكم بعض ماملكت
يا عالم الغيب عجل نصر دولتنا
فاللأ أحسن ما يُجنى به الثمر
ببذل أموالهم قد تشهد العُمر
ببذل أرواحكم يا حبذا السفر^(١)
النيل يشهد والأهرام والأثر
إلى العلا منزلاً يسمو له البصر
للاكتتاب بمال تحسن الذكرو^(٢)
أيديكمو فأعينوا الجيش ينتصر
وأحفظ لنا تاجها يا من له القدر

(١) يريد بسكان أطلس : بلاد المغرب العربي .

(٢) تمام القول أن يقول « تحسن به الذكر » .

الى الأمير^(١)

بُشْرَى فُجِّكَ لِلْبِلَادِ سَلَامٌ وَبِهِ تَصَافَتْ مِصْرُنَا وَالشَّامُ
وَبِهِ سَمَا الْحَرَمُ الْحَرَامُ وَقَدْ غَدَتْ تَعْلُو قَوَاعِدُهُ بِكُمْ وَتُقَامُ
فَالدَّهْرُ عَبْدُكَ وَالسَّنِينُ أُسِيرَةٌ وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالزَّمَانُ غَلَامُ

* * *

جاءَ الْعَزِيزُ فَرَحَبًا بِقُدُومِهِ بِالْبِشْرِ عَادَ وَتَغَرُّهُ بَسَامُ
وَأَنَّى فَحَلَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ نَجْدُهَا إِذْ أَمَّهَا الْإِسْعَادُ وَالْإِكْرَامُ
بِالْيَمَنِ ابْنَ عَزِيزٍ مِصْرَ مُبَجَّلًا يَاطْلُمَا خَفَقَتْ لَهُ أَعْلَامُ
يَا مِصْرُ تَيْبِي وَاطْرِبِي وَاسْتَقْبِلِي رَاعِي بَذِيكَ فَشَهْمُنَا مِقْدَامُ
بِالْحِجِّ أَتَمَمْتَ الْفُرُوضَ جَمِيعَهَا يَا خَيْرَ مَنْ بَسَمَتْ لَهُ الْأَيَّامُ
قَدْ زُرْتَ مَكَّةَ وَالنَّبِيَّ مُحَمَّدًا مَنَا عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
أَرْضًا حَلَلْتَ يَمِجُّ رِيًّا عُودُهَا لِلخِصْبِ أَوْ نُعْمَى يَدَيْكَ عَهَامُ
بِكَ زُبَيْتَ أَرْضَ الْحِجَازِ لِأَنَّهَا رَأَتْ الْهَلَالَ وَأَمَّهَا الْإِنْعَامُ
فَاهْنَأْ بِزُورَتِكَ الْمَدِينَةَ إِذْ بِهَا قَبْرُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ الْأَعْلَامُ
أَرْضٌ حَبَاهَا اللَّهُ مِنْهُ رِعَايَةٌ تَمْشَى الْمَلَائِكُ حَفَهَا الْإِعْظَامُ
فِيهَا جُنُودُ التُّرْكِ خَيْرٌ بَوَاسِلٍ مِنْ كُلِّ لَيْثٍ دَابَّةُ الْإِفْدَامِ
هُمْ خَيْرٌ مَنْ سَلَّوْا سَيْوَقًا فِي الْوَعَى وَبِهِمْ يَفُوزُ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ
قَوْمٌ مُحَاهِدَةُ الدِّينِ يَشْهَدُ بِأَسْمِهِمْ أَنَّ الْوَعَى لِلتُّرْكِ فِيهِ غَرَامُ^(٢)

(١) تهنية الحديو عباس بالهج ٢٧ يناير ١٩١٠ - ١٥ محرم ١٩٢٨ .

(٢) كان من حق الشاعر أن يضع كلمة « العرب » بدلا من كلمة « الترك » وإنما ياتمس له العذر في ذلك لأن الخلافة الإسلامية كانت قائمة وقتئذ .

أَنْعِمْ بِهِمْ وَبِمَجْدِهِمْ وَبِمُلْكِهِمْ إِذْ بِالتَّأَزُّرِ أَدْرَكُوا مَا رَامُوا

* * *

نِلْتَ الْمُرَادَ وَنَجِمُ سَعْدِكَ سَاطِعَ
وَالْبِشْرُ لَاحَ مُهِنَّمًا بِقُدُومِكُمْ
بُشْرَاكِ يَا مِصْرُ فَقَدْ وَافَى الَّذِي
كَمْ شَادَ (عَبَّاسُ) لَنَا بِالْعِغْرِ فِي
أَيَّامُهُ ضَنَّ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى
مَنْ شَاؤُهُمْ فِي الْمَلِكِ لَيْسَ يُرَامُ
بِسَاءِ مِصْرَ تُجِلُّهُ الْأَقْوَامُ
كَالْبَدْرِ نِصْفَ الشَّهْرِ وَهُوَ تَمَامُ !
دَوْمًا تَرُومُ بَقَاءَهُ الْأَعْوَامُ
أَيَّامِهِ يَا حَبَّ—ذَا الْأَيَّامُ

* * *

يَا عَهْدَ (طَيْبَةَ) إِنْ نَجَّدَكَ فَاقَهُ
(رَمْسِيْسُ) هَيَّامِنْ سُبَاتِكَ كَيْ تَرَى
(أَحْمِيسُ) أَجْلَيْتَ الرُّعَاةَ فَكُنْتُ فِي
(سِيزُوسْتَرِيسُ) الْيَوْمَ عَهْدٌ غَيْرُ ذَا
(مُمِيَاءُ) خَوْفُ أَيَّهَا الْجِسْمُ الَّذِي
خَلَقْتَ آثَارًا بِمِصْرَ عَجِيبَةً
قُمْ مِنْ مَنَامِكَ (أَسْمَاتِيكُ) تَرَى
(يَانِيخَاؤُسَ) الْيَوْمَ أَصْبَحَ قُطْرُنَا
يَا أَيُّهَا الْأَمْلاَكُ قَوْمُوا كَيْ تَرَوْا
إِنْ كَانَ مَجْدُكُمْ (بِمَنْفٍ) قَدَسَمَا
فَاقَ السُّهْبَا فَضْلًا وَمَجْدًا فِعْلُهُ
مَجْدٌ لَنَا بِأَمِيرِنَا وَوِثَامُ
فِي مِصْرَ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
ذَلِكَ الزَّمَانِ تُظَلِّكَ الْأَعْلَامُ
لَكَ الْعَهْدُ إِذْ ضَاءَتْ بِهِ الْأَفْهَامُ
عَبَّثَتْ بِهِ الْأَعْوَامُ وَالْأَيَّامُ
(هَرَمًا) يَشِيبُ الدَّهْرُ وَهُوَ غُلَامُ
قَدْ أَرَّخَتْ أَعْمَالَكُمْ أَقْلَامُ
مِنْ نُورِهِ السَّامِيُّ يَزُولُ ظِلَامُ
مِنْ لِلْأَرِيكَةِ عَزَّزَتْهُ كِرَامُ
فِي (عَابِدِينَ) الْيَوْمَ جَلَّ هُفَامُ
فِي النَّيْلِ كَمْ خَصَّصَتْ لَهُ أَقْوَامُ^(١)

* * *

يَا بَدْرُ حَيَّاكَ الشُّرُورُ فَرَحَبًا لِعِلَّالِكَ فِي مِصْرٍ يَدُومُ سَلَامُ

(١) من العجيب أن يورد الشاعر هذه الفقرة في قصيدته في موطن التهنئة بالقدوم من الحج . . .

عاد الأميرُ فحبَّذا يومٌ أتى فيه لمصرَ المجدُ والإِعظامُ
فالיוםُ تجدُرُ بالقلوبِ مَسْرَّةٌ حيثُ النَّدَى للبائسينَ يُرَامُ
(مصرٌ) بِمَقْدَمِكَ السَّعِيدِ تَشَرَّفَتْ ولقد غَدَتْ غَدَاً وَأَنْتَ حُسَامُ^(١)
والنيلُ فاضٌ من السرورِ وأَهْلُهُ يَهْمُو إلى مرأى العزيزِ هِيَامُ
لا زالَ نجمُ عَلاكٍ يزهُو ساطِعاً في مصرَ دَوْماً ما سَمَتْ أَهْرَامُ
وَأَفَيْتَ وَالبَدْرَ التَّامَ فَأَرَّخْتَ بُشْرَاهِىَ عَوْدُ البدرِ وَهُوَ تَمَامُ^(٢)

(١) لانتقد أن هناك من يقر الشاعر على هذا التشبيه ، الذى جعل به الممدوح سيفاً يغمد فى قلب مصر ... ولكن لعل الحق جرى على لسانه وهو لا يدري .

(٢) يقصد بقوله « والبدر التام » بأن عودة الحديو كانت فى ١٥ من شهر المحرم عام ١٣٢٨ ، كما حرص على تسجيل هذا التاريخ فى تقديم القصيدة .

تشریف الأمير^(١)

إني أرى نُورَ وادِي النَّيْلِ يَنْتَشِرُ فَهَلْ صَحِيحٌ بَدَأَ فِي بُرْجِهِ الْقَمَرُ ؟
 إني أرى أُلْجَوْ قَدْ رَقَّتْ نَسَائِمُهُ حَتَّى السَّمَاءَ لَمَعَتْ فِي أَفْقِهَا الدُّرَرُ
 إني أرى كُلَّ وَجْهِ بَشٍّ مُبْتَهَجًا كَأَنَّمَا الْغَيْثُ وَقْتُ الْجَدْبِ يَنْهَمِرُ
 إني أرى قَلْبَ وادِي النَّيْلِ فِي طَرْبٍ مِنَ السُّرُورِ وَعَرَفِ الْمِسْكِ يَنْتَشِرُ
 إني أرى الْقَطْرَ قَدْ غَنَّتْ بِلَابِلُهُ وَالْكَيْرُونَ لَرَبِّ الدَّارِ يَنْتَظِرُ^(٢)
 إني أرى نَسَمَاتِ الصُّبْحِ شَافِيَةً مِنَ السَّقَامِ لِمَنْ قَدْ شَفَّاهُ السَّهَرُ
 إني أرى النَّيْلَ تُغْرِى النَّفْسَ لَذَّتُهُ وَمَاؤُهُ لَيْسَ يَعْرِو صَفْوَهُ كَدَرُ
 إني أرى مِصْرَ فِي أَهْبَى مَنَاطِرِهَا كَأَنَّهَا جَنَّةٌ قَدْ حَفَّاهَا ثَمَرُ
 وكيفَ لَا وَأَمِيرُ الشَّرْقِ شَرَفَهَا فَبَعْدَ أَنْ أُجْدِبَتْ قَدْ جَادَهَا الْمَطَرُ
 يامِصرُ تَبْهِي دَلَالًا فَالْعَزِيزُ أَتَى مَنْ كَانَ لِلْمَجْدِ وَالْعَلِيَاءِ يُدْخِرُ
 وَافَى الْأَمِيرُ فَلَاخَ الْبِشْرِ مُبْتَسِمًا وَأَسْفَرَ الْقَطْرُ عَنْ عَيْنٍ بِهَا حَوَرُ
 يَمُمْتَ نَحْوَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى بِرِضَاهُ حَبْذا السَّفَرُ
 أَنْعِمَ بِهِ مِنْ مَلِكٍ سَاسَ دَوْلَتَهُ وَعَزَّ بِالنَّصْرِ مَكْتُوبًا لَهُ الظَّفَرُ
 (مُحَمَّدُ الْخَامِسُ) لَمَوْلَى الرَّهَيْبِ وَمَنْ أَلَقْتَ إِلَيْهِ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشْرِ^(٣)
 يَا آلَ عُثْمَانَ يَا مَنْ عَزَّ نَصْرُهُمْ تَعْنُو الْمُلُوكَ لَكُمْ وَالِدِينَ يَفْتَخِرُ

* * *

اللَّهُ أَكْبَرُ عَبَّاسُ الْعَزِيزُ لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مَا يَحْلُو بِهِ الْأَثَرُ
 أَهْلًا بِهِ مُقْبِلًا مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ يَسْمُو لَهُ النَّظَرُ
 طُوبَى لِمَنْ تَرْتَبُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ قَدْ وُضِعَتْ أَقْدَامُهُ فَهُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ عَطَرُ

(١) بعد مقابلة الحديو عباس لجلالة السلطان في أكتوبر ١٩١٠

(٢) يريد « بالكيروان » نفسه ، وصحتها « الكروان » بكسر الكاف وسكون الراء

(٣) الشطر الثاني منقول من أبيات للحطيفة وجهها للخليفة عمر بن الخطاب وقد ورد البيت بأكماله في قصيدة

حرب طرابلس ، أول هذا الباب .

يَا مَهْلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَوْنِنَا
إِلَيْكَ نَشْكُو أَشْيَاءَ هَاجَهُ السَّفَرُ
وَلَوْعَةً أَحْرَقَتْ مِنَّا الْفُؤَادَ بِمَا
وَقَاكُمُوهُ قَضَاهُ اللَّهُ وَالْقَدَرُ!
جَدَّدْتَ بِالْعَوْدِ يَا عَبَّاسُ بَهْجَتَنَا
وَأَسْعَدْتَ قُطْرَنَا آلاؤُكَ الْغُرُرُ
الْعَوْدُ أَحْمَدُ وَالْعَلِيَا نُورُهُ
يَا مُجِدَّ مِصْرَ أَتَى عَبَّاسُكَ الْقَمَرُ!

تهنئة^(١)

البدرُ عَنْ وَجِهِ البَشَاشَةِ أَهْفَرَا والجو مرقَّ نَسِيمُهُ وَتَعَطَّرَا
وَالنَّيْلُ مِنْ طَرَبِ الْمَسَرَّةِ مَاؤُهُ رَوَى بِلَذَّتِهِ الْقُلُوبَ وَأَسْكُرَا
وَكَوَا كَبُ الْعِلْيَاءِ زَادَ وَمِیْضُهَا وعقودُهَا أُمْسَتْ تَفُوقُ الْجَوْهَرَا
وَتَجَلَّتْ الْهَيْفَاءُ تَلْعَبُ بِالنَّهْيِ لَعِبًا تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
عَصَاهُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ غَدَتْ لَهَا أُمَّةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنَّ تُؤْمَرَا
شَخَصَتْ إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لِحْظًا سَاحِرَا
وَعَلَتْ عَلَى عَرْشِ الْجَمَالِ بِعِزِّهَا فَكَسَتْ أَدِيمَ الْأَرْضِ ثَوْبًا أَخْضَرَا
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِأَسِمَا وَجَرَى فَحَفَّ بِزَهْرِهَا وَتَبَعْتَرَا
وَالْتَفَتِ الْأَقْمَارُ تَسْطَعُ حَوْلَهَا كَالْخَاتَمِ الْمَاسِيِّ زَانَ الْخِنْصَرَا
وَاصْطَفَتْ الْحُورُ الْحَسَانَ كَأَنَّهَا نَظَمُ الصُّفُوفِ يُمَجِّدُ الْإِسْكَندَرَا
وَكَأَنَّ نَبِيَّ وَالسَّعْدُ كَانَ مُرَافِقِي زُرْتُ الْجَنَانَ وَقَدِ وَرَدْتُ الْكَوْثَرَا
فَسَأَلْتُ نَفْسِي هَلْ مَنَامٌ مَا أَرَى أَمْ يَقْظَةُ أَمْ ذَا خَيَالٍ صُورَا ؟

* * *

هَبَّ النَّسِيمُ فَشَاغَلَتْ حَرَكَاتُهُ سِنَةَ الْخَيَالِ وَأَبْعَدَتْ طَیْفَ الْكَرَى
فَذَكَّرْتُ شَهْمًا قَدْ دُعِيتُ لِإِعْرَاسِهِ فِي ذَا الْمَسَاءِ وَحُقَّ لِي أَنْ أَحْضَرَا
بَدَرْتُ إِلَيْهِ يَدُ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا وَجَدَتْهُ مَشْعُولَ الْيَرَاعِ مُفَكِّرَا
نَثَرْتُ عَلَيْهِ قَلَانِدًا مِنْ جَوْهَرٍ جَعَلَتْهُ نَافَسَ فِي الْجَلَالِ الْقَيْصَرَا
وَكَسَتْهُ مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ بُرْدَةٌ لِمَاهِلَا قَامَ الزَّمَانُ مُكَبِّرَا

(١) أُلْقِيتُ فِي حِفْلِ عَرَسِ الشَّيْخِ طَاهِرِ الْعَشِي الْمَسِي ، رَأْسِ عِلْمَاءِ قَنَا ، وَالْعَضُو الْعِلْمِي بِمَجْلِسِ الْمَدِيرَةِ . هَذَا وَقَدْ وَجَدْنَا لِلشَّاعِرِ قَصِيدَةً أُخْرَى رَائِيَةً رَدَّدَ فِيهَا مَعْظَمَ آيَاتِ هَذِهِ التَّصِيدَةِ ، وَوَجَّهَهَا إِلَى الْوَزِيرِ لِإِبْرَاهِيمِ الدَّسُوقِيِّ أَبَاطَةَ فَلَمْ نَتَّبِعْهَا تَجَنُّبًا لِلتَّكَرُّارِ مِمَّا مِلَّ وَمَطْلَعَهَا :

بِأَمْسَلِ الْآيَاتِ مِنْ فَيْضِ الْهُدَى حَيِّ الْمَهَابَةِ وَالْجَلَالِ الْأَكْبَرَا

وَسَمَتْ بِهِ عَرْشَ الْبَلَاغَةِ فَاعْتَلَى
خَاضَ الْقَرِيضَ بِفُلْكِهِ حَتَّى إِذَا
(الطَّاهِرُ الْعَشِيُّ) مَنْ نَفَحَاتُهُ
الكَاتِبُ اللَّيْقُ الْبَلِغُ بَيَانُهُ
شَمْسُ الثَّقَى وَشُعَاعُ أَقَارِ الْهَدَى
رَوْضُ بَزْهَرٍ عُلُومِهِ فَاقَتْ (قِنَا)
حَسَنَاتُهُ نَفْدَ الْمِدَادِ لِحَصْرِهَا
شَفَلَتْ مَحَاسِنُ فَضْلِهِ وَخَصَالِهِ
جَمَعَتْ مَكَارِمُهُ مَكَارِمَ حَاتِمٍ
يَا مَنْ لِحُجُودِ يَدَيْهِ فِي أَمْوَالِهِ
فِي شَأْنِهِ وَجَنَانِهِ وَلِسَانِهِ
لَوْ أَنَّ مَوْجَ الْبَحْرِ مَسَّ يَمِينَهُ
يَا ابْنَ الذِّى مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابِنِهِ
قَدْ شِدَّتْ سَوْقًا لِلنَّاءِ وَلَمْ تَكُنْ
مِنْكَ الشَّمْسُ أَوْ أَخَذَنْ ضَوْءَ جَبِينِهَا
صَاغَ النَّحَاةُ اللَّفْظَ وَقَتَ نَبَاتِهِ
يَا طَاهِرَ الْأَجْدَادِ أَبْلَغُ خَاطِبٍ
لَوْ أَمَكُنَ الْأَقْلَامُ أَنْ تَسْعَى عَلَى
مِنْ كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ لَوْ كَانَ لِي
صَبْرِي إِذَا مَا تَمَّ بَذْرُ قِرَانِكُمْ
بِظَرِيفٍ عُرْسِكَ طَاهِرُهُ وَقُدُومِهِ

بِفَصَاحَةِ التَّعْبِيرِ هَامَاتِ الذَّرَى
عَبَّرَ السَّرِيعَ أَتَى يَوْمُ الْوَافِرِ
فِي الشَّعْرِ مِسْكٌ قَدْ يُخَالِطُ عُنْبَرًا
الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ مَشْدُودُ الْعُرَا
وَسَلِيلُ مَجْدٍ بِالْعَلَاءِ تَفَاحِرَا
أَتْرَابَهَا وَغَدَتْ مَكَانًا عَامِرَا
وَعَدَا الْبِرَاعُ لِدَهَاهَا مُتَقَاصِرَا
أَسْبَى مِهَادَ الْقُلُوبِ وَجُودَرَا^(١)
وَأَعَادَ هَاطِلُهَا زَمَانًا غَابِرَا
نِعَمَ تَقْيِيزُ عَلَى الْيَتَامَى أَنَّهُمَا
وَبَنَانِهِ حِكْمٌ تُثِيرُ الشَّاعِرَا
لَرَأَيْتَ مَاءَ الْبَحْرِ خَالِطَ سُكَّرَا
لَا زَالَ نَجْمٌ عَلَاكَ يَبْدُو زَاهِرَا
بِأَقْلٍ مِنْ سَوْقِ الْقَرِيضِ مَا تَرَا!
وَأَتَتْ تَقْوُدُ إِلَى الصَّبَاحِ الْعَسْكَرَا
وَوَظَلَّتْ تُصْلِحُ فِيهِ حَتَّى نَوْرَا!
قَلَمٌ لَكَ اتَّخَذَ الصَّحَافَ مَنْبَرَا
قَدَمٌ لِعُرْسِكَ عَزَّ أَنْ تَتَأَخَّرَا
قَلَمٌ يُحِيدُ الْوَصْفَ كُنْتَ مُقْصِرَا
وَحَلَا لَهُ التَّارِيخُ قَالَ مُسْطَرَا
أَمَّ الشَّرُّورُ قِنَا وَزَارَ الْأَقْصَرَا

(١) الشطر الثاني من قصيدة المتنبي لابن العميد ، وتعام البيت :

يعلمان مثل الروض إلا أنها أسبى مهابة للقلوب وجوؤرا

في تهنئة محمود وهبي^(١)

رَبُّ سَاعِدٍ عَلَى الْبَيَانِ لِسَانِي	فِي جَالٍ قَدْ ضَاعَ فِيهِ بَيَانِي
مُبْدِعَ النَّثْرِ وَالْقَرِيبِ أَغْنَى	أَنْتَ عَوْدَتِي رَقِيقَ الْمَعَانِي
كَيْفَ أَسْلُو هَوَى غَزَالٍ رَشِيقٍ	مَاسَ عُجْبًا بِكَأْسِهِ وَسَقَانِي
أَضْرَمَ الْوَجْدُ فِي الْفُؤَادِ سَعِيرًا	وَبَسْهُمْ الْجُفُوفَ مِنْهُ رَمَانِي
أَهَيْفُ أَغْيَدُ تَمَلَّكَ لِي	فِي مَجَالٍ قَدْ رَاقَ فِيهِ زَمَانِي
يَسْتَحْيِ الْبَدْرُ أَنْ يَرَاهُ وَيَأْبَى	بِدَلَالٍ مِنَ الْبُدُورِ التَّدَانِي
فَاقَ شَمْسَ الضُّحَى بِضَوْءِ جَبِينِ	وَقَوَامٍ يُزْرَى بِفُضْنِ الْبَنَانِ
يَنْسِيمَ الصَّبَا تَرْفُقُ بِقَلْبِ	بَاتَ يَشْكُو مِنَ الْأَسَى وَيُعَانِي

* * *

سَاقِي الرَّاحِ هَاتِ بِنْتَ الدَّانِ	مِنْ رَحِيقٍ مَزْفُوفَةٍ لَابِنِ حَانَ
هَاتِ تَبْرًا عَلَاهُ دُرٌّ حَبَابِ	كَنْضَارٍ مُنْضَدٍ بِجُمَانِ
عَاطِنِيهَا وَغَنِّ يَا بَدْرُ أَنْسِي	وَاطْرِبِ السَّمْعَ رَحْمَةً بِجَنَانِي ^(٢)
وَتَفَضَّلْ عَلَى النَّدَامَى بُسُورِ	مِنْ رَحِيقٍ تَعْتَقْتُ فِي الْقَنَانِ !
رَشْفَةَ الرَّاحِ مَا لَهَا مِنْ مَثِيلِ	لَعِبَتْ بِالْعُقُولِ لِعَبِّ الْقِيَانِ !
هَاتِيهَا يَا نَدِيمُ فِي الْكَأْسِ تُجَلِّي	بَيْنَ غَنَاءِ رَوْضَةٍ وَأَغَانِي
وِغْزَالٍ يَزْنُو إِلَى كُلِّ كَأْسِ	بَعِيُونٍ وَاللَّحْظُ مِنْهُ بَرَانِي
نَالَ مِنْهُ الرِّحِيقُ نَشْوَةَ صَبٍ	مِنْهُ مُدَّتْ إِلَى الْكُؤُوسِ يَدَانِ

* * *

(١) بمناسبة نقله من وظيفة وكيل مديرية قنا إلى محافظة السويس ، وقد ذكر الشاعر أنه طبع من هذه القصيدة ٥٠٠ نسخة ورسم نسخة خصوصية لمن أهديت إليه .

(٢) قوله « واطرب » بوصل الهمزة خطأ ، وصحته إظهارها .

يُنْظَرُ البدرُ بَيْنَ بُرْجٍ وَبُرْجٍ يَنْظُرُ البدرُ بَيْنَ بُرْجٍ وَبُرْجٍ
أَشْعَلَ الجَمْرَ فِي فُؤَادِي لَمَّا أَشْعَلَ الجَمْرَ فِي فُؤَادِي لَمَّا
وَتَجَلَّتْ لِي الطَّيْبَةُ تَكْسُو وَتَجَلَّتْ لِي الطَّيْبَةُ تَكْسُو
مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَوَّلُ المِهْرَجَانِ مَطْلَعُ الشَّمْسِ أَوَّلُ المِهْرَجَانِ
شَفَقَ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرُّو شَفَقَ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرُّو
لونه يَمَلَأُ العُيُونَ جَمَالًا لونه يَمَلَأُ العُيُونَ جَمَالًا
بَيْنَا كُنْتُ غَارِقًا فِي خَيَالِي بَيْنَا كُنْتُ غَارِقًا فِي خَيَالِي
كَانَ زَهْرُ الرُّبِيِّ وَطَيْرُ الأَرَاكِ كَانَ زَهْرُ الرُّبِيِّ وَطَيْرُ الأَرَاكِ
هَبَّتِ الرِّيحُ أَحْيَتِ القَلْبَ مِنِّي هَبَّتِ الرِّيحُ أَحْيَتِ القَلْبَ مِنِّي
زَفَّ نَحْوِي النِّسِيمُ أَحْسَنَ بُشْرَى زَفَّ نَحْوِي النِّسِيمُ أَحْسَنَ بُشْرَى
فَتَنَاشَدْتُ ذِكْرَ مَنْ رَقَّ طَبْعًا فَتَنَاشَدْتُ ذِكْرَ مَنْ رَقَّ طَبْعًا
وَتَرَنَّمْتُ عَاشَ (محمود وَهْبِي) وَتَرَنَّمْتُ عَاشَ (محمود وَهْبِي)
جَاءَ وَادِي قِنَا وَكَانَ وَكِيلًا جَاءَ وَادِي قِنَا وَكَانَ وَكِيلًا
بَاتَ فِيهِ حَلِيمٌ طَبِيعٌ كَرِيمًا بَاتَ فِيهِ حَلِيمٌ طَبِيعٌ كَرِيمًا
نَاصِرًا لِلضَّعِيفِ خَيْرَ شَفِيقٍ نَاصِرًا لِلضَّعِيفِ خَيْرَ شَفِيقٍ
جَازِبًا نَحْوَهُ النُّفُوسَ بِفَضْلِ جَازِبًا نَحْوَهُ النُّفُوسَ بِفَضْلِ
كَوْكَبِ المَجْدِ نُورُهُ قَدْ تَجَلَّى كَوْكَبِ المَجْدِ نُورُهُ قَدْ تَجَلَّى
جَاءَ بَرْدًا عَلَى قِنَا وَسَلَامًا جَاءَ بَرْدًا عَلَى قِنَا وَسَلَامًا
شَادَ لِلْأَمْنِ حِصْنَ مَجْدٍ مَنِيعًا شَادَ لِلْأَمْنِ حِصْنَ مَجْدٍ مَنِيعًا
وَتَجَلَّى عَلَى المَعَارِفِ فِيهَا وَتَجَلَّى عَلَى المَعَارِفِ فِيهَا

(١) لاجه لإضافة الياء في كلمة «الأراكي» ، إنما هو الأراك نبات معروف .

كم ديارٍ للعلمِ عنها تَحَلَّى هَاطِلُ الغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأَمَانِ
جادها الغيثُ فارتوى العودُ حتى عَمَّ مَاهُ الحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ

* * *

أصبح العلمُ شاكراً سَعَى شَهْمٍ رَفَى المَجْدَ فوقَ هَامِ الزمانِ
مَدَّ وادى قِنَا إليه يَمِينًا ثم أَبْدَى له مَزِيدَ امْتِنَانِ
وَتَمَشَّتْ قِنَا إليه وقالت: دُمُ بِنْيَلِ المُنَى عَزِيزَ الشَّانِ
لستُ أَنْسى عِلَاكَ مَا هَمَزَ غُصْنُ بنسيمٍ وما بَدَا النَّيِّرَانِ
كلُّ مَنْ في قِنَا وَمَنْ في الصَّوَاحِي بين نَائِي الهَضَابِ وَالْوَدْيَانِ
إِنْ يَكُنْ عَزَّ أَمْرُ بُعْدِكَ عَنْهُمْ إِذْ مَلَكَتِ القُلُوبَ بِالْإِحْسَانِ
فَصُعُودُ العُلَا لِمَثَلِكِ يَدْعُو كلَّ قَلْبٍ لَأَنْ يَرْفَ التَّهَانِ
أَيُّهَا المَوْلُوعُونَ بالشَّعْرِ جُودُوا كيفَ لَمْ يَدْعُكُمْ قَرِيبٌ دَعَانِي؟
أَيُّهَا السَّاكِنُونَ في الخَوْضِ بُشْرَى أَنْ بَدَرَ العُلَا قَرِيبُ التَّدَانِ
أَيُّهَا السَّيِّدُ العَظِيمُ لِسَانِي لَمْ يَزَلْ قَاصِرًا عَنِ التَّبَيَّانِ

* * *

يَا رَعَى اللهُ يَوْمَ سَافَرْتَ وَهَيْ مِنْ قِنَا والقُلُوبُ فِي خَفَقَانِ!
حِينَ هَلَّ القِطَارُ كُنْتَ مُحَاطًا بِلَفَيفِ الوُجُوهِ والأَعْيَانِ
يَرَأْسُ الكَلِّ خَيْرُ شَهْمٍ مُدِيرٍ بَاتَ وَالسَّعْدُ طَوَّعُ أَمْرِ البَنَانِ
دُمُ خَلِيلِ العُلَا « مُحَمَّدَ نَائِلِ » يَا عَظِيمًا يَهَابُهُ الثَّقَلَانِ^(١)
يَا كَرِيمًا أَتَى يُودِّعُ وَهَيْ عِشْ وَوَهْيِ فَاتِمَا آيَتَانِ
حِينَ هَمَّ القِطَارُ مَدَّتْ أَيْادِي لَوَدَاعِ أَجْرَى الدَّمُوعِ القَوَانِي^(٢)

(١) لآوحه هنا أيضاً للسكبن اللام في لفظ « نائل » ، إلا هذه الضرورات الشعرية التي تثقل كاهل الشاعر
بين حين وحين . (٢) جمع قان على قوان وهو غريب .

وتمشّت بين الضلوع قلوبٌ	هزّها الوجدُ فاشتكتْ ما تُمانى
آسفَاتٍ لبعدهِ راقصاتٍ	باسماتٍ لفضلهِ المزدانِ
غرّد الطيرُ فوق رأسِ جنودٍ	أطربتنا بناعمِ الألحانِ
حين طار القطارُ يحملُ وهبي	صاحَ جمعُ الأحبابِ: ميرِ بآمانِ !
هأمَ (صبري) به فأنشدَ يشدو	ربُّ ساعدٍ على البيانِ لسانِ
عامَ وهبي رُقّي قنّا أرختهُ	أنتَ فردٌ حجّتْ إليه الأمانِ

وداع^(١)

أَلَا مَنْ لِي بِنَظْمٍ كَاللَّالِي أَقْلَدُ مِنْهُ أَجِيَادَ اللَّيَالِي
وَمَنْ لِي أَنْ أَحْلِيَهُ بِشُكْرِ تُضِيءُ بِهِ فَرَائِدُهُ الْغَوَالِي
وَأَهْدِي مِنْ مَحَاسِنِهِ عُقُوداً لِأَهْلِ الْفَضْلِ أَرْبَابِ النَّوَالِ
رِجَالِ الْخَيْرِ أَشْرَافِ السَّجَايَا كِرَامِ الْعَصْرِ خُطَّابِ الْمَعَالِي
فَمِنْكُمْ كُلُّ سَمَحٍ أَرْيَحِي تَحَلَّى بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالِ
وَمِنْكُمْ كُلُّ مُخْتَرَمٍ شَرِيفٍ كَرِيمٍ فِي الْعَطَايَا وَالْخِصَالِ
تَجَمَّعْتُمْ فَأَلْفَيْتُمْ قُلُوباً وَبَرَّهَنْتُمْ عَلَى حُسْنِ اتِّصَالِ
وَهَذِي لَيْلَةٌ أَحْيَيْتُمُوهَا لِذِكْرِي مَنْ تَبَدَّى كَالْهَلَالِ
شَرِيفِ الْعُنُصُرَيْنِ عَرِيقِ مَجْدٍ كَرِيمِ الرَّاحَتَيْنِ عَزِيزِ خَالِ
تَرَاخَمَتِ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ حَتَّى تَشَاغَلَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْغَزَالِ !

* * *

عَلَيْتُ بِهِ فَتَيَّمَنِي هَوَاهُ وَهَمْتُ بِهِ فَأَنْعَشَنِي خِيَالِي
دَخَلْتُ بِحُبِّهِ بُسْتَانَ وَجْدِي فَأَلْفَيْتُ الطُّيُورَ عَلَى الدَّوَالِي
نُفِرْدُ وَالنَّسِيمُ جَرَى بَدِيلًا يُحَرِّكُ خَضَرَ رَبَّاتِ الْجَمَالِ
تَلَاعَبُ بِالنَّفُوسِ ذَوَاتُ حُسْنٍ كَحُورِ الْخُلْدِ تَرْيِي بِالنَّبَالِ
كِنَسُوءَةِ يُوسُفٍ لَمَّا تَجَلَّى يَقْطَعْنَ الْأَنَامِلَ بِالنَّصَالِ !
وَقَدْ بَدَّتِ الْكَوَاكِبُ مُسْفِرَاتٍ تُضِيءُ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
تَبَاعَدَ عَنِ رِيَاضِ الْقَوْمِ جَفْنِي وَهَامَ بِمَهْمَةِ السَّحَرِ الْحَلَالِ
نَخَلْتُ الرِّوَضَ لِلتَّمَثِيلِ دَاراً تُمَثِّلُ فِيهِ رَبَّاتُ الدَّلَالِ

(١) ألفت في حفلة الوداع بمنزل إسحق أبدير ، بمناسبة نقل إبراهيم صفوت مأمور سجن قنا ، إلى سجن أسبوط ، أول مايو ١٩١٢ .

وفاق سَنَاهُ نُورَ الْبَدْرِ لَمَّا تَجَلَّى حُسنُهُ فَأَهْجَا بِأَلِي
تَرَنَّمَ تَحْتَ غُصْنِ الْبَانِ رِيْمٌ رَشِيقُ الْقَدِّ فَتَانُ الْجَمَالِ
وَأَوْمَأَ بِالْيَمِينِ إِلَى يَرْجُو حَدِيثًا قُلْتُ : أَسْرِعْ بِالسُّوَالِ
تَمَائِلَ عِظْفُهُ وَاهْتَزَّ تَيْهًا وَأَجْرَى مَاءَ لَفْظٍ كَالزُّلَالِ

* * *

تَجَمَّعْنَا هُنَا لَوْدَاعِ شَهْمٍ يَرَى يَوْمَ الْوَعَى يَوْمَ الْوِصَالِ !
قَضَى فِي الْجَيْشِ أَعْوَامًا كَسْتَهُ لِبَاسَ النُّصْرِ بِالْبَيْضِ الصَّقَالِ
رَقَى بِالْجَيْشِ حَتَّى نَالَ مَجْدًا يَذْكُرُهُ بِسَاحَاتِ الْقِتَالِ (١)
كَأَنِّي قَدْ سَمِعْتُ شِفَاهُ قَالَتْ وَقَدْ وَثَبَ الرَّعَالُ عَلَى الرَّعَالِ
بِبَيْضِ الْهَنْدِ وَالسُّمْرِ الْعَوَالِي غَرَامِي لَا يَرْبَّتَاتِ الْجَمَالِ
وَأَفْدَى يَوْمَ أَفْتَحِمُ الْمَنَايَا بِأَهْلِي كُلِّهِمْ وَأَبِي وَمَالِي

* * *

أَتَى بَعْدَ الْجِيوشِ يُدِيرُ سِجْنًا فَأَحْيَا أَمْنَهُ طُولَ اللَّيَالِي
تَنَقَّلَ بَيْنَهُمَا شَرْقًا وَغَرْبًا وَسَارَ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشَّمَالِ
أَسِجَنَ (قَنَا) لَقَدْ نِلْتَ الْأَمَانِي وَبَتَّ بِفَضْلِهِ فِي خَيْرِ حَالِ !
أَتَاكَ الشَّهْمُ أَصْلَحَ مِنْكَ شَأْنًا فَبِتَّ مُفَاخِرًا قِيمَ الْجِبَالِ
وَبَتَّ بِفَضْلِهِ مَأْوَى حَصِينًا وَكُنْتَ بِعِزِّهِ أَقْوَى الثَّمَالِ
فَإِنْ تَكُ قَدْ سَمِعْتَ بِمَاتَانِي فَإِنَّكَ نَادِبٌ حُسْنَ الْخَوَالِي

* * *

سَيَزُحَلُ قَاصِدًا أَسْيُوطَ حَتَّى يُفَاخِرَ سِجْنَهَا الشَّهْبَ الْعَوَالِي !
فَوَدَّعَ فِيهِ إِنْسَانًا عَظِيمًا تَهَلَّلَ بِالْهِنَاءِ وَبِالْجَلَالِ

* * *

(١) الصواب رقى بفتح فكسر ، وأما ماورد في البيت فهو من الرقية وهو خطأ .

فَدَنَّتْكَ النَّفْسُ يَا مَنْ غَابَ عَنِّي فغَابَ لِبُعْدِهِ عَقْلِي وَبَالِي
وَلَكِنِّي سُرِرْتُ لِأَنَّ هَذَا سَبِيلٌ فِي ارْتِقَائِكَ لِلْمَعَالِي !
وَحُذِّمَ مَعَكَ الْفُؤَادَ فَإِنْ هَذَا لِخَيْرٍ هَدِيَةٍ عِنْدَ الرِّجَالِ !
لَأَنَا قَدْ وَجَدْنَا فِيكَ شَهْمًا هَلُمَّا لَا يَخَافُ وَلَا يُبَالِي
وَسَافِرٍ (صَفَوْتَ) الْإِحْسَانَ أَنْتُمْ كَمَالٌ فِي كَمَالٍ فِي كَمَالٍ

أُمُقْتَبِلُ أَنَا أَمْ دَا وَدَاعٌ وهل فَرِحْتُ أَنَا أَمْ غَابَ بَالِي ^(١)
إِذَا كَانَ الْمُدِيرُ أَتَى حَدِيثًا فَمَا لِي قَدْ سَكَتُ عَنْ الْمَقَالِ ؟
أَلَا أَهْلًا بِهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِي فَنِعَمَ الشَّهْمُ فِي أَبْهَى بَحَالِ
وَنِعَمَ الْفَرْدُ رَبُّ الْعَدْلِ مَنْ قَدْ أَضَاءَ قِنَا فَيْتَهُ الْأَهَالِ
نَعَمْ قَدْ جَاءَهَا عَطْفًا عَلَيْهَا لِيُوصِلَهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ

(١) توجه الشاعر بالآيات الآتية إلى المدير الجديد حافظ حسن ولكنه لم يحضر قنا يوم الاحتفال ، فلم تلق هذه القطعة . . .

في قطار^(١)

تَقُولُ لِصَبْرِي أَتَنْسَى الْهَوَى
وَقَدْ أَعْمَضَ الدَّهْرُ عَيْنَ الشَّجَافِي
وَهَلْ أَنْتَ تَذْكُرُ ذَاكَ الْهِنَاءَ؟
وَوَجْهَ الْعَوَازِلُ وَالرُّقْبَاءَ
فَقَبَّلْتُ شَعْرًا كَسُودِ اللَّيَالِي
وَوَجْهًا مُنِيرًا كَبَدْرِ السَّمَاءِ
وَمَا التَّقَتِ مُقَلَّتَانَا بِكَيْنَا
سُرُورًا فَيَا نِعَمَ هَذَا الْبُكَاءِ
وَمَا التَّقَتِ شَفَتَانَا ارْتَعَشْنَا
لَأَنَّ الْمَحَبَّةَ كَالْكَهْرَبَاءِ!
أَقْبَلُ خَدَّيْكَ طَوْرًا وَطَوْرًا
عُيُونُ الْمَهَى وَجُفُونُ الظُّلَمَاءِ
وَجِيدًا طَرِيًّا وَكَفًّا نَدِيًّا
وَوَجْهًا تَهَيَّمُ بِهِ الْأَنْقِيَاءَ

* * *

وَلَسْتُ لِأَذْكُرَ كُلَّ الْحَدِيثِ
وَأَخَذَكَ مِنِّي الْمَوَائِقَ أُنِّي
وَحَيِّبَةَ قَلْبِي وَمَوْتَ الرَّجَاءِ
أُمِيتُ الْهَوَى وَأَقِيمُ الْإِحْيَاءِ
أَتَرْضَى بِمَوْتِ الْهَوَى لِفُؤَادِي
وَمَوْتُ فُؤَادِي بِذَاكَ الرِّضَاءِ؟
وَأَنْتَ الَّذِي عَذَّبَ الْقَلْبَ عَالِمًا
فَأَذْمَعَ عَيْنِي بِنُورِ الذِّكَا
عَلَيْكَ التَّحِيَّةُ يَا نُورَ عَيْنِي
فَأَذْمَعَ عَيْنِي بِنُورِ الذِّكَا
تَحِيَّةٌ مَنْ أَثْقَلَنَهُ الزَّرَايَا
تَحِيَّةٌ مَنْ أَثْقَلَنَهُ الزَّرَايَا
أَتَنْسَى الْوَدَاعَ وَدَقَاتِ قَلْبِي
وَقَدْ جِئْتُ تَبْكِي بِدَمْعِ غَزِيرِ
وَدَمْعِكَ يَرَوِي وَرُودَ الْخُلْدُودِ
وَدَمْعُكَ يَرَوِي وَرُودَ الْخُلْدُودِ
نَحَلْتُ مَلَكًَا تَدْفُقُ لُطْفًا
وَلَمْ تَحْشَ جَمْعًا يَمُوجُ كَبَحْرِ
تَشَجَّعْتُ لَمَّا رَأَيْتُكَ تَبْكِي
وَلَمْ تَحْشَ جَمْعًا يَمُوجُ كَبَحْرِ

ولمّا القطارُ بدَا لم تعدْ تُشَاهِدُ عَيْنِي بِهِجَ الصَّيَاءِ
وَقَطَعَ قَلْبِي دُنُوَ الْفِرَاقِ وَأَظْلَمَ عَيْنِي نَزُولُ الْقَضَاءِ
رَأَيْتُكَ تُسْرِعُ نَجْوَ الْقَطَارِ كَأَنَّكَ تَرْجُو دَوَامَ الْبَقَاءِ
وَمَا رَأَيْتَ الْبَقَاءَ مُحَالًا وَأَيَّقَنْتَ أَنَّ لَا يُفِيدُ الدَّوَاءِ
وَضَعْتَ يَمِينَكَ فَوْقَ جَبِينِ تَبَارَكَ مَنْ خَصَّهُ بِالْبَهَاءِ
وَقُلْتَ : حَبِيبِي أَتَرُكُ قَلْبِي أَسِيرَ الْفِرَاقِ شَهِيدَ الْوَفَاءِ ؟
أَتَذْرِفُ مِنْ نَرَجِسِ الْعَيْنِ دَمْعًا ؟ خَلِيقٌ بِجَفْنِكَ سَفْكَ الدَّمَاءِ !

تقريظ (١)

إِنَّ الْكِتَابَ إِذَا حَلَا وَأَزْدَانَا
 يُهْدِي إِلَيْكَ فَكَاهَةً وَرِوَاةً
 تَخْلُو بِهِ فَتَرَى صَدِيقًا مُخْلِصًا
 وَتَرَى بِهِ رَوْضًا تَمُجُّ غُصُونُهُ
 وَلِئِنْ بَلَوْتَ مَذَارِكَ الْإِخْوَانِ مَا
 تَتَرَاوَحُ الْأَسْفَارُ بَيْنَ مُحَدَّثٍ
 وَمُخْبِرٍ عَنْ رَحْلَةٍ وَمَنْسُقٍ
 وَمَنْظُمٍ رَوْضٍ، الْعُلُومِ وَبَاحِثٍ
 بَيْنَا أَطَالِمُ فِي الْعُلُومِ وَبَحْثِهَا
 إِذْ رَاقَ فِي نَظَرِي كِتَابٌ قَدْ حَوَى
 قَالِمًا يَجْمَعُ أَصُولَهُ شَهْمَانٍ قَدْ
 ذَا (أَحْمَدُ) وَأَخُوهُ نُودِي بِاسْمِهِ
 اللَّهُ دَرُّهَا قَدْ اتَّفَقَا مَعًا
 يَا بَاقَةَ مِنْ زَهْرِ رَوْضَيْهَا بَدَتْ
 قَدْ لَقَبَاكَ لِحْسَنِ سَبِكَ مُرْشِدًا
 كَمْ فِيكَ مِنْ حِكْمٍ أَتَيْنَا آيَةً
 إِنْ كُنْتَ بِكَرْبَاتٍ أَفْكَارٍ فَلَا
 أَنْعِمَ بَيْنَ وَضَعَ الْكِتَابَ وَمَنْ بِهِ
 أَهْلًا بِمُرْشِدِ أَحْمَدِ السَّفَرِ الَّذِي
 صَبَرِي إِذَا مَا تَمَّ قَالَ مُؤَرِّخًا
 نَعَمَ السَّمِيرُ إِذَا أَرَدْتَ بَيَانًا
 وَيَصُونُ سِرِّكَ إِنْ أَرَدْتَ أَمَانًا
 كَالْبَحْرِ يَحْوِي الدَّرَّ الْمَرْجَانَا
 رِيًّا وَتَشْدُو طَيْرُهُ الْأَلْحَانَا
 غَيْرَ الْكِتَابِ يُقَدِّمُ الْبَرْهَانَا
 عَمَّا جَرَى لِلْأَقْدَمِينَ وَكَانَا
 عَقْدَ الدَّرَارِي يُنْعِشُ الْأَبْدَانَا
 عَنْ كُنْهِ لَفْظٍ حَيْرَ الْأَذْهَانَا
 تَمَلَّا بِحَمَرِ حَدِيثِهَا وَلِهَانَا
 لِلْمُنْشِئِينَ بِلَاغَةً وَبَيَانَا
 نَبَغًا فَجَاءَ يُقَوِّمُ الْعُرْفَانَا
 أَسْمَاءَ وَعِلْمًا حَكَمًا وَجَنَانَا
 صِنَوَانٍ حَوْلَهُمَا الصَّفَا قَدْ رَانَا
 قَدْ حَزَتْ إِجْجَابًا يَدُومُ زَمَانَا
 لِلْمُنْشِئِينَ فَهَذَا زَمَانُكَ آتَا
 سَتَهْدُبُ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانَا
 عَجَبٌ إِذَا رَيْحَ الْجَوَادِ رِهَانَا
 دَارُ الْعُلُومِ تُحَدِّثُ الرُّكْبَانَا
 بِوُجُودِهِ رَوْضُ الْعُلُومِ أَزْدَانَا
 نِعْمَاهُ سِفْرٌ عَطَّرَ الْبُسْتَانَا

يا عظيم^(١)

يا عظيمًا قد نالَ عِزًّا وَمَجْدًا لستُ أنسى نَدَاكَ قَرِيبًا وَبُعْدًا
 كلما قلتُ أَعْتَقَ الشُّكْرُ رِقِّي صَيَّرْتَنِي لَكَ الْمَكَارِمُ عَبْدًا
 فابْقِ عُمْرَ الزَّمَانِ كَيْمَا أُوَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُودَى^(٢)
 أَبْعَدَ الدَّهْرِ بَيْنَنَا لَسْتُ أَدْرِى هل مُرُورُ الْأَيَّامِ يَقْطَعُ وَدَا
 أَمْ نَسِيتُمْ مَنْ لَا يَرَى فِي سِوَاكُمْ خَيْرَ شَهْمٍ لَمْ يَأَلُ لِلْخَيْرِ جُهْدًا
 أَنْ أَنْ أَحْتَسِيَ بِبَابِكَ كَأْسًا يَاطِيبًا قَدْ حَوَّلَ الْمُرَّ شَهْدًا
 لَا تَنْضُوا عَلَى الْعَلِيلِ بِكَأْسٍ رَبَّ كَأْسٍ تُعِيدُ لِلْعَيْشِ عَهْدًا
 عَلَّمْتَنِي طَلَاقَةَ الْوَجْهِ مِنْكُمْ أَنْ أَجِيدَ الْقَرِيبَ وَصَفًا وَوَجْدًا
 كَيْفَ لَا وَالَّذِي أَرْجَى نَدَاهُ صَاحِبُ الْفَضْلِ وَهُوَ أَصْدَقُ وَعْدًا
 إِنَّ كَفَّ الْمَعُونَةَ الْيَوْمَ قَصْدِي فَهِيَ كَفٌّ مِنْ هَاطِلِ الْغَيْثِ أَنْدَى
 عَيْلَ صَبْرِي وَضَاقَ رَحْبُ نَعِيمِي وَسِوَاكُمْ لَا يَجْعَلُ الْعُمْرَ رَغْدًا
 لَا عَدِمْنَا وَجُودَكُمْ فِي نَعِيمٍ وَرُقِّي مَا هَتَزَّ طَيْرٌ وَأَشْدَا^(٣)

(١) وجه الشاعر هذه القصيدة إلى السيد خالد حسين في ٢٣ مايو ١٩٢٠ ، وكان قد وجهها قبل ذلك إلى ممدوح آخر في ١٥ يولييه ١٩١٣ ، وفيها نسج على منوال قصيدة مشهورة للبحرَى وجهها للمتوكل ، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة (٢) هذا البيت بأكمله من قصيدة البحرَى المشار إليها . (٣) يريد شدا .

فقيدا الطيران^(١)

ما للمنون سَطَتْ على أُسْدِ الشَّرَى ما للضياء غَدَا ظلامًا أَعْكَرَا
 خطبُ دَهَى الأَبْطالِ في رَحَلَاتِهَا بكت العيونُ لهُ نَجِيمًا أَحْمَرَا
 رُزْءُ تَفَطَّرَتِ القُلُوبُ لِإِوْلِهِ لَيْسَتْ عليه جِدَادُهَا أُمُّ الْقَرْيِ^(٢)
 يَاشْرُقُ مَالِكٌ كَمَا رُمْتَ العُلَا حَكَمَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْقَهَقِرَا
 يَاشْرُقُ مَالِكٌ كَمَا آتَى الشِّفَا خَلَعَ السَّقَامُ عَلَيْكَ ثَوْبًا أَصْفَرَا
 يَاشْرُقُ كُنْتَ إِلَى المَعَالَى كَعْبَةً وَإِلَى المَعَارِفِ كُنْتَ بَدْرًا أَزْهَرَا
 يَاشْرُقُ مَالِكٌ وَالْكَرَى أَعْشَقْتَهُ؟ هَلَّا عَلِمْتَ بِحَالِ مَنْ عَشِقَ الْكَرَى؟
 يَاشْرُقُ أَهْدَاكَ الزَّمَانُ حَسَامَهُ لَمَّا رَأَى بَلَقْتَ هَامَاتِ الذَّرَى
 خَلَفْتَهُ فِي غَمْدِهِ حَتَّى أَنْبَرَى مِنْ فَرْطِ مَالِيبِ الْبَلَى وَتَكْسَرَا
 مَاذَا دَهَاكَ وَهَلْ مَنَامٌ مَا أَرَى أَمْ ذَاكَ فِي عَيْنِي حُلْمٌ صُورَا
 يَادُولَةُ الْأُسْدِ الْبَوَاسِلِ لَيْتَنَا كُنَّا الْفِدَاءَ لِمَنْ غَدَوْا تَحْتَ النَّزَى
 يَاسَائِدِينَ الْمَلِكَ بِالْهَمَمِ الَّتِي وَقَفَ السُّهَى يَرْنُو لَهَا مُتَحَيِّرَا
 يَأْمَنُ تَرَوْنَ دَمَ الْعَدُوِّ مَدَامَةً وَشَرَابَ جَيْشِهِمُ الْحَدِيدَ الْأَخْضَرَا
 صَعْبٌ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ نَكْبَةً صَعِقَ الْفَوَادُ لِإِهْوَالِهَا وَتَسْعَرَا
 خَطْبُ تَلَا خَطْبًا فُضَاعَفَ حُزْنُهُ أَبْكَى ضَرِيحَ الْمُصْطَفَى وَالْمُنْبَرَا
 فَلَوْ اسْتَطَعْتُ قَذَفْتُ حَبَّةَ مُقْلَتِي نَحْوَ الشَّامِ لَكِي تَشَاهِدَ مَا جَرَى
 خَاضَ الْفَضَاءَ سَمِيدُغٌ فِي مُلْكِهِ شَهِدَتْ بِهِ الرِّيحُ الْعَصِيبُ غَضَنْفَرَا^(٣)
 قَطَعَ الْبَحَارَ وَمَا ثَنَاهُ عِجَاجُهَا شَهْمٌ يُمَائِلُ فِي الْجَلَالِ الْقَيْصَرَا
 وَعَلَا رُبَا (لُبْنَانَ) فَوْقَ هِضَابِهَا فَصَبَا شَذَا تِلْكَ الرُّبُوعِ وَأَسْكَرَا

(١) قيلت في فقيدي الطيران العثمانيين فتحي ونوري ، وقد نشرت بالصحف في حينها (٢) أم القرى : مكة .
 (٣) سميدغ : كريم شجاع ، ويقال في الرجل السريع في حوائجه سميدغ ، الغضنفر : اسم من أسماء الأسد .

وَالْتَفَّتِ الْأَقْمَارُ تَسْطَعُ حَوْلَهُ كَانَلْتَمِ الْمَاسِيَّ زَانَ الْخَنَصَرَا
هَبَطَتْ سَفِينَتُهُ الشَّامَ فَشَاهَدَتْ بِالْبِشْرِ وَالتَّرْحَابِ عِيداً أَكْبَرَا
أَرْضُ حَبَاهَا اللَّهُ مِنْهُ رِعَايَةً سَاحَاتُهَا حَوَتْ الْمَكَانَ الْأَعْطَرَا
تَمْشِي الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ وَادِيَمُهُ مِسْكٌ يُخَالِطُ فِي الْعَبِيقِ الْعَنْبَرَا
هَتَفَتْ لِرُؤُوسِهِ الْقُلُوبُ تَقُولُ يَا (فَتَحَى) لَقَدْ جَدَّدْتَ مَجْدًا غَايَرَا
حَمَلْتَنِي أَكْنَافُ الرِّيحِ مُطِيعَةً كَرَّهَا كَمَا حَمَلَتْ أَخَاكَ الطَّائِرَا^(١)
وَقَضَى قَصِيرَ الْوَقْتِ بَيْنَ رُبُوعِهَا حَتَّى أَتَقَضَى مَا كَانَ قَبْلُ مُقَدَّرَا
سَلَّ الْحِمَامُ عَلَى الْحِمَامِ حُسَامُهُ فَهَوَى صَرِيحاً مُرَغَمًا فَتَحَسَّرَا
بَكَتِ النُّسُورُ الْجَارِحَاتُ عَلَى الَّذِي عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَعَسَّرَا
عَمَّ الْأَسَى وَالْحُزْنُ جَوْ صَفَائِنَا وَالذَّمْعُ فَاضَ مِنَ الْحَاجِرِ أَنْهَرَا
مَا كَادَ يَنْصُبُ دَمْعُ أَوَّلِ حَادِثٍ حَتَّى لِحْنُنَا فِي هُمٍّ آخَرَا
إِنَّا لَنَعْجَبُ مِنْكَ (نُورِي) كَيْفَ قَدْ لَاحَظْتَ أَنَّ أَخَاكَ رَامَ الْكُوثَرَا
فَلَحِقْتَهُ وَصَدِيقَهُ مُتَبَسِّمًا فَرِحًا لِأَنَّكَ قَدْ طَلَبْتَ الْجَوْهَرَا
وَضَمَمْتَ جِسْمَهُمَا إِلَيْكَ وَحَوْلَكُمُ جَيْشُ السَّمَاءِ مُهْلِكًا وَمُكَبَّرَا
وَسَكَنْتُمُو بَيْتًا تَقَادَمَ عَهْدُهُ نَجْدًا حَوَى مُلُكًا عَظِيمًا أَشْهَرَا
هَذَا صِلَاحُ الدِّينِ مَنْ غَزَوَاتُهُ أَهْدَتْ إِلَى الْعُرْبِ الْكَرَامِ مَفَاخِرَا
يَا أَيُّهَا الشَّهَدَاءُ هُنَّكُمْ بِمَا نَلْتَمُ مِنَ الْفَرْدُوسِ فَوْزاً أَكْبَرَا
إِنَّا سَنَذْكُرُ عَهْدَ رِحْلَتِكُمْ فَقَدْ ضَمَّتْ إِلَى التَّارِيخِ ذِكْرًا عَاطِرَا
يَا مُبْدِعَ الْأَكْوَانِ عَزَّزْ جَيْشَنَا وَأَحْفَظْ لَنَا تَاجَ الْقِيَادَةِ (أُنُورَا)

(١) أَكْنَافُ : جَمْعُ كَنْفٍ ، وَهُوَ النَّاحِيَةُ .

على أبو الفتوح

خل عَنْكَ الْهَوَى وَخَلَّ الْأَمَانِي
 وَأَنْثُرُ الدَّمْعَ حَوْلَ رَمْسٍ فَقِيدِ
 خَلَّفَ الْعِلْمَ وَالْمَعَاهِدَ تَنْعِي
 فِي سَبِيلِ الْعُلَا غَمَامٌ تَوَلَّى
 كَيْفَ وَلَّى بَحْرُ الْعُلُومِ وَأَبْقَى
 أَيْنَ بَذَرُ الْعُلَا الَّذِي قَدْ وَرِثْنَا
 أَيْنَ رَبُّ الْأَقْلَامِ يَوْمَ نِدَاءِ
 أَيْنَ مَنْ نَالَ فِي قَصِيرِ زَمَانٍ
 أَيْنَ مَنْ أَصْلَحَ الْإِدَارَةَ فِي مَهْ
 أَيْنَ مَنْ قَامَ بِالْمَعَارِفِ فِينَا
 كَمْ دِيَارٍ لِلْعِلْمِ عَنْهَا تَحَلَّى
 جَادَهَا الْغَيْثُ فَارْتَوَى الْغُصْنُ حَتَّى
 أَيْنَ وَلَّى ذَلِكَ الْهَتُونَ وَخَلَّى
 فَاتَهَا وَالشَّبَابُ لَمَّا تَقَصَّى
 مَدَّ رَوْضُ الْعُلُومِ مِنْهُ يَمِينًا
 وَتَدَانَتْ إِلَيْهِ مَصْرُ وَقَالَتْ
 لَسْتُ أَنْسَى نَدَاكَ مَا هَتَرَ غُصْنُ
 إِنَّ تَرْبِي حِيَالَ جِسْمِي أَدْنَى
 فَاسْكُنِ الْخُلْدَ حَيْثُ تَبْقَى عَزِيزًا
 وَأَتْرُكِ الْأَرْضَ لَاهِيًا مِنْ عَلَيْهَا
 كُلُّ حَيٍّ إِلَّا الْمُهَيَّمِينَ قَابِ
 خَلَّفَ الشَّرْقَ بَاكِئِي الْأَخْفَانِ
 بَيْنَ حَالِ الْوَسَنَانِ وَالْيَقْطَانِ
 رَصَعْتُهُ كَوَاكِبُ الْمِيزَانِ
 مَاءَ دَمْعِ الْعُيُونِ أَحْمَرُ قَانِي (١)
 عَنْهُ مَا فِي الْحُشَا مِنَ النَّيِّرَانِ
 كَعَوَالِي الرِّمَاحِ يَوْمَ الطَّعَانِ
 مَا تَنَاهَى عَنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ
 مَرَّ فَبَاتَتْ تَمْوجُ بِالْعُمُرَانِ
 فَهَضُنَا بِالْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
 هَاطِلُ الْغَيْثِ فَارْتَوَتْ بِالْأَمَانِي
 عَمَّ مَاءُ الْحَيَاةِ بِالْعِيدَانِ
 مِصْرَ تَخْتَشِي طَوَارِيءَ الْخَدَنَانِ
 بَلْ ذَوَى غُصْنِهِ قَبِيلَ الْأَوَانِ
 ثُمَّ أَبْدَى لَهُ مَزِيدَ امْتِنَانِ
 أَنْتَ قَلَّدْتَنِي عُقُودَ الْجُمَانِ
 بَنَسِيمٍ وَمَا بَدَا النَّيِّرَانِ
 أَنْ يُوَارِيَ جَلَالَهُ الشُّورَانِي
 بَيْنَ حُورِ الْجَنَانِ وَالْوِلْدَانِ
 وَتَرْفَعُ عَنْ رُؤْيَةِ النَّقْلَانِ

(١) الصواب أن يقول : « قَانِيَا » .

إِيَّاهُ يَامِصْرُ قَدْ قَدَّتْ عَظِيمًا كَاذُ يُعْلِيكَ فَوْقَ هَامِ الزَّمَانِ
إِيَّاهُ يَاشَعْبُ قَدْ نَبَأَكَ دَهْرُ مِنْهُ مُدَّتْ إِلَى حَشَاكَ يَدَانِ
فَأَمَلْتَ مِنْ عَرْشِ رَوْضِكَ غُصْنًا كَانَ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْفَرْقَدَانِ
بَاتَ جَمْعُ الزُّهُورِ يَنْعِيهِ حُزْنًا وَأَدْلَهُمُ الدَّيْجُورُ بِالْأَغْصَانِ
أَيُّهَا الطَّالِبُونَ لِلْعِلْمِ جُودُوا كَيْفَ لَمْ يَرْعَكُمْ قَرِيضُ رَعَانِي
مَنْ تَوَانِي يَرَاعِهِ فَوْقَ طِرْسِ فَدُمُوعُ الْحَزِينِ تَأْبَى التَّوَانِي
كَيْفَ لَا يَنْدُبُ النَّجِيبُ أَبَاهُ كَيْفَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالْهَوَانِ
حَوْلَ دُورِ التَّهْذِيبِ سَالَتْ دُمُوعُ مِنْ جُفُونِ الْفَتَيَاتِ وَالْفَتَيَانِ^(١)
يَنْدُبُ الْكُلُّ حَظَّ مِصْرَ وَيَشْكُو جَوَرَ دَهْرِ يُسِيءُ لِلْإِحْسَانِ

* * *
كَلَّمَ شَبَّ مِنْ بَنِيهَا هَمَامٌ مُخْلِصُ الْقَلْبِ صَادِقُ الْوَجْدَانِ
أَسْرَعَ الدَّهْرُ نَحْوَهُ فَرَمَاهُ بِسِهَامِ الْمُخَاتِلِ الْخَلْوَانِ
يَارَجَاءَ الْعُيُونِ فِي أَرْضِ مِصْرَ لَيْسَ بِدَعَا إِذَا بَكَى الْهَرَمَانِ
لَيْتَ كُنَّا يَوْمَ الرَّحِيلِ فِدَاءَ يَافَقِيدًا قَدْ فَازَ بِالرَّضْوَانِ
كَمْ لِيُفْنِكَ مِنْ أَيَادِي عَلِينَا كَنْصَارٍ بَدَا لَنَا مِنْ جُحَانِ
غَابَ الرُّوحُ عَنْكَ لِلْعَرْشِ تَسْعَى تَتَهَادَى فَرَايِدُ الْإِيمَانِ
جَادَ مِثْوَاكَ يَا عَلِيَّ عَمَامٌ دَائِبُ الصَّوْبِ مُقَعَّمٌ بِالْحَنَانِ
أَيُّهَا الرَّاحِلُ الْمَشِيعُ مِنَّا نَمُّ هَنِيئًا فِي طَيِّبَاتِ الْجِنَانِ
أَنْتَ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ مُقِيمٌ وَفُؤَادِي عَلَيْكَ فِي النَّيْرَانِ !
كَلِّ قَلْبٍ لِفَقْدِكَ الْيَوْمَ يَبْكِي آسِفًا نَادِبًا صُرُوفَ الزَّمَانِ
وَاشْكُرِ اللَّهَ قَدْ تَرَكْتَ رَجَالًا مِنْكَ نَالُوا مَحَبَّةَ الْأَوْطَانِ
وَتَعَطَّفَ عَلَى ذَوِيهِ بِصَبْرٍ بِأَقْدِيمِ الْوُجُودِ وَالْفُفْرَانِ

(١) فِي الْبَيْتِ قَلْبِي عَرَضِي فِي كَلِمَةِ « الْفَتَيَاتِ » .

رثاء^(١)

دَهَانًا مُصَابٌ فَادَحُ الْخُطْبِ مُؤْلِمٌ لَهُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَدَبَاتٌ مَأْتُمٌ
مُصَابٌ عَظِيمٌ فِي عَزِيزِ شَبَابُهُ تَوَارَى يُخَضُّبُ وَرْدَ وَجْنَتِهِ الدَّمُ
فِي أَيَّهَا الْمَحْمُولُ فَوْقَ مَوَاكِبِ الْإِ مَلَائِكِ وَالْأَطْيَارِ تَبْكِي تَرْحَمُ^(٢)
وَيَا نَوِيًّا لَمَّا نَعُوهُ لِوَاضِحِ الْإِ نَهَارٍ تَوَارَى ضَوْؤُهُ فَهُوَ مُظْلِمٌ
وَيَا مَنْ إِذَا مَا الْخُطْبُ أَرْسَلَ جَدِشَهُ نَرَاهُ شَجَاعًا يَلْتَقِيهِ وَيَبْسِمُ
لِسَانُ تَعَوَّدَ أَنْ يَقُولَ صِرَاحَةً وَقَلْبٌ وَدِيعٌ بِالتَّالُفِ مُعْرَمٌ
عَزِيزٌ إِذَا مَا حَلَّ بِالْبَدْرِ رُزْؤُهُ أَوِ الْبَحْرِ مَا كُنَّا لَذَا الْخُذِّ نَنْدَمُ
فَوَاحِزَنِي لَوْ أَنَّ حُزْنِي يَرُدُّهُ وَوَاللَّيْ لَوْ كَانَ يُجْدِي التَّائِلُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالْقَوْسُ فَارَقَ سَهْمَهُ وَقَدْ كَادَعْنَهُ فِي دُجَى النِّقَمِ يُجْحِمُ
أَتَاهُ الرَّدَى وَالسَّيْفُ كَانَ صَدِيقَهُ نَحْرًا صَرِيحًا وَالْجِيَادُ تُحْمَحِمُ
ذَوَى غُصْنِهِ قَبْلَ الْأَوَانِ فَمَزَّقَتْ قُلُوبٌ لِهَوْلِ مُصَابِهِ تَنْخَرَمُ^(٣)

* * *

خَلِيلِي طُوفًا بِالْمَدَائِنِ وَأُبْكِيَا فَإِنِّي أَرَاهَا أَوْشَكَتْ تَتَهَدَّمُ
وَتِلْكَ الْجِبَالُ الْمُسْتَقَرَّاتُ حَوْلَهَا سَتُسْفُ فِي كَفِّ الرَّدَى وَتُحْطَمُ
وَإِنْ تَسْأَلَانِي عَنْ زَمَانِي فَإِنَّمَا لِسَانِي بِمَا فِي صَدْرِهِ مِنْهُ أَعْلَمُ
فَمَا الْيَوْمَ إِلَّا وَالْعَجَاجُ تُثِيرُهُ حَوَافِرُ خَيْلِ النَّائِبَاتِ فِيْظِلُمُ
وَمَا شَمْسُهُ إِلَّا سَيُوفٌ يَسْلُبُهَا فَهَلْ أُغْدِثُ إِلَّا وَأَطْرَافُهَا دَمُ

(١) عبد الحميد إسماعيل كان ضابطاً بالجيش المصري ، ولد بعيت النصارى مركز سمنود دقهلية . وقتل في واقعة الانواك في شهر أبريل عام ١٩١٢ أرسلت إلى شقيقه عثمان فهمي محمد الضابط بمدرسة طنطا الثانوية

(٢) قوله ترحم : أصله ترحم ، حذف إحدى التاءين للتخفيف .

(٣) في الشطر الثاني خال عروضي له شبهة في بعض الأبيات السابقة لأنه كثيراً ما يخلط بين بحرى الطويل والكامل وهما متقاربان .

تَغِيرُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ صُرُوفُهُ فَتَنْهَبُ مِنَّا مَنْ تَشَاهُ وَتَقْنَمُ

* * *

وياقبرُ يا مَنْ لَا يَرَى الدَّمْعَ إِنْ جَرَى	عليه ، ولا شَكْوَى المحبِّينَ يفهم !
لَقَدْ بَتَّ أَعْلَا مَنْزِلٍ جَادَهُ الْعُلَى	ورَوَّكَ غَيْثُ دَائِبِ الصَّوْبِ مُفْعَمُ
أَعْبَدَ الْمَجِيدِ الْعَيْشُ بَعْدَكَ عَلَقَمُ	أَجَلٌ وَبَقَائِي فِي شَقَائِي تَوْهَمُ
فَلَوْ كَانَ سَفْكَ دَمِي يَقِيمُكَ مِنَ الرَّدَى	لَجِدْتُ بِرُوحِي إِذْ حَيَاتِي تُحَرِّمُ
فَنَمَّ آمَنَّا أَنْتَ الشُّجَاعُ وَأَنْتَ مَنْ	ذَهَبْتَ شَهِيداً فِي الْجَنَانِ تَنَعَّمُ
تَنَاجِيكَ حُورُ الْعَيْنِ أَنْعَمَ بِضَيْئِنَا	عَمِيفٌ شَرِيفٌ عَاطِرُ الذِّكْرِ يُكْرَمُ ^(١)
فِيَارِبُ أَلْهِمِ آلَهُ الصَّبْرَ وَأَرَعَهُ	وَأَسْكِنَهُ دَارَ الْخُلْدِ فِيهَا فَيُزَحَّمُ

(١) سبقت الإشارة إلى قوله « حور العين » وصحتها « الحور العين » على الوصف لا الإضافة .

إلى زوجة راحلة

حول رمسٍ تطلُّهُ الأُفُفِياهُ وعليه ترفرف أُلُورُفاهُ
وغصونُ الأراكِ منحنِيَّاتٌ كاللبواكى والأدمعُ الأُنْداهُ
ونجومُ السماءِ تمجِّبها السحُ بُ وتبدو كأنها رُقَباهُ
وقفتْ غادَةٌ سَمِاويَّةُ الوجِ هِ عليها من الضياءِ رداهُ
يَسْتَبِي الناظرينَ منها جِمالُ لم تصفَ بعضَ حسنهِ الشعراهُ
إنْ بدا الوجهُ فالسَّاءُ صباحُ أو بدا الشَّعْرُ فالصِّباحُ مساءهُ !
يحسبُ القلبُ حينَ ترنو بعينِ أنْ ما فى عيونها كَهْرَباهُ
ولها من شجونها زَفَرَاتٌ محرقاتٌ من دونها الرمضاءُ
تلطمُ الجِيدَ تارةً وتدقُ الـ صدرَ طوراً كأنها الخنساءُ
وتُريقُ الدموعَ جمرًا على الأر ض فتروى أعشابها الخضراءُ
وشكَّتْ حالها الطَّبيعَةُ حتى ركد الماءُ وأُسْتَكَنَّ الهواءُ
وعلاَ ذلكَ المكانَ وقارُ أنزَلَتْهُ عَلَى الصَّريحِ السماءُ
لَهْفَ قلبي على شريكةِ عمرى ذهب العِزُّ بعدها والوفاءُ^(١)
ليس لى بعد نأيتها من حبيبِ أرْتَجِيهِ وليس إلا العزاءُ
كنتِ لى فى الُورَى أعزَّ مقامِ دونه الفرقَدانِ والجوزاءُ
كنتِ لِلغَيْدِ خَيْرَ من عَفَّ طُهرًا ولها جِلَّةُ الُورَى أصفياهُ
يا زمانَ الشقاءِ لو عاتبَ اللهُ زمانًا لكنتِ أنتَ الشقاءُ
لا يُرى فى بَدْيِكَ وافيٍّ بِعَهْدِ أو صديقٍ إنْ حَقَّتْ الأصدقاهُ
ذاكِ يسعى فى قلبه أرْقَمُ الحِفَّةِ لـ وهذا تَهْزُهُ الكُبرياءُ

(١) فى هذا البيت إشارة إلى أن الشاعر يرنى زوجته بهذه القصيدة ولعلها الزوجة الأولى ، وقد أشار فى آخرها إلى أن اسمها زينب .

حَسَدٌ زَائِدٌ وَخُبْتُ شَدِيدٌ فَوَحْدَاغٌ وَعَيْبَةٌ وَرِيَاءٌ
يتوارون في النزاهة والصد قِ كَمَا يَسْتَرِ الْإِنَاءُ الطَّلَاءُ
ويشيرون بالدواء عَلَى مَنْ حَازَ فَضْلًا ، كَأَنَّمَا الْفَضْلُ دَاءٌ
بِكَ ضَاعَ الْجَمِيلُ وَاشْتَهَرَ النَّكَدُ ثُ كَثِيرًا وَعَمَّتِ الْبَلَاءُ
وَالْمُرَاهُونَ فِيكَ حَطَّاهُمُ الْوُ دُ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
وَإِذَا كَانَ مِنْكَ بَعْضُ كَرَامٍ (كَانَ أَهْلَ الْخَيْبَةِ الْأَوْفَاءُ)
يَاحْيَاتِي قَدْ عِيلَ بَعْدَكَ صَبْرِي وَدَهَنَتْنِي الْمَصَائِبُ الدِّهَاءُ
أَبْتَغِي الْمَوْتَ وَهُوَ غَايَةُ مَا يُرَى جَى دَوَاءٌ وَلَيْسَ فِيهِ الدَّوَاءُ
أَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ حَوَيْتَ جَمَالَ وَمَلَأَ كَأَنَّ قَدْ احْتَوَتْهُ السَّمَاءُ
فُتِّحَ الرَّمْسُ فِيهِ «زَيْنَبُ» غَابَتْ كَيْفَ يَارْمَسُ مِنْكَ يَبْدُو الضِّيَاءُ؟
وَدَوَى مِنْهُ فِي الْمَسَامِيعِ صَوْتُ رَجَعَتْهُ الْجِبَالُ وَالْأَدْوَاءُ^(١)
إِنَّ هَذِي هِيَ الْأَمَانَةُ مُضْمَتٌ فِي ضَرْحِي بِهِ أَخُوهَا الْوَفَاءُ
إِنْ صَبْرِي حِيَالٌ هَذَا يُنَادِي يَا إِلَهَ السَّمَاءِ أَيْنَ الْعِزَاءُ؟

(١) الصواب دوى باتشديد . والشاعر كثيراً ما يجري على هذا الاستعمال في شعره . ولعله يريد بالأدواء جمع دو ، وهي الصحراء المترامية .

فيدورا^(١)

هَيْفَاءَ زَيْنَ خَدَّهَا وَرَدُّ الصَّبَى
حَسَنَاهُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ
بِيضَاءُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَيْنِهَا
نَشَأَتْ وَحِيدَةً أَهْلِهَا فِي قَرْبَةٍ
لَمْ تَدْرِ غَيْرَ الْحَقْلِ وَالنَّبْتِ الَّذِي
وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ تُودِّعُهَا مَتَى
وَالْبَدْرُ تَنْظُرُهُ فَتَحْسَبُ رَسْمَهَا
وَقَفَّتْ عَلَى بَابِ الْخَبَاءِ عَشِيَّةً
وَجَرَى النِّسِيمُ بِهَا يَلَاعِبُ شَعْرَهَا
وَإِذَا يَوْقِعُ حَوَافِرٍ فِي قُرْبِهَا
ذُو قَامَةٍ هَيْفَاءُ تُزْرِي بَالِقَنَا
وَقَدْ انْتَضَى سَيْفَ الْقِتَالِ وَلَحْظُهُ
وَعَلَى مَلَابِسِهِ الْخَلِيَّ لَوَامِعٌ
وَأَفَى خِيَاءً بِاسْمًا مُتَلَطِّفًا
فَمَضَتْ لِحَامَتُهُ بِكَأْسٍ وَأَنْثَنَتْ
يَحْسُو الشَّرَابَ وَتَحْتَسِي مِنْ حُسْنِهِ
حَتَّى اسْكَنَتْ وَأَعَادَ كَأْسَ شَرَابِهِ
وَمَضَى فَوَدَّعَهَا وَأَوْدَعَ قَلْبَهَا

فَتَمَايَلَتْ كَالْفُضْنِ حَرَكَهُ الصَّبَا
مَا مَسَّهَا غَيْرُ النَّسَائِمِ وَالذَّيْ
فُتْرِيكَ وَجْهَ الصُّبْحِ فِي عَسَقِ الدُّجَى
كَالزَّهْرِ يَنْشَأُ زَاهِيًا بَيْنَ الرُّبَا
يَزْهُو عَلَيْهِ وَوَرْدُهُ الْغَضُّ الْجَلَى
غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا مَتَى لَاحَ الضُّحَى
فِيهِ وَيَحْسَبُ رَسْمَهُ فِيهَا بَدَا
كَالشَّمْسِ قَدْ وَقَفَتْ عَلَى أَفْقِ الضِّيَا
حِينَئِذٍ فَيَخْفِقُ مِثْلَمَا خَفَقَ اللَّوَا
وَقَفَّتْ عَلَى سَرِجِ الْجَوَادِ قَدْ أُسْتَوَى
وَلَوْ أَحِظُ نَجْلَاءَ تُزْرِي بِالطُّبَى
أَمْضَى وَأُفْتُكُ مَقْتَلًا مِمَّا انْتَضَى
كَالْبَدْرِ فِي زُهرِ النُّجُومِ قَدْ أُنجَلَى
وَدَنَا لَهَا مُسْتَسْقِيًا يَشْكُو الظَّمَا
تَرْنُو لِطَلْعَتِهِ كَمَا تَرْنُو الْمَهَى
خَرَأَ بِهَا قَلْبُ الْفَتَاةِ قَدْ انْكَوَى
مَمْلُوءَةً بَعْدَ الْمِيَاهِ مِنَ الثَّنَا
بَدَلًا لِهَرْدِ شَرَابِهَا حَرَّ الْجَوَى

(١) هذه القصيدة تروى قصة حب ، وهي جيدة السبك ، وربما أحسنها فيها تأثر الشاعر بالبارودي في إحدى قصائده التي تجرى على نفس الروي ، وقد كتب الشاعر في آخرها كلمتي « الفصل الأول » ولكننا لم نجد منها غير هذه الأبيات ومعها العبارة التالية : الرمل — الاسكندرية — ١٧ يولييه ١٩١١ « فلعلها إذا كان مشروع قصة طويلة لم تتم ... »

دَخَلَ الهوى قلباً خلياً لم يكن
فَقَضْتُ دِياجِي لَيْلِهَا فِي ظُلْمَةٍ
يَهْفُو النَّعَاسُ بِحُفْنِهَا فَيَرُدُّهُ
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
وَأَفَى رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فُؤَادِهَا
وَدَنَا وَقَالَ : هَدِيَّةٌ مِنْ سَيِّدِي
كَانَتْ جِزَاءً لِلشَّرَابِ وَلَيْتَ لَمْ
فَلَقَدْ سَبَا قَلْبَ الْفَتَاةِ صَبَابَةً
كَالْقَوْسِ أَطْلَقَ سَهْمَهُ فَجَنَى وَلَا
مَا زَالَ يُذَكِّبُهَا الْهَوَى وَيُذَيِّبُهَا
وَهُوَ عَلَى مَهْدِ السَّقَامِ عَامِلَةً
حَارَّ الْجَمِيعُ بِهَا فَلَمْ يَدْرُوا لَهَا
وَأَقَامَ يَنْدُبُ وَالِدَاهَا حَسْرَةً
وَالظُّبَى مَخْفِيَةً حَقِيقَةً دَائِهَا
حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الظَّلَامُ وَأَشْرَقَتْ
وَأَفَى رَسُولٌ مِنْ حَبِيبِ فُؤَادِهَا
سَمِعَتْ بِقُرْبِ الْبَابِ وَقَعَ حَوَافِرُ
وَأَفَى وَلَكِنْ بَعْدَ مَا انْقَطَعَ الرَّجَا
وَحَنَى عَلَيْهَا وَهُوَ يَسْأَلُ جَارِعًا
فَرَنْتُ إِلَيْهِ بِمَقْلَةٍ فَتَانَةٍ

يَدْرِى الهوى حَتَّى تَمْلِكَهُ الهوى
لِلْيَاسِ يُوشِكُ لَا يُضِيءُ بِهَا الرَّجَا
مَنْ تَمْلِكُهَا خَيَالٌ قَدْ سَرَى
تَمْسُ الضُّحَى تَزْهَوُ عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدَى لِرَبَّاتِ الْبَهَا
تُهْدَى لِسَيِّدَتِي ! وَسَلَّمٌ وَأُنْذَنِي
يَكُنُ الشَّرَابُ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْجَزَا
وَهُوَ لَذِيكَ الْجَلِيلِ وَمَادَرَى
لَوْمْ عَلَيْهِ فَلَيْسَ يَدْرِى مَا جَنَى
حَتَّى غَدَتْ شُبْحًا أَرْقَ مِنَ الْهَوَا
تَشْكُو الَّذِي يَبْدُو وَتَكْتُمُ مَا اخْتَفَى
دَاءٌ تَكَايَدُهُ وَلَمْ يَدْرُوا الدَّوَا
وَأَسَى وَمَا يُجْدِي التَّحَسُّرُ وَالْأَسَى
وَتَقُولُ لَا أَدْرِى فَذَا حُكْمُ الْقَضَا (١)
تَمْسُ الضُّحَى تَزْهَوُ عَلَى تِلْكَ الرُّبَا
بِهَدِيَّةٍ تُهْدَى لِرَبَّاتِ الْبَهَا (٢)
وَرَأَتْ حَبِيبَ فُؤَادِهَا مِنْهُ أُنَى
وَوَفَى وَلَكِنْ حِينَ لَا يُجْدِي الْوَفَا
وَيَقُولُ كَيْفَ أَصَابَهَا سَهْمُ الرَّدَى
وَكَسَى أَصْفَرَ أَرَجِينَهَا وَرَدُّ الْحَيَا

(١) قصد بالظبي الفتاة ، ولذلك قال « مخفية » .

(٢) هذا البيت مكرر ولعله زائد وقد وجدناه في هذا الموضع فأثبتناه في موضعه .

وتنهَّدتُ أسفاً وقالتُ إنَّ بي
هَذَا هو الدَّاءُ الَّذِي أَقْضَى بِهِ
فَأَجَابَ مَنْ هَذَا الْفَتَى ؟ فَتَنَاوَلَتْ
وَرَبَّتْ وَقَالَتْ عِنْدَمَا يَبْدُو الضُّحَى
إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُ مِنْ قَضِيَّتُ بِحُبِّهِ
مَنْهَا أَصَابَ الْقَلْبَ مِنْ عَيْنِي فَتَى
حُبًّا وَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ قَبْلِي قَضَى
مُهْدَاتِهِ بِيَدٍ يُصَافِحُهَا الْفَتَى
وَتَكُونُ رُوحِي فَارَقَتْ هَذَا الْمَلَأَ
أَنْظَرُ إِلَى الْمَرَاةِ تَلْقَى مَنْ جَنَى !

المنصورة^(١)

قُلْ لِلْغَرِيبَةِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ بَلَدٍ وعن عزيزٍ وعن صَبْرٍ وعن جَلَدٍ
هل تَذْكُرِينَ لِيَالَيْنَا الَّتِي سَلَفَتْ وليلةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْأَبَدِ
سَرَقَتْ فِيهَا مِنَ الْوَاشِينَ خَلُوتَنَا ونَلْتَمِها مِنْكَ عَنْ وَعْدٍ يَدَا بِيَدِ
وَبَتْ لَارِيبَةٍ أَخْشَى بَوَادِرَهَا كَلَّا وَلَا عَدْلُ أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدِ
وَالنُّورُ فِي مَعْزِلٍ عَنَّا لَهُ لَهَبٌ

يَبْدُو وَيَخْفَى كَفَعَلَ الْقَلْبِ ذِي الْحَسَدِ
وَأَنْتِ فِي ثَوْبِكَ النَّاقِ الْبَيَاضِ عَلَى حِسْمٍ نَقَى بِنُورِ الْحُبِّ مَتَّعِدِ^(٢)
أَرَى عَلَيْهِ ضِيَاءَ الْبَدْرِ مُنْعَكِسًا يَكَادُ يَفْضَحُنَا فِي دَارَةِ الْبَلَدِ
أَهْوَى إِلَى رَشْفِ ثَعْرِ فِيهِ مُنْتَظِمٍ يُهْدِي لِي النَّارَ مِنْ صَفَيْنِ مِنْ بَرَدِ
وَيَبْنِنَا غَزْلَ رَقَّتْ مَوَارِدُهُ كَأَنَّهُ نَعَمَاتُ الطَّائِرِ الْغَرَدِ
شَكْوَى تَقَطُّعُهَا مَا بَيْنَنَا قَبْلُ وَلَوْ أَرَدْنَا سِوَى هَذَيْنِ لَمْ نَجِدِ
يَهْفُو الْفَوَادُ عَلَى آثَارِهَا طَرِبًا حَتَّى يُنَادِيهِ صَوْتُ: قِفْ وَلَا تَزِدِ
صَوْتُ هُوَ الطُّهْرُ فِي لَفْظِ الْعَفَافِ بَدَا وَالطُّهْرُ خَيْرُ صِفَاتِ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ
حَتَّى رَجَعْتُ بِجَسْمٍ عَنْكَ مُبْتَعِدِ يَشْتَاقُ عِنْدَكَ قَلْبًا غَيْرَ مُبْتَعِدِ
يَا مَنَهْلًا قَدْ تَمَتَّعْنَا بِكَ وَثَرِهِ حِينَ رَوَيْنَا بِهِ لُودَامَ رِيَّ صَدِي
مَا كُنْتُ أَرْضَى وَصَالًا مِنْكَ عَنْ كَشِبِ

فَصَرْتُ أَرْضَى خِيَالًا مِنْكَ عَنْ بُعْدِ

(١) هذه القصيدة تروى قصة حب وأغلب الظن أنها قصة واقعية جرت للشاعر في مدينة المنصورة ، ولذلك اتخذ من اسمها عنواناً للقصيدة .

(٢) الناقى خطأ ، وصحته « النقي » .

وردة

لِشَخْصِكَ مِنْ زَهْرِ الرَّبِّي لَقَبُ الْوَرْدِ

وَهَيْهَاتَ مَالِ الْوَرْدِ حُسْنِكَ فِي الْوَدِّ

تَفُوقِيْنَهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَنْظَرًا وَبُقْيَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ

فَلِلْوَرْدِ شَهْرٌ وَاحِدٌ ثُمَّ يَنْقُضِي وَوَرْدُكَ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنْ الْخُلْدِ !

وَلِلْوَرْدِ رِيحٌ وَاحِدٌ لَا يَحُوزُهُ وَنَشْرُكُ رِيحِ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ وَالنَّدَى

وَيَقْطِفُ كُلُّ زَهْرَةِ الْوَرْدِ فِي الرَّبِّي وَوَرْدُكَ لَمْ يَقْطِفْهُ إِلَّا أَنَا وَحْدِي

وَتَعْرِى قُدُودُ الْوَرْدِ فِي الْعَامِ مُدَّةً وَقَدْ ذُكِرَ دَوْمًا بَيْنَنَا ضَافِي الْبُرْدِ (١)

وَتَذْشَا غُصُونُ الْوَرْدِ مَبْلُولَةً التَّرِي

وَمَنْشَاكَ فِي قَلْبِي الَّذِي جَفَّ مِنْ وَجْدِي !

فَسَبْحَانَ مَنْ أَنْشَاكَ شَخْصًا وَقَدْ حَوَى

جَنَانَ رِيَاضِ الْخُلْدِ بِاسْمِهِ مِنَ الْوَرْدِ

(١) لاوجه لنصب « ضافي » إذ أنه خبر مرفوع :

ناظك^(١)

مَنْ لِفُضْنِ النَّقَا بِلَيْنِ قَوَامِكُ أَوْ لَزَهْرِ الرَّبِيِّ بِحُسْنِ ابْتِسَامِكُ
 مِنْ لِقَلْبِي بَأَنْ يَمِيشَ سَعِيداً أَوْ يَذُوقَ الرَّدَى شَهِيَّ غَرَامِكُ
 مِنْ لَدَرِّ الْبَحَارِ يَخْرُجُ مِنْهَا يَتَرَامَى نَثْراً عَلَى أَقْدَامِكُ
 مِنْ لِهَذِي الْأَفْلَاكِ تَغْدُو سَريراً وَدَرَارِيهَا وَسَادَ مَنَامِكُ
 مِنْ لَزَهْرِ النَّجُومِ يُضْبِحُ مِنْهَا لَكَ قُرْطٌ أَوْ حِلْيَةٌ فَوْقَ هَامِكُ
 مِنْ لِيَذِرِ الدُّجَى بِحُسْنِ مُحْيَا لَكَ إِذَا مَا أَرْحَتِ عَفْوَاً لِثَامِكُ^(٢)

إِلِها

كَمْ نَكْتُمِي عَنِّي هَوَاكِ وَأَكْتُمُ وَتَكَلَّمْتُ مَا بَيْنَنَا النَّظَرَاتُ^(٣)
 فَكُنْفِي كَفَى هَذَا السَّكُوتُ لِأَنَّهُ فِي الْحُبِّ قَدْ رُفِعَتْ لَنَا رَأْيَاتُ
 عِلْمُ الْهَوَى أَمْسَى يُرْفَرُ حَوْلَنَا كُتِبَتْ لَنَا مِنْ فَوْقِهِ آيَاتُ
 لَا تَقْطَعِي عِنْدَ الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا بِإِعَادَةٍ سَكَبَتْ لَهَا الْعَبْرَاتُ

(١) ليلة ١٥ أبريل ١٩١١ — قنا — الكلوب .

(٢) وضع « لثامك » موضع الجر خطأً نحوى ، وصحته النصب لأنه مفعول لأزحت ،

(٣) الصواب : كم تكتمين ، وقوله أكتُم : لا يتفق والعروض .

هي أشعر

أَحْيَبَ قَلْبٍ تَنْظُرُ	فَدُمُوعُ عَيْنِكَ تُمَطِّرُ ؟
أَمْ أَبْرَقَ الْعَلَمَيْنِ أَمْ	هَجَرَ الْحَيَبَةِ تَذَكَّرُ ؟
أَمْ رَأَى قَلْبَكَ جُودَرُ	أَخْوَى اللَّوَاظِظِ أَخْوَرُ
أَمْ هَبَّ مِنْ مِضْرٍ صَبَا	أَمْ طَارَ بَرَقٌ أَشْقَرُ ؟
أَمْ قَدْ ذَكَرْتَ سُوءَهَا	وَهِيَ الْبِسَاطُ الْأَخْضَرُ ؟
وَالنَّيْلُ فِي أَحْسَانِهَا	عَقْدٌ يَلُوحُ بِجَوْهَرُ
وَالْجَوُّ صَخَوٌ مُشْرِقُ	وَكَأَنَّمَا هُوَ مُمَطِّرُ
هِيَ وَشَى نَسَجَ نِيلُهَا	فِيهِ الطَّرَازُ الْأَحْمَرُ
هِيَ جَنَّةٌ يُجَنَّى الْمَالَا	فِيهَا وَيَجْرِي الْكَوْثَرُ
أَنَا شَاعِرٌ فِي وَصْفِهَا	لَكِنَّمَا هِيَ أَشْعَرُ !

مطارحة^(١)

أتانى فى قيصِ النّومِ بسى ملاكُ لى يُلقَّبُ بالحبيبِ
وقد لعبَ الشرابُ بوجنتيه فصيرَ خدّه كسنا اللبيبِ
فقلتُ له لِمَ استحسنْتَ هذا لقد أقبلتَ فى زىِّ عجبِ
أُخْرَةُ وَجْنَدِيكَ كَسَتْكَ هذا أم أنتَ صبغتَهُ بدمِ القلوبِ
فقال الراحُ أهدتني قيصاً كلونِ الشَّمْسِ فى وقتِ المغيبِ
فثنويِّ والمدامُ ولونُ خدِّي قريبٌ من قريبٍ من قريبٍ !

مدح

فتى كملت أخلاقه غير أنه سحابٌ إذا استمطرته كان نادياً
فتى كلُّ ما فيه بسرُّ صديقه وإن كان هذا مايسوه الأعداء

ثناء

علم الغيث الندى حتى إذا ما حكاه علم البأس الأسدُ
فله الغيثُ مقررٌ بالندى وله اللئى مُقرٌّ بالجلدُ

مديح

تصلى عزائمهُ فى قلبِ حاسده ناراً تجرُّ عليه زائدَ الأودِ
إليك أرفعُ إجلالى وتهنئتي لازلتَ ترقى للمعالي آخرَ الأبدِ

(١) يبدو أن الشاعر قد تأثر ببعض تراننا النمرى فى هذه المقطوعة فبقية وبعض من المقطوعات التالية لها .

وصف الحبيبة

والذى زاد مُقَاتِلِيكَ أَقْبَدَارَا أَنْ (صَبْرِي) قَدْ آنَسَ الْيَوْمَ نَارَا
يَا غَزَا لَأَ رَنَا وَغُصْنَا تَدَنِّي وَهَلَا لَأَ بَدَا وَبَدْرًا أَنَارَا
كَانَ دَمْعِي عَلَى هَوَاكِ لُجَيْنًا فَأَحَالَتُهُ نَارُ قَلْبِي نُضَارَا
لَكَ جِيدٌ وَمُقَلَّةٌ تَرَكََا النَّا سَ سَكَارَى وَمَاهُمُو بِسَكَارَى
وَتَنَائِيَا أَخَذْتُ مِنْ رِيْقِهَا الْخ رَ وَمِنْ لَوْنِهَا أَخَذْتُ الْخَارَا
حَلِيَّةٌ لَا أُعِيرُهَا لِمُحِبِّ لَا يَظُنُّ الْوُشَاةَ إِلَّا غَيَارَى

(القاهرة ١٨ يونيه ١٩١١)

غزل

بَدَتْ فِي رِدَاءِ الْحُسْنِ بِاسِمَةِ الشَّغْرِ مُرْتَحَّةَ الْأَعْطَافِ مَحَلُولَةَ الشَّغْرِ
فَقَبَّلْتُهَا (تُرْكِيَّةً) حُلُولَةَ اللَّمَى وَعَوَّذْتُهَا بِالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالْفَجْرِ
أَرَى الشَّمْسَ مِنْهَا فِي الْمِشَاءِ مُنِيرَةً
وَإِنْ خَطَرَتْ ظُهُرًا أَرَى النَّجْمَ فِي الظُّهْرِ !
سَقَتْنِي سُلَافَ الرَّاحِ مِنْ لِحْظَاتِهَا

فَصِرْتُ أُجَارَى خَدَّهَا نَشْوَةَ الشُّكْرِ
تَدَاوَيْتُ مِنَ الْخَاطِئِ بِرُضَائِهَا كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ

(١٥ أبريل ١٩١٢)

عزيزة الروح

عَزِيزَةُ الرُّوحِ جُودِي بِالْوَفَاءِ عَلَى قَلِيلٍ صَبْرٍ كَسْتَهُ الذُّلَّ عَيْنَاكِ
أَوْ فَاتِرُ كَيْفِي أُمْتُ وَاللَّهُ يَرْحَمُنِي فَرَحَهُ اللَّهُ تَأْنِي فَوْقَ رُحْمَاكِ !

(٥ يونيه ١٩١٢)

صبری

يَا رَبِّ قَدْ قَلَّ صَبْرِي وضاق بالحبِّ صَدْرِي
وَأَشْتَدَّ شَوْقِي وَوَجْدِي وَسَيِّدِي لَيْسَ يَدْرِي
مُضَاعِفٌ فِي عَذَابِي وَلَيْسَ يَرْحَمُ صَبْرِي^(١)
إِنْ كَانَ تَاهَ دَلَالًا وَلَسْتُ أَمْلِكُ صَبْرِي
أَنَا الَّذِي لَفَزَالِ رَنَّا فَأَشْعَلُ فِكْرِي

(قنا ١٩٢١)

إلى صديق

لَوْ كُنْتُ أَهْوَى سِوَاكَ مَا كُنْتُ يَوْمًا أَرَاكَ
يَا مُنَيِّتِي وَعِمَادِي مَالِي حَبِيبٌ سِوَاكَ

* * *

عَبْدَ اللَّطِيفِ تَأَكَّدْ صَبْرِي غَدَا فِي أَشْتِيَاقِ
مَعَذَّبٌ فِي هَوَاكُمُ يَرُومُ يَوْمَ التَّبْلَاقِ

* * *

يَا خَيْرَ شَهْمٍ هُمَامِ صَبْرِي غَدَا فِي هُمَامِ
فَاعْطِفْ عَلَيْهِ لِيُشْفَى مِنْ صَائِبَاتِ السَّهَامِ

تطريز

زَكِّيْ جَلالاً أَنْتَ فِيهِ غَنِيَّةٌ وَتَصَدَّقِي مِنْهُ عَلَى الْمَسْكِينِ^(١)
يا ظبية ألوت ديوني في الهوى كيف السبيل إلى اقتضاء ديوني
ناديتُ كَتَمَ الحبُّ بين جوانحي حتى تكلم في دموع شؤوني
بالله لا تخفي علاماتِ الهوى كاد الحبُّ بأن يقول خذوني!

الشيخ فهمي الصيرفي

اللهُ يَعْلَمُ ما بالقلبِ مِنْ شَغَفٍ يا صيرفي فمَنْك الحبُّ يَكْفِينِي
مُجِدِّدٌ بِعِلْمٍ وَلَا تَبْخُلْ عَلَيَّ بِهِ يا كعبتي أَنْتَ بَدْرٌ بات يَهْدِينِي

تهنئة (٢)

لَقَدْ سَرَّنِي فَوْزُ الْعَزِيزِ (مُحَمَّدٍ) فَلَا زَالَ دَوْمًا الْمَسَرَّاتِ غَانِمًا
فَتَى لَبِسَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي قَلَانِدًا أَضَاءَ بِهَا الْأَفُقُ الَّذِي كَانَ مُظْلِمًا
أَهْنَيْتُكُمْ مِنْ كُلِّ قَلْبِي وَإِنِّي
أَرَانِي وَإِنْ أَبْدَعْتُ فِي الْوَصْفِ مُلْجَمًا

(١) انظر هذا البيت في قصيدة في باب غزل الأغاني مطلعها :

دمعي أهاج صبايتي وشجوني والسهد أتلّف مهبتي وعيوني

(٢) تهنئة بنجاح محمد صفوت حجازي نجل أحمد حجازي رئيس نيابة قنا ، في الشهادة الابتدائية عام ١٩١٣ .

متناثرات في المهجاء

(١)

جَهُولًا بَرَّاهُ اللهُ وابنَ جَهَوْلَةٍ أرى الجهل طبعاً في أَيْكَ وَفِيكَ
أَبُوكَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْجَهْلِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَهْدِ بَعْدَ أَيِّكَ!

(٢)

يَطُولُ بِقُرْبِكَ الْيَوْمُ الْقَصِيرُ وَيَرْحَلُ إِنْ مَرَزْتَ بِنَا السُّرُورُ
صَبَاحُكَ لِلْمُبَكَّرِ فَأَلُ سَوْءٍ وَوَجْهُكَ أَرْبَعَاءَ لَا تَدُورُ

(٣)

أَتَيْتُ أَسْأَلُ شَيْئًا لَا مَدَرَ لَهُ وَالتَّيْسُ مِنْ ظَنِّ أَنَّ التَّيْسَ مَحْلُوبٌ^(١)

(١) النكتة ظاهرة في قوله (لا مدر له)

رسالة^(١)

أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي قَدْ بَاتَ يَشْفَعُنِي
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي نَفْسِي لَهُ هَبَةٌ
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي (صَبْرِي) بِهِ دَنْفٌ
أَيْنَ الْحَبِيبِ الَّذِي عِنْدِي لَهُ شَعْفٌ
أَيْنَ الْحَبِيبِ (حُسَيْنٌ) أَيْنَ طَلَعَتْهُ
أَيْنَ الْحَبِيبِ (حُسَيْنٌ) أَيْنَ بَهَجَتْهُ
عَنِّي نَائِتَ وَخَلَيْتَ الدِّيَارَ أَلَا
فَارَقْتُكُمْ وَبَوْدِي لَا أَفَارِقُكُمْ
فَارَقْتُمُو مِصْرَ تَضُبُّو يَوْمَ أَوْ بَتِّكُمْ
قُتِمْتُ عَلَى عَجَلٍ وَالْقَلْبُ فِي وَجَلٍ
صَبْرًا عَلَى أَلْفٍ قَدْ بَاتَ يَنْشُدُكُمْ
سَافَرْتُ فِي سَاعَةٍ قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُهَا
لَسْتُ أَرَادَ زَمَانَ الظُّلْمِ يَمْنَعُنِي
يَادِيبُ سَافَرْتُمُو وَالْقَلْبُ فِي أَلَمٍ
فِرَاقُهُ عَنِ صَفَائِي بَيْنَ خِلَائِي
وَحُبُّهُ قَدْ غَدَا (صَبْرِي) بِهِ هَانِي
قَرِيحُ جَفْنٍ أَسِيرٌ مُغْرَمٌ عَانِي
وَكَيْفَ عَنِّي نَأَى أَوْ زَادَ أَحْزَانِي
يَادِيبُ مَهْلًا فَمَرُّ الصَّبْرِ أَضْنَانِي
إِنِّي أَخَافُ غَدًا إِذْ رُبَّ يَنْسَانِي
تَرْتَنِي لِحَالِي فَبُذِلَ النَّوْمُ جَافَانِي
يَا خَيْرَ مَنْ أَرْتَجِيهِ يَوْمَ سُلُوفَانِي
وَالدَّمْعُ يَجْرِي غَزِيرًا مَلَأَ أَجْفَانِي
وَالدَّمْعُ مُسْتَرْسِلٌ يَا خَيْرَ إِخْوَانِي
يَادِيبُ فِي رَوْضِ أَنْسٍ بَيْنَ أَغْصَانِ^(٢)
وَكُنْتُ أَرْجُو وَدَاعًا دَمْعُهُ دَانِي
قَهْرًا فَكَدَّرَ عَيْشِي ثُمَّ أَعْيَانِي
مِنَ الْفِرَاقِ وَأَتَمُّ خَيْرُ نُدْمَانِي

(١) وجه هذه الرسالة إلى صديقه الشاعر حسين الديب السويبي في المنصورة عام ١٩٠٩ .

(٢) قوله «ألف» بفتح الهمزة وكسر اللام خطأ في هذا الموضع ، إنما هو «إلف» بكسر الهمزة وسكون اللام وهو الصديق الذي يألف .

عاشق

وَنَزَّهْتُ فِكْرِي فِي بَدَائِعِ حُسْنِهَا فَأَزْكَى جَمَالُ جَبِينِهَا النَّارَ فِي صَدْرِي ^(١)
 أَمَّا وَنَحِيلِ الْخَضِرِ إِنَّكَ بِالْبَسْكَ وَبِالشُّهْدِ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرِ
 مُعْنَى بَوَسْنَانِ اللَّوَا حِظِّ سَارِقِ
 كَرَى مُقَلَّتِي مِنْ حَيْثُ أُدْرِى وَلَا أُدْرِى
 يَخْرُ بْنُوْنَ الصَّدْعَ قَلْبِي لِلْأَسَى وَمَا خِلْتُ أَنَّ النَّوْنَ مِنْ أَحْرَفِ الْجُرِّ
 يُقَابِلُ دَمْعِي بِاسْمًا فَكَأَنَّمَا يَنْظُمُ مَا أَمَلْتُ جُفُونِي مِنَ النَّثْرِ
 وَمَالِي لَا أَبْكِي عَلَى دُرٍّ مَبْسَمٍ كَمَا بَكَتِ الْخُنْسَاءُ قَبْلِي عَلَى صَخْرِ
 وَأَجْرِي عُيُونَ الدَّمْعِ فَائِضَةً عَلَى عُيُونِ الْمَهَى بَيْنَ الْجَزِيرَةِ وَالْجَنْسْرِ

للصباح ^(٢)

لَا وَأَجْفَانُكَ الْمَرَاضِ الصَّحَا ح لَسْتُ أُدْرِى مَاذَا تَقُولُ اللَّوَا حِ
 مَا دَرَى مَنْ يَلُومُ هَظْلَ دَمْعِي أَنَّ قَلْبِي عَلَيْكَ دَامِيَ الْجَرَا ح
 يَامْلِيحًا عَيْنَاهُ قَبْلَهُ حَسَنٍ سَجَدْتُ دُونَهَا وَجْهُهُ الْمِلَا ح
 لَكَ شَعْرٌ وَقَامَةٌ إِنْ يَكُونَا رَايَةً فَهِيَ رَايَةُ الْأَفْرَا ح
 وَجِبِينَ إِذَا ذَكَرْتُ سَنَاهُ بَتْ أَبْكِي صَبَابَةً لِلصَّبَا ح

(١) في الشطر الثاني خلال عروضي واضح .

(٢) ٢٥ يونيو ١٩١٠ .

مصر

سلبت عقلي بأحداقٍ وأقداحٍ ياساجي الطرف أو ياساقٍ الراح^(١)
 سنكران من رشفة الساقى ومقلته فاترك ملامك في السكيرين ياصاحي
 واطرح بحسبك أشباك الغرام فما حملت وزري ولا كلفتي إصلاح^(٢)
 دعني إذا صبح نجعي في هوى قمرى بحبة القلب أنشيء بيت أفراحي
 بمجوهر الكأس يجلو لي بها عرضاً ظني يفدي بأموال وأرواح
 يا مئري الخلد بالحمر من ذهب دارك ضرورة محتاج ومحتاج
 يا فاضحي في السهوى خال بوجنته لقد لويت على عشقي بفصاح
 ما أنس لا أنس لقيانا وقد غفلت عين الهوى عن قريح العين طمّاح
 قابلت شعرك بعد الوجه مبتسماً فأنعم الله إمسائي وإصباحي !
 حيث الرضى في جبين الصب مكتئب أيام لم يمح أسطار الصبا ماح
 وحامل الكأس تحت الدّجن يُعْمَلُهَا كأنه مدجّ يمشي بمصباح
 والرّم وإن لكأس الراح يمزجها يكاد يُمَسِّكُهُ من قام بالراح
 والآن كأس دموعي والتذكّر أن أعبي التذكر يشدو شدو إفصاح
 يا عنبر الخال في ريحان سالفه هل باب حي مغلق بمفتاح ؟
 أغرّ طامى بحور الشعر ناسبها بفائض في بحور الشعر سباح
 باليت شعري أهل في قضتي كلف عنكم وها أنا أرويهما لجرّاحي ؟

(١) نشير للقارىء إلى جمال المقابلة بين أحداق وأقداح .

(٢) لولا قوله أشباك في موضع شباك لكان هذا البيت من أجل الأبيات .

رثاء^(١)

أَتَمِّمُوا فُرُوضَ الْحُزَنِ فَالْوَقْتُ وَقْتُهَا
لَسَمْسِ ضُحَى عِنْدَ الزَّوَالِ نَدَبْتُهَا
وَلَا تَبْخُلُوا عَنِّي بِإِنْفَاقِ أَذْمَعٍ
مُعْنَدِمَةٍ أَكْوَى بِهَا إِنْ كَنَزْتُهَا
لِعَائِبَةٍ عَنِّي وَفَى الْقَلْبِ شَخْصُهَا
كَأَنِّي مِنْ عَيْنِي لِقَابِي نَقَلْتُهَا
يَقُولُونَ كَمْ تُجْرِي (زَيْنَبُ) بَاكِيًا
وَمَا عَلِمُوا النُّعْمَى الَّتِي قَدْ فَقَدْتُهَا
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَمْسُ مُحَاسِنٍ
وَإِنْ لَمْ تَكُنْ شَمْسَ النَّهَارِ فَأَخْتُهَا
تَعَرَّفْتُهَا دَهْرًا يَسِيرًا فَأَعْقَبْتُ
دَوَامَ الْأَسَى يَالَيْتَنِي مَا عَرَفْتُهَا
وَقَالَ أَنَسٌ إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً
وَتِلْكَ لَعَمْرِي رَاحَةٌ قَدْ نَكَرْتُهَا
هَلِ الدَّمْعُ إِلَّا مُقْلَةٌ قَدْ أَذَبْتُهَا
عَلَيْكَ وَإِلَّا مُهْجَةٌ قَدْ غَسَلْتُهَا
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِكَ لِلدُّجَى
وَأَمَّا أَحَادِيثُ الْكَرَى فَرَفَعْتُهَا
وَقَالَ زَمَانِي هَاكَ بَعْدَ تَنْعَمٍ
كَكِيتُكَ لِلْحُسْنِ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ
نَصَبْتُ جُفُونِي بَعْدَ بُعْدِكَ لِلدُّجَى
كِلَانَا طَرِيحُ الْجَنَمِ بَالٍ فُلُودَرْتُ
وَأَنَسَ قَدْ كَانَ لِي لَيْنٌ عِطْفُهَا
بِرُوحِي مَهَاةً ضَمَّهَا الرَّمْسُ بَعْدَمَا
أَنَادَى أَنَهْضِي وَالتَّرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
حَبِيبَةُ قَلْبِي كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهَا
كَفَى حَزَنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
وَأَنَسَ قَدْ كَانَ لِي لَيْنٌ عِطْفُهَا
وَلَيْسَ أُمَامِي غَيْرَ دَمْعِي وَهَا أَنَا
كُنْتُ حَزَنًا أَنْ لَا مُعِينَ عَلَى الْأَسَى
قَضَيْتُ فَمَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
مِلَامُ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِي
وَلَيْسَ أُمَامِي غَيْرَ دَمْعِي وَهَا أَنَا
قَضَيْتُ فَمَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ
مِلَامُ عَلَى الدُّنْيَا فَقَدْ رَحَلَ الَّذِي

(١) سبق في القصيدة الهمزية لإشارة إلى زينب ورجحنا أنها هي زوجة الشاعر فلعله يرثيها بهذه القصيدة أيضاً

(٢) المعنى أن الزمان يقول له : هاك ، وهو يجيب بقوله : هات .

غزل

فما نبتك من ساجي الملاحظ أغيد
غزال يفاجيني بلفظٍ معرّب
وقدّ روت عن لينة واعتداله
إذا قعدت أردافه قام عطفه
كلفت به من قبل ما طال قدّه
وعاينت من فيه العقيق خاتماً
وحدثني من ثغره ورضابه
وكنت حذرت الخود حين تمردت
يحيّل لي أنى له لست عاشقاً
ولولا الهوى مابت بالدمع غارقاً
وأثّم عطفه وجفنيه بعد ما
وأبصر فيما تحت صدغيه من سنا
ورب مُدام من يديه شربتها
إذا جثته تسعى إلى ضوء كأسه
تحدثك الأنفاس فيها عن اللمّا
فشم بارقاً قد خوّلتك ولا تشم
من اللاتي راقت في يمين مديرها
مصفرة من حيث تمّ كيانهما
فأحسن بها من كفّ ساقٍ كأنّه

يصول بأسياف الجفون ولا يدي^(١)
ولكنه يسطو بلحظٍ مهنّد
صحاح العوالى مسنداً بعد مسند
فيما طول شجوى من مقيم ومقعد !
فطـو له فرط العناق المرّد
فصغت له باللثم فصّ زبرجد
عن الجوهري المتقى والمبرد
فأوقعني حظي لأمرّد أمرّد
لأنّ ليس لي في حبه من مفنّد
عليه وأشكو للورى غلة الصدى
قُتلتُ برمحٍ منهما ومهنّد
خيالي خلوقاً تحت محراب مسجد
معتقة تدعو لعيش مجنّد
(تجدّ خير نار عندها خير موقد)
(ويأتيك بالأخبار من لم تزود)
(نخولة أطلال ببرقة شهيد)^(٢)
فلو أهرقتها الكأس لم تنبّد
تطاف علينا في إناء مجسد^(٣)
غزال تجلى في وشاحٍ مورّد

(١) لا يدي : أى لا يقدم الدية .

(٢) الصواب في الشطر الثاني أن يقول « نخولة » أطلالا ولكنه أبقى التضمين على حاله وإن خالف الإعراب

(٣) يريد يطاف بها علينا .

إذا قهقه الإبريق في فمه اثني
كان سنا الإبريق حول شرابه
كأن بقايا ما نضا من كؤسيه
كأن ملك الفرس صور نفسه
سقى الغيث عن ذلك العيش إنه
وفرق إلا مهجتي وحنانها
وبدرا سرى في طية السحب مسرعاً
وقال التسلى بعدنا لجفونه
حبيب قسمت الشعر ما بين حسنه
فلا غزل إلا له في قصيدة

يشل غصناً ماس تحت مفرد
حبال شعاع الشمس تفتل باليد
أساور تسير في معاصم خرد
على هامه عمداً فمن يدن يسجد
تولى هنيء الورد غير مصرّد
وجمع إلا مدمعي وتجلدي
فيا صاحبي دمعاً لعلك مبهجدي
سهرت زماناً يانواعس فارقدى !
فسبحان من وقاه شر الحواسد
ولا مدح إلا للحبيب (الخلد)

غزل

لا ورشف اللما ولثم الحدود
هائم في هواك مثلي ولكن
يا مليحاً (صبري) عليك تقضى
لا تسل عن مسيل دمعى بخدي
كل يوم تروع قلباً خليلاً
حبذا في سناك لام غرامى
لك وجه يعزى له كل حسن

ما عذولى عليك غير حسودى
يدفع الوهم عنه بالتفنى
وفؤادى في النار ذات الوقود
قتل الدمع صاحب الأخدود
يا بديع السنا بحسن جديد
لابتداء الهوى وللتوكيد
كاعتزاء الملى إلى محمود !

صدودك

صدودك يا حسناء عني ولا البعد
بروحى من حسناء عطف إذا بدا
وجيد قد استحسنت دمعى لنظمه
من الترك إلا أن بين جفونها
على مثلها يكوى العذول وإنما
(عزيز) على (صبرى) المعنى دلاها
أغذ النأ مهلاً فقد بان حقكم
وقلتم قبيح عندنا العشق بالفتى
سمحت بروحى للمهاة فمالك
وتغري بنيم الدرّ سلم مهجتي
هو البرد الأشمى لغلّة هائم
ومرشفه المن الذى لا يشوبه
عهدت الليالى حلوة بارتشافه
فلا ابتسم البرق المنير (جبينها)
تولت شمس السعد عني ففى العلا
فيا قلب مهلاً فى التقطع بعدهم
وياد مع فض وخذاً بذ كرخدودها
رعى الله دهرأ كنت ألهو بحبها
جوادى من الكاسات فى خمرة الهوى
وفى مهجتي بدر أجمال مؤسد

إذا لم يكن من واحدٍ منهما بد
على الغصن قال الغصن مأنا والقذ
وفى الجيد يا حسناء يستحسن العقد
الأعيب سحر لا يقوم بها الهند^(١)
على مثلها تحيى الصبابة والوجد
يف بها لم تدر أنى أنا العبدك
وقد زاد حتى مالمذلكم حد
ومن أتم حتى يكون لكم عند
ومالى ، وما هذا التعسف والجهد
فأتلّفها من قبل مائتة الرشد
هو الغيث أو نور الأفاحى أو الشهد
خول أو الراح الشمول أو النهد
وتلك الليالى لا يدوم لها عهد
غداة تفرّقنا ولا للعلم الرعد
سناها وفى قلبى المعنى لها وقد
وهذا لعمرى جهد من لاله جهد
فإنك ماء الورد أن ذهب الورد
أروح إلى وصل (زينب) أو أغدو
كيت وإلا من قوام المها نهد
وقد قدحت للراح فى خده زند

(١) يوجه الشاعر هذه القصيدة إلى حسناء تركية ، وقد أشار فى آخرها إلى أنها زينب أيضاً . فلعلها هى
التي ورد ذكرها فى القصيدتين السابقتين على أنها زوجته . أولعله يكنى باسم زينب عن كل محبوبة . . خاصة وهذه
قصيدة غزل بيننا القصيدتان السابقتان فى الرثاء .

زَمانٌ تَوَلَّى بِالْمَلِيحَةِ وانقضى
وما زال بالأُكدار حولى له جُنْدُ
فيا ليتنى لم أنعِ عشقك (زينب)
وشيمه (إسماعيل) أن يصدق الوعد^(١)
ويا ليت يوماً مال غصنك كان لى
كأيام حلم قبل أن ضمتنى للهْدُ

(١) تبين زينب للضرورة وفي الشطر الثاني إشارة لقوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام (لأن صادق الوعد)
(٧٣ - ديوان)

سلام...

حياة ابن آدم مهما تطول فيولد صباحاً ، وظهراً يعول
 خيالاً تمرُّ كلمج البصر^(١) وعصراً يُؤارى فيمسي أثر^(٢)
 وما العيش إلا منام قصير وما الدهر للناس إلا سير
 فتقوى الإله وصنع الجميل لأقوم زادي قبيل السفر
 وأمنه الذي لا مرد له ومن دونه لا يفيد الحذر
 ليجر القصاء بأحكامه ومن يستطيع عناد القدر ؟
 دهتي الليالي بأرزائها فلازم جفني البكا والسهر
 خدمت المعارف عهداً طويلاً أميناً وفيّاً حميد الذكر
 مجداً نشيطاً ساعياً القوي حليف النجاح ، حديد النظر
 وبعد اجتهادي ثلاثين عاماً أحاطت حياتي غيوم الكدر
 ومن كلف النفس فوق الذي تطيق احتمالاً سعى للخطر
 لذلك كان لإرهاق عيني من الحظ ما لم أكن أنتظر
 خباً النور عن مقتلتي فاتت حياة اجتهادي بفقد البصر^(٣)
 سلام على يانعات الربيع سلام على طلعة النيرين
 سلام على ما حواه جمال تحلت به متقنات الضور
 سلام على نابغات الفنون سلام على عبقرى الفكر
 سلام على خطرات الدسيم برّوض العلوم ، وجنى الثمر
 سلام على حالياتي اللواتي لها في الثقافة ذكر عطر
 لقد ضاع حقى الذي قدّروه كما ضاع مالى الذى أذخر !
 أيرضى الإله ؟ ويرضى النبي ؟ ويرضى البشر ؟

(١) خيالاً منصوب على أنه حال مقدم (٢) يعول : أى يصبح رب عائلة ، وأثر ساكن ضرورة الشعر .
 (٣) في هذا البيت وما قبله إشارة واضحة إلى أن الشاعر فقد بصره في آخر أيامه نتيجة الإرهاق والعمل المتواصل

استنهاض

أيها الشرق تيقظ	واجر اليوم الهجوع
هاهو المجد يُنادى	وهو يبكي بالدموع
أين أبناء بلادي	أين سكان الربوع
قاوموا الجهل وهبوا	ألبسوا العلم الدروع
واطردوا من بات بسمى	نحو تفريق الجموع
كلكم عرب كرام	كلكم يابى الخضوع
آية الله تجلّت	فهى فى أجلى سطوع
فاعملوا للمجد دوماً	واتركوا ذل الخنوع
بلغوا مصر التهاني	بعد تسكاب الدموع
فهى عنوان الأمانى	أو كشمس فى الطلوع
وهى فى الدنيا عروس	حليماً تلك الزروع
أهلها امتازوا بلطف	ذكرهم مسك يَصُوع
حبذا النيل بمصر	حبذا هذى الربوع

تحية(*)

بأبلغ لفظ رَوْنَهُ العَرَبُ أُحْيِيَّ احْتِرَامًا رِجَالَ الْأَدَبِ
 يَرْحُبُ قَلْبِي بِفَنِّ الْأَغَانِي وَكُلُّ مُجِدِّ إِلَيْهِ انْتَسَبِ
 تَطْيِبِ النُّفُوسَ بِفَضْلِ الْفَنَاءِ وَيَذْهَبُ عَنْهَا الْأَسَى وَالْتِمَعَبِ
 تُبَيِّرُ الْعُقُولَ وَتُحْيِي الْقُلُوبَ وَتُعْطِيكَ نَشْوَةَ بِنْتِ الْعِنَبِ
 بَنَى الْفَرْسُ مُجَدِّدًا أَضَاءَتْ بِهِ نَجْمُ الْأَغَانِي سَمَاءَ الطَّرَبِ
 وَأَخْرَجَتْ الدَّرَّ مِنْ كَنْزِهَا وَمَنْ بَعْدَهُمْ هَذَبَتْهَا الْعَرَبُ
 وَلِلتَّرِكِ نَخْرٌ بِمَا أَجْهَدَتْ وَنَالَتْ مِنَ الْفَوْزِ أَسْمَى الرُّتَبِ
 أَذَاعَ لَهَا الْفَنُّ أَمْرَارَهُ وَكُلُّ الْأَمَانِي لَهَا قَدْ وَهَبِ
 وَأَثَمَ فِي مِصْرَ رَوْضُ الْفَنُونِ وَسِرُّ التَّقْدُمِ مِنْهَا اقْتَرَبِ
 وَهَا قَدْ تَجَلَّتْ لَنَا هَمَّةٌ تَبْرَهْنِ أَنْ الْعَمَلَا مُكْتَسَبِ
 هَنِيئًا لِمِصْرَ بِأَبْطَالِهَا كِبَارِ النُّفُوسِ كِرَامِ الْحَسَبِ
 رِجَالُ دَعَامِ لِحَبِّ الْمَعَالِي نَحْمَارُ جِدْوِدِ أَتَوَا بِالْعَجَبِ
 بِكُلِّ الْفَنُونِ تَمَمُوا وَارْتَقَوْا وَهَا هُوَ يَشْهَدُ فَنُّ الطَّرَبِ
 إِلَى الْجَدِيدِ يَا مِصْرُ فِي عِزَّةٍ وَتَحِيَا الْأَغَانِي وَتَحِيَا الْأَدَبِ

(*) أُلْقِيَتْ فِي الْخَفْلَةِ السَّنَوِيَّةِ الْأُولَى لِقَابَةِ وَمَعْدِ الْمَوْسِيقَى الشَّرْقِيَّةِ الَّتِي أُقِيمَتْ بِمَسْرَحِ حَدِيقَةِ الْأَرْبُكِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ

فِي ٥ يُونِيَّةِ عَامِ ١٩٣٠ .

تكریم (*)

دعاك حُبُّكَ للعلماء والرُّثَبِ إلى اكتشافِ كنوزِ العلمِ والأدبِ
أجهدتَ نفسك بحثاً عن جواهرها ونلتَ بالجدِّ منها غايةَ الأربِ
حتى وصلتَ بساتينِ الفنونِ وقد عشتَ فنَّ الأغاني واتجهتَ له
كان اختيارك للفنِّ الجميلِ هُدىً وما بخلتَ بما أنفقتَ من ذهبِ
قضيتَ عشرَ سنينٍ في دراسته لكشفِ سرِّ كنوزِ الفُرسِ والعربِ
وفي اغترابك كم قاسيتَ من ألمٍ ولحظةً عنك بدرُ الفنِّ لم يقبِ
ثبات عزمك (يا حِفْنِي) أتاح لنا جميلُ صبرك فيه آيةُ العَجَبِ
هذا اجتهدك قد جَلَّتْ موارده سرُّ التقدُّمِ معصوماً من الرِّيبِ
جددتَ في الغربِ المصريَّ منزلةً وذا ذكاؤك بادٍ غير محتجبِ
أكسبتَ مصرَ فخراً نعم ما وضعتَ في العلمِ كانت تُسامي أرفعَ الشُّبِ
فأقبلَ تحيتها واعملْ لرفعتها يداك في عالم الأنعام والطَّربِ
لازِلْتَ للوطنِ المحبوبِ نجمَ هُدىً وانفعُ بفنِّك فيها كلَّ مُنْتَسِبِ
تضىء بين رجال الفضلِ والأدبِ

(*) أُلقيت في الحفلة التي أقامتها نقابة ومعهد الموسيقى الشرقي في ٢٧ مارس سنة ١٩٣١، عسرح حديقة الأزبكية لتكریم الدكتور محمود الحفني مفتش الموسيقى بوزارة المعارف .

(*) مصر

مصر العزيزة تاهت فيك أشجاني
قم فوق أهرامها و اصدح بما نظرت
يادرة في جبين الدهر لامعة
آثار مجدك لا زال الشباب بها
يا مصر تيهي فربات القصور بنت
ما زال قدرك يسمي المادحون له
زدني هياماً بها ياطائر البان
عينك من ساحر منها وفتان
يا كعبة العلم للقاصي والداني
في عنقوان وريعان وسُلطان
لخالدات المعالي خير بُنيان
بالمبدعات ، بالباب ، وآذان

غزل الاغانى

ستريس

عذراء منف

يَا مَنْ عَوَاطِفُهَا تَفِيضُ حَنَانًا	غَذَى الْقُلُوبُ وَرَجَّى الْأَلْمَانَا
يَا رَبَّةَ الصَّوْتِ الشَّجِيِّ حَنِينُهُ	رَنَاتُ صَوْتِكَ تَبَعْتُ الْأَشْجَانَا
شَيْدَتْ صَرْحًا لِلزَّمانِ مُقَدَّسًا	مَغْنَى الْأَوَائِلِ فَاذْفَى الْبُنْيَانَا
بَسَمَتْ أَغَارِيدُ الْأَغَانِي عِنْدَمَا	صَدَحَ الْهَزَارُ فِجْدِي الْأَزْمَانَا
جَذَبَتْ عَوَاطِفُكَ الْقُلُوبَ فَأَقْبَلَتْ	فَرَحِي نُحْيِي الْفَنِّ وَالْوُجْدَانَا
فَإِذَا شَدَوْتَ صَرَفْتَ عَنْ أَلْمِ الْهَوَى	قَلْبًا أَسِيرًا حَائِرًا وَلَهَانَا
وَمَنْعْتَ عَنِ مُضْنَى الْغَرَامِ عَذَابَهُ	وَكأنَّ خَفَقَ فُؤَادِهِ مَا كَانَا
وَإِذَا بَسَمْتَ بَعَثْتَ أَحْلَامَ الْمَنَى	وَبَدَا السُّرُورُ فَبَدَدَ الْأَحْزَانَا
وَإِذَا خَطَرْتَ مَلَأْتَ أَنْفَاسَ الصَّبَا	صِيًّا وَأَخْجَلَ قَدْكَ الْأَغْصَانَا ^(١)
وَإِذَا نَظَرْتَ تَكَشَّفَتْ لُغَةُ الْهَوَى	عَنْ سَحْرِ مَغْنَى أَذْهَلِ الْأَذْهَانَا
لُغَةُ تَفْهَمَتْ الْعَوَاطِفُ سِرَّهَا	أُمُّ اللُّغَاتِ فَصَاحَةً وَبَيَانَا ^(٢)
شَفَتَاكِ يُحْيِي الْمَيِّتَ دُرُّ حَدِيثِهَا	وَتُبَدَّلُ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ أَمَانَا
عَصَاةٌ حَصَنَهَا الْعَفَافَ وَزَادَهَا	عِزُّ الْحِجَابِ صِيَانَةً وَجَنَانَا
حُسْنٌ تَمْنَعُ عَنْ مَطَامِعِ عَاشِقٍ	دَنَفٍ تَشَبَّبَ سَاهِرًا نَشْوَانَا
خَدٌّ تُقَبِّلُهُ النَّسَائِمُ وَخَدَّهَا	يَسْنِي الْبُدُورَ وَيَفْتِنُ الْإِنْسَانَا
سَهَرَتْ سُيُوفُ اللَّحْظِ تَحْرُسُ وَرْدَهُ	وَإِذَا غَفَتَ تَسْتَنْجِدُ الْأَجْفَانَا

(٢) أم اللغات : يقصد اللغة العربية .

(١) الصبا : ربح طيبة تهب من الشمال .

وَمَقْبَلُ عَذْبٍ شَيْءٍ وَرَدُّهُ	تَحِذَ الْوُصُولُ الْمُسْتَحِيلَ مَكَانًا
وَجَهْ حَبَاهُ الْحُسْنُ أَجْمَلُ صُورَةٍ	جَعَلَتْهُ بَذْرًا سَاحِرًا فَتَانًا
بِامْتِنَهِى الْأَمَالِ قَلْبِي لَمْ يَمُدَّ	مِنْ سَقْمِهِ يَتَحَمَّلُ الْكِتْمَانَا
وَالدَّمَعُ لَمْ يَتْرُكْ جُفُونِي لَحْظَةً	لَيْلِي نَهَارِي بِاِكْيَا حَيْرَانَا
فَالْإِلَامَ وَجَدِي وَالشَّهَادَ وَلَوْعَتِي	وَالْإِلَامَ أَلْقَى فِي هَوَاكِ هَوَانَا (١)
هَذَا فَوَادِي بَيْتُهُ لَكَ رَاضِيًا	وَصَلَا حَكَمَتِ عَلَيْهِ أُمُّ هِجْرَانَا
فَإِذَا مَنَحَتْ لَهُ الْحَيَاةَ فَإِنِّي	صَبٌّ وَإِلَّا فَاْمَنْحِي الْغُفْرَانَا

هو القدر !

تَمَنَّتْ جُفُونِي أَنْ تَرَى النَّوْمَ لَحْظَةً وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَسْتَطِعْ صَبْرًا
وَكَيْفَ يَنَامُ الْجَفْنُ وَالْفَكْرُ سَاهِرٌ تُشَاغِلُهُ النَّجْوَى وَتَحْرِقُهُ الذِّكْرَى
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو خُرْقَتِي وَصَبَابَتِي وَمُسْهِدِي وَالْأَلَمِ وَمُهِجَتِي الْخَيْرَى
ظَنَنْتُ دَوَامَ الْحُبِّ حُلُوءًا كَمَا بَدَأَ وَسَرَّعَانَ مَا صَارَتْ حُلَاوَتُهُ مُرًّا
فِيَالَيْتَ قَلْبِي خَالَفَ الْعَيْنَ فِي الْمُنَى وَيَالَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَذُقْ لِلْهَوَى خُرًّا
هُوَ الْقَدَرُ الْجَارِي عَلَى مُهِجِ الْوَرَى إِذَا شَاءَ مِنْ بَعْضِي لِأَحْكَامِهِ أَمْرًا
تَحَمَّلْتُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ احْتِمَالُهُ وَعَانَيْتُ وَجْدًا حَيَّرَ الْقَلْبَ وَالْفَكْرَا
أُحَاوِلُ أَنْ أُخْفِيَ لِهَيْبَ مُحِبَّتِي وَيَرْفُضُ دَمْعَ الْعَيْنِ أَنْ يَكْتُمَ السِّرًّا
فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعْ وَيَا نَفْسُ أَمْلِي بَلُوغَ الْمُنَى فَالْعُسْرُ لَنْ يَفْلِبَ الْبُسْرَا
سَابِقِي وَفِيًّا حَافِظَ الْعَهْدِ صَادِقًا أَمِينًا وَرَبِّي يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْجَهْرَا

العاشق

إذا لم يُرَجَّ شَفَاءُ الْعِلَلِ تَمَنَّى الْعَلِيلُ دُنُوَ الْأَجَلِ
وَأَيُّ عَلِيلٍ كَمَضَى الْمَوَى جَرِيحُ الْفؤَادِ صَرِيعُ الْقَلِّ
حَلِيفُ الشَّهَادِ بِمَيْدِ الْمَنَى قَرِيحُ الْجَفُونِ ضَعِيفُ الْحَيْلِ
تَعَدَّى السَّقَامُ عَلَى جِسْمِهِ وَفَوْقَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ احْتِمَلِ
تَمَرُّ اللَّيَالِي وَطَيْفُ الْكَرَى عَنِ الْجَفْنِ عَمْدًا نَأَى وَارْتَحَلِ
فِيَا لِلْمَوَى كَمْ أَذَلَّ الْأُسُودَ وَأَخْضَعَ لِلْحَبِّ قَلْبَ الْبَطْلِ
بَقَاءُ الْوَفَى عَلَى عَهْدِهِ أَمِينًا يُنْذِلُ بُلُوغَ الْأَمَلِ
فَإِنْ فَازَ عَاشَ سَعِيدَ الْحَيَاةِ وَإِنْ لَمْ يُؤَفَّقْ شَهِيدًا رَحَلِ !

عيون وعيون

قُوَّةُ السَّحْرِ فِي عَيُونِ الْمَذَارِي زَادَتْ الْحُسْنَ وَالْإِلَهَالَ اقْتِدَارَا
وَأَضَافَتْ إِلَى الْجَمَالِ جَلَالاً صَبَّرَ النَّاظِرِينَ حَبْرَى سُكَارَى
وَإِذَا تَمَّ فِي الْمَشِيئَةِ أَمْرٌ مَنْ عَسَاهُ يُعَانِدُ الْأَقْدَارَا
يَا سِهَامَ الْجَفُونِ كُنْ فِي هَذِي مُهْجُ الْعَاشِقِينَ جَرَحَى حَيَارَى
نَالِي مِنْ نِيَالٍ لَحِظِكَ سِهَمٌ طَائِشُ الْعَقْلِ قَدْ تَعَدَّى وَجَارَا
صَالَ فِي مُهْجَتِي فَرَّقَ قَلْبِي وَانْبَرَى فِي الْحَسَا ظُلُومًا أَغَارَا
وَرَمَانِي فِي لَوْعَةِ الْوَجْدِ حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي وَلَمْ أَجِدْ لِي اصْطِبَارَا
كَانَ دَمْعِي يَجْرِي لُجَيْنًا فَأُضْحَى مِنْ أَهْيَبِ الْهَوَى يَسِيلُ نُصَارَا
حَالَفَ الشَّهْدُ مُقَلَّتِي طَوَلَ لَيْلِي وَالْبَيْسَالِي تُجَدِّدُ الْأَفْكَارَا
يَا نَعِيمَ الْوِصَالِ رِفْقًا بِصَبِّ أَضْرَمَ النَّأْيُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ نَارَا

حيرة

بِرَبِّكَ مَا لَقِيَ أَفْصَاكَ عَنِّي وما تَبَغَّيْنِ مِنْ هَذَا التَّجَنِّي ؟
نَوَاحِكِ حَارَتِ الْأَفْكَارِ فِيهِ بُكَاءَ يَاحْمَاهُ أُمِّ تَغَنِّي ؟
شَدَوْتَ قَالَتِ الْأَغْصَانُ مُجْبِنًا وَبُعْجِيْنِي مِنَ الْخُصَنِ التَّنْثِي
وَجَدَّدْتَ الْحَيَاةَ إِلَى فَوَادِي وَقَلْبُ الصَّبِّ يُخَيِّبُهُ التَّمَنِّي
حَنِينُكَ صَبَّرَ الدُّنْيَا خِيَالًا وَمَكَّنَ شَارِدَاتِ الْفِكْرِ مَنِّي
سَلَى الْأَقْفَارَ عَنْ دَقَّاتِ قَلْبِي وَعَنْ نَوْمِي وَكَيْفَ جَفَاءُ جَفْنِي
نَجُومُ اللَّيْلِ تَمَجَّبُ مِنْ سُهَادِي وَتَعْلَمُ صَادِقَ الْأَخْبَارِ عَنِّي
بُسَاهِرُنِي النَّوَى فَيَزِيدُ وَجْدِي وَيَحْرِقُنِي الْجَلْوَى فَتَجُودُ عَيْنِي
سَقَامِي لَوْعَتِي دَمَعِي أَنْيْبِي تُهْدِمُ قَسْوَةً مَا كُنْتُ أَبْنِي
سَاحِظُ يَا حَيَاةَ الرُّوحِ عَهْدِي لِأَنِّي قَدْ وَهَبْتُكَ حُسْنَ ظَنِّي

لواعج

قد أودع الحب لحظيك ابنة العنب
وناولتك كنوز السحر مُعجبة
تستر البدر خلف الشُعْب من خجل
بالله يا نسمات الصبح أين أرى
يا ليلة لست أنسى ما رأيت بها
ويا ملاكاً رمانى قوسُ حاجبه
أصاب قلباً بريئاً لم يكن أبداً
قد شاغل الحسن عيني واستباح دمي
سطاً هوالك على جسми فأتلفه
مُهْدِي أنيني دُموعي لوعتي سقمي
إنه على العهد باقٍ لا أُضيِّعه
لما تقرب منك الحسن بالنسب
سِرَّ الجمال وتاج الطهر والأدب
لما رأى الشمس تبدي آية العجب
من بات قلبي لنجواها على اللهيب
خيال ذكراك عن عيني لم يغيب
بمُرْهف من سيوف اللخط مُلتهب
يذرى الفرام ولم يأتس إلى الرّيب
فالقنب في الحرب والعينان في اللعب
والحب يفتك فتك النار بالخطب
لواعج عرّضت قلبي إلى العطب
عساى بالصبر ألقى غاية الأرب

إليها

يَانَسِيمًا حَمَلْتَ طَيِّبَ الْأَغَانِي
عَجِبَ الرُّوضُ وَاحْتَفَى الْعُطْبَرُ لَمَّا
يَا حُضِينًا مَلَكَتْ سَمْعِي وَقَلْبِي
كَنْتُ أَغْشَى الْفَرَامَ حَتَّى رَمَنِي
إِنِّ لِلْغَمِيدِ فِي الْفَرَامِ دَلَالًا
أَتَلَقَّتْ مُهْجَتِي وَأَذَمْتُ فُؤَادِي
يَخْجَلُ الْبَذْرُ أَنْ يَرَاهَا وَتَأْبَى
أَنْ أُلْقَى يَا دَهْرُ مِنْ غَادَرْتَنِي
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ السَّكُونِ وَأَخْلَى
إِنَّ طَوْلَ النَّوَى أَعَدَّ لِجِسْمِي
أَشْعَلِيَ النَّارَ مَا اسْتَطَعْتَ فَقَلْبِي
أَنَارَاضَ بِمَا أَرَدْتَ حَيَاتِي
سِرَّ إِلَيْهَا وَصِفَ لَهَا مَا أَعَانِي
وَقَفَ الْبَذْرُ وَقَفَّةَ الْخَيْرَانِ
أَنْتِ كَالسَّجَرِ فِي عُيُونِ الْحِسَانِ
فِي شِبَالِ الْهَوَى وَغُودُ الْأَمَانِ
كَمْ مُحِبٍّ غَدَا صَرِيحَ الْفَوَانِ
غَادَةً سَهْمُ جَفْنِهَا قَدْ رَمَانِي
بِدَلَالٍ مِنَ الْبُدُورِ التَّدَانِ
بَيْنَ جَالِ الْوَسْنَانِ وَالْيَقْظَانِ
مَنْ نَسِيمِ الْحَيَاةِ فِي وَجْدَانِي
مَنْ ثِيَابِ الضَّنَى نُحُولًا كَسَانِي
لَمْ تُرَوْعُهُ زَفَرُهُ النَّمِيرَانِ
أَوْ مِمَاتِي حَيْثُ الْوَفَاءُ دَعَانِي

وهبتك قلبي

لَمَنْ أَشْتَمَكِي يَا لَيْلُ بِاسْمَةِ الثَّمَرِ وَمَا نَأَلَنِي مِنْهَا مِنَ الْبُعْدِ وَالْهَجْرِ
 لِيَالِي الْهَمِّ وَأَتَّ سِرَاعًا وَخَلَفَتُ فَوَادِي لِدِكْرَاهَا بَيْتُ عَلَى الْجَزْرِ
 سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الْهِنَاءِ الَّتِي خَلَّتْ مِنْ الشَّحْبِ أَحْلَى مَا يَسِيلُ مِنَ الْقَطْرِ
 إِلَيْكَ اِشْتِيَاقِي رَبَّةَ الْحُسْنِ إِنِّي وَحَقُّ الْهَوَى مَابَاتِ غَيْرِكَ فِي فِكْرِي
 تَطْوُلُ اللَّيَالِي وَالشَّهَادُ مُلَازِمِي وَسِيلُ دُمُوعِي مِنْ لَهَيْبِ الْجَوَى يَجْرِي
 سَلَى اللَّيْلِ هَلْ جَفَنِي يَرَى النَّوْمَ لِحَظَّةً وَهَلْ غَيْرُ أَنَا نِيَّ يَجُوفِ الدُّجَى تَسْرِي
 وَهَلْ أَسْهَرُ اللَّيْلِ الطَّوِيلَ مُسَامِرًا سَوَى سَارِيَاتِ النَّجْمِ أَوْ طَلْعَةِ الْبَدْرِ
 رَعَى الْحُسْنَ نَفَرًا فِي مُحْيَاكِ بَاهِمَا تَبَدَّى كَبَدَرِ التَّمِّ فِي لَيْسَلَةِ الْقَدْرِ
 وَأَهْدَى الْجَمَالَ السَّخَرُ عَيْنَيْكَ مُنْجَبًا

بِمَا فِيهِمَا مِنْ فَاتِكَاتِ الْهَوَى الْمُذَرِي !
 وَهَبْتُكَ قَلْبِي عِنْدَ أَوَّلِ نَظَرَةٍ وَشَهِدْتُ حُبِّي عَالِمُ السَّرِّ وَالْجَهْرِ
 سَاحَفْتُ فِي قَلْبِي عُهْدَ مَحَبَّتِي وَمَنْ غَيْرُهَا يَاحِبُّ عَوْنِي عَلَى الدَّهْرِ
 وَأَضْبِرْ مَهْمَا أَتَلَفَ الصَّبْرُ مُهْجَتِي وَلَوْ أَنَّ فِي طَوْلِ النُّوَى ضَيْعَةَ الْعُمَرِ

راقبوها

رَاقِبُوهَا خَوْفَ النَّأْوِ حَتَّى
وَأَرَاقُوا دَمَ الْحَاجِرِ مِنْهَا
وَأَعَدُّوا لِصَفْوِهَا كُلِّ كَيْدٍ
وَأَقَامُوا مِنَ الْعِيُونِ شُهُوداً
عَذَّبُوا قَلْبَهَا الْكَلِيمَ الْمُعْتَى
فَارَقَ النَّوْمُ جَفْنَهَا وَتَوَارَى
وَتَعَدَّى السَّقَامُ ظِلْمًا عَلَيْهَا
نَالَ مِنْهَا الضَّغْنُ فَصَارَتْ خِيَالاً
أَقْسَمَتْ أَنْ تَصُونَ لِلْحَبِّ عَهْداً
بِاتٍ طَلِيفٍ الْكَرَى مَنَاهَا وَأُضْحَى
مِثْلَتْ آيَةَ الْوَفَاءِ فَضُحَّتْ
عَلِمَتْ أَطْهَرَ الْقُلُوبِ غَرَاماً
زَهْرَةُ الْحَبِّ أَشْرَفُ الزَّهْرِ نَبْتاً
هَكَذَا يَرْفَعُ الْفَرَامُ نَفُوساً
لَا يُذِيعُ النَّسِيمُ سِرَّ هَوَاهَا
قَسْوَةً حِينَ أُسْرِفُوا فِي أَذَاهَا
وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ أَرَادُوا صَفَاهَا
سَاهَرَاتٍ تَعَوُّقَهَا عَنْ هَنَاهَا
وَأَهَاجُوا بَيْنَ الضُّلُوعِ جَوَاهَا
نُورُ آمَالِهَا وَطَيْفُ مَنَاهَا
فَبَكَاهَا رَغَمُ التَّشْبِثِ عِدَاهَا
بَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ اللَّهْيَبُ حَشَاهَا
وَتَقَامَسَى الْعَذَابَ مَعَهَا ضَبَاكُهَا
وَاللَّهِ الصَّبْرُ زَادَهَا وَعَزَاهَا
كُلَّ مَا عَزَّ فِي سَبِيلِ وَفَاهَا
أَتَمَّا الصَّبْرُ خَيْرُ وَزْدٍ سَقَاهَا
أَبَدَ الدَّهْرِ لَا يَضِيعُ شَذَاهَا
طَاهِرَاتٍ قَدْ أَخْلَصَتْ فِي هَوَاهَا

سحر الجمال

تَاهَتْ بِسَحْرِ جَاهِلِهَا عَيْنَاكَ لَمَّا تَمَلَّكَ فِي الْقُلُوبِ هَوَاكَ
لَعِبْتَ بِمَيْدَانِ الْغَرَامِ سِوْفَهَا وَهَوَتْ مَوَاضِيهَا عَلَى قَتْلَاكَ
رُدِّيَ عَنِ الْمُهَيَّجِ السِّوْفِ فَقَدْ جَرَى بَدَمِ الْقُلُوبِ تَوَرُّدًا خَدَاكَ
يَارِبَةَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَذَلَّلِي مَا شِئْتُ كُلُّ الْعَاشِقِينَ فَدَاكَ
قَسَمًا بَمَنْ جَعَلَ الْقُلُوبَ لَكَ الْفِدَا وَبِقَاتِنِ الْحَسَنِ الْبَدِيعِ حَبَاكَ
أَنْتَ الرَّجَاءُ لِعَيْنِ صَبٍّ سَاهِرٍ هَجَرَ الْمَنَامُ جَفُونَهُ لِنَوَاكَ^(١)
يَا مَنْ عَلَى الدُّنْيَا تَذْيِهُ بِحُسْنِهَا إِنْ الْجَمَالَ لِلْمَلِكِ وَلَاكَ
لَا تَمْنَعْنِي عَنِ لِقَاءِكَ وَارْحَمِي صَبًّا يَحُودُ بِنَفْسِهِ لِبِرَاكَ
وَجَدِي وَمَا بِالْقَلْبِ مِنَ أَلْمِ النُّوَى نَارًا تُجَدِّدُ دَائِمًا ذِكْرَاكَ
جُودِي عَلَى أَوْفَى مُحِبِّ مَالِهِ سَلَوَى عَلَى الدُّنْيَا بِعِيرِ رِضَاكَ

(١) النوى : البعد .

شكوى

إلى الحبِّ أشكو حبيباً هجر وعلم جفنى البُكا والسمهر
ليالى هنأى عجيبٌ لها تمرُّ سِرَاعاً كلِّح البصر
تطيل الليالى صروفُ النَّوى وتمنَّعُ عنى ضياء القمر
عيونٌ تكامل فيها الجمالُ تبارك من زانها بالحوَر
تُدَاعِبُ بالسحرِ مُضَيَّ الهوى فتكشف من سره ما استتر
يمر فينمش ورد الصبى عَلَى وَجْهِكَ نسيم السَّحرِ
ترامى الفرامُ عَلَى مُهْجَتِي وقد كنتُ منه شديد الخدر
فأودعَ قلبى لهيبَ الجوى ومن يستطيعُ عِنَادَ القَدَرِ ؟^(١)
سَلَى الليلَ عن لَوْعَتِي إنه أمينٌ فيروى صحيح الخبر
عشقتك لما دعانى العفافُ وفرطُ الجمال وسحر النَّظَرِ
تعالى انظري كيف كاد الهوى لأوفى محبِّ أمين صَبَرِ
فؤادى يرضى بما تحمُينَ ولو أن ماى يذيبُ الحجر

(١) انظر قول الشاعر في قصيدة سابقة بعنوان « سلام » !
لجبر القضاء بأحكامه . ومن يستطيعُ عناد القدر ؟

يا عيوننا

يا عيوننا تملأ الدنيا غزل	إن سرَّ الحبِّ في سحر المقل
استُ أنسى نظرة قد أودعت	في صميم القلب نيران الأمل
صوبت عينك سهماً نزعته	من فؤادي لم تُقدِّ فيه الحِمْل
لك وجهٌ جلٌّ من صورة	فُتِنَ الحسنُ به لما اكتمل
يا جمالا كل أقمار السما	غيرة منه تولأها الخجل
نار حبي أبعدت عني الكرى	أسقمتي ، مكنت مني العَلَل
أسهرُ الليل حزيناً حاراً	است أدري في غرامي ما العَمَل
مدمعي ، سُهدي ، أنيني ، لو عتي	كلما طال النوى أخشى الملل
والذي أعطاك لحظاً ساحراً	وجملاً صار للحسن المثل
لو كنوز الأرض كانت بدلاً	من محيائك لما اخترتُ البدل
فاذكري صباً وفيئاً هائماً	واعلمي أن سبقَ السيفُ العَدْل

إليك وفائي

إذا أنكر الحسنُ البديع حنيني	فهل ينكرُ الليلُ الأمينُ أنيني ؟
سلى ساريات الليل عن سهدٍ مُقلتي	ونيران أحشائي وسيلِ جُفوني
وما حلَّ في قلبي من الوجد والجوى	وقد مكنت مني السقام شجونى
خطرتِ فحملتِ النسام نفحةً	من الطيبِ زادت في هوائِ جنونى
وأسفرتِ عن وجهٍ تكامل حسنه	بطاعته نوراً ملأت عيوني
وأرسلتِ سهماً من لحاظك فأنكأ	أصاب هوى قلبٍ عليك أمين
سعيرو سرى في مهجتي فأذا بها	ومن حرٍّ آهاتِ الغرام يقيني
ظننت الهوى سهلاً ولم أدرِ أنه	هوانٌ لقلب العاشقِ المفتون
تكتمتُ حُبِّي غير أنَّ مدامعى	تبوحُ بسرِّ في الفؤاد مصون
تعلم جفنى الشهد من روعة النوى	وتاهت بأبراج الخيال ظنوني
كسأني ثياب السقم عهدك فإرحمى	فؤاداً بما يرضيك غيرِ ضنين
إليك وفائي إني صابرٌ لما	قضته يد الأقدارِ فوق جبينى

حرب !

بين قلبي وسحر عَيْنَيْكَ حَرْبٌ	أشعل النارَ فيه وجدُّ غرامى
فأرفعى السيفَ يا جفونُ ويكفى	ما بقلبي من صائبات السهامِ
يا جمالاً تملك القلبَ مِنِّى	أنت شغلى فى يَقْظَتِي ومنامى
يا رجاءَ العيونِ إنَّ دموعى	شاهداتٌ بلوعتى وسَقَامى
ضاع نومي وحاربتنى هُمُومى	وكستنى نوبَ الضنى آلامى
إن جسمى يكادُ يُخَفِّى نَحْوَلًا	من زفيرِ الجوى وَسَطُورِ الهَيَامِ
أسهر الليلَ ساجحاً فى خيالٍ	أيقظته من نومه أحلامى
أرتضى المرءَ فى هوائك وعندى	كل شىءٍ يهونُ حتى جِهامى
فاذكرينى وخفِّى نارَ وجدى	أنت قَصْدِي وغَايَتِي ومَرَامى

القلب القاسى

والعين فى روض المحاسن تَنعَمُ	القلب من نار الهوى يتألم
ما بال قلبك قاسياً لا يرحم	كل الحسان قلوبهن رحيمة
وسيوف لحظك فى دمي تتحكّمُ	عينك ساحرتى وحسنك فانتى
قلبي أسيرٌ فى هـواك مُتَمِّمُ	يا من أرى الدنيا بقربك جنّتى
شفتاك يا هبة السّما تبسمُ	لم أنس أول نظرة كانت لها
إن العيون بسحرها تتكلّمُ	من سحر جفنك قد تعلّمتُ الهوى
والدمع غاضٍ وفاضٍ من عيني الدمُ	ما حيلتى والجفن حالفهُ البُكا
والسقم أعلن ماله أتكتّمُ	قد راعنى سهدٌ وأتلفَ مهجتي
يا منتهى أُملى لِمَن أنظلمُ ؟	إن كنتُ لأشكو إليك صبابتي

أين العهد

أين اللبالي اللواتي سببت سقمي	يا ليلة بعدها عيناى لم تنم-
مررت كطيف خيال كان يسعدنى	لو دام لكنه ويلاه لم يدم-
يا نظرة أرسلت سهما إلى كبدى	فبات من جرحه في ثورة الألم-
سرى الهوى كهييب النار في جسدى	فالقلب في حرقه والجسم في سقم-
سهدى حنينى عذابى لو عتى لهفى	دموع عيني غدت ممزوجة بدم-
ياربه الحسنى إن لم ترحمى سقمى	لا بد يوما تعانى زفرة الدّم-
أين العهد اللواتي علّات أملى	لو طال هجرى لأفضت بى إلى حكم-
إنى على العهد مهاطل بى أمدى	وحق من علم الإنسان بالقلم-

جفون

يا جفوناً أشكو إليها الفراقاً جرح القلب فاستردى السهاماً
أصبح القلب للجفون أسيراً يشتكى أوجده والأسى والهياماً
يا مهة تجمع الحسن فيها وحباًها الجمال منه ابتساماً
كم لعينيك من مواقف سحرٍ علمت صامت العيون الكلاماً
لك لحظاً وطلعةً وقوامٌ ودلال أنسى الجفون المناماً
كل بذر يتم في الشهر يوماً وحياك في التمام دواماً !
نار حبي ولوعتي ودموعي أورثت مهجتي الضنا والسقاماً
إرحمني إن شئت أو عذبي أقسم القلب أن يصون الفراقاً
أضرمي النار إن أردت عذابي أو فقولي يا نار كوني سلاماً !

دولة الحسن

في دَوْلَةِ الْحُسَيْنِ بَيْنَ الْأَحْظِ والتَّيِّه	يبدو الجمالُ الذي بالزُّوْحِ أَفْذِيهِ
إنَّ الجمالَ سِلَاحُ الغانياتِ به	تَسْطُو على قلبٍ وَلَهَانٍ فَتَذْمِيهِ
يانظرةً أُرسلتِ نَارَ الغرامِ إلى	قلبي فباتَ وجعُ الحبِّ يَكْوِيهِ
باللهِ مَرَحَةً ياخيرَ من جمعتُ	جواهرَ الْحُسَيْنِ في ثوبٍ من التَّيِّه
لاتسألي عن غرامي فهو لي حَزَنٌ	وللصبا به سرٌّ لست أُبْدِيهِ
أبيتُ ليلي حزينَ القلبِ مكتئباً	ومدمعِ العينِ قد جفت مآقيهِ
ألازمُ السَّهْدَ طوْلَ الليلِ في أرقٍ	حتى أرى الصبحَ يَحْيِيْنِي تَدَانِيهِ
ما أَجملُ الصبرِ في ذُلِّ الغَرامِ وما	أحلى رضا شادنٍ قلبي يَنَاجِيهِ
حاولتُ إخفاءَ حبي عن عوازلها	لكنما دمعُ عيني كيف أُخْفِيهِ ؟

معلتي

معلتي من ليس لي غيرَها شغلُ هنيئاً لعينٍ لحظةً منك لا تخلو
ألم يكفِ ما عانيتُ من ألمِ الجوى وكلُّ عذابٍ في غرامك لي يحلو
خطرتِ فحيتكِ الورودُ تبسماً وسلّمتِ الأغصانُ وانتعش الظلُّ
وحسبك فتانٌ ولحظك قاتلٌ وقدك ما بين الغصون له العدلُ
جری الحبُّ يزجی فی دمی نارَ وجدها
ويكذب من قد قال إنَّ الهوى سهلُ
فهذي دموعي شهاداتٌ بلوعي
وعن طول سهادي يسأل النجم والليل
كأن سهادي بات يمشقُ ناظري
فبينهما في كل هجرٍ لنا وصلُ
وما كنت أدري قبل فتكِ جفونها
بأنَّ سهامَ الحبِّ ليس لها عقلُ
وكم أرسل السحرُ الذي في لحاظها
سهاماً بها مات المحبون من قبلُ
تملك مني الوجدُ حتى أذابني ومهما أنسلي جسمي فحبك لا أسلو

متى اللقاء

تَعَبْتُ مِنَ الشَّهْدِ الطَّوِيلِ جُفُونِي وَشَكَتُ مِنَ الدَّمْعِ الْهَتُونِ عَيْنِي
وَاشْتَدَّ مَابِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى حَتَّى جَرَى يَشْكُو الْغَرَامَ أَنْبِي
وَأَحَاطَنِي جَيْشُ الدُّجَى بِسُكُونِهِ قَتَرَا كَمْتُ حَوْلِي هُمُومُ شُجُونِي
يَا لَيْلُ أَنْتَ عَرَفْتَ سِرَّ صَبَابَتِي بِاللَّهِ بَلَّغْ لَوْعَتِي وَحَنِينِي
صِفْ مَا أَعَانِي فِي سَكُونِكَ مِنْ أَسَى وَاذْكُرْ أَلِيمَ مَوَاجِعِي وَابْكِينِي ^(١)
وَاشْرَحْ أَمِيمًا لِلْحَبِيبَةِ حَالَتِي فَعَسَى حَنَانُ فُؤَادِهَا يَشْفِينِي
يَا مَنْ وَهَبْتُكَ عَنْ رِضَاءٍ مَهْجَتِي وَدَمِي وَرُوحِي وَالْكَرَى هَنِينِي ^(١)
لَمْ أَسْتَطِعْ إِخْفَاءَ طَيْفِكَ لَحْظَةً عَنْ نَظَرِي فَمَتَى الْلِقَاءُ ؟ عِدِينِي !
قَسَمًا بِنَجْوَى النَّفْسِ لَكَ الْفِدَا سَأُصَوِّنُ عَهْدِي فِي الْهَوَى وَيَمِينِي

(١) قوله وابكيني — وهنيتي — خطأ ، إذ موضعه الجزم في الحالين لأنه فعل أمر .

فدى لك روحى

نَهيمُ بِأَيَّامٍ لَنَا وَلِيَالٍ	نَعَالِي فَقَدْ آنَ الْوَدَاعُ تَعَالَى
أَشْدُّ إِلَى وَادِي الْخُلُودِ رَحَالِي	أُمْدُ يَمِينِي لِلْوَدَاعِ وَبَعْدَهَا
وَجَارٍ عَلَى قَلْبِي وَأَشْغَلْ بَالِي	سَطَا حُبُّكَ أَنْفَاسِي فَأَتَلَفَ مُهْجَتِي
وَكَمْ شَدَّتْ الْهَجْرُ الطَّوِيلُ خِيَالِي	سَلَى اللَّيْلَ عَنْ دَقَاتِ قَلْبِي وَحُرِّ قَتِي
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوْعَتِي وَمَلَالِي	أُسَاهِرُ أَشْوَاقِي إِلَيْكَ وَمَدْمَعِي
لَوَاعِجُهُ مِنِّي تَغَيَّرَ حَالِي	ظَنَنْتُ أَهْوَى سَهْلًا فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ
وَمَنْ يَحْتَمِلُ مَا رَاعَنِي وَجَرَى لِي	تَحَمَّلْتُ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ مِنَ الْجَوَى
غَرَامِي تَقْدِيسُ بَغْيِيرِ وَصَالِي	وَهَبْتُكَ قَلْبِي فَاذْكُرْ عَهْدَ حُبِّنَا
فَدَا لَكَ رُوحِي وَالْفُؤَادُ وَمَالِي	أُودِّعُ فِيكَ الطُّهْرَ يَا غَايَةَ الْإِنْفَى

جوابها

إذا راعني ليلى بجفنٍ مسهدٍ علقتُ بأهداب الخيالِ المُشرَّدِ
 وبثُّ وحرَّاس الكواكبِ سلوَتِي عيونُ سهيلٍ في الدجى وعطاردِ
 وعنى أختفى طيفُ ألتى كنتُ دائماً على نورها الهادى أروح وأغتدى
 كحيلة طرفٍ أخجلَ البدرَ وجهها جالاً فأبدى رهبةً المتعبدِ
 إذا ما بدت بين الكواكبِ مثلتُ عقودُ اللآلى تزدهى حولَ فرقدِ
 هى الدرةُ المعصماءُ من نظرتُ له رمتهُ بسهمٍ صائبٍ ومُهَنَّدِ
 سبى حسنُها قلبى ومزقٍ مُهَجَّتِي حسامُ سطانٍ فأتك الطرفِ أُغَيَّدِ
 فأصبحتُ ولهاناً جريحاً معذباً أرددُ طولَ الليلِ مرّاً تنهدى
 شكوتُ لها ما شفَّني من غرامِها وما نالى من وجدها المتوقَّدِ
 فلم تنكلمْ بل أشارتُ كأنَّها تقولُ: فلا نهلكُ أسمى وتجلدِ!
 كأن ملاكَ الحُسنِ أوقفَ ثغرها عن النطقِ حتى لا تبوحَ فأهتدى
 ولكنَّ عينَها الجميلةَ أشفقتُ على قلبى المُضنى العليلِ المهدِّدِ
 فقالتُ وآياتُ الرضاءِ تبسمتُ سأحفظُ عهدَ الحبِّ فاصبرِ إلى الغدِ!

ملكت الفؤاد

فؤادُ الصبِّ يُخَيِّمُهُ لِقَاكَ وَيُضْنِيهِ التَّمَادِي فِي جَفَاكَ
تَعَجَّبَ فِي السَّمَاءِ النُّجُومُ لَمَّا ضِيَاءُ الْبَدْرِ أَخْجَلَهُ ضِيَاكَ
وَمَا جَرَّدَتْ سَيْفَ اللَّحْظِ حَتَّى تَزَاوَحَتِ الْقُلُوبُ عَلَى هَوَاكَ
عِيُونُكَ فَاتَسَكَتِ السَّحَرُ تَرْمِي عَلَى الْعُشَّاقِ مَحْبُوكِ الشَّبَاكَ
تَقْبَلُكَ النَّسَائِمُ كُلُّ صَبِيحٍ كَأَنَّ الْمُنْعَشَاتِ عَشِقْنَ فَاكِ
وَلَمَّا فَاقَ حُسْنُكَ كُلَّ حُسْنٍ تَمَنَّتْ كُلُّ عَيْنٍ أَنْ تَرَكَ
مَلَكَتِ الْقَلْبَ حَتَّى صَارَ عَبْدًا يَخُوسُ النَّارَ حُبًّا فِي رِضَاكَ
عَشِقُوكَ فَارْحَمِ صَبَاً وَفِيئًا يُعَذِّبُ جِسْمَهُ الْمُضَى نَوَاكَ
وَحَقِّكَ لَوْ مَلَكَتِ الْأَرْضَ طَرًّا لِأَسْلَوُا أَوْ أَمِيلَ إِلَى سِوَاكَ
وَوَالْحُبِّ الْمَقْدَسِ لَسْتُ رَاضٍ وَكُلُّ سَعَادَةِ الدُّنْيَا فِدَاكَ !

عن غادة

إِنْ سَطَا الْحُبُّ فَلَا يُغْنِي الْحَذَرُ
كُنْتُ فِي حِصْنٍ مَنِيعٍ أَخْتَفِي
أَتَقَى شَرَّ الْفُجَرَاءِ آمِنًا
لَسْتُ أَفْرِى سِرًّا مَا قُدِّرَ لِي
غَادَةٌ قَدْ أُعْجِبَ الدَّهْرُ بِهَا
أَرْسَلْتُ مِنْ مُقَلَّتَيْهَا نَظْرَةً
خِلْتُ مِنْهَا أَنِّي أَرْقَى السَّمَاءِ
لَيْلَةً الْأُنْسِ سَرِيعًا تَمْقُضِي
نَارُ حُبِّي حَوَّاتِ دَمْعِي دَمًا
مَرْقٍ الْمَجْرُ فُؤَادِي فَارِحِي
وَاحْفَظِي عَهْدَ غَرَامِي إِنِّي
فَهُوَ سَهْمُ الْحِطِّ فِي كَفِّ الْقَدَرِ !
عَنْ جَمَالِ الْغَيْدِ فَتَّانِ النَّظَرِ
مِنْ شِرَاكِ الْأَحْظِ أَوْ أَسْرِ الْخَوَرِ
فِي سَمَاءِ الْغَيْبِ مِنْ سُجْبِ السَّكَدَرِ
وَاشْتِيفَا مِنْهُ حَيَّاهَا الْقَمَرُ
تَيَمَّمْتَنِي ، شَاغَلَتْ مِنِّي الْفِكْرُ
بَيْنَ حُورِ الْعَيْنِ فِي جَوْ السَّمَرِ (١)
كُوْمِضِ الْبَرْقِ أَوْ لَمَحِ الْبَهَرُ
رَوَّعْتَنِي ، عَلِمْتَ جَفْنِي السَّهَرُ
قَلْبَ صَبٍّ مِنْ جَوَى الْحُبِّ اسْتَمْعِرُ
يَارْجَاءُ الْعَيْنِ أَوْفَى مَنْ صَبَّرُ

سؤال

نُجُومَ السَّما عَلَيْنَا اِشْهَدِي
تَطُولُ اللَّيَالِي عَلَى عاشِقٍ
أَسَاهِرُ شَوْقِي هَيَّامًا بِهَا
يَطُوفُ خَيَالِي بُرُوجَ السَّما
يُشَاغِلُ عَيْنِي طَيْفٌ لَهُ
أَعْدَاءٌ مِنَ السَّقَمِ ثَوْبَ الضَّنَى
كَسَا الْحَسَنُ وَجْهَكَ ثَوْبَ الْجَمالِ
وَقَدْ أَوْدَعَ السَّحَرُ أَسْرارَهُ
يَقْبَلُ وَرَدَ الصَّبِيِّ بِاسْمِ
سَطَتْ نَارُ حَبِي قَلِي مُهْجَتِي
أَخْوَضُ غَمَارَ الْمَهْوَى راضِيًا
سَأَحْفَظُ لِلْحَبِّ أَوْفَى عَهْدِي
فُوَادِي أَمْ جَفَنَهَا الْمُعْتَدِي؟
نَأَى النَّوْمُ عَنْ جَفْنِهِ الْمُسَهَّدِ
كَأَنِّي مِنْهَا عَلَى مَوْعِدِ
لَعَلِّي إِلَى بُرْجِهَا أَهْتَدِي
نَفُوذٌ عَلَى فِكْرِي الشَّارِدِ
لِقَلْبٍ يَنَارُ الْجَوَى مُوقِدِ
وَأَبْدَعُ فِي غَصْنِكَ الْمَائِدِ
بِعَيْنِيكَ يَافِتْنَةَ الْعَابِدِ
نَسِيمُ الصَّبَا فَوْقَ خَدِّ نَدَى
وَمَنْ مِنْ أَلِيمِ الْجَوَى مُنْجِدِي؟
بِمَا خَطَّه الدَّهْرُ لِي فِي غَدِ
مَدَدْتُ إِلَيْهَا أَمِينًا يَدِي

وفاء

سَابِقِ الرِّيحِ نَحْوَهَا يَا غَرَامِي فَمِ الرِّيحِ قَدْ بَعَثْتُ سَلَامِي
وَتَذَلُّنَ لَهَا عِيسَاهَا حَنَانًا تَمْنَحُ الصَّفْوَةَ وَالْهَنَاءَ أَيَّامِي
نَارَ حَبِّي تَرْفُقُ بِفُؤَادِي إِنَّ قَلْبِي مَمَزَّقٌ بِالسَّهَامِ !
أَسْهَرُ اللَّيْلِ رَاصِدًا بُرْجَ نَجْمٍ صَوَّرْتَهُ لِنَظَرِي أَوْهَامِي
عَلَنِي أَهْتَدِي إِلَى نُورِ طَيْفٍ فَرَطُ شَوْقٍ لَهُ أَضَاعَ مَنَامِي
مَاسِمِي غَيْرَ الدُّمُوعِ وَوَجْدِي وَسَهَادِي وَلَوْعَتِي وَهَيْامِي
إِنَّ كَرْبِي يَكَادُ يَحْرِقُ صَدْرِي وَأَنْبِيَّ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
«لَسْتُ أَذْرِي وَلَا الْمَنْجَمُ يَذْرِي» يَا فُؤَادِي مَتَى يَحِينُ ابْتِسَامِي
أَتَلَفَ الْمَجْرُ مُهْجَتِي فَارْحَمْنِي يَا رَجَائِي وَحَقَّقِي أَخْلَامِي
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَا أُغَيِّرُ عَهْدِي وَإِذَا مِتُّ سَوْفَ يَحْيَا غَرَامِي

هو الحب !

قلبي وربك لا يحب سواك	مهما هجرت وطال عهد جفاك
إن الغرام إذا تملك مهجة	رفع الشهي لعالم الأفلاك
يا من تجمعت المحاسن كلها	في وجنتيك ولحظك الفتاك
عينك بالسحر العجيب تكحلت	واستودعت سر الهوى شفتاك
وضع الغرام على جبينك قبلة	لما تورّد بالصبي خدّاك
صعب على قلبي التوجع والأسى	وعذابه ظلماً بنار هواك
فإلى متى هذا الصّدود ولم أكن	أدرى الهوى وهوانه لولاك
إني سأحفظ ما حيت محبتي	روحي وجسمي والفؤاد فداك

رجاء

وَحَمَلْتَنِي مَا لَيْسَ بِحِمْلِهِ رَضْوَى ^(١)	شَفَلْتُ فَوَادَى بِالصَّبَابَةِ وَالنَّجْوَى
سَهَامِكَ غَيْرَ الْقَلْبِ لَمْ تَتَّخِذْ مَأْوَى	فِيَا لَكَ مِنْ حُبِّ تَعْدَيْتَ ظَالِمًا
وَأَوْدَعْتُهُ وَجَدًا دَعَاهُ إِلَى الشَّكْوَى	حَمَلْتُ عَلَى قَلْبِي فَأَضْرَمْتُهُ جَوْوَى
وَشَكَّوَاهُ تَجْرَى فِي الظَّلَامِ مَعَ النَّجْوَى	يَشْتَقُّ هَدْوً اللَّيْلُ مَرُّ أُنَيْنِهِ
يَسَاهُرُنِي شَوْقِي إِلَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى	أُيَيْتُ اللَّيَالِي طَائِرَ اللَّبِّ حَائِرًا
وَلَمَّا أَجِذْ غَيْرَ الدُّمُوعِ لَهُ سَلْوَى	فِيَا بِهِجَةَ الدُّنْيَا هَوَاكَ أَذَابَنِي
فَلِي مِنْ مَعَانِي حُسْنِكَ السَّبَبُ الْأَقْوَى	فَلَا تَتْرَكْنِي لِلْفَرَامِ فَرِيَسَةٍ

(١) رضى : جبل معروف بالحجاز .

يوم الوداع

وَمَنْعَتْ عَنْ عَيْنِي فَلَيْبَ رُقَادِي	يَوْمَ الْوَدَاعِ لَقَدْ أَضَعْتَ رَشَادِي
وَتَرَكْتَهَا تَكْوِي صَمِيمَ فُؤَادِي	أَشْعَلْتَ نَارَ الْحَبِّ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَسَلَبْتَ مِنِّي غَايَتِي وَمُرَادِي	مَكَّنْتَ مِنْ قَلْبِي التَّأَوُّهَ وَالضَّنِّي
سَلَّمْتُ لِلصَّبْرِ الْجَمِيلِ قِيَادِي	لَمَّا خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى
هَطَّالُ دَمْعِي شَاهِدٌ وَسُهَادِي	يَالَيْلُ كَمْ قَاسَيْتُ فِيكَ مَوَاجِئًا
وَلَكُمْ شَكْوَتُ إِلَيْكَ مُرَبِّعَادِي	يَالَيْلُ إِنَّكَ عَالِمٌ بِصَبَابَتِي
يَالَيْلُ يَصْفُو قَلْبَهَا لُودَادِي ..	حَمْلُ نَسِيمِكَ حَرَّ أَشْوَاقِي عَسَى
فَلَعَلَّهَا تَرَوِي غَلِيلَ الصَّادِي	وَأُشْرَحَ لَهَا وَجْدِي وَشِدَّةَ لَوْعَتِي
يَادَهُرُ سَيْفُ عَدَاوَتِي وَعِينَادِي	مَالِي أَرَاكَ لَغِيرِ ذَنْبٍ شَاهِرًا
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُكِنُّ فُؤَادِي	مَهْمَا اعْتَدَيْتَ فَإِنَّ حَبِي صَادِقٌ

لمن أشتكى ؟

أضاعَ رشادى يامُنَاى جَفَاكَ	فِيَا لَيْتَنى مَا ذُقْتُ طَعَمَ هَوَاكَ
وهبتُكَ قلبًا كان لا يَعْرِفُ الهَوَى	ولم يدر آلامَ الجوى لَوَلَاكَ
فمكنت منه الوجدَ يَكوى صَمِيمَه	ولم ترحمى أَنَا تَ قلبٍ شاكٍ
رَمَتْنى العُيُونُ السَّاحِرَاتُ بِسَهْمِهَا	وَمَنْ مُنْقَذِى مِمَّا جَنَّتْ عَيْنَاكَ
لَمَنْ أَشْتَكِى سَهْدِى وَوَجْدِى وَلَوْ عَتَى	وما نالنى من لَحْظِكَ الْفَتَاكَ
تَبَيَّنْتُ مِنْ عَيْنَيْكَ مَارَمْتُ كَتَمَهُ	وما لم تُدْغِ أَسْرَارَهُ شَفَتَاكَ
ولما بدا صُبْحُ الْيَقِينِ لَنَاظِرِى	جعلتُ فَوَادِى وَالْحَيَاةَ فِدَاكَ
يُسَاهِرُنِى شَوْقِى إِلَيْكَ وَمَذْمَعِى	يُبَزِّهْنِى أَنِى لَا أَحِبُّ سِوَاكَ
أرى المرءَ يَحُلُو الْعَذَابَ كَأَنَّهُ	نَعِيمٌ لِقَلْبِى فِي سَبِيلِ رِضَاكَ
إِلَيْكَ وَفَاؤِ رَبِّهِ الْحُسْنِ إِنِّى	وَحَقُّ الهوى العذرى لَا أَنْسَاكَ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا	وإن كنت راحَةً فَسَوْفَ أَرَاكَ

قسم !

والله ما ذقت طعمَ الحبِّ لولاكِ
يا ظبيّة فتكت بالقلبِ مقلتها
صُونِي جِمالَكَ رفقاً بالعبادِ فما
أنتِ الهناء لقلبي والشقاء له
هبت نسيمُ الصبا تجزى معطرةً
فذكرتني ليالينا وقد غفلت
لما التقينا وكان البدر نالينا
لو لم يكن حسنك الأعلى لما خجلت
نبالُ لحظكِ لما مزقت كبدي
قالت تعذبُ بحبي كي تشاطرنِي
أجبتها ودموعِ الصديقِ شاهِدَتِي
ولا تعودتُ دَمْعَ المُغرَمِ الباكي
سبحانَ من يبدعُ الحُسْنَ حلاكِ
أُقسى جفاكِ وما أبهى محيّاكِ
فما أمرك في قلبي وأحلاكِ !
لأنها لثمت لما سرت فاكِ
عنا العيونُ وعينُ الصَّبِّ ترعاكِ
أحسَّ قلبي بأن البدر يهواكِ !
أنواره يا ضيائي حين يَلْقَاكِ
سألتهَا رَحمةً بالمغرَمِ الشاكي
ذلَّ الغرامِ ونارَ الحبِّ ياباكي !
: عاهدتُ ربِّي أني لستُ أنساكِ

استسلام

من يُعِيرُ الْفُصُونَ لِنَ قَوَامِك	وجال الزهور حلو أبتسامك
من لبدر الدجى بأنوار وجه	كل عشاقه ضحايا غرامك
أعجب الحسن إذ جمعت الغوالى	من كنوز أجمال تحت لثامك
كوكب أوقف العيون حيارى	تأوهات فيما بدا من تمامك
رائعات فى روض حسن بديع	مشهر للدفاع حد حسامك
فتك اللحظ بالقلوب وباتت	مُهَجُ العاشقين صرعى سهامك
يا شقاء القلوب إن فؤادى	يرضى السقم خاضعاً لاحتكامك
لم يفارق خيال طيفك عيني	مذ غدا القلب وهو عين مقامك

لقاء خيال

دمى أهاج صبا بني وشجوني	والشهد أتلّف مَهْجَتِي وَعُيُونِي
يا دُرَّةَ خُلِقَ الجَمالُ لِوَجْهِهَا	فكأنّها في لؤلؤ مكنون
حاولت أن أخفي جِواري ولوعتي	ورجوت أن تنسى الدموع جفوني
لكنني ما استطعت كتمان الهوى	فوشّت بمكنون الغرام شؤوني
زكّي جمالا حُزّت فيه تمامه	وتصدق منه على المسكين ^(١)
لم أنس حين شكوت آلام الهوى	في ليلة منع المنام أنيني
وجرى النسيم إليك في غسق الدجى	يسرى بسرّ في الفؤاد دفين
أقبلت في ثوب العفافِ مصونة	ودنا حنانك راحما لحيني !
ما كان أشهى ذا اللقاء وليته	أبداً يدوم لواله محزون
قسما بحبك ما حلفت على الهوى	إلا لأنّي واثق بيمنى

هبينى لحظة

فؤادى فى عذابٍ من هـواكِ	وجفنى دائماً بالدَّمعِ بأكِ
فغينى فى رياضِ الحسنِ تهيمى	وقلبى فوقَ جمرٍ من جـواكِ
فإذا ذاتِ الرِّشاقةِ والتَّننى	متى ألقاكِ أو أُننى أراكِ؟
جمالكِ ساحرى وهـواكِ وجدى	وروحى يا معلّتى فـدك
رنوتِ بلحظكِ السحرىّ تيهاً	فما أقوى وأقسى ناظركِ ^(١)
عشقُك مذ رأيتُ الجفنَ يرُمى	لخالى القلبِ مَحْبُوكِ الشِّباكِ -
فصادتني الجفونُ بِذَبَلِ لَحْظِ	وقادتني الشِّباكُ إلى هـواكِ
أبيتُ الليلَ أرقُبُ كلَّ نجمٍ	أناجى لوعتى وأسى نواكِ
عسى ألقى خيالكِ فيه يندو	فأملا نورَ عيني من سنّاكِ
هبينى لحظةً تُنطفئُ سعيّاً	تأجِّجَ فى ضلُوعى من جفّاكِ
ويا نورَ المنى سيّانٍ عندى	حياتى فى غرامكِ أو هلاكى
فجسمى قد غدا من فرطِ حُبى	خيالا لا يفارقه ضيّاكِ
شكوتُ إليك هجرى فارحمينى	وبكفينى من الدنيا رضاكِ

(١) الصواب « ناظريك » .

سلى الليل

سلى اللّيل عن سُهْدَى وَوَجْدَى وَمَذْمَعَى

ودقات قلبى وألجوى وموَاجى	
سكون الليالى شاهدٌ بصباقتى	وَمَنْ غَيْرُ لَيْلٍ إِنْ تَهَدَّتْ سَامِعَى
يلازمنى سُهْدَى وَقَدْ فَتَكَ الْهَوَى	بقلبٍ لسلطان الْحَبَّةِ خَاضِعِ
رمتنى الْعَيُونُ الْفَاتِنَاتُ بِسِحْرَهَا	فَأَسْهَرْتُ جَفْنَى رَاصِدًا نَجْمَ طَالِعَى ^(١)
لعلّى أرى فى طلعةِ النجم طيفَهَا	يَرُدُّ كَرَى صَبٍّ مِنَ الْبَعْدِ وَالْعِ
يزيد أشتياقى كلما طَالَ هَجْرُهَا	فَحَتَّى مَتَى يَا هَجْرَ أَلْقَاكَ مَا نَعَى؟
دموعى وسهْدَى والنحول ولوعتى	تُبْزِهْنِ أُنَى فِى أَهْوَى غَيْرُ خَادِعِ
تعدى على الدهرُ حتى كَأَنِّى	إِخَالُ أَجْتِهَادَى فِى الْمَنَى غَيْرَ نَافِعِ
فيا من أرى فى القُرْبِ مِنْكَ سَعَادَتَى	إِلَّا رَحْمَةً بِالْعَاشِقِ الْمُتَوَجِّعِ

(١) الصواب أن يقول « طالع نجمي . . . »

سأصون العهد

عيناى من حرّ الجوى	تبكى على قلب صريع
يا لوعة القلب الذى	أناؤه منعت هجوعى
حاولت كتم صبايقى	وأردت أن يخفى ولوعى
لكنّ دمعى قد وثى	بسرائر القلب الوديع
قاسيت آلام الهوى	وكم احتملت أذى خضوعى
أفضى الليالى ساهراً	أبكى على زاهى ربيعى
حولى تراحت الهموم	وما لكربى من شفيع
حبي سقى قلبى الضنى	وكوى بلوعته ضلوعى
مهما يحاربنى النوى	فالصبر فى حصن منيع
سأصون عهد محبّتى	يا ربة الحسن البديع

عهد

رويدك قد جفا جفني مناي
تعدى ناظراك على فؤادي
جمالك تاهت الأفكار فيه
نصبح وزد خديك الموادي
تقبل منك ثقرا أودعته
لحاظك بالقواتك هاجتني
ولكني تحملت المواضي
كشفت بلحظك السحري سرا
عشقتك فازحمي قلبا جريما
نحولي والسهاد ونار وجددي
وقائي لا تفيده الموادي
وعهدي في المحبة سوف يبق

وأدنى مدمعي قاسي غرامي
فبات بين من وقع السهام
محيّا صورته يد التمام
نسائم حملت نجوى هيامي
معاني الحسن حلو الانسام
وكنْتُ أمامها أخشى انهزامي
بقلب من سهام الجفن دام
بروق الصمت فيه عن الكلام
وجسما هدمته يد السقام
إذا طال النوى ساقى حامى
من الأيام أو قاسى الملام
يحدد ذكره دوما سلامي

کم تحملت

سِرِّ بَوَّجْدِي وَلَوْ عَنِّي وَهَيَّامِي	يَا نَسِيمَ الصَّبَا وَبَلِّغْ سَلَامِي
وَتَهَادِي إِذَا بَلَغْتَ حِمَايَا	وَتَلَطَّفْ إِذَا شَرَحْتَ غَرَامِي
أَنْتَ تَذَرِي بَمَا يَعْانِيهِ قَلْبِي	مَنْ أَلِيمَ الْجَوَى وَفَتَكَ السَّهَامِ
يَا رَسُولاً أَوْدَعْتَ سِرَّ فُؤَادِي	سَارِيَاتٍ تَشْقُ جَوْفَ الظَّلَامِ
يَا أَمِينِي عَلَى رَسَائِلِ حُبِّي	صِفْ سُهَادِي وَمَذْمَعِي وَسُقَامِي
كَمْ تَحَمَّلْتُ فِي هَوَاكَ هَوَانَا	فَاضَ دَمْعِي لَهُ وَعَزَ مَنْامِي
أَلْبَسَ الْمَجْرُ مُهْجَتِي ثَوْبَ سَقَمٍ	صَوَّرْتُهُ مِنَ الضَّنَى أَوْهَامِي
فَاعْطِنِي رَحْمَةً وَجُودِي حَنَانَا	أَنْقِذْنِي مِنْ رُوعَةِ الْأَحْلَامِ
سَوْفَ أَبْقَى عَلَى وَفَائِي أَمِينَا	فَاذْكُرِي مَا حَيَّتْ عَهْدَ غَرَامِي

الحقيقة

سلطانُ من فَتَنَنِي فَوْقَ سُلْطَانِي	إن شاء عَذَّبَنِي أو شاء هَنَّأَنِي
رَأَشَتْ سِهَامَ جَفُونٍ مِنْ لَوَاحِظِهَا	وَصَوَّبَتْهَا إِلَى قَلْبِي وَوَجَدَانِي
لَحَظَ الْحَبِيبَةُ رَاقِبٌ مَهْجَتِي كَرَمًا	مَتَى رِضَاكَ يَوَاسِينِي وَيُرْعَانِي
لِلَّهِ فَرَطٌ جَمَالٍ بَاتَ بِشَغْلِي	عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلِلْأَحْزَانِ خَلَّانِي
يَا مَنْ تَكَامَلَ فِيهَا الْحَسَنُ أَجْمَعُهُ	الْوَجْدَ أَرْقَنِي وَالنَّوْمَ عَادَانِي
جَمَالُ وَجْهِكَ لَا يَنْجَابُ عَنْ نَظْرِي	وَوَرْدُ خَدَيْكَ مَمْزُوجٌ بِنِيرَانِي
بَسَامُ ثَغْرِكَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَبِدِي	وَلَيْلُ شَعْرِكَ تَهْمِي فِيهِ أَجْفَانِي
يَا لَيْلَةَ لَدِّي كَأْسُ الْغَرَامِ بِهَا	حَتَّى تَخِيلْتَ أَنَّ الدَّهْرَ صَافَانِي
مَضَتْ سَرِيعًا وَذَكَرَهَا تَحْمِلُنِي	ذَلَّ الْغَرَامُ وَمُرُّ الْبَعْدِ أَبْكَانِي
كَأَنَّ وَعْدَكَ حُلْمٌ زَارَنِي وَمَضَى	كَانَتْ حَقِيقَتُهُ وَجَدِي وَأَحْزَانِي

لولا الهوى

بَدَتْ قمرًا بالفتاكين تَقَلَّدَا
وقد أشهرت باللحظ سيفًا مُهَنَّدَا
وقد أَعْمَدَتْ في حبة القلب سيفَهَا
فأصبح جسمي بالفرام مُهَدَّدَا
ولم تَذِرْ عيني ما بقلبي لَأَنهَا
رَأَتْ في رياض الحسن خدًا مُورَّدَا
فشَاغَلَهَا وردُ الحدود عن الذي
تَأَجَّجَ نارًا في الهوى وَنَصَعَدَا
كَلِفْتُ بها من قبل أن أَعْرِفَ الهوى
فأصبح جَفَنِي في الغرام مُسَهَّدَا
وكنْتُ حَذَرْتُ الغيدَ حين تَمَرَّدَتْ
فأوقعني قلبي بأهيفَ أَغْيَدَا
ولولا الهوى ما بَتُّ بالدمع غارقًا
وقد كنت خلواً قبله متباعدًا
لعوبٌ لها من باهر الحسن طلعةٌ
إذا أشرقت أبصرتُ غُصْنًا تَأَوَّدَا
وقَدَا رَوَتْ عن لينه واعتداله
صاحُ العوالى بالجمالِ تَفَرَّدَا
لها أقسمت عيناى لا تترك البكا
ونفسي تمت أن تكون لها الفدا
تجود جفوني بالدموع وها أنا
أيتُ الليالى ساهراً مُتَوَقَّدَا
نَمَدَى على جسمي الضنى فأذابهُ
نُحُولًا وَخَلَانِي خِيَالًا مُجَرَّدَا
فيا ليلة مرَّت كأحلام نائمٍ
أَقَمْتُ لها في جَذْوَةِ القلبِ مَرَصَّدَا
ألا لَيْتَ شِعْرِي هل أَوْفَقُ سَاعَةً
إلى طلعةٍ كانت لِحَبِّي مُشْهَدَا
تَرُدُّ إلى رُوحِي الحياةَ فأبْتَنِي
لِمَهْدِ زَمَانِ الحُبِّ حِصْنًا مُشِيدَا

إليها

يَا مَنْ أَضَعْتُ بِحُبِّهَا أَيَّامِي مَنِّي إِلَيْكَ تَحِيَّتي وَسَلَامِي
 يَا مَنْ لِأَوَّلِ نَظَرَةٍ قَدْ خَلَتْهَا مَلَكًا تَهَادَى فَوْقَ عَرْشِ غَرَامِي
 فَتَكَّتْ سَهَامُ جَفُونَهَا بِحَشَاشَتِي فَتَكَ الْأَسُودِ الصَّيْدِ بِالْآرَامِ
 لَعَبْتُ بِقَلْبٍ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الْهُوَى هَامَتْ بِهِ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
 يَادِرَّةً بِخِلِّ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا يَا بَدْرَ حُسْنٍ حَازَ كُلَّ تَمَامِ
 لَمْ أَنْسَ حِينَ شَكُوتٍ مَرَّ صَبَابَتِي مَا كَانَ مِنْ وَجْدٍ أَطَارَ مَنَامِي
 وَاشْتَدَّ وَجْدِي مِنْ تَبَارِيحِ الْجَوَى وَمَدَامِي فَاضَتْ وَزَادَ هُيَامِي
 كَفَكُفْتُ بِالْكَفِّ الْجَمِيلَةِ أَدْمَعِي وَبِنَظَرَةٍ أَطْفَأَتْ نَارَ غَرَامِي
 عَقَدْتُ يَمِينُكَ عَهْدَ حُبِّ بَيْنِنَا وَبَدَأَ الرِّضَا مِنْ ثَغْرِكَ الْبَسَامِ
 وَافْتَرَّ ثَغْرُكَ عَنْ حَدِيثِ خِلَّتِهِ سِحْرًا تَسْرَبَ فِي دَمِي وَعِظَامِي
 صُنْ فِي فُؤَادِكَ مَا تَبَادَلُ بَيْنِنَا وَاحْفَظْ عَهْدَ تَحِيَّتِي وَزَمَامِي
 الْغَيْدُ تَخْدَعُ وَالْفَوَانِي طَبَعُهَا تَبْنِي الْعَهْدَ عَلَى رُبَا الْأَوْهَامِ
 يَا لَيْتَنِي مَا اجْتَرَزَ تِيَارَ الْهُوَى يَوْمًا وَلَمْ أُخْدَعْ بِعَذْبِ كَلَامِ

ليلة

فؤادى الذى وفى على الجمر مَوْجَعُ
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَوْ حَقَّقَ اللَّهُ مِثْلَهَا
تَكَامَلَ فِيهَا الصَّفْوُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
خَلَوْنَا وَدَارَتْ بَيْنَنَا نَشْوَةُ الْهَوَى
أَذَاعَتْ دِمْعَى مَا تُكِنُّ سِرَائِرَى
رَحَى الْحَرْبِ قَامَتْ بَيْنَ قَلْبِي وَجَفْنِهَا
أَرَى الْقَلْبَ مَهْمَا نَالَ حَكْمًا وَجُرْأَةً
تَجَلَّتْ لَعِينُهَا الْجَمِيلَةَ لَوْعَتَى
فَقَالَتْ وَيْمَنَاهَا تَكْفِكَفْ مَدْمَعَى
تَبَيَّنَتْ مِنْ عَيْنِكَ صِدْقَ مَحَبَّتَى
فَلَمْ أَحْشَ حِرَاسًا عَلَى يَوَاقِظًا
عَلَى يَمِينِ اللَّهِ أُنَى عَلَى الْوَفَا
فَقَاتَ لَهَا وَالْدَّمْعُ مِلْءُ مَحَاجِرَى
سَاحَفَظَ عَهْدَى مَا حَيَّيْتُ وَإِنْ أُمْتُ

وَعَيْنَاى فِى رَوْضٍ مِنَ الْحَسَنِ تَرَنُّعُ
بَلَغْتُ الْمُنَى وَأُمِنْتُ مَا أُنَوِّعُ
وَنُورُ الرِّضَا مِنْ كَوَكَبِ الْحُسْنِ يَسْطَعُ
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو هَجْرَهَا وَهَى تَسْمَعُ
وَأَعْلَنَ سَقَمِى هَوْلَ مَا كُنْتُ أُجْرَعُ
وَدَلَّ الْغَوَانِى فِى رَحَى الْحَرْبِ يَخْدَعُ
ذَلِيلًا لِسُلْطَانِ الْحُبِّ يَخْضَعُ
وَأَبْ فؤَادِى فِى الْهَوَى يَتَقَطَّعُ^(١)
شَهِيدُ الْهَوَى الْعَذْرِ لَا يَتَوَجَّعُ
وَأَنْكَ إِنْ أَخْلَصْتَ لَا تَتَزَعَّعُ
وَجِثَّتْ لَا أُلْوِ وَلَا أَنْفَزِعُ
وَأَنْ لَيْسَ لِي فِى حُبِّ غَيْرِكَ مَطْمَعُ
وَصَدْرِى مِنْ حَرِّ الْجَوَى يَتَصَدَّعُ
سَيَبْقَى غِرَامِى عَاطِرًا يَتَضَوِّعُ

(١) كان يجب أن يثنى النعت فيقول الجميلتين !

لحظ العيون

لَحَظْتَ الْعْيُونَ حَمَلَتْ حَمَلَةً عَاهِلٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ عَلَى الْمُحِبِّ الْأَعْزَلِ !
مَزَّقَتْ قَلْبِي بِالسَّهَامِ وَلَمْ تَكُنْ ذَارِحَةً بِصَرِيرِ جَفْنٍ أَكْحَلِ
إِنِّي خَضَعْتُ لِحُكْمِ سُلْطَانِ الْهَوَى وَصَبَابَةِ أَبْكِي بَدْمَعِ مُرْسَلِ
يَا مَنْ لَهَا بَيْنَ الْكَوَاعِبِ طَلْعَةٌ تَاهَ الْجَمَالُ بِحُسْنِهَا الْمُتَكَامِلِ
مَنْعَ الْهَوَى نَوْمِي وَأَتْلَفَ مُهْجَتِي وَسَطًا عَلَى جِسْمِي الضَّعِيفِ النَّاحِلِ
مَا حِيلَتِي لَوْ طَالَ بِي مَرْفُ النَّوَى وَالْدمعُ جَفَّ وَبَاتَ يَشْمَتُ عَاذِلِي
وَاللَّهِ طَيْفُكَ لَا يَفَارِقُ لِحْظَةً عَيْنِي وَلَيْسَ سِوَى خِيَالِكَ شَاغِلِي
قَسَمًا بِحُبِّكَ إِنِّي بَاقٍ عَلَى عَهْدِي وَعَنْ نَجْوَايَ لَمْ أَتَحَوَّلِ
أَجْتَاحَ صَغَبِ هَوَاكِ مَهْمَا رَاعَنِي كَأْسُ النِّيَةِ فِيهِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ
إِنِّي أَقْدَسُ بِالْوَفَاءِ مَحَبَّتِي فَتَدَلُّلِي مَا شِئْتُ أَنْ تَدَلِّلِي !

رَبَّةُ الْحَسَنِ

أُضْرَمَ الْوَجْدُ نَارُهُ فِي فُؤَادِي	وَأَلِيمُ الْجَوَى أَضَاعَ رِشَادِي
هَامَ قَلْبِي لِسِحْرِ عَيْنِكَ لَمَّا	سَكَنَ الْحَسَنُ مِنْهُمَا فِي السَّوَادِ
مَنْ يُجِيرِي مِنَ الْجِرَاحِ اللُّوَاتِي	كُلَّ يَوْمٍ آلَامُهُمَا فِي اِزْدِيَادِ
إِنْ وَرَدَ الصَّبِي تَبَسَّمَ عُجْبًا	فَوْقَ خَدِّكَ فِتْنَةً لِلْعِبَادِ
وَنَسِيمُ الصَّبَا تَعَطَّرَ طِيْبًا	مِنْ رِيَّاحِينَ غُضْنِكَ الْمِيَّادِ
رَبَّةَ الْحَسَنِ خَفَّفِي نَارَ وَجْدِي	وَارْحَمْنِي مِنْ مَذْمَعِي وَسُهَادِي
نَسْهَرُ اللَّيْلِ فِي رَجَاءٍ وَيَاسٍ	بَيْنَ حُلُوِّ اللَّقَا وَمُرِّ الْبَعَادِ
فَالِإِلَامَ الْجَفَا وَهَجْرُكَ أَذْنِي	مِنْ يَدِ السَّقَمِ مَهْجَتِي وَفُؤَادِي
صَارَ جِسْمِي مِنَ السَّقَامِ خِيَالًا	طَارِدَتُهُ شِمَاتَةُ الْحَسَّادِ

حبية القلب

حبيبة القلب كم حالتُ في لهفٍ عداى فيكِ وكم عادت أحلامي^(١)
ألم بُعدكِ حاجتي لواعجه وشوقُ قربكِ ضاعت فيه أيامي
رمت حشاي سهامٌ منك فاخرقت صميم قلبي وأدمت دمعى الهامي
يامن تصول سيوفٌ من لواظها تذودُ عن مُسفيرٍ منها وبسام^(٢)
أودعتُ في الصبحِ نومي عند ناظرها وعدتُ أشكو لليلي نارَ آلامي
أسامرُ النجمَ طولَ الليل من شغفٍ ياليلُ بلغَ سهادي فيك لؤامي
أفدى التي كنتُ عنها كاتماً شجني والدمعُ أكبر واشِ بي ونمام
سهمٌ رمتهُ بقلبي نظرةً تركتُ في مُهجتي لوعةً ياقسوة الرامي !
قد حالف الشهدُ جفني فأنضى جسدي من فرطٍ ما أسرفت في الوجدِ أوهامي
ما زال يسقيني في قربها أملي حتّى حدتُ بي لوادى اليأسِ أحلامي
وأصبح الجسمُ طيفاً لا تفارقه يدُ النحولِ وقلبي جرحه دام

(١) حالت : اصطلمت الحلم مع غيرة .

(٢) يريد بالسفر وجهها : وبالبسام ثغرها .

مناجاة

يا ليلُ فيكَ مواجِى وشجُونى	يا ليلُ علَّمتَ البكاءَ عيونى
يا ليلُ فيكَ لواعجى وتنهدى	يا ليلُ نوى خاصمتَه جفونى
ينسابُ دمعى فى سكونك يادُجى	ويطوف فى جوفِ الظلام أنينى
يا يها الليلى الطويلُ تراحت	حولى المهدومُ وغاضَ بحرُ شؤنى ^(١)
قلُ للحبيبةِ رحمةً بمتيمٍ	فتكَّ الغرامُ بقلبه المفتونِ
ما حيلتى فى سهدِ جفنى والجوى	وأنينِ قلبى والبكا وحنينى
قسما برابطةِ المحبةِ بيننا	إنى سأحفظُ بالوفاءِ يمينى

(١) شؤنى : دموعى .

يا حياتي

أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جَفَوْنِي سُهَّادِي وَكَوَى الْهَجْرُ وَالصَّدُودُ فُؤَادِي
بَاتَ قَلْبِي مِنَ الْفِرَامِ يَمَانِي لَوْعَةَ الْوَجْدِ وَالضُّنَى وَالْبِعَادِ
يَا جَمَالًا تَكَامِلُ الْحُسْنَ فِيهِ كَيْفَ أَسْلُو وَقَدْ مَلَكَتْ قِيَادِي
هَذِهِ أَذْمُعِي تَفِيضُ لِأَنِّي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى الْهَوَى فِي ازْدِيَادِي -
يَا حَيَاتِي دَاوَى بِعَظْفِكَ قَلْبِي أَنْتِ وَاللَّهُ غَابَتِي وَمُرَادِي
أَحْتَسِي الصَّبْرَ فِي هَوَاكَ وَأَرْضِي أَنْ يَكُونَ الْعَذَابُ وَالْمَرْءُ زَادِي
لَسْتُ أَدْرِي مَا حِيلَتِي ضَاقَ صَدْرِي مِنْ أَلَمِ الْجَوَى وَضَاعَ رَشَادِي
فَانْصِرْفِي مِنْ غَدَا لِبُعْدِكَ طَيْفًا وَارْحَمِي قَلْبَ حَافِظٍ لِلْوَدَادِ

قسماً بشجر...

يا جفنُ إنَّكَ لم تَذُقْ طَعْمَ الْكَرَى يوماً ولم تهنأ بطيبِ رُقَادٍ
فَعَلَّامَ يَشْكُو هَجْرَهُ وَبِعَادَهُ وصدى أنينك ضائعٌ في وادٍ
جُذُّ بِالْبُكَاءِ عَسَى يَدْمَعُكَ تَنْطِفِي نارٌ أحاطَ لَهْيُهَا بِفَوَادِي
حُبٌّ تَرَبَّى فِي دَمِي فَسَرَى بِهِ حتَّى تَمَلَّكَ مُهْجَتِي وَقِيَادِي
يَا مَنْ تُجِيدُ عِيُونُهَا لَفَةَ الْهَوَى هل غاب عن تلك العيونِ مُرَادِي
لَكَ نَظْرَةٌ فَتَنَ الْجَمَالَ بِسِحْرِهَا وَمُقَبَّلٌ يَشْفِي غَلِيلَ الصَّادِي (١)
إِنْ الْحَاسِنَ أَبْدَعَتْ تَصَوِّيرَهَا فِي نَظَرِيكَ وَغَصْنِكَ الْمِيَادِ
قَسَمًا بِشَجَرٍ بِالسَّيُوفِ مُنَمَّعٍ وبسحرٍ لَحْظٍ قَدْ أَضَاعَ رَشَادِي (٢)
مَامَسَ خَدَّكَ غَيْرُ أَنْفَاسِ الصَّبَا نَسَمَاتُهُنَّ رَوَّاحٌ وَغَوَادِي
أَنَا مَفْرُومٌ فَتَكَ النُّحُولُ بِجَسْمِهِ وَسَطَّتْ عَلَيْهِ عِدَاوَةُ الْحَسَادِ
إِنْ تَمْنَى عَنِي الْلِقَاءَ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذَبْتُ فِيكَ سَهَادِي

(١) القبل : نثر ، والصادي : العطشان .

(٢) ممنم عصن :

إلى قلب

يا قلبُ أنتَ وناظرِي	لم أذِرَ أيُّكما افترَى
عَيْنَايَ تَمْنَعُكَ المَدُو	ءَ وَأَنْتَ تَمْنَعُهَا الكَرَى
عَظْفًا عَلَى فَإِنِّي	لم أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْبِرَا
إِنَّ الغَرَامَ سَطَا عَلَى	قَلْبِي وَفِي رَوْحِي مَرَى
يَا مَنِّهَى أَمَلِي لَقَدْ	حَكَّمَ الهَوَى إِنْ أَشْهَرَا
لِي عَشِيقَتُكَ فَأَمْنَعِي	عَنِّي العَذَابَ الأَكْبَرَا
أَخْشَى إِذَا طَالَ النَّوَى	لَا أَسْتَطِيعُ تَصَابُرَا
مَهْمَا تَكَلَّمْتُ الهَوَى	فَالدَّمْعُ لَنْ يَنْسَتَرَا
مَا بَيْنَ دَمْعِي وَالْجَوَى	أُمْنِي وَأَصْبَحُ حَائِرَا
أَجِدُ الحَيَاةَ رَخِيسَةً	لَوْ كَانَ وَضْلُكَ يُشْتَرَى

غيرت حالى

يا بدیع الجمالِ غَیَّرْتَ حالى	أین یا بَدْرُ صافیاتِ الیالی؟
لستُ أنسى تلكَ العیونَ وقلبی	مَزَّقَتهُ لِخَاطِطِها بِالنِّبالِ
أنتَ یا حُبُّ کَم تَرکتَ نُفوساً	حائِراتٍ فی شارداتِ الخیالِ
وقلوباً أودَعْتَ فیها سَعيراً	أبدَ الدهرِ نارَه فی اشتِمالِ
أیُّ ذنبٍ جَنیتُ یا حُبُّ لَمَّا	زِدْتَنی لوعَةً وأَشْغَلْتَ بالی
یا ملاکاً سَبی الحِسانَ بِلَحْظِ	أودَعِ الحَسَنُ فیهِ بَنتَ الدِوالی
کَم تَعَذَّبْتُ فی هِواکَ وَکانتَ	مُؤَلِّماتُ العَذابِ فَوْقَ احتِمالی
أَسْقَمَ البُعْدُ والتَّجَنَّى فُؤادی	وکیسانی ثوبَ النُّحولِ ملالی
إنَّی خاضِعٌ لحِکمکَ فاهْجُرْ	أو فَحَقِّقْ یا بَدْرُ لی آمالی!

لقاء

نجوم الليل مهلاً لا تعيبي
 يُبشِّرُ باللقاء وأئى بُشْرِى
 ترانى بين مُسدِلِ الدَّوالِ
 سألتُ الريح يحملنى إليها
 فوافيتُ الحبيبةَ فى جَنانِ
 تميلُ على الأزاهرِ وهى تلهو
 وفاقَت فى الرشاقة والتَّذنى
 بدتُ قمرًا فكانت نورَ عيني
 وجاءت وهى تخطر فى قميص
 فقلت لها وقد تاهت دلالا
 فتوبك والورود ووجنتاك
 فمالتُ ثمَّ قالت وهى نشوى
 فلما صمنا وقتُ التَّلَاقِ
 بدا وجهي يعبر عن غرامى
 وهبتك مهجتي فاحرصن عليها
 ومررت كالغزالة وهى ترنو
 فما أفسى الغرام على فؤادى
 ويا قاسى النوى رفقًا بقلبي
 سانسبرُ حافظًا للحبِّ عهدًا
 فقد وافت أغاريدُ الحبيبِ
 أسرُّ من الهناء إلى القلوبِ
 وأخفق فى مُلاحَقتي رقيبِ
 على أهدايه خوفَ الغيبِ
 يُمثلُ يقظة الرُّمِ المهرُوبِ
 يضمُّ الورد فى غصنٍ رطيبِ
 جالَ تَلَقَّتِ الظُّبىَّ اللامُوبِ
 سَطَتْ أسدًا على قلبِ الحبيبِ
 نقى الذيل من كل الميوبِ
 لقد أصبحت فى زى عجيبِ
 كلون السحب فى وقت الغروبِ^(١)
 ليعُدَّكَ كانِ جِسمى فى شحوبِ
 ترأيدَ فى تسعِّره لهيبي
 لأنَّ الوجَّهَ مرآةَ القلوبِ !
 وصُنْ عهدي وقلْ يا نفسُ طيبي
 بمقلِّ شادنٍ كلف طروبِ
 إذا كان التَّجَنَّى من نصيبي
 ويا نارَ الصباية منْ مُجِيبِ؟
 وأرضى حكمَ علَامِ الغيوبِ

(١) لا يقلل من جمال هذا البيت إلا المخالفة العروضية فى قوله « وجنتاك » . .

نداءات عاشق

ما بال عيني لم تغمض ولم تنم - سيول أذ معها ممزوجة بدم
 يا غادة ملكت قلبي محاسنها - فبات من وجده في روعة الألم
 رُدِّي على ليالي التي سلفت - لم أنسها لا وما بال عهد من قدم
 كم بات بارق ذاك الثغر يبتسم لي - مُذْجَتْ أسمى على العينين والقدم
 يا رشفة هي راحي في الغرام بها - يُهدي الدواء لقلبي من لَمَّا كَفَمِي ^(١)
 ويا جمالا يواسيني بطلعه - بالله مَرَحَمَةً ياربَّه النعم
 ويا جبيناً ضياء الصبح لاح به - فأشرق الوجه منه في دجى الظلم
 ياربَّه الحسن جودي بالوفاء على - مَنْ قَدْ يَرَى يَقْطَاتِ الْعَيْنِ كَالْحُلْمِ
 أين العهود اللواتي علَّلت أملِي - وَخَلَفْتَنِي أَلِفَ الشَّهْدِ وَالسَّعَمِ
 ما سألمتنا الليالي في محبتنا - حَتَّى ذَكَرْتُ هَوَى أَيْمَانِ الْقَدَمِ
 يالائي لا تلني قبل تجربة - ذُقِ الْهَوَى فَإِنْ اسْطَقَّتْ الْمَلَامُ لَمْ
 لما خَلَوْنَا وَقَدِ رَابَتْ ظَوَاهِرُنَا - وَفِي بَوَاطِنِنَا بُعْدُ عَنْ التَّهَمِ ^(٢)
 وبيننا عَفَّةٌ بَاتَتْ تُرَاقِبُنَا - وَالطَّهْرُ مَا بَيْنَ هَيَّابٍ وَمُبْتَسِمِ
 ترنو إلى بعين الطَّيِّبِ واجفة - وَتَقْطِفُ اللُّؤْلُؤَ السَّيَّالَ بِالْعَمِ ^(٣)
 ودعَّغتها ودموعي جفَّ مَوْرِدُهَا - فَقَبَّلْتَنِي بِبَسَامٍ فَمَا لِقَمِ
 فذُقْتُ ماء حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا - أَخْلَى مِنَ الشَّهْدِ أَحْيَانِي مِنَ الْعَدَمِ
 قالت تَذَكَّرْ عهودي وانتظر فرجاً - أَجَبْتُهَا رَغْمَ خَفَاقٍ وَمُنْجِمِ
 دَيْنٌ عَلَيْكَ سَاحِيَا إِنْ وَفَيْتَ بِهِ - وَإِنْ بَحَلْتَ تَقَاضَيْنَا إِلَى حَكَمِ

(١) الهمي : الريق (٢) رابت : بعثت على الريبة والشك .

(٣) واجفة : خائفة مهتعدة ، الغم : نبات أحمر اللون .

خبرها

خَبَّرَهَا بِلَوْعَتِي وَهَوَانِي فِي هَوَاهَا وَبَلْغَا مَا أُعَانِي
وَإِذْ كُرَا مَا شَهِدْتُهَا مِنْ غَرَامِي وَسُهَا دِي وَمَذْمَعِي وَحَنَانِي
وَأَقِيَامَا لَهَا بُرَاهِينَ حُجِّي وَاشْرَحَا حَالَتِي لَهَا وَابْكِيَانِي
عَاهِدَاهَا عَلَى يَمِينِ وَفَائِي يَا نَسِيمَ الصَّبَا وَطَيْفَ الْأُمَانِي
أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ تَعَدَّيْتُ حَتَّى كَادَ يَقْضِي عَلَيَّ دَلُّ الْفَوَائِي
كَفْتُ قَبْلَ الْفَرَامِ فِي صَفْوِ عَيْشِي خَالِي الْبَالِ مِنْ صُرُوفِ الزَّمَانِ
فَرَمَانِي نَبْلُ الْجُنُفُونَ بِسَهْمِ أَوْدَعَ الْقَلْبَ زَفْرَةَ النَّيِّرَانِ
وَسَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ كُثُوسًا مَتَرَعَاتٍ بِالسُّقْمِ وَالْأَحْزَانِ
كَمْ تَحَمَّلْتُ فَوْقَ مَا كُنْتُ أَقْوَى وَتَحَيَّرْتُ فِي قُلُوبِ الْحَسَانِ
فَاتَرَكِي النَّيَّةَ لِحِظَةٍ بِأَحْيَانِي وَعَدِينِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي

قصة لقاء

داري العيون اللواتي حيرت نظري
فتاك لحظك سهم قد فرى كيدي
ياطلعة البدر نور الحسن منك بدا
صاغ الجمال جبيناً منك فازدهرت
فروض وجهك بالأزهار مبتسم
وحشني قدك فتان لناظريه
أين الليالي اللواتي كنت أحسبها
لما اجتمعنا وزهر الرّوض أنمشنا
غاب الحواصيد والعذال وانصرفت
وقد خلونا وجو الحب راق لنا
وبيننا دار كاس الحب تملوها
يهدى إلى العين أنوار المني أملاً
تبادلت شفتانا بيننا غزلاً
حتى إذا اشتدّ بي وجد الهيام بدا
لا تقربن حبيباً قد خلوت به
فارتاح قلبي لنصح الطهر وانبسطن
دنا الوداع فلا تنسى محبتنا
ودعناها ودُموع العين مانعتي
قالت ودره الآلى فوق وجنتها
عن مقلتي قلبي بات في خطر
ولم يفد فيه ما أجهدت من حذر
كأنه فرقد يسمو له بصري^(١)
بالحسن آياته في وجهك النضر
ولؤلؤ الثغر منظوم من الدر
يسبي العيون ويدعو القلب للسمير
تدوم يا ليلة قد سببت سهرى
تحت الدوالي وبين السحر والخور
عنا الرواصد إلا مقلة القمر
وراح عنا شديد الخوف والحدّر
يد الطهارة في وشي من الزهر
وللفؤاد كؤوس المنهل العطر
أرق في لفظه من نسمة السحر
طيف المغاف بنصح غير منتظر
واقنع بحظك بين السمع والبصر
مني لمن فتنتني كف معتذر
إني على العهد حتى رحمة القدر
عن الكلام وشوقي جد مستعير
جفت دموعي فلا تغزم على السرير

مالي سواك حبيبٌ قد تملصكني	غرامه في دمي يجري من الصفر
فكنْ على البعدِ رمزاً للوفاء عسى	يقربُ الله جمعَ الشملِ واصطبر
دقاتِ قلبي الهويناً كي أشاطرها	مرّ الوداعِ وباطيفِ النوى استنير ^(١)
رنتُ إليَّ ووَرَدُ الخدُّ أمطره	سيلُ اللداعِ وانسابتْ على الأثرِ
وخلفتني عليلاً أستغيث بها	من نار قلبي ودمع العينِ والسهرِ
حتى غدوتُ خيلاً لا يفارقني	طيفُ الحبيبةِ حتى ينجلي قمرِي

(١) في البيت يخاطب دقات قلبه ويقول لها : مهلا .

عنها

فَتَنَّتْ عُيُونَ النَّاظِرِينَ بِحُسْنِهَا سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْجَمَالَ وَصَوَّرَا
هَيْفَاهُ زَيْنَ خَدَّهَا وَرَدُّ الصَّبِيِّ قَتَايَلْتُ غَصْنًا رَطِييًّا نَاصِرَا
حَسَنَاهُ طَاهِرَةٌ كَزَهْرَةِ رَوْضَةٍ عَذْرَاءُ ذَابَتْ دُونَهَا مُهْجُ الْوَرَى
مَرَّ النَّسِيمُ بِهَا فَحَيًّا بِاسْمِهَا وَجَرَى فَحَفَّ بِفَرْعِهَا فَتَعَطَّرَا
بِيضَاهُ يُحْدِقُ شَعْرُهَا بِجَبِينِهَا فَتَرِيكَ فِي الظَّلَامِ بَدْرًا مُسْفِرَا
تَرْنُو لَوَاحِظَهَا فَتَلْعَبُ بِالنَّهْيِ لَعِبًا تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى
عَصَاهُ كُلُّ جَمِيلَةٍ أَضْحَتْ لَهَا أُمَةٌ تَرَى مِنْ سَعْدِهَا أَنْ تُؤْمَرَا (١)
نَظَرْتُ إِلَى الْعُلَيَاءِ مِنْهَا مُقَلَّةٌ أَهْدَتْ إِلَى هَاتُورٍ لَحْظًا سَاحِرَا (٢)
وَعَلَّتْ عَلَى عَرْشِ الْجَمَالِ وَأَرْسَلَتْ شَرَكَ الْغَرَامِ وَأَبْعَدَتْ طَيْفَ الْكَرَى
وَالشَّمْسُ بِاسْمَةٍ تُودَّعُهَا مَتَى غَابَتْ وَتَلَقَّاهَا إِذَا الصُّبْحُ أَنْبَرَى
رَسَمْتُ بِوَجْهِ الْبَدْرِ صُورَةَ وَجْهِهَا وَكَانَ حُسْنُ الْبَدْرِ فِيهَا صُورَا
نَظَرْتُ إِلَى فَخِلَتْ كِسْرَى بِاسْمِهَا فَوْقَ الْجَبِينِ بِصَافِحِ الْإِسْكَندَرَا (٣)
فَوَقَفْتُ مُرْتَجِفَ الْجَوَانِحِ حَائِرَا فَمَا أَرَى وَكَانَ حُلْمًا مَا أَرَى
حَتَّى رَمَتْ قَلْبِي سِهَامَ لِحَاطِهَا فَأَصَابَهُ مَا كَانَ قَبْلُ مُقَدَّرَا
دَخَلَ الْهَوَى قَلْبًا بَرِيئًا لَمْ يَكُنْ يَذَرِي الْهَوَى حَتَّى انْكَوَى وَتَسَعَّرَا
أَجْرَى الْغَرَامُ مَدَامِي وَسَطًا عَلَى جِسْمِي وَعَلَّمَ مَقَلَّتِي أَنْ تَسْهَرَا
يَحُلُو السَّامُ لِلنَّاطِرِي فَيَرُدُّهُ مَنْ تَمْلِكُنِي خِيَالٍ قَدْ سَرَى
حَتَّى إِذَا مَا السُّقْمُ أَتْلَفَ مُهْجَتِي وَغَدَوْتُ طَيْفًا هَائِمًا مُتَحَيِّرَا
أُيَقِنْتُ حَقًّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى فِي حُكْمِهِ دَوْمًا ظُلُومًا جَائِرَا
لَا بَدَّ أَنْ يَجْرِيَ الْقَضَاءُ بِحُكْمِهِ وَعَلَى الْمُعَذِّبِ بِالْهَوَى أَنْ يَضِيرَا

(١) أمة : عبدة . (٢) هاتور : من آلهة قدماء المصريين .
(٣) كسرى والإسكندر : كناية عن الفرس والروم وكان العداء بينهما شديداً .

متى يكون التدانى ؟

لَسْتُ أَذْرِى مَا حِيلَتِ يَازِمَانِ
كَانَ قَابِى مِنَ الصَّبَابَةِ خُلُوعاً
كَانَ زَهْرُ الرُّبَا وَصَفْوُ اللَّيَالِى
كَمْ تَشَبَّهْتُ وَالْفَزَالَةَ تَكْسُو
شَفَقٌ يَفْتِنُ الشَّقَائِقَ فِي الرَّوْ
لَوْهُ يَمْلَأُ الْعَيُونَ جَمَالاً
رَاحَةُ الْعَيْشِ لَا تَدُومُ وَتَأَلَّ
نَظَرَةُ أَطْفَانُ سِرَاجِ نَعِيمِ
لَسْتُ أَنْسَى سُلْطَانَهَا فِي عُيُونِ
وَسِهَامِ الْهَوَى الَّتِي صَوَّيْتُهَا
أَصْبَحَ الْقَلْبُ فِي عَذَابٍ وَوَجَدِ
كَمْ تَحَجَّجْتُ عَنْ عَيُونِ الْعَذَارَى
غَيْرَ أَنَّ الْقَضَاءَ طَيَّرَ قَلْبِي
قَالِقْتُ الشَّهَادَ مِنْ حَرٍّ وَجَدِي
يَنْقَضِي اللَّيْلُ فِي سَكُونٍ رَهِيْبِ
طَائِرَ اللَّبِّ سَاحِجاً فِي خِيَالِ
بِأَجْمَالٍ سَلَبَتْ عَقْلِي وَقَلْبِي
يَارْجَانِي مِنَ الْوُجُودِ وَقَصْدِي
ضَاعَ نَوْمِي وَشَاغَلَتْنِي الْأَمَانِ
وَعُيُونِي قَرِيرَةً الْأَجْفَانِ
وَالنَّسِيمُ الْعَلِيلُ هُمْ نُدْمَانِي
سُنْدُسُ الْأَرْضِ حَلَّةَ الْأَرْجُوَانِ
ضِىَ وَيَسْبِي قُلُوبَ حُورِ الْجِنَانِ
كَغُضَارٍ مُنْصَدِّ بِالْجَنَانِ
سُنَّةُ الدَّهْرِ صَافِيَاتِ الزَّمَانِ
وَهَنَائِي وَسَبَّبْتُ أَحْزَانِي
وَانْقِيَادِي لِسُجْرِهِمَا الْفَتَانِ
لِفَوَازِي وَزَفَرَةِ النَّبِيرَانِ
وَأَنْبِيٍّ وَلُوعَةٍ وَهَوَانِ
وَتَشَاغَلْتُ عَنْ جَمَالِ الْحَسَانِ
فِي شِرَاكِ الْهَوَى وَدَلَّ الْفَوَانِي
وَدُمُوعِي قَدْ قَرَّحَتْ أَجْفَانِي
وَاللَّيَالِي مَثِيرَةُ الْأَشْجَانِ
شَرَّدَتْهُ لَوَاعِيْجُ الْوَلَهَانِ
كَأَدَ قَلْبِي يَذُوبُ مِمَّا أَعَانِي
وَنَعِيمِي مَتَى يَكُونُ التَّدَانِي ؟

رفقا بحالى

يا سقيمَ الجفونِ أَشْفَلْتَ بِالى ليتَ شِعْرى متى تعودُ الليالى ؟
يا مهيةً تكاملُ الحُسنُ فيها فتبارت لها قلوبُ الرِّجالِ
لكِ لَحْظُ حُرَّاسِهِ سَاهِرَاتٌ راياتٌ عُشاقها بالنِّبالِ
كلُّ مَنْ نَالَ مِنْ إِحَاظِكَ سَهْمًا باتَ يشكو صريعَ هذا الدَّلالِ
يا جمالاً وَهَبْتَهُ كُلَّ قاي أنا عبدٌ لِفِرْطِ هذا الجمالِ
وَجْهُكَ البدرُ قد تَسَاطَعَ حُسْنًا حَوْلَ أنوارِهِ تَمِيلُ الدَّوَالِى
نَرَجِسُ العَيْنِ فَوْقَ وَرْدِ خُدُودِ وعقيقٌ مُرْصَعٌ بِالسَّلالِى
لا أزالُ الوَفَى فى عهدِ حُبِّى فاذْ كُرِّى إِذْ مَلأتِ كَأْسَ الدَّوَالِى
هذه مهجتي تَذوبُ غرامًا يا طيبَ القلوبِ رفقًا بحالى !

أغنية حب

تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْ دُمُوعِي كَأَنَّهَا سَحَابٌ عَلَى وَادٍ مِنَ النَّارِ يُمَطِّرُ
سَمِيرُ غِرَامِي وَلَدَ النَّارِ فِي دَمِي وَأَوْدَعَنِي مَا كُنْتُ أَخْشَى وَأَخْذَرُ
دَعَنِي إِلَى قَاسِي هَوَاكِ ابْتِسَامَةً يَهْوَنُ لَدِينَهَا كُلُّ صَعْبٍ وَيَصْفَرُ
جَالٌ كُنُوزُ الْأَرْضِ لَوْ قُدِّرَتْ بِهِ لَزَادَ عَلَيْهَا قِيَمَةً حِينَ يَظْهَرُ
جَفَا النَّوْمُ جَفَنِي حِينَ أَسَلَمْتُ مُهْجَتِي

وَقَلْبِي لِمَنْ فِي غَيْرِهَا لَا أَفْكُرُ
أَبَيْتُ حَزِينًا سَاهِرَ الْجَفْنِ حَائِرًا أَخَافُ إِذَا طَالَ النَّوَى كَيْفَ أَصْبِرُ
يَزِيدُ غِرَامِي لَوْعَةً كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَشْتَدُّ كَرْزِي وَالْجَوَى حِينَ أُنْهَرُ
تَطُولُ اللَّيَالِي كُلَّمَا طَالَ هَجْرُهَا وَمَهَا انْسَلَى جِسْمِي فَلَا أَتَغَيَّرُ
أَنَا الْمُغْرَمُ الْمُضْنَى الْمُعَذَّبُ فِي الْهَوَى جَرِيحُ سِهَامٍ وَاللَّهِ الْقَلْبُ جَائِرُ
مُاصِرٌ لَا أَشْكُو إِلَيْكَ صَبَابَتِي وَيَفْعَلُ رَبِّي مَا يَشَاءُ وَيَأْمُرُ

حقيقة الحب

إِرْحَمْ فَوَادِي فَالْعَذَابُ حَرَامُ وَاصْبِرْ عَنِّي تَصِفُوا لَكَ الْأَيَّامُ
قَالَتْ وَقَدَرَفَعَتْ سُيُوفَ جُفُونِهَا مَنَى عَلَى عَهْدِ الْفَرَامِ سَلَامُ
لَا تَحْسِبَنَّ الْحُبَّ أَمْرًا هَيِّئًا فَهُوَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الْأَعْلَامُ
وَسَأَسْتَزِيدُكَ أَنَّ فِي مَعْنَى الْهَوَى سِرًّا تَضِيقُ لِفَهْمِهِ الْأَحْلَامُ
فَهُوَ الْبَيَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَلَمَنْ يَخَاطِرُ فِي الدُّجَى الْإِقْدَامُ
وَهُوَ اللِّسَانُ لِمَنْ تَعَذَّرَ نَطْقُهُ وَلَمَنْ تَأَهَّبَ لِلدِّفَاعِ حُسَامُ
وَهُوَ الْبَسَالَةُ وَالطَّهَارَةُ وَالنَّدَى وَهُوَ الْأَسَى وَالْكَرْبُ وَالْآلَامُ
وَيُعَلِّمُ الْعَيْنَ الْكَلَامَ وَنِعْمَهَا لَفَةً يَفْصَلُ فَهْمَهَا مَنِ هَامُوا^(١)
وَيَهِيمُ بِالنَّفْسِ الْبَرِيئَةِ سَابِحًا فِي عَالَمِ أَحْلَامِهِ الْأَوْهَامُ
وَهُوَ الَّذِي شَغَلَ الْعَوَازِلَ أَمْرُهُ وَإِذَا تَمَكَّنَ حَارَتْ الْأَفْهَامُ

(١) قوله « نعمها » يريد : نعم ماضى . . . وفى القرآن الكريم (لَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ يَعْظُمُ بِهِ) :

الضاحك الباكي

ولمَّا التَّقِينَا والعواذلُ والنَّوَى
فلم أرَ رَوْضًا ضاحكًا مِثْلَ وَجْهِهَا
بِنَفْسِي من مَلَكَتْ زِمَامَ صَبَابِي
كَعَابٍ لَهَا فِي دَوْلَةِ الْحُسْنِ نَظَرَةٌ
قَوَامٌ حَوَى كُلَّ الْجَمَالِ وَطَلَعَةٌ
أَسْأَلُهَا : هل تَضْحَكِينَ وَمَدْمَعِي
فَقَالَتْ وَقَدْ مَالَتْ بِهَا نَشْوَةُ الصَّبِي
فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَهْدِي ابْتِسَامِي تَحِيَةً
وَفَضَلْتُ أَنْ أَلْقَاكِ بِالطَّلَعَةِ الَّتِي
فَقُلْتُ : تَعَالَى نَسْتَرِقُ خُلُوءَ الْهَوَى
وَقُمْنَا وَقَامَ الطَّهْرُ يَخْرُسُ ذَيْلُنَا
هِيَ الْعِفَّةُ الْمَعْمَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
تَبَاعَدَنْ عَنَّا كُنْتُ أَبْكِي وَتَضْحَكُ
وَلَمْ تَرَ مِثْلِي مَيِّتًا يَتَحَرَّكُ
وَلَا حَ لَهَا فِي رَفْعَةِ النِّجَمِ مَسْلَكُ
بِمَهْجَةِ أَبْطَالِ الضِّيَاغِمِ تَفْتَكُ
إِذَا مَا تَبَدَّدَتْ حُسْنُهَا يَتَمَلَّكُ
يَسِيلُ دَمًا مِنْ لَوَاعَةِ الْوَجْدِ يُسْفِكُ ؟
: خَشِيتُ إِذَا جَادَتْ عَيُونِي تَهْلِكُ
لِيَهْدَأَ قَلْبُ عَاشِقٍ مُتَوَعِّكُ
بِهَا كُلُّ قَلْبٍ مُغْرَمٍ يَقْبَارُكُ
عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ عَاذِلٍ يَتَشَكَّكُ
مِنَ الرَّجْسِ حَاشَانَا نَمِيلُ وَنُشْرِكُ
وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَيْسَ لِلنَّفْسِ يَمَلِكُ

تغريدة

يا من سَطَا سَيْفُهَا الْمَاضِي عَلَى كَبْدِي
أَعَارَكَ السَّجَرُ مَا أُولِيهِ مِنْ رَهَبٍ
يَادِرَّةً سَحَرَتْ عَيْنِي بِحَاسِنُهَا
أَنْذَكِرِينَ اللَّيَالِي السَّالِفَاتِ لَنَا
مَرَّتْ كَطِيفٍ مَنَامٍ كَمْ صَبَوْتُ إِلَى
شَرِبْتُ فِيهَا كُؤُوسَ الْحُبِّ صَافِيَةً
فَنَازُ وَجْهِكَ هَذَّنِي مُحَاسِنُهُ
مَلَأَتْ عَيْنِي بِالْحُسْنِ الْبَدِيعِ وَقَدْ
خَلُوتُ رَغَمَ الْعُيُونِ الرَّاصِدَاتِ لَنَا
تَهَمُّ نَفْسِي فِيمَا فِيهِ لَذَّتُهَا
طَهَارَةُ الْحُبِّ تَسْمُو بِالنَّفُوسِ إِلَى
أَهْدَى الْجَمَالِ إِلَى عَيْنِكَ بِهَجَّتَهُ
وَزَادَ حُسْنُكَ نُورُ الْبَدْرِ حِينَ بَدَا
تَبَسَّمَ الْوَرْدُ فِي خَدَيْكَ فَاتَّقَعَشْتُ
وَكُنْ طَيْفُ الْمُنَى بِالْبِشْرِ مُبْتَسِمًا
تَفَازَ الدُّرُّ وَاجْتَازَتْ غَوَالِيَهُ
دَارَتْ أَحَادِيثُ شَوْقِي يَبْتَغِيهَا فَهَرَّتْ
سِحْرُ تَمَلُّكَ قَلْبِي فَانْشَغَلْتُ بِهِ
سِرُّ سَرَى فِي دِمَائِي فَانْصَرَفْتُ بِهِ

مَامِنْ خَلَاقٍ أَنْ أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ^(١)
وَضَمَمْتُ الْحُسْنَ ضَمَّ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ
وَضَاعَ مِنْ وَلَهِي فِي حُبِّهَا رَشْدِي
وَلَيْلَةً لَسْتُ أَنْسَاهَا إِلَى الْآبَدِ؟
دَوَامِهِ غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ لَمْ يُرِدْ
وَنَلْتُ غَايَةَ آمَالِي يَدًا بِيَدٍ
وَحُلُوْ تَفَرُّكَ عَنِّي غَيْرُ مُبْتَعِدٍ
أَسَأَلْتُ لِلَّهِ أَمْرِي فِي مُصِيرِ غَدِي
وَبِتْ لَاعْذَلَا أَخْشَاهُ مِنْ أَحَدٍ
لَا شَكَّ فِيهِ رِضَاهُ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عَوَالِمِ الرُّوحِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَسَدِ^(٢)
وَأَوْدَعَ الْجَفْنَ مَا أَوْهَى بِهِ جَلْدِي
فَأَشْعَلَ النَّارَ فِي قَلْبِي وَفِي كَبْدِي !
أَزَاهَرُ الرُّؤُوسِ فِي أَنْوَابِهَا الْجُدُدِ
تَرَنُو إِلَيْهِ نَجُومُ اللَّيْلِ مِنْ صَعْدِ
حَصْنِ الْعَقِيقِينَ عَنْ صَفَّيْنِ مِنْ بَرْدِ
كَأَنَّهَا نَفَاثُ الطَّائِرِ الْغَرْدِ
عَنِ السُّنَنِ الْعَدْلِ أَوْ عَنِ أَعْيُنِ الْحَسَدِ
عَنِ عَالَمِ الْأَرْضِ أَوْ عَنِ مَطْمَعِ الْجَسَدِ !

(١) الصواب « أخلاق » واستعمال خلاق بمعنى أخلاق خطأ .

(٢) والشمس والأسد برجان فلكيان .

عيناك قد كاشفت قلبي بغايتها
 ناجيت حتى لحت اللحظ حن إلى
 نجوى يسعها ما بيننا غزل
 ما كنت أعلم أن الحب يفتك بي
 حنين قلبك للشكوى أباح دمي
 يشكو الفؤاد على آثارها الهفا
 يقول للقلب : إن الحب أشرفه
 صوت هو الطهر في نور العفاف بدا
 سلامة النفس من رجس يدنسها
 واللهو كالشهد حلوا في مذاقته
 أرى بوجهك بدراً جلا صانعه
 أفضيت نفسي عن ورد ظمئت به
 وإن نأيت بجسمي عن جنالك فقد
 وشت دموعي بحب كنت أكتمه
 ما أعجب الحبيب يدعوني إلى تلقى
 ياربى الحسن كوني للوفا مثلاً

ووردك العذب لم يخل برى صدى
 نجوى فيه حنين الحلم والرشد
 ولو أردنا سوى هذين لم نجد
 ما بين منسجم منى ومقتد
 وروعه الموت أذنى من فم ليد
 حتى يناديه صوت : قف ولا تزدد !
 ما جرد النفس من طهر عن الرغد
 والطهر خير صفات النفس والجسد
 كنز يدوم لمن وفى إلى الأبد
 وأى سم ثوى في ذلك الشهد
 لو حل بالأفق لم يظلم على أحد !
 حيناً وكم حاربني النفس من كمد
 تركت عندك قلباً غير مبتعد
 وكلما رمت إخفاء الهوى تزدد
 فأرئى لوعة قد مزقت كبدي
 فالتب آماله دوماً لقاء غدا !

دلال

لقد هاجني وَجْدٌ بمن زارها بُعدٌ فياليتني بعدٌ وباليتمها وَجْدٌ^(١)
وَهَبْتُ الهوى قلبى البرىء ولم أكنْ أفكرُ أن القلب يُحْرِقُهُ الصَّدُّ
وأودَعْتُهُ من خالفتْ شِرْعَةَ الهوى وطبَعُ الغواني لا يدوم لها عهدُ
مُحَالٌ تُؤَقِّي عَهْدَهَا وتَصْـوِّوهُ ولو خَبَّاتُهُ بين أنيابها الأَسَدُ
تَزول الجبالُ الراسياتُ لمكرها وكم ذابَ من إغرائها الحجرُ الصَّلْدُ
فإن حَقَّدْتُ لم يَبْقَ في قلبها رِضًا وإن رَضِيتْ لم يُقْصَ عن قلبها الحَقْدُ
وإن عَشِقتْ كانت أشَدَّ صِبابَةً من الوالهِ الساعى إلى حَتْفِهِ الشَّهْدُ
كذلك أَخْلَقَ القيانَ فلا تَكُنْ صَرِيعَ الغواني فالمنية والكَيْدُ
لقد فَتَنْتْ لُبِّي وقلبي وناظِرِي مهةً سباني في محاسنها القَدْ
إِذَا خَطَرْتُ في الرِّوْضِ أَيْنَعَ زَهْرُهُ وإن لَعِبْتُ في الماءِ خَالَطَهُ الشَّهْدُ
وإن بَسَمْتُ رَقَّ النسيمُ ونَوَّرْتُ نَعُورُ زهورِ الرِّوْضِ وابْتَسَمَ الوَرْدُ
وإن عَبَسَتْ أَجْرَى السَّحَابِ دُمُوعَهُ وزاد وميضُ البرقِ واشتَبَكَ الرَّعْدُ
شَكُوتُها حَبِّي ومُرَّ صِبابتي فتاهت بعينها وقد خَجَلِ الخَدُّ
فعاهدْتُها أَنَّى أَدُومُ على الوَفَا إِذَا هِيَ وَفَّتْ ثم طابَ لها العَهْدُ
وقد تَمَّ عَهْدُ الحُبِّ بيني وبينها وسَرعانَ ما جَارَتْ وَغَيَّرَها البَعْدُ
على أَنَّ حُبًّا أَشْفَلَ القلبَ في الصَّبِي يزيد على مَرِّ الزمانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
أَلا قاتلَ اللهُ الغــــرامَ فَإِنَّهُ عذابٌ، كؤوسُ الموتِ في فَمِهِ شَهْدُ
بَعْدْتُ عن الغِيدِ الغواني تَعَفُّفًا لذلك قامت بالتهاني لي الأَسَدُ

(١) أشرنا إلى هذا البيت في المقدمة كمثل لتأثر الشاعر بقراءاته المعنوية وغيره. ولا يخفى على القارىء في هذا الباب كثير من أمثال ذلك. في (٢) البيت للمعنى بلفظ « خامر القلب ».

بِاللهِ رَفَقًا

يَا أُخْتَ أَقْصَارِ السَّمَاءِ مُحَاسِنًا وَشَقِيقَةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ سَلَامُ
يَا دُرَّةَ عَشِيقِ الزَّمَانِ جَاهِلَهَا جَادَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِكَ الْأَيَّامُ
عَيْنَاكَ سَاحِرَةُ الْجَفُونِ تَسَلَّطَتْ مِنْهَا عَلَى مُهَيِّجِ الرِّجَالِ سَهَامُ
إِنْ تَمْنَعِي نَبَلَ الْجَفُونِ فَقَدْ سَطَا مِنْ حَاجِبَيْكَ عَلَى الْقُلُوبِ حُسَامُ
كَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ مَلَكَتْ قِيَادَهَا عَقَدَتْ عَهْدَ غَرَامِهَا الْأَوْهَامُ
يَا نَظْرَةً تَرَكْتُ بِقَلْبِي جَمْرَةً مِنْهَا تَأَجَّجَ فِي الْفُؤَادِ غَرَامُ
هَذَا غَرَامُكَ قَدْ تَسَعَّرَ وَجْدُهُ فِي مُهْجَةٍ فَتَكَتْ بِهَا الْأَلَامُ
كَمْ كَابَدَتْ كَبْدِي لِبُعْدِكَ لَوْعَةً وَجَفًا جَفُونِي فِي هَوَاكَ مَنَامُ
بِاللهِ رَفَقًا أُخْتَ أَقْصَارِ السَّمَاءِ تَعْذِيبُ قَلْبِي فِي هَوَاكَ حَرَامُ

كيف أصنع ؟

بَدَا لِي بَرَقٌ مِنْ ثَنَائِكَ يَلْمَعُ أَسْأَلُ غُيُوثًا مِنْ جَفَوْنِي تَهْمَعُ
فَأَصْبَحَ قَلْبِي فَوْقَ جَمْرِ مِنَ الْهَوَى

رَعَيْنَايَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ
مَضَتْ لَيْلَةٌ لَمْ يَشْهَدْ الدَّهْرُ صَفْوَهَا بِأَمْسَالِهَا لَمْ يَحْظَ كِسْرَى وَتَبْعُ
وَدَارَتْ كُؤُوسُ الْحُبِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ
تَقُولُ وَقَدْ فَاضَتْ بِنَا نَشْوَةُ الْهَوَى غَرَامُكَ حَتَّى لَا يَسَ فِيهِ تَصْنَعُ
أَتَيْتُكَ لَمْ أَخْفِلْ يَوْمَ عَوَازِلِي وَجِئْتُكَ أَشْكُو مَا أَلَاقِي وَأَجْرَعُ
تَذَكَّرْ عَهْدِي وَاحْتَرِمْ شِرْعَةَ الْهَوَى

وَكَمْ مِنْ فُؤَادٍ شَفَّهُ الْحُبُّ يُخْذَعُ
فَهَذِي يَمِينِي تُوْتِقُ الْعَهْدَ بَيْنَنَا وَهَذَا فُؤَادِي مِنْ فُؤَادِكَ يَسْمَعُ
فَقُلْتُ لَهَا وَالْدمْعُ مِلْءٌ مَحَاجِرِي وَقَلْبِي مِنْ وَجْدِ الْجَوَى يَنْقَطَعُ
رَضَعْتُ لِبَانِ الْحُبِّ مِنْذُ طِفُولَتِي فَصَارَ دَمِي يَجْرِي بِمَا كُنْتُ أَرْضَعُ !
سَرَى الْحُبُّ يُزْجِي فِي دِمَائِي حَرَارَةً

يُسَعِّرُهَا هَجْرٌ طَوِيلٌ مُرَوِّعُ
وَلَوْلَا النَّوَى مَا حَالَفَ الشَّهْدُ نَاطِرِي

وَمَا قَرَّحَ الْخَفْنُ الْمَعَذِبَ مَذْمَعُ
تَمَرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ يَطَّارِدُ عَنِي النَّوْمُ كَرْنِي وَيَمْنَعُ
يُسَاهِرُ جَفْنِي النَّجْمَ حَتَّى إِذَا بَدَا جَبِينُ الصُّحَى مِنْ نُورِهِ أَتَشَجُّعُ
كَسَانِي عَذَابُ الْبُعْدِ ثَوْبًا مِنَ الضَّنَى لَهُ كُلُّ قَلْبٍ وَالْهِ يَنْقَطَعُ
طَوَالَ اللَّيَالِي مَكَّنْتُ عِلَّةَ الْهَوَى بِقَلْبِي فَأَمْسَى حَائِرًا يَنْتَزِعُ
كَفَانِي عَذَابًا مَا أَعَانِي مِنَ الْأَسَى وَمَالِي سِوَى شَقْمِي وَدَمْعِي مُشْفَعُ

فجسمي بما شفه كاد يختفي	نحولاً ونفسي أوشكت تَشَعُّعُ
ولولم يكن صوتي لأنكرت أني	إذا ما التقينا واقف أتوجع ^(١)
فديتك مها قد نأى عنك ناظري	فطيفك حولي ما خلا منه موضع
وكم وشت المدال بيني وبينها	فقلت دعوني إني لست أسمع
أنا العاشق المضي المقيم على الهوى	فلا تطلبوا ما لا يفيد وينفع
عقدت يميني بالوفاء وها أنا	غدوت خيالاً ياهوى كيف أصنع؟

(١) في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول المتنبي :
 كني بجسمي نحولاً أني رجل
 لولا مخاطبتي لماك لم ترني !

فاتنتى ارحمى

لما تَأَهَّبَ للقتالِ	بالسيفِ أقسم لحظها
بينى وأفئدة الرجالِ	لابدَّ من حَرْبِ الهوى
لما تحركت النبالُ	لمعت سِهَامُ جُفونها
كاللَّيْثِ يقتحم الرعابِ	وانقضَّ فاتِكُ سيفها
ببريقِ لمعتهِ انصَّالِ	يسطو على مُهَجٍ لها
يا سيفُ متتك والنصالِ	بدمِ القلوبِ تَخَصَّبتْ
أقْسَى القلوبِ إلى الدلالِ	طعناتِ حدِّك أخضعتْ
فى مهجةِ الأسدِ الغزالِ	لك صولةٌ قد حَكَّمتْ
لم تُبْقِ للقلبِ احتمالِ	يا لحظُ .. آلامُ الهوى
والبُعْدُ صَيَّرَنى خيالِ	فَتَكَ الغرامُ بمهجتى
صَبًّا تَمَلَّكُهُ الجمالِ	باللهِ فاتنتى ارحمى
والوَجْدُ زادَ بهِ اشتعالِ	السُّهْدُ لازَمَ جَفْنَها

إلى رقيب!

هباء ضاع كيدك يا رقيبى
تناصبنى العداء بغير ذنب
ولما لم تنل بالبغى منى
أراد الله أن ينجاب كرمى
علمت بأن حبي حب طهر
نخالفت الضمير بسوء قصد
فخففت ما استطعت أذاك عني
سئسأل في غد عن كل هذا
فدغ عنك الوشاية واجتنبها
توعدت الحبيبة بانتقام
فأرصدت العيون بكل فتح
ولما لم تنل ما كنت تبغى
فلفقت الأكاذيب اختلاقاً
وكم حاولت فتفتتاً خداعاً
وخانتك المكائد ساخرات
فمت كمداً لأنك شر باغ
خلوت مع الحبيبة في صفاء
ودارت بيننا زفراء وجد
وقد نقل الفراء لنا حديثاً
قلوبُ العاشقين لها حنان
يلد لها العذاب وكل صعب
وودعني الحبيب ونار قلبي
فيا ليت الزمان يمن يوماً

فحسُن الحظ أصبح من نصبي
وتظلمني بالصاق العيوب
مرادك صرت في أفسى الكروب
لأن الله علام العيوب
بعيد الشك عن كل الذنوب
وفوقك خلقت عين الرقيب
وحاذر وقفة اليوم الرهيب
تجيب عليه في وقت عصيب
فإن الله ستار العيوب
وظلماً قد حلت على الحبيب
مزودة بالسنة الخطوب
عدت إلى مناواة الكذوب
وما فكرت في بطن الحبيب
ولم تك بالمهذب والليب
وقادت مقتلتك إلى النعيب
وأن البغى يغلب في الحروب
وقد غفلت عيونك يا رقيبى
تسرّها مناجاة الحبيب
أرق من النسائم للقلوب
يدوم من الشباب إلى المشيب
تقدمه إلى صدر رحيب
ودمع العين في وجد رهيب
يجمع الشمل في وقت قريب

أنت بدر

أنتِ بينَ الغيدِ بَدْرٌ قد حَوَى كُلَّ الجَمالِ
لَكَ في عَينِكَ سِحرٌ يَجمَلُ الدُنيا خِمالِ

* * *

يا جُفونا قَلَدَتْها قوَّةُ السَّحَرِ السَّهامِ
وَلِحَافًا أودَعَتْها آيَةُ الحُسْنِ الفِرامِ

* * *

يا مَهاني إِنَّ قَلبي ذابَ من طوَلِ البَعادِ
قد كَوَّنَتْهُ نارُ حُبِّي فاحتَفى طيفُ الرِقادِ

* * *

كُلُّ شَيْءٍ يا مَلاكِي ما خَلَا حُبِّي يَهُونُ
إِنَّ حَظِي من هَواكَ كَيفما شئتَ يَكُونُ

* * *

إِنَّ عَفَوْتَ عن غِرايَ فَارَقْتُ جِسمي السَّقامِ
أو تَعَمَّدْتَ مَلامي فَعَلَى الدُنيا السَّلامِ

ياليل

مَكَّنْتَ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَوَقَعْتُ فِي أَسْرِ الْعِيُونِ
بِالنَّارِ يَكُونِي الْجَوَى بِالنَّبْلِ تَرْمِينِي الْجَفُونِ

* * *

يَا لَيْلُ فَيْكَ تَوَجُّعِي سُهْدِي تَحِيطُ بِهِ الْهَمُومُ
يَا لَيْلُ دَائِي أَذْمُعِي تَرْنِي لِحَالَتِهِ النُّجُومُ

* * *

يَا مَنْ تَمَلَّكَ حُسْنُهَا قَلْبِي فَأَوْدَعَهُ الْفَرَامُ
وَسَطْتَ مَوَاضِيَ لَحْظَهَا عَمْدًا فَأَبْعَدْتَ الْمَنَامُ

* * *

جَسْمِي سَرَى فِيهِ الْهُوَى وَالسَّقَمُ صَيَّرَنِي خِيَالُ
لَا تَتَمَنَّى عَنِّي الدَّوَا يَا مَنْ تَبَنَّاها الْجَمَالُ

دمعی یخفف گری

إِنْ تَنْصَرِي سُوءَ حَالِي	أَوْ تَجْهَلِي مَا جَرَى لِي
سَلِي طَوَالَ اللَّيَالِي	مَا لِلشَّهَادِ وَمَالِي
شَبَّ الْفَرَامُ بِقَلْبِي	وَالْوَجْدُ فَوْقَ احْتِمَالِي
حَاوَلْتُ كِتْمَانَ حُبِّي	فَأَعْلَنَ الدَّمْعُ حَالِي
يَا لَيْلُ إِنْ سَقَامِي	لَمْ تُبْقِ غَيْرَ خِيَالِي
مَا حِيلَتِي فِي هُمَايِ	يَا سَهْدُ أَخْشَى مَلَالِي
يَا لَيْلُ فَيْكَ نَحْيِي	وَمَدَمَعِي وَاشْتِفَالِي
يَا لَيْلُ أَتَنْ طَيْبِي	يُعِيدُ كَأْسَ الدَّوَالِي
دَمْعِي يَخَفُّ غَرِي	يَا جَفْنُ جُدْ بِالْبَكَالِي
كَمْ عَذَبَ الْحُبُّ قَلْبِي	وَأَشْقَلَ الْبُعْدُ بَالِي
سَهْدِي وَوَجْدِي وَحَزْنِي	وَمَا أَعْدَ الْهَوَى لِي
لَا شَكَّ تَذَهَبُ عَنِّي	إِذَا رَضَاكَ بَدَا لِي

تمنيت شهيدك

لو كنت تذكر عهدك	ما خفتُ واللهِ صدكُ
يا من لك الحسن وخذكُ	لا خيرَ في العيشِ بعدكُ
فمَجَّبَ الوَرْدُ لَمَّا	كشفت في الروضِ خدكُ
والحسن تاه دلالا	وأكبر الفُصْنُ قدكُ
يا جفنُ شاكي سلاحي	أعدَّ للحربِ جندكُ
أشكوا إليك جراحي	فالقلبُ أصبحَ عبدكُ
لو كنت تدري سهادي	أو ذاق جفُنك سهدكُ
ما كان مُرُّكَ زادي	وقد تمنيت شهيدكُ
يا حبُّ عذبت قلبي	بالنارِ أضرمتَ وجدكُ
لم أذر ما هو ذنبي	كأنني كنتُ قصدكُ
رُحماك إن فؤادي	ما زال يذكُرُ عهدكُ
رضاك كلُّ مرادِي	فوفِّ للصَّبِّ وعدكُ

لقاء على كأس

إليك أمّ التداوى وأنبئة العنب
 قالت وقد أسفرت عن طلعة سحرت
 وصيرّ الراح خديها مودة
 تبسمت ودنت والكأس في يدها
 تقدّم الكأس باليمنى مدلهة
 هذا الدواء الذى ردّ اللقاء لنا
 وصوبت سهم عينيها إلى كبدى
 فقامت الحرب من عيني لوجنتها
 كالفتى حتى بدا إلى الضعف وإنهزمت
 وقعت في أسرها دامي الجراح ولم
 ظننت بأن فؤادى لم يكن دنفا
 لولاحظت أذمى تجرى دما لبكت
 بيننا لواعج هذا الحب تفعل في
 كانت أنامل يسراها بدت عنما
 تداعب الدُرّ والياقوت لاهية
 والكأس ما زالت اليمنى تقدّمها
 لما تباطأ نغرى عن تناولها
 أحسّ قلب التى أهوى بمشغلتى
 فحاولت أن ترّد الكأس مسرعة
 فانقضّ كفى على أعنامها رغبا

فالكأس من فضة والراح من ذهب
 عيني فتاهت بها من شدة العجب
 والحرّ تذهب ما فى النفس من ريب
 تهتز أعطافها من نشوة الطرب
 وتمنع القاب باليسرى عن الحرب
 أسرع لقد آن وقت اللهو واللعب
 وأطلقتها بلا ذنب ولا سبب
 ومن فؤادى لتلك العين الثجب
 قواى مما تولى القلب من وصب
 ترأف بقلب بنار الوجد ملتهب
 وأن دمع جفونى غير منسكب
 فكيف لو نظرت قلبى على اللهب
 حشأى فعل ديب النار بالخطب
 تجوس صدرا تبدى آية العجب
 قد شاغتها اللآلى فهى فى لعب
 وقد تفاخر فيها الحسن بالنسب
 لما دهى القلب والعينين من كرب
 ووسوس الظن أن الكأس لم تطب
 لكنى لم أمكنها من الطلب
 والنسر ضمّ جناحيه من الرهب

يا غادة فتكت بالقلب نظرتها
 أجهلين بأن الخمر مفضية
 تروح باللب حتى ربما ارتكبت
 قالت وورد الحيا قد زان وجنتها
 ألا ترى أنها للروح منعشة
 بعزمها اجتزت تيار الغرام ولم
 تمكن الشهد من عيني فأرقها
 فقادني وجد قلبي غير واجفة
 شاغلها ورفعت الكأس من يدها
 لم أستطع كتم ما بالقلب من شجن
 حبيبة القلب جدت الحياة إلى
 هذا غرامي يذكي النار في جسدي
 صبرت حيناً على وجدٍ كلفت به
 حتى قضى الله أن أحظى بقربك يا
 أنت التي ملكت قلبي بعفتها
 هذا هو الطهر قد حيأك مبنيماً
 إن العفاف جمال لا يزول وقد
 لا تشربني الخمر بعد اليوم فانتني
 يا لائمي في هوى ذات العفاف كفي
 وإن دنا منك صوت البصيح فاصغ له

كيف اصطباري وقد صرنا على كسب
 وك سميناً بها في مجلس الطرب
 حسنها ماهوى بالطهر والأدب
 إن الشراب يواسي قلب مكتئب
 ترُدُّ طيف الأسمى عن فكر مضطرب
 أحفل بوقع سهام الظن والريب
 وقد تعدى على قلبي فواحر بي
 إلى اقتفاء خيال جد في طلي
 صفراء رصعها عقد من الحبيب
 فإن غدا خافقاً لابد من سبب
 من كاد هجر كيدي من العطب
 والنوم عن مقلتي قد جد في الهرب
 وأنت مشغولة باللهو والأليب
 مليكة الحسن عن أمر لها وأب
 فإن بعدت فاف في العيش من أرب
 تاج الطهارة عز اليوم كالذهب
 يقيب كل جمال وهو لم يقيب
 وعاهدني بأن نبقى على كسب
 هوّن عليك وخفّت ثورة النصب
 واعمل لرفعة شأن الطهر والأدب

أوبريت وانشيد مدرسية

حنين الأرواح تاريخ السلم الموسيقى

[محاوره بين يوبال بن قابيل بن آدم عليه السلام مخترع الآلات الوترية والسلم الموسيقى (قبل الطوفان) وبين الحكيم اليوناني مخترع السلم الموسيقى (بعد الطوفان) — هذه القطعة التاريخية خيالية ، وهي خاتمة رواية (حنين الأرواح) التي وضعها المؤلف^(١) .]

أوبرا

تُحَضِّرُ رُوحَ يُوْبَالٍ أَنْفَامَ مُوسِيقِيَّةٍ مُشْجِيَّةٍ مِنْ آلَاتٍ وَتَرِيَّةٍ صُنِعَتْ بَعْدَ الطُّوفَانِ .
فَتَدْخُلُ الرُّوحَ مُسْتَفْسِرَةً عَنْ صَانِعِ تِلْكَ الآلَاتِ وَعَنْ وَاضِعِ السَّلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ لِاعْتِقَادِهَا أَنَّ
الطُّوفَانَ مَحَاآثَرَ هَذَا الْفَنِّ وَانْدَثَرَتْ آلَاتُهُ .

يُوبَالُ : هَلْ يَبْقَيْنَ لِيَتَ شِعْرِي مَا أَرَاهُ أَمْ خَيَالٌ ؟
مُنْذُ كَانَ الْفَلَكَ يُجْرِي بَيْنَ مَوْجِ كَالْجِبَالِ
لَمْ أَعُدْ يَا قَوْمُ أَذْرِي أَنَّ لِلدُّنْيَا اتِّصَالَ

كَانَ جِسْمِي فِي أَمَانٍ تَحْتَ أَجْرَاجِ الْعُلَا
لَمْ يُفَيِّزْهُ الزَّمَانُ لَا وَلَا كَفُّ الْبَلَى

إِنَّ تَارِيخِي الْمَجِيدَ كَانَ مِرَاةَ الْعَجَبِ
كُنْتُ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ عَاشِقًا فَنَ الطَّرَبِ

(١) عثرنا على هذه الأوبرا منشورة في إحدى الصحف . على أنها خاتمة للرواية المشار إليها ، دون أن نعتز على نفس هذه الرواية .

الْعُودُ وَالْقَانُونُ وَالنَّايُ الْخُتُونُ
تلك آلات النغم
باعتات للشجن مذهبات للحزن
كم أضاعت من ألم
إنها صنم يدي منذ آلاف السنين

يا قوم قد أبعد الطوفان ما اخترعت
مواهي ثم أفنى ما يدي صنعت
فكيف جاءت إليكم بعد ما بليت
آثارها في بطون الأرض واندثرت
من الذي أخرج العلم العجيب لكم
ومن يده أصول الفن قد وضعت؟

(يدخل الحكيم مبتكر السلم الموسيقي)

الحكيم : أنا الذي وضع النغم وأعاده بعد العدم
كوثته من سلم بأدق تنسيق ريم

يوبال : كيف ابتكرت أساسه ونشرته بين الأمم؟

الحكيم : لقد رأيت خيالاً قد جاءني في منامي
يقول هيا فبادر إلى اجتماع كلامي
في شاطئ البحر كنز من اللواهب سامي
إذا حصلت عليه بلغت أقصى المرام

يوبال : وَهَلْ أُجِبْتَ نِدَاهُ ؟

الحكيم : إِلَيْكَ مَا قَدْ بَدَأَ نِي

سَاقَتْ إِلَى الْهُوَادَى مِنْ الْفَضَاءِ رَيْنَا

قَدْ كَانَ طَرَفًا وَلَكِنْ مُلِثْتُ مِنْهُ حَنِينَا

مَشَى الْهُوَيْنَا لِسَمْعِي وَكَانَ تَمَعِي أَمِينَا

دَقَاتُهُ قَدْ أَسْرَتْ إِلَى سِرًّا دَفِينَا

أَوْدَعْتَهُ فِي فَوَادَى وَكَانَ كَنْزًا ثَمِينَا

يوبال : مَاذَا سَمِعْتَ أَجِبْنِي مَلَأَتْ رَأْسِي ظُنُونًا ؟

الحكيم : سَمِعْتُ تِنْ تِنْ أَرْبَعًا صَوْتًا بِهِ قَلْبِي افْتَنَ

دَقَاتُ مِطْرَقَةٍ وَسِنْدَانِ تَسَاوَتْ فِي الزَّمَنِ

قَدْ مِلْتُ مِنْهَا طَرَبًا وَضَاعَفْتُ عِنْدِي الْفِطْنَ

فَسَاوَرْتَنِي فِكْرَةً وَالْحِظُّ بِالْوَقْتِ ارْتَهَنَ

يوبال : قَدْ زِدْتَنِي شَوْقًا إِلَى مَا نِلْتَ مِنْ ذِكْرِ حَسَنِ

الحكيم : لَمَّا انْصَرَفْتُ إِلَى الطَّرَبِ وَتَمَوْتُ فِي جَوِّ الْأَدَبِ

وَجْهَتْ ثَاقِبَ فِكْرَتِي وَالنَّصْرُ يَرْفَعُ مَنْ غَلَبَ

فَصَنَعْتُ أُعْجَبَ آلَةٍ مِقْيَاسُ صَوْتٍ لِلطَّرَبِ

نَبْتُ سَبْعَ صَفَانَحٍ فِي قِطْعَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ

رَتَّبْتُهَا فِي وَضْعِهَا لِيَكُونَ مَحْفُوظَ النَّسَبِ

أَطَوَّلْتُهَا الْمُتَبَايِنَةَ لِنَجَاحِهَا كَانَتْ سَبَبَ

ضَبَطْتُ مِقْيَاسِ النَّعْمِ وَبِذَاكَ تَمَّ لِي الْأَرْبُ

يوبال : قد جئت حقاً بالعجب وخدمت عُشاقَ الطَّربِ
الحكيم : نور الهداية قد أثار طريقَ والحظ والتوفيق كان رفيقِ
إني ابتكرت من المعادن آلة سَمَّيْتُهَا بالسلم الموسيقي !

يوبال : إني ليسعدني النجاح وحسبها أن تُوجَّتَ بالفوز والتوفيقِ

الحكيم : تَمَشَّتْ إليها قلوب الشعوب وما ذاك إلا بفضل العجم
لقد أبدع الفُرسُ تصويرها فحازت رضا جميع الأمم
وهذبها العرب من بعدهم بدر المعاني ونور الحكم

يوبال : حديثك أنعش منى الفؤاد فزِدني سروراً بتلك الهمم

الحكيم : سَمَتْ وارتقت وعلا نجمها ونفر التهاني لها قد بسم
بما نالها من يد الفاتحين كبار النفوس كرام الشِّيم
تجلَّت على التُّرك روح الأغاني فأوحت إليها بسرَّ النعم
وكانت تفيض هبات الملوك على النابغين جزيل النعم
وقد أعجز الفنُّ في وصفه فصيح اللسان ، وأعيا القلم

الموسيقى والعليل^(١)

كأن الطبَّ أغيَّاهُ اغْتِلَالِي	وما ألقاهُ من فَرْطِ الهُزَالِ
فغادِرْني أجوبُ ظلامَ يَأْسٍ	وأَسْبَحَ بين أَمْواجِ الْخِيَالِ
بَحْنْتُ عن الدَّواءِ فَعِيلَ صَبْرِي	وضاعف ما أَعانِيهِ مَلالِي
سرتْ نَحوى النِّسائِمُ حَامِلاتِ	دواءٍ غيَرتْ نَجْواهُ حَالِي
أغارِداً وأنعاماً وشَدَواً	تمشتْ في دَمي فارتاحَ بالِي
هَلِّوا أَطْرِبُوا سَمي وغنَّوا	فمن أَلْخانِكُمُ تصفُّو اللَّيالي

(١) وهذه قطعة من رواية «حزین الأرواح» المشار إليها ، وجدت منشورة في الصحيفة المذكورة .

القطع الغنائية بفلم شجرة الدر

القطعة الأولى

يا طيورَ الرُّوضِ غنِّ واملئي الدنيا سرور
وابدئي يا حُلُوَّ التَّنْثَنِ بين منشورِ الزُّهُور
جددي صفو الليالي يا عيوننا ساحرات
وانظري دُرَّ اللَّيْلِ يا نفورا باسمات
يا ملاك الحبِّ ياسرَّ الحياه يا سميرَ القلبِ في نَجْوَى مُنَاه
أنتَ طيفُ الحظِّ ترمي بالمُنَى في ظلامِ اليأسِ أو نورِ النجاه

* * *

القطعة الثانية

أيها البلبُلُ غرِّدْ فوقَ مِيَّاسِ الفُصُوفِ
أطربِ السَّمْعَ وجدِّدْ صوتَكَ المُشْجِي الحَنُوفِ

في أغاريدِ الهنا والغزلِ

وأناشيدِ المُنَى والأملِ

قد صفا وقتُ الأغاني مُذْ بَدَتْ شمسُ الجِلالِ
وازدهى عيدُ التَّهَانِي في عُلَا ذاتِ الجِلالِ
درةُ عِصْمَاءَ حَلَّتْ في سَمَاءِ بُرْجِ السَّعُودِ
هيئَةُ المَلِكِ تَجَلَّتْ حينَ حَيَّاهَا الوجودِ

صُنِّ حَمَاهَا فِي هَذَا الْمَلِكِ الْأَمِينِ
وَأُنِيلَهَا مُشْتَمَاهَا يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

أَيَّامَ سَعْدِكَ أَقْبَلْتُ يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ
وَشَمْسُ مُلْكِكَ أَشْرَقَتْ فَاسْتَقْبَلِي الْمَجْدَ الرَّفِيعَ

هِيَ إِلَى ذُرَا الْعُلَا يَا دُرَّةَ الثَّمِيلِ الْفَرِيدِ
وَعَطَّرِي بِمَجْدِ الْأَلَى يَا زَهْرَةَ الْوَادِي السَّعِيدِ

* * *

القطعة الثالثة

أُغِيدُ رَنًا — أَهْيَفُ الْقَنَّا — مَاسَ وَأَنْتَى — فِي حُلَى الْهِنَا
فَاتِنِ الدَّلَالِ — سَاحِرِ النَّظَرِ

هَزْزُهُ السَّرُورِ — مَنْعَشُ الزُّهُورِ — كَوَكَبُ الْقُصُورِ — مَخْجَلُ الْبُدُورِ
رَائِعِ الْجَمَالِ — وَجْهَهُ الْقَمَرِ

ظَبْيَةُ اللَّوَى — شَفَى الْهَوَى — قَدْ عَزَّ الدَّوَا — وَالْقَلْبُ انْكَوَى
بِالسَّحْرِ الْخِلَالِ — مِنْ طُولِ السَّهَرِ

رَوْعُ يَسَقَامَ — وَاقْسُ يَسِيَهَامَ — وَاهْجُرْ يَامَنَامَ — مَا أَخْلَى الْفَرَامَ !
لَوْ تَمَّ الْوَصَالِ — فِي صَفْوِ السَّمَرِ !

تَيْبِي وَانْعَمِي — قَدْ تَمَّ الْمَنَى — طَيْبِي وَاغْنَمِي — أَيَّامُ الْهِنَا
يَا ذَاتَ الْجَلَالِ — قَدْ شَاءَ الْقَدَرُ !

صحوة العلم ونشوة المال (*)

الثرى : أَيُّهَا البلبُلُ هَيَّا غَنِّ لِي . إِنَّ خَيْرَ الْعَيْشِ سَاعَاتُ الْهِنَا

الموسيقى : جَدِّدِي يَا نَفْسُ آمَالَ الْمُنَى وَأَنْفِ عَنِ عَيْنِي يَا طَيْفُ الْعَنَا
هَا هُوَ النِّشْوَانُ مَنِّي قَدْ دَنَا فَانْتَصِرْ يَا فَنُّ وَأَحْكُمُ بَيْنَنَا

الثرى : مِنْذُ حِينَ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ أَرَى أَهْلَ الطَّرَبِ

لِلْمُوسِيقَى : أَنْتَ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ أَنْتَ فِي أَسْمَى الرُّتَبِ
أَمْطَرْتَ سُحْبُ الْغَنَى فَوْقَ كَفِّكَ الذَّهَبِ
تُطْرِبُ النَّفْسَ وَتَلْهَوُ تَحْتَسِي بِنْتَ الْعِنَبِ
أَيُّ شَيْءٍ تَبْتَغِي حَيُّ وَأَشْكُرُ مِنْ وَهَبِ

الثرى : بِالْمَالِ كَانَ غَرَامِي وَقَدْ بَلَفْتُ مُرَادِي
فَالْيَوْمَ أَصْبَحَ عِنْدِي لَا بَسْتِمِيلَ فُؤَادِي

الموسيقى : كُلُّ حَكْمٍ فِي الْوُجُودِ سَابِقٌ فِيهِ الْقَدَرُ
مِنْ دَنَا مِنْهُ السَّعُودُ لَمْ يَذُقْ طَعْمَ الْكَدَرِ

الثرى : دَعِ خِيَالَاتِ الْحَيَاءِ وَأَغْتَنِمِ وَقْتَ السَّمَرِ

الموسيقى : كَيْفَ يَنْسَى الْقَلْبُ آهَ إِنْ فِي الذِّكْرِ الْعِزُّ

الثرى : إِنِّي لَا عَجَبُ أَنْ تَشْتَكِي وَفِيكَ تَكَامُلُ فَنُّ الطَّرَبِ
حُبَّتِكَ الْمَوَاهِبُ أَمَرَّ أَرَاهَا وَمِنْكَ تَقَرَّبَ أَهْلُ الْأَدَبِ

الموسيقى : تدفق حولي بحرُ الفنون وأمطر فوق سحب النغم
ومن عجب أني كلما نبغت أرى البؤس في احتكم

الثري : غريب على مسمعي ما تقول لأن حديثك شيء عجب

الموسيقى : بالذي أعطاك قل لي كيف ينسى الأغنياء
أن في الأموال حقاً من حقوق الفقراء ؟
الثري : دع أحاديث الثراء نحن في فن الغناء !

الموسيقى : لا يبين الحق إلا حين ينجب الغطاء

الثري : عشت في جو السرو بين آلات الطرب
أجتنى أشهى الزهور من بساتين الأدب

الموسيقى : متعت سمعك بالنغم ورتعت في الرزق الجزيل
قل لي بحقك ما الذي قدمت للفن الجميل ؟

الثري : أرى فؤادي يحنو إلى سماع الأغاني
أسعى إليهم طروباً كأنّ وحيّاً دعاني

الموسيقى : لعلّ كفك أسدت للفن بعض الأمان ؟ !

الثري : إن بسط الكف طبع من طباع المشرفين
يعقب التبذير فقر بئس حال النادمين

الموسيقى : إن بذل المال جود نعم أجر المحسنين

الثرى : لم أُجِدْ يوماً بمالى خِفْتُ من ذُلِّ الهوانِ
كنتُ أخشى سوءَ حالى لو بدا غدرُ الزَّمانِ

الموسيقى : اكتسب بالمال أجراً ليس للدُّنيا أمان
الثرى : نلت من سحر المَعَانى سرَّ أعماق القُلُوبِ

الموسيقى : يا نصير الفنِّ هيا جُدْ كما جادَ الكرام
لو منعت البرَّ عفا فعلى الدُّنيا السلام

الثرى : كلَّفتَ نفسك نصحى حتى أنزَرتَ طريقى
إني سَأَبْذُلُ مالى لله ————— لم والموسيقى

مجد مصر

(١)

إِنَّ تَجْدِيدَ الْأَغْنَى فِي غَلَا الشَّعْبِ الْحَمِيدِ
مَذَبَّتْ شَمْسُ الْأَمَانِ فَوْقَ مَجْدٍ لَا يَبِيدُ

جَدِّدِي يَا مَعْرُ عَهْدًا كَانَ مِنْ أَبْعَى الْعُصُورِ
خَلَدَتْ عَلَيْهِ ذِكْرًا لَمْ تُغَيِّرْهُ الدَّهُورُ

فِيهِ جَاءَتْ خَارِقَاتُ هُنَّ آيَاتُ الْفِطَنِ
أُسْفَرَتْ عَنْ مُدْهَشَاتٍ بَهَّرَتْ عَيْنَ الزَّمَنِ

كُنْتُ لِلْعُمَرَاءِ كَنْزًا سَرَّهُ الْعِلْمُ الْعَجِيبُ
وَلِمَجْدِ الشَّرْقِ عِزًّا ذَكَرَهُ دَوْمًا يَطِيبُ

(٢)

يَا مَعْرُ أَرْضُكَ تَبِيرُ وَادِيكَ مَهْدُ الْعِظَاتِ
يَجْرِي بِسَهْلِكَ نَهْرٌ عَذْبٌ فَسِيحٌ فِرَاتِ

يَا نَيْلُ مَجْرَاكَ تَسْرَى مِنْهُ لِمَعْرِ الْحَيَاةِ
مَا دَامَ مَاؤُكَ يَجْرِي فَمَعْرُ دَوْمًا فَتَاةِ

(٣)

يَا حَمَامَ النِّيلِ غَنِّ مَطَرَبًا حُلُوَ النِّشِيدِ
رَاقٍ لِلْفُضْنِ الثَّنَى فِي رُبَا الْوَادِي السَّعِيدِ

أَيُّهَا الشَّعْبُ الْمَقْدَى أَنْتَ مِصْبَاحُ الشُّعُوبِ
نَلَتْ فِي التَّارِيخِ مَجْدًا مِنْهُ تَهْتَزُّ الْقُلُوبُ

صوت الضمير^(١)

آن تَبْكَيْتُ الضمير حينما حَلَّ القَدَمَ
وانجلى ليلُ السرور مُذْ بَدَا صَبْحُ الألم
اعتبر يا ذَا الجُحود إن في الذكري العِبَر
كلُّ شَيْءٍ في الوجود تحت أَحكام القَدَر
ليس للدينيا أمان فهي مِرآةُ العَجَب
إن من طَبَعِ الزمان ساعة الصَّفو العَصَب
صهوةُ العمر خيال بَأْسِمُ فيه الأمل
لو دنا منه الزوال لم تُقَدْ فيه الحِيل
إنما الطيشُ هَوَانٌ سَاقَةُ سُوءِ الأدب
فاحذروا كَيْدَ الحِسانِ واجهروا بِنْتَ العِقب
انظروا آلامَ صَبٍّ عاش في اللَهْوِ سِنين
واسمعوا أُنَاتِ قلب رَاعِهِ فَرَطِ الأنين
حيث ضيعت الشباب كن مدى العُمُرِ حزين
عش ذليلاً في عذاب إن للذكرى حنين

(١) لحن الختام من رواية « الشبح الأبيض » من وضع المؤلف .

أناشيد مدرسية (*)

(١)

إلى العـ	إلى العـ
يا شباب النيل هيا	بلغوا مصر المراد
فاضعدوا متن الثريا	وارفعوا مجد البلاد
مصر يامهد الأوالي	خلدوا الماضي العجيب
شيدى صرح المعالي	فوق واديك الخصب
نحن للعلياء نسعى	في نشاط طائعين
والإله الحي يزعى	كل أبواب أمين
من سعى للعلم أسدى	للنهي نور اليقين
نال توفيقاً وأهدى	للمنى الفتح المبين
مصر يا كنز الفوالي	مصر يا ذات الجلال
جددى عهد الأوالي	وارفعى شأن الهلال
أيها الوادى المفدى	أنت آمال القلوب
قد ورثنا عنك مجداً	حاز إعجاب الشعوب
هذبوا الشئ تسودوا	يا مصابيح الحياة
وانشروا العلم وجودوا	تغنموا عفو الإله
إن بذل الروح يخلو	في علا الوطن الكريم
من أراد المجد يعلو	ذروة الشرف العظيم
مصر يا كل الأمانى	مصر يا وادى الكرام
حقى عيد التهانى	يوم نحظى بالمرام

(*) نظم الشاعر بحكم عمله في وزارة المعارف يومئذ عدة أناشيد مدرسية ردها الطلاب في مدارسهم ، وكان هذا النشيد الأول من نصيب مدرسة شبرا الابتدائية .

(٢) (٥)

إلى العِلا	إلى العِلا
شَيْبَةَ الشَّعْبِ الْمَجِيدِ	هِيَ إِلَى رُبَا الْعُلَا
يَا زَهْرَةَ أَوَادِي السَّعِيدِ	وَعَطَرْتِي ذَكَرِي الْأَلَى
يَا رَبَّةَ الْمَجْدِ الْعَظِيمِ	يَا مَعْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
مَهْدَ الْخَضَارَةِ وَالنَّعِيمِ	لَا زِلْتَ عَالِيَةَ الذُّرَا
أَخَيْتُ مَوَاهِبَهَا الْقُلُوبِ	إِنَّ الْمَعَارِفَ لَو سَمَتْ
سِرَّ التَّقَدُّمِ فِي الشُّعُوبِ	وَقَتِ الْبِلَادَ وَأَوْدَعَتْ
طَوْعًا وَيَنْجَابُ الظَّلَامِ	بِالْعِلْمِ تَنْقَادُ لِمَا نَى
حَتَّى تَرَى نُورَ السَّلَامِ	هَبْنَا الثَّقَافَةَ رَبَّنَا
يَا كَعْبَةَ الْعِلْمِ الْعَجِيبِ	يَا مَعْرُ يَا ذَاتَ السَّنَا
وَشَبَابُنَا حَتَّى الْمَشِيبِ	تَفْدِي حِمَاكَ قُلُوبُنَا
شَادُوا الصُّرُوحَ انْخَالِدَاتِ	هَذَا نَحْنُ أُنْبَاءُ الْأَلَى
شَهِدَتْ لَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ	آثَارُهُمْ رَمَزُ الْعُلَا
وَالْعِلْمِ مَطْلَبُهُ جِهَادُ	قُمْنَا لِتَشْقِيفِ النَّهْيِ
شَأْنُ لِإِصْلَاحِ الْبِلَادِ	لِلنَّفْسِ فِي تَهْذِيبِهَا
نَسْعَى إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ	رَبَّ الْمَشَارِقِ إِنَّنَا
وَأَمْنُخَ أُمَانِينَا الْفَجَاحِ	حَقَّقْ لَنَا آمَالَنَا
أَنْتُمْ مَصَابِيحُ الْحَيَاةِ	أَهْلَ الثَّقَافَةِ وَالْهَدَى
تُرَاعَى عَيْنُ الْإِلَهِ	لِلْعِلْمِ دُومُوا سَرْمَدَا
عَهْدَ السِّيَادَةِ وَالْجَلَالِ	مَعْرَ الْفَرِيدَةِ جَدْدِي
ذَكَرِي انْتِصَارَاتِ الْهِلَالِ	حَيَّ بَنِيكَ وَرَدْدِي

نشيد^(*)

هَيَّا إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ	فِي نَهْضَةِ الْفَوْزِ الْمُبِينِ
سُدْنَا عَلَى كُلِّ الْمَلَا	حَمْدًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
يَا رَبَّنَا هَيَّا لَنَا	مِنْ أَمْرِنَا سُبُلَ الرِّشَادِ
كُنْ عَوْنَنَا وَارْأفْ بِنَا	يَا مَنْ عَلَيْهِ الْإِعْتِمَادُ
هَبْنَا الْهِدَايَةَ إِنَّنَا	نَسْعَى إِلَى نَشْرِ السَّلَامِ
حَتَّى تَتِمَّ لَنَا الْمُنَى	فِي ظِلِّ آبَاءِ كَرَامِ
الْعِلْمِ نَبْرَأْسُ بِهِ	نَسْمُو إِلَى أَوْجِ الْفَلَاحِ
مَنْ سَارَ فِي أَضْوَائِهِ	يَحْطَى دَوَامًا بِالْجَبَّاحِ
يَا مَعْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى	يَا رَبَّةَ الْوَادِي السَّعِيدِ
يَا مَنْ لَهَا عَجَبُ الْوَرَى	آثَارُ تَجْدِكَ لَا تَدِيدُ
هَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأَلَى	خَضَعْتَ لِبَأْسِهِمُ الْأَسُودُ
قُمْنَا إِلَى مَرْحِ الْعِلْمِ	نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجَدُودُ
خَيْرُ الْمَعَاهِدِ (دَارُنَا)	أُولَى الْمَدَارِسِ فِي السَّبَاقِ
ظَفَرَتْ بِغَايَاتِ الْمُنَى	وَنَعَاهَدًا الْأَفْرِاقِ
أَعْلَامُهَا أُسْدُوا يَدَا	لِلْعِلْمِ حَقَّ لَهَا الثَّمَنَاءُ
وَبِفَضْلِ نَهْضَتِهِمْ غَدَا	سَيُرُ الْجَمِيعُ إِلَى ارْتِقَاءِ
مَنْحُوا الْقَفَافَةَ حَقَّهَا	وَسَمَوْا إِلَى نُورِ الْيَقِينِ
صَقَلُوا بِعِلْمِهِمُ النُّهَى	هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينِ

(*) نشيد مدرسة خليل أغا .

يَا مَنْ رَفَعْتُمْ شَأْنَنَا أَنْتُمْ لِنَا رُسُلُ السَّلَامِ
أَرْوَاحَنَا وَقُلُوبُنَا لَكُمْ الْفِدَاءُ عَلَى الدَّوَامِ
يَا صَفْوَةَ الْأَشْبَالِ قَدْ شَمَلْتُمْ نَعِيمُ الْإِلَهِ
حَيُّوا الْمُؤَدَّبَ وَأَشْكُرُوا كُنْ تَغْنَمُوا صَفْوَةَ الْحَيَاةِ

نشيد^(٠)

يا نشيد للمجد هيمًا	قد لاح نجم السعود
إلى مناط الثريا	إلى مكان الجدود
شادوا صرح المعالي	فوق الرُبا شاهدات
تشدو بما للأولى	في مضر من ذكريات
لمصر في الدهر مجد	نخلد لا يغيب
باق ولو طال عهد	رمز الجلال المهيب
بالعلم تحيا الأماني	بالعلم تسمو الشعوب
يا مصر عيد التهاني	يوم أنقلاف القلوب
إننا نقوم الليالي	في هممة وأجتهاد
نرجو سماء المعالي	سعيًا لمجد البلاد
يا مصر تروك تبر	واديك مهد العظا
يجري بسفك نهر	عذب زلال فترات
يا ملهم الرشيد إننا	نرجو الهدى والفلاح
نقف نهانا وزدنا	علمًا وهيبًا النجاح
خير المعاهد دامت	أنوارك الساطعات
أعلام رشيدك قامت	نحو الملا خافقات
يا قادة النصيح نلتتم	بالعلم أسمى مقام
نفتنمونا فكنتم	رسل الهدى والسلام

نشيد^(١)

إلى العُلا	إلى العُلا
سارعوا نَحْوَ المَلَأَ	وَاهْتَفُوا يَحْيَا الشَّبَابَ
جَدِّدُوا بِجَدِّ الأَلَى	خَلِّدُوا الذِّكْرَ المَهَابَ
مَعْرُ يَا كُلُّ المَلَى	نَحْنُ أَشْبَالُ الأَسُودِ
هَـذِهِ أَهْرَامُنَا	فَوْقَ وَادِيكَ شُهُودُ
أَنْتَ يَا أُمَّ القُرَى	كُلُّ آمَالِ الشُّعُوبِ
نِلْتِ إعْجَابَ الوَرَى	مُذْ تَمَلَّكَتِ القُلُوبِ
هَبْ لَنَا مِنْكَ المَدَى	وَأَتِنَا الفَتْحَ المَبِينُ
نَحْنُ لِلنَّيْلِ القَدَا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
رَوْضَنَا السَّابِي هَمَى	فَوْقَهُ غَيْثُ الحَيَاةِ
زَهْرُهُ لَمَّا تَمَّا	دَاعَى العَلِيَّاءَ دَعَاةُ
إِنَّ تَهْذِيبَ النَّمَى	مَرُّ إِصْلَاحِ البِلَادِ
مُذْ تَجَلَّتْ تَنَمُّهُنَا	آنَ لِلنَّشْرِ الجِهَادِ
إِنَّمَا العِلْمُ الحَيَاةُ	فِي بَسَاتِينِ الخُلُودِ
خَيْرُ مَا وَهَبَ الإِلَـهَ	مَنْ لَهُ كُتِبَ السُّعُودُ
مَهْدَنَا الفَيَاضَ جُدْ	بِالْكُنُوزِ الغَالِيَاتِ
مَنْ شَبِّبَتْنَا وَزِدْ	عِزَّ تَهْضِنَا ثَبَاتِ
قَادَةَ العِلْمِ اضْعُدُوا	بِالشَّبَابِ النَّاشِئِينَ
لِلْعَالَى جَاهِدُوا	نَعَمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

نشيد^(*)

إلى العلم	إلى العلم
تروق للمعالي وتصفو المني	لكلُّ مُجِدِّ سعى للنَّجَاحِ
فيأملهم الرُّشْدُ هِيءَ لَنَا	حناناً طريقَ الهدى والفلاحِ
إلى العلم نَسْعَى فَكُنْ عَوْنَنَا	وهيءَ لَنَا مِنْكَ صِدْقَ اليَقِينِ
لك الأمرُ وحدك ياربُّنا	فَجُدْ بِالرِّضَاءِ عَلَى النَّاشِئِينَ
سُمُو المَوَاهِبِ يُخَيِّرُ النُّهَى	وَيَبْعَثُ فِي النَّفْسِ رُوحَ الكَمَالِ
مَتَى تَمَّ لِلنَّفْسِ تَهْذِيبُهَا	كَسَتْهَا الثَّقَافَةُ نَوْبَ الجَلَالِ
إلى المَجْدِ سِيرُوا فَصَرِّحُوا العُلَا	قَرِيبُ الدَّانِي لِعِزِّمِ الشَّبَابِ
هَلُمُّوا فَلَبُّوا نِدَاءَ الأَلَى	أَذَلُّوا الأَسْوَدَ وَسَاقُوا السَّحَابِ
لَهُمْ فِي بَطُونِ الثَّرَى آيَةٌ	وَفَوْقَ المِضَابِ لَهُمْ مُعْجِزَاتُ
لَا تَارَهُمْ فِي الْوَرَى مَنَعَةٌ	رَوَّابِي رَغَمِ البِلَى خَالِدَاتُ
تُقَدِّبُكَ يَا مِصْرُ أَرْوَاحُنَا	دَوَاماً مِنَ المَهْدِ حَتَّى المَشِيبِ
فِيَارَبَّةَ المَجْدِ كُونِي لَنَا	سَرَّاجَ هُدًى نُورُهُ لَا يَفِيبُ
زَهْرُ المَنَى فِي النُّهَى نَوَّرَتْ	وَأَثْمَرَ فِي النَّفْسِ غَرْسُ المَعْلُومِ
وَشَمْسُ العُلَا فَوْقَنَا أَشْرَقَتْ	تُبَارِكُ أَقْمَارُنَا وَالْفُجُومِ
رِجَالُ الثَّقَافَةِ أَعْلَامُنَا	بِدَوْرِ المِهْدَايَةِ رُسُلَ الحَيَاةِ
صَقَلْتُمْ نُهَانَا فَلَانَتْ لَنَا	صَعَابُ الأَمَانِي بِفَضْلِ الإِلَهِ
وَأَرْشَدْتُمُونَا فَنِلْنَا المَنَى	وَهَذَّبْتُمُونَا فَحَقَّقَ النِّسَاءُ
فَدُومُوا لِرَفْعَةِ أَوْطَانِنَا	وَفُوزُوا كَرَاماً بِخَيْرِ الجَزَاءِ

نشيد^(*)

إلى العِلا	إلى العِلا
أَوْلَاكَ بِالنَّعَمِ إِلَه	يا معبدَ التعلیمِ قَدْ
وَأَشْكُرُ مَصَابِيحَ الْحَيَاةِ	فُزْتُ وَأَنْتَعِمُ وَأَغْنَمُ وَسُدُّ
يَدْعُوا إِلَى نُورِ الْفَلَاحِ	الْعِلْمِ نِبْرَاسُ الْهَدَى
لِمَنْ أَعْتَلَى صَرْحَ النِّجَاحِ	يُهْدِي الْبَسَّالَةَ وَالنَّدَى
وَقَفَّ عَلَى الْعِلْمِ الْمُنِيرِ	يَا مَصْرُ عَهْدُ شَبَابِيَا
فَإِلَى عِلَا الْوَطَنِ الْمَسِيرِ	حَتَّى تَتِمَّ لَنَا الْمُنَى
يَا رَبَّةَ الْوَادِي الْكَرِيمِ	يَا مَصْرُ يَا أُمَّ الْقُرَى
سَعِيًّا إِلَى الشَّرَفِ الْعَظِيمِ	لِعَلَّاكَ خَاصِمْنَا الْكَرَى
آثَارُهُمْ رَمَضُ الْخُلُودِ	هَذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ الْأُلَى
نَبْنِي كَمَا شَادَ الْجُدُودُ	قُمْنَا إِلَى صَرْحِ الْعِلَا
بَيْنِكَ أَشْبَالِ الْأُسُودِ	مَضْرُ الْعَزِيزَةِ رَحْبَى
عَلِيَاءَ نَجْدِكَ أَنْ تَعُودُ	حَيَّ شَبَابَكَ وَأُطْلِي
تَرْعَاكَ عَيْنٌ لَا تَنَامُ	أَنْتِ السَّعَادَةُ وَالْمُنَى
رَهْنُ الْجِهَادِ عَلَى الدَّوَامِ	أَرْوَاحُنَا وَقُلُوبُنَا
وَأَكْتُبْ لَنَا الْفَوْزَ الْمُبِينُ	كُنْ عَوْنَنَا يَا رَبَّنَا
نَسْعِي إِلَى نُورِ الْيَقِينِ	هَبْنَا الْهَدَايَةَ إِنَّنَا

نشيد^(٥)

رَبَّنَا خُذْ أَسْمَاءَ وَشُكْرًا	أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ
هَبْ لَنَا التَّوْفِيقَ دَوْمًا	وَاهْدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ
وَأَمْلَأْ أَلْمَالِ عَزْمًا	يَا بَصِيرًا بِالْعِبَادِ
مَنْ لَنَا الْآبَاءُ عِزًّا	إِنَّهُمْ رَمَزُوا الْخَنَاتِ
وَاجْعَلِ الطَّاعَةَ زَادًا	لِلْفُؤَادِ وَلِللِّسَانِ
إِنَّ كَنْزَ الْعِلْمِ بِحَرٍّ	لَا يَهْدِيهِ النَّفْسَادِ
لِلْعُلَمَاءِ سِلَاحٌ وَسَيْفٌ وَبَذَرٌ	نَشْرُهُ يُخَيِّبُ الْبِلَادِ
اطْلُبُوا الْعِلْمَ دَوْمًا	فَهُوَ مِصْبَاحُ الْفَلَاحِ
مَنْ سَعَى لِلْعِلْمِ يَحْظَى	بِالْأَمَانِ وَالنَّجَاحِ
يَا كِرَامَ النَّشْرِ هَيَّا	صَافِحُوا نَجْمَ السُّمُودِ
وَارْفَعُوا فَوْقَ الثَّرِيَّا	نَجْدَ آثَارِ الْجُدُودِ
نِلْتِ يَا مِصْرُ الْمَعَالِي	مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ
فَازِ كَرَمِي عَهْدَ الْأَوَالِي	وَارْفَعِي شَأْنَ الْبَنِينَ
أَيُّهَا الْوَطَنُ الْمُفَدَّى	قَدْ وَهَبْنَاكَ الْحَيَاةَ
عِزًّا مِنْ أَوْلَاكَ نَجْدًا	وَلِيَدُمُ فَضْلُ الْإِلَهِ
مِصْرُ يَا كُلُّ الْمَنَى	نَحْنُ أَشْبَالُ الْأُسُودِ
جَدِّدِ الْمَجْدَ لَنَا	فَوْقَ أَزْرَاجِ السُّمُودِ
إِنَّنَا لِلْعِلْمِ نَسَمَى	بَيْنَ جِدَرٍ وَاجْتِهَادِ
وَعُمُيُونَ اللَّهَ تَرَعَى	كُلُّ مَنْ رَامَ الْجِهَادِ

مَهْدُنَا مِصْرُ الْجَدِيدَةِ	مَعْمَدُ الْعِلْمِ الْمُنِيرِ
دَارُ تَهْدِيبٍ بِحَمِيدَةٍ	فَضْلُهَا فِينَا كَبِيرِ
قَدْ حَوَتْ أَتَقَى قُلُوبِ	مِلْأُوهَا نُورُ الْيَقِينِ
رُوحُ آدَابٍ وَعِلْمِ	فِي رِجَالٍ عَامِلِينَ
يَا رِجَالَ الْعِلْمِ أَنْتُمْ	لِلْهُدَى رُسُلُ السَّلَامِ
يَرْجِعُ الْفَضْلُ إِلَيْكُمْ	أَحْسَنَ اللَّهُ الْخِتَامِ
رَبَّنَا حَمْدًا وَشُكْرًا	أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
كُنْ لَنَا عَوْنًا وَذُخْرًا	يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ

ربيبية الكونخ

مسرحية مترجمة عن

تشارفس جارفس

أسهم الشاعر في الحركة الفنية في عصره
بتأليف وترجمة بعض المسرحيات ،
وقد اخترنا هذه المسرحية المترجمة إلى
اللغة الفصحى لتكون دليلاً على العمل
القي الذي كان يقدمه .

الفصل الأول

المنظر الأول

[غرفة بكوخ المطحنة بإحدى قرى برنستابل على نهر التو]

(مائدة حولها ثلاثة مقاعد . ليرا جالسة وفي يدها كتاب . تضعه)

ليرا : ما أهنأ هذه الحياة . وما أسعدنى بين هذين الشيخين الجليلين : والد كرس حياته
لتهذيب إبنته التى انقطع من أجائها عن العالم ، وخادم أمين ما ترك لحظة من ثمين
وقته إلا نفحها فيها بغوى نصائح . فليباركهما الله كما سهر على نعيمى . (تقف) أماء !
أماء ! أين أنت الآن ؟ كيف تتر كينتى فى الربيع الأول من زهرة شبابى ؟ يا ترى أين
أجدك يا من أسأل الله لك الرحمة ؟ أمى ! أو ما علمت أن ابنتك تحن إليك كما لو كانت
بين ذراعيك . إلهى ؟ أين أجدها ؟

آدون تشستر : (يدخل) — تجدينها فى شخصى يا عزيزتى . أنا أملك وأبوك ، يا زهرة الربيع .
فهل تشكين الماء ؟

ليرا : (تطوق أباهما بذراعيها) كلا يا أبتى . إنما أراى أحن كثيراً إليها . وما خلوت بنفسى
لحظة إلا رأيت خيالها الظاهر يسم لى عن نعر لعبت به يد البلى . وكثيراً ما شعرت
بيمينها تمسح على شعرى ، كأنها تسألنى الصبر على فراقها . فأشعر إذ ذاك براحة .
وما هى إلا هنيهة حتى أفيق من خيالى ، فأندب سوء حظى .

تشستر : (يسقط على الكرسي) يا لها من ذكرى مؤلمة . ليرا ! (يمسح شعرها) تناسى تلك
الشواغل . واطردى تلك الخيالات .

جرفث : (يدخل) ها قد أحضرت الخطب يا مولاي . فهل من حاجة قبل أن أبدأ فى
تجهيز الطعام .

تشستر : نعم . (ينظر إلى ليرا) نسيت نظارتى بجانب الكتاب الذى كنت أطلع فيه على
المائدة . فهل لك أن تحضرها يا ليرا (ليرا تخرج) .

جرفث ! ما أصعب الدين . الدين هم بالليل ومذلة بالنهار .

جرفث : هون عليك سيدى . فرجما ارتفعت الأسهم التى لك فى الشركة ، فتنظم لنا أسباب الحياة .

تشتى : هذا كل ما بقى لى من أمل . جرفث ! إننى أريد الجريدة . فاذهب إلى پترال وسل جربلى أن تعطيكها ، وبلغها تحيتى . (لنفسه) عسى أن يكون فيها تفريج كربتى .
جرفث : سأذهب حالا .

ليرا : (تدخل) ها هى النظارة يا بأبت .
تشتى : شكراً لك يا ابنتى (يقبلها ثم يقف) هيا بنا إلى الحديقة يا عزيزتى . (إلى جرفث)
إنى منتظر .

ليرا : (تبقى ويخرج تشتى) إلى أين يا جرفث ؟
جرفث : إلى پترال .
ليرا : ولماذا ؟

جرفث : لأحضر شيئاً لأبيك ، يا عزيزتى .
ليرا : دعنى أذهب بذلك ، فأنت تعب كما يلوح لى ..
جرفث : لا يامس ليلا . فأنا لا أزال أشعر بقوة شبابى تتضاعف . ذلك لأننى أوقفتها على رعايتك .
ليرا : أنت تثق بحبى إياك . ولو كان فى وسعى أن أقوم بكل شئون المنزل ما توقفت عن ذلك لحظة .

جرفث : شكراً لمواطفتك .
ليرا : وتعلم أيضاً أن سعادتى فى ركوبى القارب . فلماذا تمنعنى عن الذهاب إلى پترال حيث أعبى النهر ، فأتسلى .

جرفث : ولكن
ليرا : (تطوقه بذراعيها) لا تعاند من أحببتك .

جرفث : بارك الله فيك يا عزيزتى . سأذهب حالا لأعد لك القارب . (يخرج) .
تشتى : (يدخل وفى يده كتاب) هل ذهب جرفث يا عزيزتى ؟
ليرا : نعم . ذهب ليعبد لى القارب يا أبتاه .

نشستر : لك أنت ، ولماذا ؟

ليرا : لأنى سأذهب بنفسى لإحضار حاجتك من پترال .

نشستر : وهل تعلمينها ؟

ليرا : لا . وهل عندى علم الغيب ؟

نشستر : (بوداعة) وكيف تحضرين مالا تعرفين ؟

ليرا : سأسأل جرفث متى ركبت القارب .

نشستر : ولم اخترت الذهاب بنفسك ومنعت جرفث ؟

ليرا : لأنه تعب جداً يا أبى . وأحب أن أساعده ليستريح قليلا .

نشستر : وهل يسعدك أن تأخذ ميني يا ليرا ؟

ليرا : هذا كل منأى يا أبى . هل تثق بخدمتى بعد ذلك ؟

نشستر : حسناً يا ليرا . إنى أريد الجريدة ، فقد كانت مسز جربلى تعيرنى إياها كلما أردت .

ليرا : (تبسم) نعم . (نشستر يجلس ويقرأ) .

أنسمح لى أن ارتدى معطنى وقبعتى ؟

نشستر : لك ما أردت (تخرج) . ما أشد حى إياها إنها لا تعرف شيئاً عن الدين .
حسناً فلتذهب .

ليرا : (تدخل بالقبعة والمعطف على يدها) ها أناذى .

نشستر : إلى كى أقبلك (يقبلها . تخرج . لنفسه) إن ذكرى الماضى تؤلم الشيخ . ثروة زالت ،

وزوجة طاهرة ماتت . يالهول كل ذلك ! أولم تكفى تلك المصائب ، حتى أزرع تحت

عبء لم أعوده من قبل ! الدين ! الدين ! ما أصعب احتمال هذه الكلمة ! بل ما أشد وقعها

على سمعى ! رحماك يا إلهى ! (يدخل جرفث) هل ذهبت ليرا ؟

جرفث : نعم .

نشستر : وهل علمت شيئاً عن سبب إحضارى الجريدة ؟

جرفث : كلا . إنها لا تعلم عن العالم سوى شيئين .

نشستر : وما هما ؟

جرفث : أولها أنك أبوها . وثانيها أنني خادمها الأمين .

تشستر : ما أسعدها ، وما أشقاني !

جرفث : هون عليك يا سيدى .

تشستر : لتسكن مشيئة الله إمض ، أنت إلى عمالك . وسأحضر إلى غرفة المائدة بعد أن تعودا ليرا .

(يخرج جرفث . تشستر يعود إلى القراءة . بعد قليل ينظر فى ساعته) .

تشستر : عجبا لقد انقضت ساعتان ولم تحضر ليرا . كيف تأخرت إلى هذا الحد والمسافه لا تحتاج

إلى أكثر من نصف ساعة . (يقف ويسير نحو الباب) جرفث ! جرفث !

جرفث : (يدخل) بماذا يأمر مولاي ؟

تشستر : لقد تأخرت ليرا . أليس كذلك ؟

جرفث : اهل مسز جربلى . . .

تشستر : دعتهما لتناول الغداء ؟

جرفث : ولم لا ؟

تشستر : ليس ذلك من عاداتها . وقابى يحدثنى بأن هناك سببا آخر .

جرفث : لا أظن . فأنا أعرف قلب الطائر الذى أربيه .

تشستر : لقد داخلنى الشك فى تأخرها . إذهب أنت إلى عمالك . وسأستريح قليلا فى مخدعى

حتى تحضر . (يخرج)

لورد أمتاريدج : (يدخل مبهل الثياب وليرا معه تمسح الماء عنه بمنديلها ، وفى يسراها الجريدة) أظننى

لم أفهم قوانين هذه اللعبة الغريبة .

ليرا : أية لعبة تعنى ؟

داين : لا أعنى شيئا . وأسأل الله أن تكونى سالمة من كل أذى .

ليرا : نعم . إني سالمة . ولكن ما الذى حلك أنت على الاستحمام بملابسك ؟

داين : استحمام ! (بدهشة) إنك سليمة النية يا حسناء .

ليرا : (بوداعة) لست أفهم معنى ما تقصد .

داين : (يعصر كم قيصه) إنك تعرفين ما يحول بخاطرى ، يا سيدتى . لقد ظهر لى أنك لم

تكونى فى خطر ، ولكنك كنت تستغِيثين .

ليرا : أنا؟ أوافق أنت مما تقول؟ إني كنت أغرد لأداعب طيور الماء... أهذه في عرفك استغاثه؟

داين : تغردين ، (بمجب) ماأشد وهى ! لقد حسبتك تفرقين ... لذلك بادرت إلى إنقاذك بأن قذفت بنفسى فى الماء قبل أن أفكر فى خلع ملابسى .
ليرا : لقد أخطأ ظنك يا سيدى .

داين : مصادفة عجيبة .

ليرا : (مبسمة) أما أنا فكنت أظنك تفرق ... ولذا أسرعت لنجدتك بقارى . وكنت أنت تحسبنى أغرق فقذفت بنفسك لانقاذى . فكلانا فعل الواجب عليه .
داين : لقد أصبحت مديناً لك بحياتى يا سيدتى .

ليرا : (بنظرة شفقة وحنو) إنه ليسعدنى ان أراك دائماً . إن بيتنا هو هذا الكوخ الصغير .
أما أنا فأعيش بين شيخين : والد كريم ، وخادم أمين ..

تشستر : (يدخل) لماذا تأخرت يا ليرا ، وأين الجريدة ؟ (دون أن يلتفت إلى اللورد) .

ليرا : لقد أحضرتها يا أبى (مشيرة إلى داين) . وقد أوشك ان يفرق .

تشستر : (يقناول الجريدة .. إلى داين) أراك مبتل الثياب .

داين : نعم يا سيدى . ولولا ابنتك لكنت الآن من سكان جوف السمك .

تشستر : (بدون اكتراث) أحب أن تحفف ثيابك عندنا ؟ (يتردد اللورد بين الشيخ وليرا ولا يتكلم) .

ليرا : (لداين) لماذا لا تقبل دعوة أبى ؟

داين : قبلت دعوتك يا سيدى .

تشستر : تفضل فاجلس . (يجلسون) .

داين : أقدم لك نفسى . أنا من أسرة ارمتايدج ، واسمى داين .

تشستر : وأنا من عائلة تشستر ، واسمى آدون ، وهذه ابنتى ليرا ، وهذا منزلى .

داين : إنى أعرف بعض أفراد هذه الأسرة الكريمة .

تشستر : (بلهجة حزن) أما أنا . فلم أرى أحداً منهم منذ سنين ، وكأنى آلم من ذكر الماضى (إلى اللود) إنى سعيد بزيارتك .

- ليرا : وأنا أيضاً أشارك أبى فى هذه السعادة .
- داين : شكراً ، يا سيدى . وأنت يا منقذة حياتى .
- تشستر : من أين أنت قادم ، يا مستر داين ؟
- داين : من لندن للترويج عن النفس . ولقد صدق من قال : إن السفر قطعة من العذاب . .
- تشستر : وأين كان السفر ؟
- داين : إبنى قضيت أكبر شطر من حياتى فى السياحة : فحيت فىافى أيسلنده وسهول روسيا ، وغابات الهند وسيلان وجزائر الهند الشرقية الهند والغربية . وأواسط افريقية ، وهضاب الكنفو والكرون والحبشة ، ومنابع النيل ، والنيجر ، والأمزون ، والميسيبى وسانت لورانس ؛ تلك المناظر التى تأخذ بمجامع القلوب ، وكذلك زرت أعظم مدن أمريكا ، واسترالياحبا فى الوقوف على أخلاق الناس وشفقاً بمناظر الطبيعة ، ورغبة فى الصيد والتسلية .
- تشستر : (يتفكر فى بعد أن يصلح نظارته) وهل كنت تستطيع الوفاء بنفقات هذه السياحات الطويلة ؟
- داين : هذا سهل جداً ، لأن والدى يدفع ما احتاج إليه بسخاء .
- تشستر : (بإعجاب) إنه على ما يظهر واسع الثروة . وهل كنت سعيداً فى سياحتك الأخيرة ؟
- داين : بدون شك .
- تشستر : وهل أنفقت زمناً طويلاً فى رحلتك الأخيرة يا مستر داين ؟
- داين : نعم يا سيدى ، لقد قضيت فيها ثلاث سنين متواليات .
- ليرا : وكيف كنت تصبر على فراق أبويك ؟
- داين : ليس لى غير والد الشيخ ، لا يترك القلم طرفة عين . وهو الذى حجب إلى السفر رغبة فى تهذيب أخلاقى ، ونمو معلوماتى ، كى أتمكن من احتلال مركزه فى المستقبل .
- ليرا : (بحزن) وأمك ، هل فارقتك صغيراً كما فارقتى أمى ؟
- داين : نعم ، تركتنى فى المهد .
- ليرا : إنها ... (يقاطعها الشيخ ليغير الموضوع) .
- تشستر : ومتى عدت من هذه الرحلة يا ضيفنا العزيز ؟

داين : منذ شهر .

تشتير : هل رأيت الصين ، يامستر داين ؟

داين : كلا ، لقد كان في نيتي أن اقضى شطرا من حياتي في الصين ، واليابان ، غير أن صديقي إلى دعاني وأنا في كلنا إلى سنغافورة احتفالا بعيد ميلاده فابيت الدعوة . وكان الجو في سنغافورة حاراً جداً ، ومع أن البلدة آية في الإبداع والرونق لم أتمكن من المكث بها سوى ثلاثة أيام ، ولما عزمتم على العودة إلى برنامجي الأول ، من زيارة بكين ، ويوكوهاما ، وطوكيو ، حُبب إلى صديقي تغيير هذا البرنامج ، والاستعاضة عنه بزيارة منحدرات نياجارا في أميركا . ورأيت أن أوافقه إذا شاركني فيها فكان أنيسى في تلك الرحلة الطويلة . ومامالت الشمس للغيب إلا وكنا على ظهر الباخرة .

ليرا : واعجباً ! إنى لم أسمع مثل هذا الحديث من قبل .

تشتير : وهل رأيت أن صديقك كان محققاً في وصفه ، أم أنه أسرف في المبالغة .

داين : إن مارأيته من جلال المنظر كان أضعاف ما وصفه لي صديقي : رأيت الجبال هناك يعلوها الجليد الناصع البياض ورأيت ، الينابيع ينحدر ماؤها من ارتفاعات هائلة ، وشاهدت ماءها المتدفق وكأنه صيغ من سبائك الذهب ، وقد تناثرت حولها قصور عشاق المناظر الجميلة .

تشتير : أنت شاهدت ، إذأ ، أجمل مناظر العالم .

داين : تقريباً ..

ليرا : (لداين) أما أنا فلم أر غير هذا المكان ، ياسيدى ؛ ولم أعرف مخلوقاً آخر غير أبى وجرفث ومسزجريلي جارتنا .

داين : ومن هو جرفث ؟

ليرا : هو خادمنا الأمين .

تشتير : هل تسمح لي يامستر داين أن أذهب إلى مخدعي لقضاء بعض العمل ؟ (يقف) .

داين : (يقف وتقف ليرا) كما تريد ياسيدى .

تشتير : شكراً لك (يمخرج) .

داين : (ينظر إلى ليرا بإعجاب) أرى كوخكم هذا أشبه شىء بصومعة ناسك . لقد انفرّد بالجمال بالجمال فى هذه البقعة المنعزلة . مس ليرا ! أنعيشين هكذا وحده ؟ إنها لعيشة جافة . ألا تشعرين بذلك ؟

ليرا : لم أفكر فى ذلك قط . فقد ألفت هذه الحياة منذ طفولتى .

داين : أليس لكم أصدقاء ؟

ليرا : ما أظن أن لنا صديقاً . أراك تستغرب كلامى ، فهل هو غريب حقاً ؟

داين : لا داعى للغربة ، فيما أظن . ولكن أسمعده أنت بهذه الحياة المملة ؟

ليرا : (ببساطه) لم لا أكون سعيدة ؟ وكيف تصف هذه الحياة بالملل ؟ أنت كثير الأصدقاء ؟

داين : إني كثير الأصدقاء . ذلك لأن أبى كثير الاختلاط بالناس . ألم تسمعى عن أستاذ منستر ؟

ليرا : لم يرد على سمى هذا الاسم قط . وهل تسكن أنت وأبوك بيتاً واحداً ؟

داين : أبى يسكن ستار منستر ، أما أنا فدايم التنقل . إنه فى عملٍ مستمر ، وأنا فى فراغ دائم .

ليرا : وهل هو راض عن ذلك ؟

داين : كلا . إتنا فى نزاع دائم : هو يريد أن أكون معه فى مجلس النواب ، أو على الأقل أن أخلفه فيه .

ليرا : ولماذا ترفض ذلك المركز العظيم الذى تنمناه النفوس ؟

داين : لأنى لست من رجاله .

ليرا : وكيف اتفق ذلك وأنت فى نضارة الشباب ؟

داين : أميل بطبعى إلى الراحة والسكون . ولا أعشق فى هذا العالم سوى (يتوقف) ...

ليرا : سوى ماذا ؟ ما بالاك تفكر ؟

داين : سوى الرحلات ، والمناظر الجميلة .

ليرا : ولكن ألا تفضل ذلك المركز السامى على تلك الأمانى التى لا تلبث أن تزول ؟

داين : ربما فكرت فى ذلك فيما بعد .

ليرا : يظهر لى أن أمالك من أركان هذا المجلس العظيم .

داين : كان عضواً فى البرلمان قبل أن ينتقل إلى مجلس اللوردات .

- ليرا : نعم ، فهمت . فهو أذن لورد .
- داين : (يحن رأسه) نعم . هو لورد آرل ستار منستر . ألم تطلعي على شيء من أخباره ؟ ذلك لأنه لا تخلو صحيفة في لندن من ذكر اسمه .
- ليرا : لسوء حظي أني لم أعود مطالعة الصحف . لكن لماذا يذكرون اسمه دائماً ؟
- داين : لأنه من الوزراء ، ومركزه يقترب بجميع الحوادث العظيمة . (بصمت) عفواً يامس ليра ، فقد أنعبتك بهذا الحديث الممل .
- ليرا : (باحترام) لامستر داين . ولكن عفواً لجرأتى . بماذا يجب أن أدعوك منذ الآن ؟ نعم ، لقد اهديت لورد داين . (تمنحنى) .
- داين : (يبتسم) أنا لا أود أن أسمع من هاتين الشفتين الجيلتين سوى داين فقط .
- ليرا : (بخجل) لك ماتشاء .
- داين : هل تعلمت شيئاً من الموسيقى ؟
- ليرا : (باستغراب) وكيف أعرفها ، وأنا بين شيخين لا يتكلمان إلا عند اللزوم ؟
- داين : مسكينة أنت يا ليرا . والتصوير ؟ وصيد السمك ؟
- ليرا : لا هذا ولا ذاك . وهل تصيد النساء السمك ؟
- داين : إنه من ألد متعهن . ولو كانت هناك قسبة لعلمتك الصيد في ساعة واحدة . فقد علمت ابنة عم لى (يتوقف) فنبغت فيه ، ولكنها لم تستمر .
- ليرا : ألا أنها ملت الصيد ، أم ألهها شيء آخر عنه ؟
- داين : لا ، بل خطر لها أن الصيد خطيئة . إذ بسببه يقع الظلم على الحيوان المسكين .
- ليرا : وكيف خطر لها ذلك ؟
- داين : فى العالم أناس كثيرون لا يأكلون ولا يشربون ولا يتحركون قبل أن يتساءلوا عما إذا كان فى ذلك خطيئة . وثيودوسيا . . . (يتوقف) .
- ليرا : (تقاطعه) ثيودوسيا ! ما أعرب هذا الاسم . لاشك أنه اسم ابنة عمك .
- داين : نعم (يدخل تشستر) .
- تشستر : أرجو أن تعفوا عن جرأتى لدخولى عليكم بغير استئذان .

داين : (يقف) إن ذلك يضاعف سرورنا .

ليرا : إن سعادتي في أن أراك يا أبي . ألا توافقني على ذلك يامستر داين ؟

داين : وهل في ذلك شك ؟

تشستر : إنا نعتبرك صديقنا من اليوم . فلا تحرمنا من زيارتك كلما سجدت لك الفرس . وأنا على يقين من أنك ستجد في كوخنا وما حوله من مناظر الطبيعة خير تسليية لك . أليس كذلك يا ليرا ؟

ليرا : هذا يحتاج إلى برهان . وأنا أضرم صوتي إلى صوت أبي ، عسى صوتانا يجدان إلى قلبك سبيلا .

داين : إن لسانى ليعجز عن وصف شكرى لمواطنكنا . وإني أهنيء نفسي بهذه الصداقة وأسأل الله أن تكون سبب هنأى (ينظر إلى ليرا) وتأكدى يامس ليرا أنى لا أنسى مالك على من جميل . وإني أعدك إلا أترك فرصة تسمح لى بزيارتكنا دون اتمهازها (يقف) لقد مضى النهار ، وأخاف أن يداهمنى الليل . والطريق وعر . فأستودعكما الله .

تشستر : (يقف) ألا يمكن أن تقضى معنا هنا هذا المساء ؟

ليرا : (باستعطاف) نعم ، ألا يمكن ؟

داين : كان يسرنى ذلك جداً ، لو لم أكن مضطراً أن أصل برنستابل الليلة لدواعٍ مهمة ، ويمكننى أن أراكا فى صبيحة الغد .

تشستر : حسناً .

ليرا : أصبح هذا ؟ أيمكن أن أسعد بزيارتك غداً ؟

داين : سأبذل قصارى جهدى . (يصالحهما) إلى الغد . وما الغد ببعيد .

تشستر : إلى الملتقى يامستر داين ، إنى على أهبة استقبالك غداً . (إلى ليرا) أنا ذاهب إلى غرفتى ، وبعد أن تودعى ضيفنا العزيز . . . (يخرج تشستر) .

داين : (يمسك يدها بيديه) أنظنين أن فى صيد السمك خطيئة ، كما تقوم أترابك ؟

ليرا : وما الخطيئة فى ذلك ؟

داين : إذا سأعود غداً لأعلمك الصيد ، إلى الملتقى (يخرج) .

ليرا : رعتك عين العناية . (لنفسها) ما أجمله ! وما أرق حديثه وأعذبه ! إنه لورد غنى شريف
نعم إنه الابن الأكبر لأيرل استار منستر ، وكفاه ذلك فخراً . (تتنهد) أما أنا ، أنا ابنة
الشيخ تشستر ، ربيبة الكوخ . آه . أين هذا الكوخ الحقير من ذلك القصر الكبير ؟
ولكن (بشم) مالى وهذه الأحلام التى تسبح بى فى عالم الخيال ؟ كيف للأرض
أن تساوى القمر فى رفعتها ؟ كفانى سعادة أنه هبط من سماء منزلته العالية ، وقبل أن
يتدانى فيصادقنى .. (نصمت) ثيودوسيا ، ثيودوسيا . من هى . أه ، إنها ابنة عمه ،
إنها صاحبة قصر وخدم ، غنية ونبيلة . إنهما متناسبان ومتكافئان ثروة وجاهاً . ويلاه !
ماذا أصابنى ! أحسد نعمة أسداها الله إلى غيرى ؟ إن هذا هو عين الحماقة . ما أضعف
قلب النساء ! يجب أن ننتظر الغد . . . (تقف) وما الغد ببعيد . (تمشى إلى الباب
وتخرج) .

(تطفأ الأنوار . يتغير المنظر بقاية السرعة)

المنظر الثاني

(غرفة فاخرة بفندق برنستايل . جاك خادم الفندق يرتبها . الوقت ليلاً)

جاك : ما أشد هوس هذا السيد ! إن انتسابه إلى أسرة ارمتايدج لقلته من فلتات الطبيعة !
(يضحك) شاعر ! (يضحك) شاعر مختل الشعور ! لا يعنى ما يكتب ولا يفهم معنى
ما يقول ، يسطو على قصائد جوناس وبرونتيج فيسرق ما يروق له منها . وما أسرع ما يغير
الغرض ثم ينسب ذلك الجهل إلى نفسه . (يضحك) ومن أقبح ما سمعت أنه يفنى !
(يضحك ثم يجلس) مسكين شاب ، قوى غنى غير أنه مرتبك العقل ، ضعيف الإرادة ،
بليد الذاكرة . والأدهى من ذلك أنه جبان ، سلبه الجبن كل علائم الشرف .. وهو فوق
هذا وذاك رسام و... (يضحك) يدعى أنه فنان يصور حقائق الأشكال . والحقيقة
أنه يقلب المرئيات كما تفعل عدسة الآلة الراسمة .. (يضحك) فينقش بذلك صوراً لا يفقه
ما ترمى إليه إلا هو وحده . (يضحك) ولكن مالى وجهه ؟ الدينار هو هدفى . فمادام
يجب الألقاب ، وبعشق الظهور الكاذب ، فسأملأ منه جيوبى ذهباً ، وليس له إلا أن
أقول : حضر السيد تشاندس . تفضل يا مولاي . الجميلة سألت عن اللورد . ما أجمل
هذه الصورة ! ما أبدع هذا الخيال ! ما أطرب هذا اللحن ! ما أمتن هذا النظم ! إنى أسمع
وقع أقدام ، فمن الزائر يا ترى ؟ لعله هو المعتوه . (يجرى إلى الباب) .

داين : (يدخل داين ومعه أدوات الصيد) أنت هنا يا جاك ؟
ارمتايدج

جاك : (ينحنى) فى خدمة مولاي .

داين : حسناً ، خذ هذا إلى غرفتى الخاصة ، وأعد المائدة .

جاك : (يأخذ الأدوات) هل سيدى اللورد ضيفنا الليلة ؟

داين : نعم . (يجلس ، يخرج جاك . داين لنفسه) لقد وعدتها بأن أعود فى الغد ، وما أشد
سرورها بذلك . مسكينة ، ما أضيعها فى ذلك المسكان المنفرد ! إنها تعيش كراهبة .
تصبح وتمسى بين شيخين يمثلان الفناء بأجلى معانيه . فما أقسى الدهر ، وما أعجب
أطواره . يجب أن ترى لندن . يجب أن ترى السعادة وترفل فى لباس النعمة والهفاء .

تشانديس : (يدخل وفى يده ورقة وقلم) آه . ابن العم . هل أنت هنا يا لورد ؟

داين : (باز دراء) أى شيطان حملك إلى هذا المكان ؟
تشاندىس : شيطان ! (يضحك) والله ، يا ابن العم ، إن من يسمعك الآن يحسبك غير راض
عن قدومى .

داين : أوفى ذلك شك ! ألم تعهد فى الصراحة ؟
تشاندىس : إذن فأنت لا تمزح ؟
داين : ومن أدراك أننى أمزح مع المتهوس ؟
تشاندىس : أمتهوس أنا ؟
داين : هذا ما لا يختلف فيه اثنان .

تشاندىس : (بحدّة وهو يجلس) هذه بلاد حرة يا عزيزى ، وهذا فندق عام . فما معنى احتقارك لى
ونحن متساويان فى الضيافة ؟ بل يلوح لى أننى أكثر منك مالا .
داين : أنت يلوح لك كل شىء ؛ لأن مكروب الخيلاء الذى يملأ فراغ رأسك ، وإن كان
بطيء العمل ، إلا أنه دائم الحركة .

تشاندىس : أنا أعتقد أنك تمزح . ولولا ذلك ...
داين : (يقاطعه) لهاجت عواطفك (يضحك) اليس كذلك ؟
تشاندىس : دعنا من الجدال ، فنحن يجب أن نكون أصدقاء ، ذلك لأننا من عائلة عريقة ومن
دم واحد فلاداعى إلى التفضيل .

داين : إن هذا الغريب ، لقد تركتكم فى لندن أمس ، فما معنى قدومك برنستابل اليوم ؟
تشاندىس : أتجول باحثاً عن الجمال .
داين : (بهزء) الجمال ! ما أخف عقلك ! وأية جميلة تعشقك ؟

تشاندىس : حقاً إنك لا تعرف قدرى يا ابن العم . ألم تسمع بقصائدى التى يتغنى الناس بها فى جميع
المنتديات ؟ إن بعض الفاتنات الجميلات شهدن لى منذ شهر بأننى فقط مشاهير الشعراء .
داين : (يضحك) إنك واهم ..

تشاندىس : أراك تتهم ، ذلك لأنك لم تتعلم الشعر ، وإذا سمعته ، فكيف يتأتى لك أن تصل إلى
المعنى الذى يرمى إليه الشاعر ؟ وإن وصلت إلى قشور المعانى ، فهناك بون شاسع بين
ما تفهمه أنت وما نتشبع به نحن الشعراء .

داين : شعراء ! (يضحك) إنك لشديد التمسك بالفن .

تشانديس : لتترك الشعر لمن يفقه معناه ، وما قولك في فن التصوير ؟ ألسنت الآن من أمهر المصورين ؟ والموسيقى ؟ ألم أبلغ في الموسيقى منزلة لم يبلغها إنسان ؟ صرح بأفكارك ! تكلم !
داين : (بتهمك) أهنتك بهذا النبوغ . وأسأل الله ألا يجعل شعرك وألحانك وتصويرك سبباً في سقوط هذه الفنون الجميلة .

تشانديس : الفنون الجميلة ! (ببله) ما أحسن هذا الوصف ، وما أقدرك على حسن التعبير ! إنك تنجح ، إذا علمتلك الشعر يا عزيزتي .

داين : كفى ، يا معتوه . أتحسب أنك الآن محاط بلقيف من خفيفات العقول اللواتي يحسبن كل كلمة تقولها منزلة .

تشانديس : (بسرور) كل كلمة أقولها منزلة . بارك الله فيك يا عزيزي . لقد أنعشتني بهذا الوصف الجميل

داين : (بحدة وغضب) أترك السفسطة يا أحق ، وأخبرني لماذا حضرت إلى هذا الفندق .
تشانديس : حضرت صباح اليوم لأرى مناظر الطبيعة حول ضفاف التو . ولقد شاهدت الغروب ونظمت فيه قصيدة ، يا لها من قصيدة ترقص الطير لها في كبد السماء ! أتحب أن أسمعك إياها ! (يحاول القراءة) اسمع يا لورد .

داين : ما أنحس هذه الليلة ، وما ألعن هذه المصادفة !
تشانديس : (يطوى الورقة بنفض) إنك شديد التمسك بخرافاتك يا عزيزي داين . ولئن سألتني بعد ذلك أوتوسلت إلى أن أسمعك شيئاً فسأرفض بتاتاَ ضارباً بتوسلاتك عرض الحائط !
أفهمت الآن يا لورد ؟

داين : لا بأس عليك (يضحك) . . أنا أعرف أنك عند نفسك نابغة في كل شيء ..

تشانديس : ولماذا تهينني ، وأنت تعلم أن نبوغى هذا هو الذى جعلنى كثير الكلام ؟

داين : هون عليك .

تشانديس : (بسرور) شكراً لك . إني أحبك وأحترمك ، يا لورد .

داين : دعنا من هذا ، وأخبرني متى حضرت من لندن .

تشانديس: أمس ، في القطار الأخير — وقد سررت بكاسل تروز .

داين : حسناً ، أعلم ماذا حدث لى ليلة أمس ؟

تشانديس: لا أعلم شيئاً .

داين : (بغضب) دخل على خادمى ولفرد ، وأخبرنى أن امرأة تريد أن ترانى .

تشانديس: امرأة ! إنك لا شك لم تقابلها . فالمرأة الشريفة لا تزور الأشراف فى مخادعهم ليلاً .

داين : بل قابلتها رغم ذلك . فإذا بها فائنة خالصة المحاسن ، وهى فوق ذلك فى مقتبل الشباب .

تشانديس: ساحبك الله يا عزيزى . وماذا يقول الناس عنك إذا ظهر الأمر ؟ إن خادمك ولفرد . .

داين : (يقاطعه) لا . إنى أثق بخادمى .

تشانديس: هذا صحيح . وماذا كانت ترجو هذه الحسنة من مقابلتك على إنفراد ؟

داين : حالماً أبصرتنى تقهقرت مذعورة . وعندما قمت لأقدم لها مقعداً تستريح عليه ، جعلت

ترسل إلى أشعة محرقة من نظرها المتلهب وكأن وجهها قد غيرته المناجاة . فبينما هى عندهم

اللون ، إذ بالصفرة تضرب على وجهها نقاباً تنكشف للونه القلوب . ولما خرجت من الشك

إلى اليقين اضطربت اضطراباً هائلاً مريعاً ، ثم وضعت يديها على وجهها لتستر الحجل الذى

تولاهما ، وهى تقول بصوت خافت ضعيف . أخطأت يا سيدى فأعف عني لجرأتى ،

ودعنى أنصرف . ثم تمتعت قائلة : إنه ليس هو . وكأنها كانت تنتظر أمرى لها

بالإنصراف . بيد أنى عوّضاً من أن أستسلم للدهشة ، فهمت أن لها أمراً خطيراً ، فدفعنى

الفضول إلى الاستمرار ، عسى أن أقف على آلام تلك العذراء المسكينة . وأظنك لا تجمل

نوادير الفتيات التبعسات اللواتى يلعب بهن طيش الشباب .

تشانديس : مسكينة تلك المنسكودة وهل كانت حكايتها مؤثرة ؟

داين : ومدهشة .

تشانديس : وأية صدفه عجيبة قادتها إليك ؟

داين : إسمع . سأتم لك الحديث . قالت لك إنها خجلت وأرادت الانصراف . غير أنى منعها ،

مدفوعاً بعامل الشوق إلى معرفة مصابها ، عساي أن أجد سبيلاً لمزيد المساعدة إليها .

فامتقع لونها ونظرت إلى نظرة كاد يجمد لها لها الدم فى عروقى ، وأنت أنين اللسوع

قائلة ، والدفع يملأ محاجرهما : إن شاباً سطا على طهارتها ولكنه أخفى عنها اسمه ،
و بعد أن وعدّها بالزواج أخلف وعده وجد في الحرب .

تشانديس : يا إله السماء ! إنه لدنيء سافل .

داين : نعم . دنيء سافل ، وستدهشك جداً معرفته .

تشانديس : معرفته ؟ أو أعرف أنا مثل هذا الوحش السفك !

داين : لا تعجل . فهو صديقك الذي لا ينفصل عنك طرفة عين ، وأكثر بلاغة من هذا الذي
يرافقك كظلك فلا يفارقتك حتى في مخدع نومك .

تشانديس : لا يفارقني حتى في مخدع نومي ؟ أظنك وأهما بالورد . إذ أنه ليس لي صديق له عندي
هذه الميزة .

داين : لقد خانتك ملكة الشعر هذه المرة يا أحمق . (لنفسه) ليس لهذا المقتوه الذكاء
السكافي وآسفاه !

تشانديس : خانتني ملكة الشعر ؟ إن هذه ألغاز لأفهمها .

داين : لانفهمها ؟ شيء عجيب !

تشانديس : يظهر أني لم أعر كلماتك تمام الإصغاء . لذلك فاتني فهمها .

داين : مادمت ضعيف الذاكرة ، بليد الفكرة ، سأفصح لك عن الأمر بكلمات أجلى . .
إسمع : إن ذلك النذل السافل ترك عند الفتاة المسكينة منديلا مطرزا باسم عائلته .

تشانديس : ياله من أحمق . ولكن ما الذي قادها إليك ؟ أبلغها أنك أحد القضاة فأتيتك
هالعة لتنتصر لها ؟

داين : لقد قادها إلى تشابه الاسم ، أفهمت ؟

تشانديس : أو كان هذا الوحش يدعي داين ؟

داين : خست أيها النذل ! (يقف) آرمتايدج ياجبان . اسم عائلتي الشريفة .
إنك أهنتها بدناءتك .

تشانديس : (بخوف) وهل قالت تلك المحتالة أن السالب لشرفها هو أنا ؟

داين : أيجسر لسانك على الإنكار ، وقد وصفتك من قمة رأسك إلى أخمص قدمك ، ولم

تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقتها حقها في الوصف ؟ اعترف أيها الجبان . هل تريد
برهاناً أقوى من دموعها ؟

تشانديس : (يثب من مكانه) ماذا تقول ؟ أنا ! ووصفتني أيضاً !
داين : مكانك يا أحق ، ولا تزد على فظاعة الجرم دناءة الكذب . فأنا أعرفك كما أعرف
نفسى أيها القديس المتنكر .

تشانديس : (بحدة) إنك تهيننى ، يا لورد . ومن يدريك أن لهذا الموضوع شأننا آخر ؟
داين : إن مثل هذه الحوادث لا تخلو من المبالغة . ولكننى أرى هذه الحادثة خالية من
المبالغات . (يقف) أنا داين آرمتايدج وريث أسرة آرمتايدج أتكلم الآن بالإجابة
عن رأس هذه الأسرة : لورد آرل أستار منستر آمرُك بما يأتى : يجب أن تجعل لهذه
الفتاة قدراً شهرياً تتقاضاه منك . . من خزينة الخاصة ، مادمت فى عالم الأحياء . .
بذلك وحده يمكن أن تصالح ما أفسدت ، فقتلى شرف عائلتك بالمال .

تشانديس : (يرتجف) ولكن .

داين : (بغضب) لا أريد أن أسمع شيئاً غير القبول .

تشانديس : هدى . من روعك ، يا لورد ، ولكن .

داين : (يضرب الأرض بقدمه) لا تتردد ، وإلا . .

تشانديس : وإلا ماذا ؟

داين : (يهجم عليه) وإلا قذفت بك من هذه النافذة . أجب : أتعبل أم ترفض ؟
لا بد من أحد الأمرين .

تشانديس : (بخضوع) قبلت .

داين : (مشيراً بأصبعه إلى الباب) اخرج (يخرج تشانديس متثاقلاً) إلى الشيطان ! . .

(يسدل الستار)

الفصل الثاني المنظر الأول

(طريق النهر . نور ضئيل . باكورة الصباح)

تشانديس : (يدخل من طريق وروبرت رودن من الطريق المضاء) من الذي أرى ؟ رودن ؟ أنت

هنا يا روبرت ، وفي مثل هذه الساعة ؟

روبرت : لورد تشانديس ارمتايدج في برنستابل ؟

تشانديس : صدفة غريبة ، ماذا تفعل هنا يا روبرت ؟ ألم تزل من رجال الكنيسة ؟

روبرت : لقد تركت الهياكل من زمن بعيد .

تشانديس : إذن ، ماذا تصنع الآن ؟

روبرت : أصنع ؟ (باستغراب) حقا إنك لشاعرايها الصديق . هل تحتاج حالتى إلى ترجمان ؟

تشانديس : انى لم أقابلك منذ عهد طويل . لذلك لا أعلم عنك شيئا .

روبرت : وفيهم كانت تهكم مقابلتى ، وجيوبك مفعمة بالذهب ؟

تشانديس : دعنا من هذا ، واشرح لى حالك الآن ، وماذا تصنع ؟

روبرت : قضيت زمنا طويلا أجوب النهار وأقطع الليل باحثا عما أسد به الرمق . وكثيرا ما كنت

أقضيهم على الطوى فأعود وقد أنهكنى التعب إلى بيتى الحقيقير . (يتأوه) ، فأفترش

بساط التعاسة . ولما ضقت ذرعا بحالى ، وكبر على أن أحتمل هذا الشقاء ، رجوت

صديقا كنت أتوسم فيه الخير أن يمد لى يد المساعدة بأن يجد لى عملا أيا كان .

تشانديس : وماذا قدم لك ذلك الصديق ؟

روبرت : أجهد نفسه حتى وجد لى وظيفة صغيرة .

تشانديس : وأى وظيفة وجد لك ؟

روبرت : معلم صبيان فى مكتب صغير هنا .

تشانديس : لا تقطع الأمل ، فربما كانت هذه المقابلة فاتحة السعادة .

روبرت : سعادة ! انك سليم النية يا عزيزي ! ألا يمكن أن تجد لي عملاً عندك ، وأنت واسع الثروة ؟
تشانديس : سأفكر في موضوعك ؛ ومتى وجدت عملاً يليق بك ، بعثت في طلبك .
روبرت : أشكرك يا صديقي . وآلآن هل تسمح أن تقرضني قطعة ذهبية . وإني أذكر أن لك
عندي قطعتين من عهد المدرسة . (يضحك) لست إخالك تمتد عن إقراضى .
تشانديس : كفى . (يضع يده في جيبه) تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ! إني في غاية الخجل يا روبرت !
روبرت : أيعتذر الغنى الكبير السيد تشانديس وريث أسرة ارمتايدج العظيمة عن إقراض
قطعة ذهبية ؟

تشانديس : إنها الصدفة ، يا روبرت . فليس معى الآن سوى تحويل كبير سأصرفه متى عدت
إلى مصرف برنستابل . وأقسم لك بشرى أن أمر بمنزلك فأعطيك أضعاف ما طلبت .
روبرت : إني منتظر ، فلا تنسنى يا صاحب التحاويل . أنظر تحت تلك الربوة تجد بناء أبيض .
هذا هو المكتب . أما منزلى فلا يبعد عنه كثيراً .

تشانديس : فهمت أ أنت ذاهب إلى المكتب الآن ؟
روبرت : نعم . وأرانى تأخرت قليلاً . وأنت أيها السيد ماذا جاء بك إلى أرض غير أهلة
بالسكان ، وعهدى بك ميالاً إلى الملامى والظهور ؟

تشانديس : قمت من لندن إلى برنستابل ، وفارقتها بعد منتصف الليل قاصداً تلك الربوة الجميلة .
روبرت : من لندن إلى تلك الربوة (يضحك) حقاً إنك لمدش . إن من يسمعك الآن
يتصور أن هذه الربوة إحدى هياكل الرمان .

تشانديس : إني أعشق المناظر الهادئة الجميلة .
روبرت : إن وقتى لا يسمح لى بأكثر من هذا . وأظننى تأخرت ، فإلى القاء . (يصافحه)
لا تنس وعدك !

تشانديس : لا تخف سأوفيه ! (يصافحه . يخرجان كل من طريق . الصباح يزداد نوراً . وتدخل
ليرا من الطريق الذى خرج منه تشانديس بالقبعة وعلى كتفها رداء أسود) .

ليرا : (لنفسها) كأن إله النوم يأتى أن يمس جفنى بأنامله اللطيفة ، وكأن سلطان الكرى
قد كبر عليه أن يرفق بضعفى . فأرقت طول ليلتى . وما سبب لى ذلك سوى وعده
لى . هاهو الصبح قد أنبلج . فهل هو موف وعده ، أم عافه النسيان . (تصمت ؟)

- تسمع وقع أقدام فتفرك يديها فرحا) ما أسعدنى ! لقد حضر !
- داين : (يدخل من الطريق الذى دخل منه آساندس وخرج منه روبرت ويده قصبه الصيد وسله بها طعام)
- صدفة جميلة ! أنت على علم بساعة وصولي ؟ .
- ليرا : لقد أوحى إلى أنك ستبكر . وها قد صدق الوحي .
- داين : ما أطهر قلبك !
- ليرا : (ببساطة) ما هذا الذى تحمله فى يدك ؟
- داين : إجابسى . (ينزع الرداء عنها ويجلسان) هذه قصبه الصيد .
- ليرا : إنها جميلة .
- داين : وزادها جمالا أن مستها هذه اليد (يمسك يدها)
- ليرا : وكيف يتسنى لهذه القصبه أن تصيد ؟
- داين : (يتنهد) أنعمى النظر . هذه قصبه الصيد ، وهذه العلبة بها الطعام .
- ليرا : الطعام ؟ وما معنى هذه الكلمة الغريبة ؟
- داين : الغذاء الذى يوضع فى الخطاف الحديدى ليلتأه السمك .
- ليرا : وعلى ماذا تحتوى هذه السله ؟
- داين : خوف اشتداد الجوع ، رأيت أن أحضر غداء خفيفا .
- ليرا : حسنا فعات ، يا لورد .
- داين : دعينا من الألقاب الآن . وها أنا ذا سأبدأ بشرح الدرس . فهل أنت على استعداد ؟
- ليرا : إلى كلى آذان صاغية .
- داين : إن من كانت لها هاتان العينان الساحرتان ، وهذا الوجه الصبوح ، وهذه الوداعة النادرة لجديرة بأن تمثل أورانيا لدى قدماء اليونان . وهاتور لدى قدماء المصريين !
- ليرا : ماهذه الأسماء الغريبة ؟ أهذه من درس الصيد أم فاتحة لدروسه ؟
- داين : (يتنهد) لا دخل لهذه الأسماء بصيد السمك ، لأنها من درس صيد القلوب !
- ليرا : (ببساطة) أالصيد القلوب دروس ؟

- داين : نعم . وستدرسينها متى خفق هذا القلب (مشيراً بيسراه إلى فؤادها) .
- ليرا : إنى لا أفهم هذه اللغة .
- داين : ستفهمينها من تلقاء نفسك بدون معلم وبغير درس . إنما لكل شيء أوان .
- ليرا : وكيف أتعلم درساً لم أتلقنه عن أستاذ ؟
- داين : إن الهوى أستاذ قوى الإرادة .
- ليرا : الهوى ؟ لم أفهم هذا أيضاً . إنى أنشق الهوى كل لحظة ، ومتى أردت .
- داين : هذا صحيح ، (بسرور) إنك تشقين الهواء . أما الهوى فشيء آخر (يقنهد) .
- ليرا : إنك أخرجت مركزى ، وجعلتني أعتقد أنى بليدة ، ضعيفة الفهم .
- داين : أن جهلك بهذه اللغة لأكبر برهان على أنك أشرف ملاك فى هذا العالم . والآن سنبدأ درس الصيد . ومتى توات دروسه . تعلمت من خلالها ما تشوقت إليه الآن .
- ليرا : لقد زدتنى شوقاً إلى الصيد .
- داين : (يمسك يدها وفيها القصبه) هكذا تبدئين الصيد . (يرمى الخيط) .
- ليرا : ولماذا تقذف بهذا الخيط ؟ وما هذه العقدة التى أراها فى وسطه ؟ (ترفع القصبه)
- إنى أرى فيها قطعة من الغاب الخفيف .
- داين : (يمسك العقدة بيمينه ويضغط بيسراه على معصمها) أعيرينى كل سمعك الآن حينما تجلسين استعداداً للصيد ، إبدئى بوضع الطعم فى هذا الخطاف على هذه الطريقة . (يضع الطعم) .
- ليرا : وما فائدة هذا الخطاف الحاد ؟
- داين : إن السمكة لجهلها تزدرد الخطاف الملبس بالطعم ظناً منها أنه قطعة غذاء واحدة .
- ليرا : مسكينة ، أنت ، أيتها السمكة !
- داين : فما تلبث تشعر بأن الذى ازدردته إنما هو قطعة من الحديد حادة الطرفين ، فتسرع فى إخراجها ولكن يستحيل عليها ذلك ، فتحاول الهرب غوراً فى الماء ، فيعوقها الخيط عن الهرب ، ويكون الخطاف بهذه الحركة قد تمسكن من أحشائها فزقها شرفزق .
- ليرا : باللفظاعة ! هذه هى الخطيئة بعيها . فما أقسى الإنسان !

- داين : هذا ما كنت أخشاه .
- ليرا : (بالأم) إني لأأري سعادة في الصيد . . لقد بدأ يخيل لي أن هذا الوحش الذي يسمونه الإنسان إنما خلق ليكون هولا و بلاء على فصيلة الحيوان .
- داين : ولماذا ؟
- ليرا : ألم تقل إن في الصيد تسلية وهوأ ؟
- داين : ومن ينسكر ذلك ؟
- ليرا : أنا . إذ كيف يخطر لقلب ، مهما كان شعوره ، أن يسر بهذا المنظر المريع ، (بخوف) بينما تكون السمكة المسكينة تذوب المأمن أحشائها التي تنقطع في يد جلادها الخطاف ؟
- داين : إني ضعيفة القلب ، فلا تعجب مني ، لأن هذا فوق مستطاعى .
- داين : (يتنهد) حمداً لله ، لقد بدأت تتعلمين لغة القلوب (يمس قلبها) .
- ليرا : مازلت لا أفهم شيئاً من هذه الرموز .
- داين : ستفهمينها فيما بعد ، ولنعد إلى تنمة الدرس ، قلنا إنك تضعين الطعم أولاً ثم ترمين الخيط في الماء ، فيتدلى لي منه ما بعد العقدة ، وتسبح العقدة على وجه الماء ، تروح وتجيء طوع إرادته . ما بالك تقنهدين ؟
- ليرا : (تضع يسراها على فؤادها) لا شيء ، إني سعيدة جداً بحسن تعبيرك .
- داين : وأنا أكاد أطير فرحاً بهذه البشرى .
- ليرا : وبعد أن تطوف العقدة على وجه الماء ؟
- داين : لا تلبث أن تهتز كأن يداً مرتجفة تجتذب الخيط إلى جوف الماء ، وتتوالى هذه الحركة حتى تغوص العقدة دفعة واحدة ، إذ ذاك تسرعين باجتذاب الخيط ، وبنعشك أن تخرجي بيدك الخطاف من جوف السمكة .
- ليرا : (بدهشة) أنا ؟ إني أعتقد أن هذه وحشية ، فكيف أقربها ؟
- داين : لقد أعدت على ذكرى ثيو . . . (يسكت فجأة) .
- ليرا : نعم . ثيو دوسيا . (تنهد فيرتفع صدرها وتمسح العرق عن جبينها) .
- داين : يظهر أن جميع الفاتنات ضعيفات القلوب ، رقيقات العواطف ، يعتقدن أن الصيد خطيئة .
- ليرا : ربما كان ذلك .

- داين : ولكنى أقول إن هؤلاء فقط هن طبيبات القلوب . (يلقى القصة) ألا تشعرين بالجوع ؟
ليرا : أنا ؟ لا أظن أنى أحتاج إلى شىء مادمت معى .
- داين : شكراً لهذه العواطف . (يتناول السلة) لا بأس من تناول شىء خفيف . (يفتحها ويخرج لقيمات بالجنين) . تنازلى بقبول هذه منى .
ليرا : (بحياء) شكراً يا لورد .
- داين : دعينى من يالورد هذه الآن ، فإنى فى خاوة لذيدة تسمم من هذا اللقب . معى قليل من الشراب ، أسمحين بشىء منه ؟
ليرا : أنا لا أشرب غير الماء .
- داين : والخمر ؟
ليرا : يشربها أبى وجرفث ، أما أنا فما نعودتها قط .
- داين : إنها تحلو فى مثل هذه الساعة .
ليرا : ولكنى لا أحسبها .
- داين : ستحسبونها من يدى ، أترفضين ؟
ليرا : (بنجل) كلا ، ولو كان سما .
- داين : (يخرج زجاجة خمر وكأساً واحدة) عوفيت يا عزيزتى ، إنى أفتخر الآن بصدافتك ، وأكاد أحسد نفسى عليها . إنى أخجل أن أقدم لكى خمر ستار منسترفى مثل هذه الكأس الحقةرة . (يملأ ويناولها) .
- ليرا : (تشرب) إنها لذيدة جداً . (تناوله الكأس) أشرب أنت فى هذه الكأس ايضاً ؟
داين : (يتنهد) كان يمكنى أن أحضر كأسين . غير أنى تعمدت إحضار كأس واحدة .
ليرا : ولم ذلك ؟
- داين : إن هذه الكأس قبل أن تمس شفتيك الجيأتين كانت لا تساوى شيئاً . أما الآن فهى تقدر بالملايين .
- ليرا : (تحنى وجهها استحياء) وكيف ذلك ؟
داين : أترك الحكم لقلبك ، فهو أعدل شاهد وأصدق حكم .

ليرا : (تضع يدها على قلبها وتنظر إلى الأرض) لقد بدأت أفهم لغة القلوب . إنك مخلص ، يا سيدي اللورد . .

داين : (يشرب الكأس) شكراً لك يا إلهة الجلال . إنى لا أحب الألقاب فى مجلس أنس كهذا . ليرا : اسمح لى أن أسقيك كأساً بيدي . (يملأ الكأس) ها هى ذى . (يضع الكأس على شفيتها ويسراه تطوق عنقها) إشر بى . .

ليرا : (تأخذ قطرة صغيرة فتهتز) كفانى الآن ، فإنى لم أعودها .

داين : بالله عليك لا ترفضى . (يذنى الكأس من فمها) .

ليرا : (باستعطاف) يا سيدي ، (تمد يدها إلى الكأس) سأشرب .

داين : بيدي لا بيدك .

ليرا : (بخجل) أسرك (تشرب) كفى إنى لا أستطيع أكثر من ذلك .

داين : (يلتصق بها) لأجلى . آه لو تعلمين (واضعاً يده على خدها) .

ليرا : (بخضوع) بحقك لا تحمّلنى مالا أطيع .

داين : (يشرب ما بقى فى الكأس) لا بأس . فمن الذى يستطيع أن يصل إلى ما وصلت إليه ؟ أراى أسعد مخلوق الآن .

ليرا : إنك تتكلم بلسانى يا داين . ولكن بماذا أشعر ؟ (تتأفف) أشعر أن الهواء بدأ يتغير ، فأين معطنى ؟ (تقف ويقف اللورد) .

داين : ها هو يا ملاكى . (يمسك بالمعطف) .

ليرا : عفوا ، يا سيدي .

داين : بيدي يجب أن ترتديه .

ليرا : هذا فوق الواجب يا سيدي . وهل يثنازل اللورد بأن يضع الرداء بيده الكريمة على كتفى ؟

داين : اللورد فى القصور ، أما هنا فإنه عبد .

ليرا : إن مقامك عظيم (ترخى يدها لتسحب الرداء) إنك أجهدت نفسك وأخجلتني (وهو يحاول أن يلبسها إياه) .

داين : (يطوق عنقها بيديه من الخلف و يقبض بأنامله على شفتيها ويدنى منها من فمه) آه
ما ألد الهوى ، وما أقسى الغرام ! (يقبلها قبلة حارة) .

ليرا : (تذفض وتدفعه عنها باحتقار) إليك عنى . (تقف كالصنم شاخصة إليه) .

داين : (بخضوع) عفوا ! معذرة ! ليرا ، ليرا ، مالك لا تجيبين ؟ (يدنو منها فتبتعد) إني
أحبك . ما كان يجب أن أعترف لك بفراغى الآن ، وفى مثل هذه الساعة . ولكنه
الحب . لم أقو على ضبط نفسى . (يدنو فتبتعد) أتخافين منى ؟ إني أفضل أن أموت
على أن أخيفك . آه لو تعلمين ! ليراعفوا . لقد أذنبت ، فاغفرى . ليرا . الرحمة !
إنها نزغة الشيطان وطيش الشباب ، فعفوا أيها الهيكل اللطيف .

ليرا : (واجهة وصدرها يرتفع وهى تنكش فى معطفها) لا عفو . . ولا مغفرة . الوداع يا لورد !
(تنحنى) لا أمل فى أن ترانى بعد الآن . (تعدو مذعورة ، تخرج من الطريق التى
دخلت منها) .

(يسدل الستار لتغيير المنظر بأسرع ما يمكن)

المنظر الثاني

(غرفة بكوخ المطحنة ، وبها جرفث جالساً يطالع) .

ليرا : (تدخل وترتمي على مقعد) ما أنعس حظي ، ياليت أمي لم تلدى ! . آه .

جرفث : (يهرع إليها) ماذا أصابك يازهرة الربيع ؟ ويلاه ! بالله لا تخفى عني شيئاً .

ليرا : لاشيء ، بيد أني قطعت مسافة طويلة على القدم . ولما كنت لم أعود ذلك فقد أنهكني التعب .

جرفث : إنك بكرت شوقاً إلى تعلم صيد السمك فأين تركت المعلم ؟ ولماذا لم يصحبك في العودة ؟

ليرا : (باضطراب) لقد ذهب .

جرفث : ولم الاضطراب ؟ أحدث ما يزعجك ؟

ليرا : كلا لم يحدث شيء (تتنهد) لقد ذهب ولن يعود أبداً .

جرفث : لا بد أن يكون في الأمر شيء . فهل لحقتك منه إهانة ؟

ليرا : أنظنه وضعياً حتى يقدم على إهانتى ؟

جرفث : قرأت في وجهه الشرف والأمانة . ذلك ما جعلني أسمح لك بالخلوة معه . ولكني لم

أفكر في طيش الشباب . ليرا ! ابنتي ! إذا كانت قد بدرت لك بادرة سوء ، فبماذا

يعتذر خادمك الشيخ إلى ضميره إذا لم يرد الإهانة إلى صاحبها ناراً محرقة ؟ ليرا

(بشهامة) إني وإن كنت أدب على العصا ، فإني لازلت أمام عدوك شاباً

قوى الساعدين . .

ليرا : هدىء روعك . وأعلم أنه قضى آخر لحظة من وقته الثمين بكل أمانة وشرف .

جرفث : ولماذا انصرف على عجل ؟

ليرا : خاف أن يتخلف عن موعد الباخرة .

جرفث : باخرة ! أيفارق لندن ؟

ليرا : (تتنهد) نعم ، إلى اليابان . وقد أرسل أمتعته أول أمس ، وسيلاحق بها اليوم . (يسمعان

صرخة شديدة من الخارج . تقف) إني أسمع استغاثة . أنصت . إنه يطلب المعونة .

جرفث : (يهرع إلى الباب) استريحى أنت ، وسأبى بداء المستغيث .

تشاندس : (يدخل متوكأ على الباب) آه ، أظن أن ساقى انكسرت .

جرفث : يحمله (إلى مقعد) دعنى أر .

تشاندس : لا تمسنى . فالألم شديد . آه .

ليرا : مسكين ! (بشفقة) اعتن به يا جرفث .

تشاندس : شكرا لك يا سيدتى . (إلى جرفث) أرجوك ان تسعفى بجراح ماهر . آه !

جرفث : (يفحص الساق) الأمر بسيط لا يحتاج إلى الجراح الماهر . إن قدمك مصدوعة فقط .

تشاندس : قدى ؟ (يتوجع) ساقى كلها يا رجل . إبنى أكاد أموت ألماً - وبلاه إبنى سقطت من

هذه الربوة الشائخة .

جرفث : ومن قال لك أن تقف على ربوة رملية ينهار رملها تحت أقل ثقل ؟

تشاندس : من قال لى ؟ آه ، سل الذى خلق هذه المناظر الجميلة ، لتكون خلوة للشاعر .

جرفث : عفوا يا سيدى ، فالمقام لا يدعو إلى فلسفة . إنك تحتاج إلى عناية .

تشاندس : آه (لنفسه) .. كل الناس لا يفهمون .. أسعفى بربط ساقى . (يتوجع) أرجوك

جرفث : انتظر قليلا (يخرج) .

ليرا : هدى من روعك ، فستريح حالا . (لنفسها) مسكين .

جرفث : (يدخل ومعه أربطة من الشاش) . ها قد احضرت لك ما يلزم .

تشاندس : اسرع ، بالله عليك .. آه !

جرفث : (يبدأ بالربط وتعاذه ليلا) لا تخف . لا تتألم .

تشاندس : اواه لا تضغط .. كن رحيما .. آه بالله عليك .

ليرا : تجلد يا سيدى ، فسيزول الألم .

جرفث : انتهى .

تشاندس : آه انى فى غاية الألم .

ليرا : إنك رجل فيجب ان تتحمل الألم مهما كان .

تشاندس : (بغرام) إنك ملك هبط من جنات الخلد .

دون تشستر : (يدخل) ماذا أرى ؟ من هذا ؟ أين معلم الصيد ؟ (يقف مبهوراً)

ليرا : (تنهد) أتسأل عنه يا ابى ؟

تشستر : نعم أين هو ؟ ومن هذا الذى يتألم ؟

ليرا : رحل إلى اليابان - وهذا كان يستغيث فأغفناه .

تشستر : إلى اليابان ؟ حسنا . (بعد قليل) وهذا ، ماذا أصابه ؟

تشاندس : لقد كسرت ساقى ياسيدى . . آه !

تشستر : لعلك احسن حالا الآن .

تشاندس : نعم اشعر ببعض الراحة . (يتوجع) .

تشستر : (يجلس) من انت ! وما سبب هذا الحادث ؟

تشاندس : انا جوفرى پارل (يغير اسمه) ، مولع بالنظم والموسيقى والتصوير ، وولعى بهذه الفنون الجميلة سبب لى ما حدث .

تشستر : وكيف اتفق ذلك ؟

تشاندس : شوقا لمراقبة شروق الغزالة ، وحباً فى نظم قطعة فنية ، حضرت من لندن ، وعلوت ربوة رملية . وبينما انا ساجح فى بحر الخيال . زلت قدمى ، وانهارت الرمال ، فهويت . آه !

تشستر : (يضحك) إذن فأنت تجيد النظم ، يامستر پارل .

تشاندس : نعم . والموسيقى والتصوير . آه !

تشستر : يظهر أنك بلغت غاية هذه الفنون

تشاندس : ألم تقرأ شيئاً من نظمى ؟ ألم تسمع مقطوعة من ألحانى ؟ (يتألم) ألم يقع نظرك على صورة من رسمى ؟

تشستر : كلا . لم أر ، ولم أسمع .

تشاندس : آه لقد فاتك الحظ الأوفر . ولكنى ألتس لك العذر . ذلك لأنك فى عالم آخر غير عالمنا .

تشستر : إبنى أحد الله الذى أقصانى عن عالمكم (يقف) كن مستريحاً فإنى لا أحب أن أزيدك المأ .

تشانديس : أرجو سيدى أن يسمح للمسى ليرا بالبقاء هنا لمساعدة هذا السيد (مشيراً إلى جرفث) .

تشستر : (يمشى إلى الباب) - (إلى ليرا) اسمحين بالبقاء يا عزيزتى لتسليّة ضيفنا غير المنتظم الحواس ؟

ليرا : ومتى تسمح لى ان افارقه ؟

تشستر : متى سئمت هذيانه . جرفث ! جهز الغرفة الشرقية وانقله إليها متى طلب الراحة . (يخرج) .

ليرا : حسنا ، سأفعل .

تشانديس : شكراً لك ياسيدى ، وانت ياسيدتى .

جرفث : سأقوم بهذا يامولاي .

ليرا : (تجلس وتطالع فى كتاب) ياترى أين هو الآن ؟ (بصوت منخفض) وهل ذهب إلى غير عودة ؟ (يتوجع) .

تشانديس : (لنفسه) إنها تقالم . (إلى جرفث) هل تسمح لى بشربة ماء !

جرفث : (يقوم . يخرج) .

تشانديس : (يلتفت إلى ليرا) سيدتى ، هل يؤلمك وجودى ؟

ليرا : وكيف تتصور ذلك ؟ إنه ليسعدنى أن أراك بكامل صحتك وعقلك .

تشانديس : بكامل عقلى ؟ شكراً لك يا احسنا . إن جمالك أنسانى ما أنا فيه من الألم ، وهام بى إلى العالم السماوى ، ويروق لى أن أنظم الآن (يبحث عن مفكرته وقلبه) إنى فقدت مفكرتى .

ليرا : (تضحك) الحمد لله .

تشانديس : أحمدين الله على فقد مفكرتى ، وقد خسرت بفقدتها كل شىء ؟

ليرا : (بسخرية) إن وجود مفكرتك الآن يضاعف آلامك ، نخير لك أن تفقدتها .

تشانديس : إنك لاتحبين لى الخير ، فما سبب ذلك ؟

ليرا : إنك ساجح فى بحر خيالك .

تشانديس : أتوهم كل شىء . (يتوجع) دعينا من هذا ، واخبرينى . هل تشعرين بوحشة فى هذا الكهف المنعزل ؟

جرفث : (يدخل بالماء ويسمع السؤال الأخير) تفضل يا حضرة الفيلسوف ، وسأجيبك انا على هذا السؤال .

تشانديس : (يرتجف) جوزيت خيراً . (يتأوه) .

جرفث : (يسترد الكأس ويحلم) كيف تشعر المس ليرا بوحشة ، وهى بين شيخين أوقفا البقية الباقية من حياتها على حراستها وحمايتها وبذلا قصارى جهدهما في دفع الأذى عنها ؟

تشانديس : نعم ، فهمت ، فاعف عني .

جرفث : لا بأس عليك . فما دعاك إلى هذا إلا ميلك الشديد إلى حب الاستطلاع ، شأن الشاعر .

تشانديس : هذا صحيح ، وإني لتعجبني منك هذه الشهامة .

جرفث : هاهي مولاتي زهرة الربيع تقوم بحاجتك حتى أعود . (يخرج وفي يده الكأس) .

تشانديس : (لنفسه) زهرة الربيع ما أبهج هذا الاسم ! إنه لينطبق عليها تماماً (لليرا) لك

تشبهين عصفوراً في قفص يا زهرة الربيع باعتزلك العالم المتمدين والحياة الصحيحة .

(يتلفت خائفاً من جرفث) .

ليرا : (غارقة في بحار الفكر) ياترى أين أنت الآن ؟ (غير ملتفتة إليه) .

تشانديس : أراك منشغلة عن كلامي ، وكأنك تسبحين في عالم غير هذا العالم ، ياسيدي

ليرا : أنظن أن مخلوقاً مخلوفاً من المهم ؟

تشانديس : أنا خال من كل هم وحياتي لا يشوبها كدر ولم أرف القلق (يتوجع) ولكن لا ،

إنك صادقة أيتها الحسنة . إني بدأت أشعر أن قاي يدق . فلي الشرف أن أقدم نفسي

فداء لك إذا احتاج الأمر .

ليرا : شكراً ياسيدي . إني لا أحتاج إلى مساعدة إنسان . هل تحب أن تذهب إلى الخلد

الذي أعبدناه لك لتستريح ؟

تشانديس : (يتأوه) . وما الداعي للمجلة ، وسعادتي في أن أكون معك ؟

ليرا : لم أفهم معنى ماترى إليه .

تشانديس : انت ايتها الروح اللطيفة ، لم تخافى لتعيشي هنا ، بل حيث يتجلى ضوءك بين من

يعرفون معنى النور .

ليرا : (تتأفف) كفى ياسيدى . (تقف) .

تشانديس : (يحاول الوقوف فتساعده إلى غرفته) إنك لأطهر ملك وقع عليه نظرى حتى الآن .
آه (يتوكأ على ذراعها) ليرا !

ليرا : شكراً . (تساعده حتى يخرج جان . ثم تعود فترتمى على المقعد) . آه ؟ يا إلهى إنه ذهب غاضباً . لم أكن أعرف قبل الآن ماألهوى . أواء ! إنه يحرق الفؤاد (تتوجع) .
ماأقساك أيها الإنسان الظالم لنفسه . أيها الحبيب الذى لأعلم عن مستقره شيئاً .
ترى ، أين أجذك ؟ هل يزورك طيفى ، كما لايفارقنى خيالك ؟ وهل لازلت على عهدى
أم ضربت صفحاً عن غرامى ؟ علمتنى كيف أندب سوء حظى ، وعلمت مقلتى انهمال
العبرات (تقف) دايـن ! دايـن ! وهل بقلبك الآن ذلك اللهب الذى يتأجج ناراً
فى جسدى ، أم تناسيت تلك التى تتعذب لبعذك ، وتذوب شوقاً إليك ؟ يا إله السماء !
ياأشد ماأنا فيه ! يالهول ماأقاسى من أحله ! (تضع يدها على جبينها) ثيودوسيا ،
أين الرحمة باربة الغنى والجاه ؟ أين السماحة والحلم ياأميرة قصر تودزيارته الملايين .
(تبكى) يقول إنك طيبة القلب ، محبة للخير ، ولوعة بالإحسان . فهل تسمحين لى
بمن أحب ؟ ألم تشفقى على زهرة كادت تلعب بها يد الفناء ؟ (تسكت قليلاً) .
كلا لن يكون ذلك أبداً . الأجلى ، أنا الفتاة الحقيرة التعسة ، ترك من خلقت
من أجله ؟ أنى أكون ظالمة بهذا الحكم . ومن الحسد أن أرفع نظرى إلى مقامكما الأسمى .
فماأنا إلا العوبة فى يد الدهر وأضحوكة فى فم التعاسة . إني حقيرة وفقيرة ، فمن الجنون
أن أطلب المستحيل . إذن فلتطمئن ، أيها الأورد . وليتولك إله السماء . (تسقط
على الكرسي)

تشتير : (يدخل) ليرا ! ليرا ! إبنتى ماذا أصابك ؟

ليرا : (تقف مرتجفة) سالت ياأبى . لاشىء . إني أحتاج إلى الراحة قليلاً .

تشتير : هاتى ذراعك ياأبنتى . (يأخذ ذراعها) .

ليرا : (تمشى متوكئة على ذراع أبيها حتى الباب . تخرج ويبقى تشتير) .

تشتير : فى حراسة الله (ينادى جرفث) جرفث ! (يدخل جرفث) هل أعددت لى الشاى ،
' وهل انتهى عمل المنزل ؟

جرفث : الشاى ينتظر أمركم . أما أعمال المنزل فلم تتم بعد .
تشستر : أذهب فاحضرلى الشاى ، واستمر فى عملك (يخرج . جرفث لنفسه) آه ياإلهى ،
مالى أرى المصائب لاتكاد تتركنى لحظة ، مأشداً لى ، وما أعظم خوفى . معساه
أن يسكون ! لى لأكاد أذكر لى حتى يقشعر جسمى بمجرد ذكراه . ويكاد الدم
يقف فى عروقى .

جرفث : (يدخل باضطراب) المستر دجارفن ينتظر أمركم .
تشستر : (يقف مذعوراً) دجارفن . ماذا عساه يطلب منى ؟ ولم يزورنى فى مثل هذه الساعة ؟
(إلى جرفث) هل يعمل أوراقاً ؟
جرفث : نعم . إن حقيبه مفعمة بالأوراق .
تشستر : أيمكنك أن تنكر وجودى ، أو أن تعتذر عن عدم إمكانى مقابلته ؟
جرفث : أما إنكار وجودك ، يامولاي ، فستحيل ؛ ذلك لأنك لم تعودنى الكذب . وأما
اختلاق سبباً للاعتذار فممكن .

تشستر : (بكبرياء) جرفث ! لا هذا ولا ذاك . دعه يدخل ، فقد قضيت ذلك العمر الطويل
ولم أجب أمام أشد الحوادث خطورة .
جرفث : تجلد يامولاي (يخرج) .

تشستر : (لنفسه) دقت ساعة الحساب . ياإلهى ، أسألك المعونة .
دجارفن : (يدخل ويتبعه جرفث) عفواً يامستر تشستر ، ومعدرة لدخولى عليك فى مثل هذه
الساعة المتأخرة (رافعاً قبعته بشماله ومصالحاً تشستر يمينه) .
تشستر : (يصاحفه) أهلا بك يا صديق دجارفن العزيز . هذا بيت صديقك ، فيمكنك
أن تلجئ متى شئت وبغير استئذان . تفضل . (يجلسان) .
دجارفن : أشكرك يا عزيزى تشستر .

تشستر : (إلى جرفث) اذهب إلى عملك ، يا جرفث (يخرج جرفث) هل من خدمة يا عزيزى ؟
دجارفن : نعم ، مادعائى لزيارتك الآن إلا وجوب دفع المال .
تشستر : (بدهشة) المال ! وأى مال تعنى يا عزيزى ؟
دجارفن : كان يجب أن تعلم أن ذلك سيقع يوماً فتستعد لمقاومته .
تشستر : لم يخطر ذلك ببالى .

دجارفن : أجل فهذا شأن السادة أمثالك . أما رجال العمل فهم دائماً على استعداد .

تشستر : وكيف ذلك ياسيدى ؟

دجارفن : إني أراك غير يقظ ياسيدى .

تشستر : لم أفهم بعد ما ترمى إليه . فأفصح لى عن المسألة .

دجارفن : منذ سبع سنين أستدنت مبلغ خمسمائة جنيه من لىفى المرابى .

تشستر : هذا صحيح . وبعد ؟

دجارفن : لو كنت تحسب لمستقبل ابنتك حساباً ، لما اقترضت خمسمائة بنس من هذا الرجل .

تشستر : (بدهشة) إنى لم أكن أعلم عنه شيئاً . فماذا جرى ؟

دجارفن : لا تأسف ، فقد فات الأوان . أنت استدنت المبلغ . ولكن أتعلم كم دفعت فى فوائده ؟

إنك بلا شك تجهل ذلك . لا تندم فقد أصابك السهم . (يضحك) إنك دفعت ستين

فى المائة على أدق حساب .

تشستر : إذن فهو يستبيح شرب الدماء .

دجارفن : وعلى الأخص دماء من لا يقرءون العواقب . ومع هذا فلينى لا يفكر أبداً فى الدين ،

لأنه يحدد المقد كلما جاء يوم الاستحقاق . وذلك لأنه يثق فى قدرتك على الدفع .

ولسوء الحظ لقد انتقل هذا السند إلى وفاء لدين كان لى عند لىفى .

تشستر : (بارتياح) إذا أنا مدين بالمال لك أنت الآن ، لى صاحب الستين فى المائة ؟

دجارفن : نعم ، من قال لك إننى لا أطالبك بالأرباح ؟

تشستر : إذاً لأبأس من تأجيل الدفع ، فإنى قادر على دفع الربح .

دجارفن : يسؤنى جداً أنى مضطر إلى رفض طلبك لأنى فى شديد الحاجة الى المال حتى لا تتوقف

أعمالى . وفوق ذلك فإنى أريده حالا .

تشستر : مستر دجارفن ، تريده حالا ؟

دجارفن : نعم ، اذا قلت أريده ، فالمعنى أنى أريده الآن .

تشستر : وإذا كنت لأملكه الآن ؟ ما العمل إذا ؟

دجارفن : وما ذنبى أنا ، وقد دفعت قيمة السند نقداً ؟
تشستر : ثنى أنى لو كنت أملك المال لكفيتك مؤونة طلبه . ولو كان عندى مايساويه
ماوقفت لحظة .

دجارفن : (ينظر فى الغرفة) يظهر أن مسألتى أذى للأسف من مسألتك ، لأنى أرى جميع
أناث هذا الكوخ وئمنه لاينى بنصف ماأطلب (يتلفت) الأناث قديم ولست أرى
فيه شيئاً له قيمة ، فهل عندك حلى يامستر تشستر ؟
تشستر : (بانزعاج) عندى حلى ؟ إذا أنت تريد أن تبىع أنائى وأمتعتى وتخرجنى
من بيتى ؟

دجارفن : المضطر يركب الصعب . أتحب أنى أتخلى عن حقى ؟ إنك لابد أن يكون
لك أصدقاء .

تشستر : لا صديق لى وأأسفاه ! ليس لى فى كل هذا العالم غير ابنتى . ابنتى الوحيدة المسكينة .
إنى لأظنك يامستر دجارفن تقسو لدرجة طردنا من عشنا الهادىء
المطمئن ، (يتأوه) .

دجارفن : إنى حزين لأجلك من كل قلبى .

تشستر : كان لى مال ولكنى ابتعت به أسهماً من شركة الترام الأجنبية ، مؤملاً أن أربح
ما أسد منه دينى ، وهأنذا أترقب الفرصة .

دحافن : إن هذا المضحك . أتشتري بكل مالك أسهماً ، وانت لاتعلم عن هذه الشركة شيئاً ؟
إن أسهم هذه الشركة آخذة فى الهبوط السريع .

تشستر : نعم ، وأأسفاه . فقد طالمت هذا النبأ فى صحيفة لندن ، ولكن ربما تكون قد صعدت
بعد ذلك .

دجارفن : إذن سأملك أسبوعين . وتأكداً أنى لا أسمح لك بعدها بيوم واحد .

تشستر : إنى أشكر كريم عواطفك .

دجارفن : على هذا أتفقنا . ويلوح لى أنك قبلت . (يقف ويرفع قبعته) . إلى اللقاء . (ويخرج)
تشستر : (يقف فيشيعه إلى الباب . لنفسه) لقد دنا الأجل ، فلا قوة إلا بالله . إلهى ، أين أجد

المال؟ آه! كيف تكون حياتي إذا طردت من بيتي . مسكنية أنت يا أبنتي ، لقد جنيت عليك .

جرفث : (يدخل) خفض عليك ، يامولاي ، ولا تيأس .

تشستر : جرفث . إذا انقضت المدة التي أعارني إياها الزائر ولم أوف الدين ، طردت وابنتي من هذا البيت ، فواحسرتاه على خاتمتي ، وواأسفاه على شيخوختي ! .

جرفث : لاتمجل بالحكم يامولاي . وكم أعطاك من الزمن ؟

تشستر : أسبوعين فقط . فإن لم أوف ديني ، أصبح هو المالك المتصرف في بيتي وما فيه (يبكي يقف) ساعدني إلى مخدعي ، فإني أشعر بأنحطاط قواي ، وكأن زورة دجارفن لي كانت نذير الهلاك . (يتوكأ على ذراع جرفث)

جرفث : مولاي ، مالي أرى اليأس بالغاً منك غايته ؟ إني قطعت معك شوطاً كبيراً من عمرك المملوء بالمصاعب ، فلم أكن أشعر بهتزازك أمام كوارث لاتعد هذه بجانبها شيئاً .

تشستر : لقد مات الأمل وقضى الأمر . فلا راحة إلا بالموت ، ولكن ليرا (يبكي) إني خلقت لأكون حزناً عليها . ليرا ! أعف عني يا أبنتي ، ولا تلعنيني . أمّلت لك السعادة ، فضاع أملی ، وحبط مسعای . أبنتي لم يكن هذا بخاطري ، ولكن هي مشيئة الله فتجلدى يا أبنتي ، وأعتصمي بالصبر ، وإسألي الله لي الرحمة . (الى جرفث) جرفث ! احتفظ بهذه الجوهرة ، انها كبدي ، فاسهر على حراستها . (يسقط مغشياً عليه) .

جرفث : (ينظر إلى السماء) . رحمتك ، يا إله السماء .

« يسدل الستار »

الفصل الثالث

غرفة السكوخ السابقة . . تشستر يجلس بادی المرض على كرسي كبير ، وجرفت بجواره)

تشستر : اليوم موعد الجريدة يا جرفت . . فهل ذهبت ليرا لاستحضارها ؟

جرفت : نعم ، ذهبت . هل أحضر لك كأس الدواء ؟

تشستر : لا . إنتظر حتى تحضر ليرا .

ليرا : (تدخل ومعها الجريدة) أبت ، (تطوقه بذراعيها) كيف أنت الآن ؟

تشستر : أحمد الله يا حبيبتي (يقبلها) .

ليرا : ها هي الجريدة ، يا أبتاه .

تشستر : (يتناول الجريدة بلهفة ويقرأ) .

جرفت : (يقوم) إني ذاهب لتجهيز الطعام (يخرج) .

تشستر : (يصرخ فتنزع الجريدة من يده ، ويرتمي على المقعد) . ويلاه ضاع الأمل

(يتحشرج صدره) :

ليرا : (تستغيث وتقف كالجنونة) المعونة . آه ، يا أبت . ماذا أصابك ؟ (تركع) . . ماذا

دهاك ؟ (تبكي) إلهي ! (تجري إلى الباب) جرفت ! جرفت !

تشانديس : (يدخل وهو لا يحسن المشي وينحني على تشستر .) لا تخافي يا مس ليرا . لا تضطربي

الأمر بسيط . على بقليل من الماء (تخرج ، لنفسه) السرف في هذه الجريدة (يدفعها برجله

تحت المقعد) .

ليرا : (تدخل ومعها الماء) ها هو الماء يا مستر بارل (باضطراب) ماذا دهاه ؟ (تنحني على

أبيها) هل أختبرت نبضه ؟

تشانديس : آه ، رحماك يا أبي .

جرفت : (يدخل منزعاً) مولاي ! ماذا جرى يا مستر بارل ؟ ويلاه (ينحني على سيده) .

تشانديس : لا شيء هدىء من روعك . إنه في إغماء وسيفيق بعد قليل .

جرفت : (يضع أذنه على قلبه) مولاي ! مولاي ! (يبكي) .

تشستر: (يتحرك) آه ! بماذا أشعر ؟

ليرا : (بفرح إلى جرفث) إنه يتكلم (تقبل أباهما) وافرحناه !

تشستر : (يمد ذراعيه لابنته ويتأوه) آه ، ابنتي المسكينة .

ليرا : ماذا أصابك يا أبت . ماذا جرى ؟

تشستر : آه يا ليرا . لقد قضى الأمر . (إلى تشاندس) أشكرك ياسيدي لحسن عنايتك .

تشاندس : عافاك الله ياسيدي . لا شكر على واجب . (إلى جرفث) يجب أن تنقله إلى مخدعه

ولنسرع باستدعاء الطبيب (يحمله جرفث وتساعد له ليلا ويخرجان) إني لاحق بكما

متى أصلحت رباط ساقى (لنفسه) يجب أن أعرف سر هذه الجريدة . (يأخذ الجريدة

بتلف) ها هو السر . (يقرأ) شركة ترام بانجويلا ليمتد . إن . . إن أسهم هذه الشركة

سقطت إلى الصفر . (يقطع الجزء المكتوب ويخفيه في ماله) . الآن ظفرت بليرا . .

فيجب أن أقوم بتمثيل دورى بمهارة (ينادى) جرفث . جرفث (يدخل جرفث) .

جرفث : (بألم) لا يزال فى إغفاء شديد .

تشاندس : إذاً ، أسرع باستحضار أقرب طبيب . (يخرج جرفث مسرعاً)

تشاندس : (لنفسه) يجب أن أفاجئها بالخطر الذى يهدد أباهما ، وأفهمها أنى الوحيد الذى يستطيع

دفع هذا الخطر عنها وعن أبيهما ، وأعدّها بدفع الدين إلى دجارفن يوم الأجل

المضروب . وإذ ذاك أكشف لها عن رغبتى فى الاقترب بها . نعم . إنه من السهل جداً

على فتاة مهتدة كلياً أن تقبلنى زوجاً لها متى رأت أنى أفنديت شرف أبيها بالمال

(يجلس) ما أسمع حظى ! هذا ما كنت أرى نفسى به ! سأدفع مبلغ الخمسمائة جنيه لقضاء

لباتى من هذه العادة الهيفاء ، ثم أطلق ساقى للريح ، فأذهب حيث لا تعلم عني شيئاً .

جرفث : (يدخل) لقد حضر الطبيب ، وهو يعود مولاي الآن . فهل لك أن ترافقه يا مستر بارل .

تشاندس : حسناً ، هيا بنا . (يخرجان) .

ليرا : (تدخل) لماذا منعنى المستر بارل من حضور ما يقرره الطبيب ؟ بل لماذا سألنى أن

أنتظره فى ردهة الاستقبال ؟ إلهى ، ما غرضه ، ولم أعود الانفراد به ؟ (تجلس) إني

أقرأ فى وجهه الليل إلى ، وأشعر من نفسى النفور منه . يخيل لى أن هذا الشيطان

إنما يضمر لى الشر . ولكنى مع هذا سأنتظره لأعلم منه سر هذه القابلة .

- تشانديس . (يدخل) عفواً يامس ليلا ، فإني سألتك الخلوة بضع دقائق لأمر ذي بلل .
- ليلا . (بلفهفة) ماذا قال الطبيب عن أبي ؟
- تشانديس . إطمئنني ياسيديتي فلم يذكر عنه إلا كل خير ، غير أنه يحتاج إلى ممرض لا يفارق فراشه ، لذلك كلفت جرفث بهذه المهمة .
- ليلا . (بنفسها) لقد صدق ظني ، هاأنا ذي طوع إشارتك .
- تشانديس . أعيريني سمعك ياسيديتي ، أتعلمين ماقاله لي الطبيب عنك ؟
- ليلا . عني أنا ؟
- تشانديس . نعم ، إنه عندما رآك أشفق عليك من السهر والاهتمام بأمر المريض ، وقال إنك تنهكين قواك ، إذا واصلت السهر .
- ليلا . (بأسف) المريض ! أنسيت أنه أبي ؟ إني ممثلة قوة وشباباً ، فما معنى ذلك ؟
- تشانديس . إن مريض أبيك لا يعد شيئاً أمام هول المصيبة .
- ليلا . المصيبة ، وأية مصيبة تعني ؟
- تشانديس . إنه سر كان يجب أن أكتمه عنك .
- ليلا . أراني أقوى على احتمال أشد المصائب ، فلا تأخذك الشفقة بي .
- تشانديس . إنها عثرة لسان يامس ليلا ، وما كنت أود أن أبوح لك بشيء .
- ليلا . لِمَ ياسيدي ؟ إنني أبنته وليس له في الدنيا سوى .
- تشانديس . إني سمعت بعض الحديث بالصدقة .
- ليلا . (بتوجع) وماهو هذا الحديث ؟ لا تتردد بالله عليك .
- تشانديس . كلا ، لا أجسر أن أبوح لك بشيء .
- ليلا . رحماك !
- تشانديس . هوني عليك يا ليلا ، وأجلسي بجانبني كي أشرح لك الموضوع .
- ليلا . (تجلس) عجل .
- تشانديس . إنها مسألة مالية ، فهدئي من روعك . (يجلس) . لقد اكتشفت من محادثة طويلة دارت بين أبيك ورجل مالي أن اباك اقترض مبلغاً كبيراً منذ سبع سنين ، وكأنه نسي الدين لطول عهده .

ليرا : دين ! (باندھاش) أأبي يستدين ؟ إني لا أظنه فقيراً .
تشاندىس : لم أكن أعلم عن أسرار أبيك شيئاً ، وكنت أظنه واسع الثروة ، لذلك أخذتني
الدهشة عندما رأيته يبكي أمام المرآة .

ليرا : أأبي ! (باندھاش)

تشاندىس : والذي ضاعف دهشتي أن المبلغ زهيد جداً وهو خمسمائة جنيه فقط .

ليرا : (بذهول) خمسمائة جنيه . إني لا أصدق ذلك . فأبي غني .

تشاندىس : (يضحك) غني ؟ وما الذي أخره عن الدفع ؟

ليرا : (تبكي) وارحمته !

تشاندىس : لا تعجبي من هذا . لم يكن أبوك أول غني زالت عنه ثروته .

ليرا : هل ما تقوله صحيح ؟

تشاندىس : نعم . إن الضربة لشديدة . وإنه ليدمى فؤادى أن يطرد هذا الشيخ الجليل من بيته .

ليرا : (تصرخ) إلهى هذا فوق ما أحتمل . (تسقط) .

تشاندىس : (يحملها بين ذراعيه ويجلسها) ليرا ! ليرا ! الخطب جال ، والمصيبة عظيمة . ولكن
أجيلي نظرك فيما حولك ، عساك تجددين صديقاً ينقذك .

ليرا : آه ، إني عديمة الأصدقاء (تفكر) ولكن لا . ويلاه إنه بميد (تبكي) بعيد جداً
حيث لا أعلم عن مستقره شيئاً .

تشاندىس : بصوت خافت (لنفسه) ويلاه ، ألهما صديق ؟

ليرا : (تفكر) لا تفكر فيما أهذى به . آه . وآأسفاه !

تشاندىس : وهل نسيت أن لك صديقاً يتمنى لك أية خدمة ؟

ليرا : (تقف) أين هو ؟

تشاندىس : تفرسى في مليا . ألا يمكن أن تسمحنى بمصادقتي ؟ مري تجديني عبداً .

ليرا : وهل تتنازل بصداقتنا ، وقد علمت أننا فقراء ؟ (تنهد) .

تشاندىس : وهل هذا يحتاج إلى شك ، أيتها العذراء الشريفة ؟ أعتقد أن الفقراء ؟ ضعى
يمينك فوق صدرى تعلمى لمن يحقق الآن .

ليرا : (باستغراب) أنحن في موقف غرام ؟

تشانديس : (بخداع) إنه الحب . ليرا . إني أعبد هذا الحيا النضر . أنشكين في حبي ؟ أعيرني سمعك ، واستحضري الرحمة من أعماق قلبك الطاهر ، يتجل لك صدقي . ليرا ! إن كلمة واحدة منك تنفذ أباك .

ليرا : أنت تدفع الدين عن أبي ، إذا قبلت حبك و صداقتك ؟ (تنهد) .

تشانديس : هذا ما لا ريب فيه .

ليرا : ولماذا تحتمل بلاء وقع على غيرك ؟

تشانديس : إنه الحب الذي يدفعني إلى ذلك . هل تشكين في حبي ، يامس ليرا ، وأنا انتفض وجداً بين يديك الآن ؟ (بخداع) ليرا . . . تصوري أباك وما هو فيه ، واذكري مصيره بعد أيام . وقارني بين عزك اليوم وتعاستك غداً وثقي أنني أدفع عنك الكارثة فاستحق على ذلك الحب منك .

ليرا : لم أفهم مرادك من الحب .

تشانديس : لم تفهمي مرادى ؟ أن هذا العجيب . أقدم نفسي فداء لشرف أبيك ، ولا أستحق منك كلمة شكر ؟

ليرا : أمرادك مني أن أشكرك ؟

تشانديس : ذلك على الأقل .

ليرا : إذا كان هذا غرضك ، فإني أقدم لك عنى وعن أبي وافر الشكر اعترافاً لك بالجميل ، وأقبل صداقتك .

تشانديس : إني أقبل منك هذا ، أيتها الفاتنة ، وأستزيدك رحمة بي وشفقة على .

ليرا : إذا أنت تريد أكثر من الشكر والصداقة ؟

تشانديس : نعم ، يا ليرا . أنى أتمنى أن أقدم حياتي ومالى فداء لك وأبيك .

ليرا : إن شريف عواطفك تضطرنى أن أقبل أكثر مما ذكرت .

تشانديس : عدينى أن تكونى زوجتى ، وأنا أنقذ أباك من خطر الدين (بتوسل) .

ليرا : (تهم ، وتسحب يدها من بين يديه) ذلك لن يكون ، أقام الم أم فقد ؟ !

تشانديس : ليرا . . ماذا أسمع ؟ أترفضين يد من قدّم إليك ماله وحياته ، أيتها العذراء ؟

(يقف) أزيحي قليلا هذا الغطاء عن عينيك ، ينكشف لك عن هول المستقبل وسوء المنقلب . وإذ ذاك تعلمين أنني إنما أردت بك خيرا . واحكي بعد ذلك بما تشائين .

ليرا : (تقاطعه) كفى ، كفى .

تشانديس : إن كلمة واحدة من فمك الطاهر تبعث رسول الرحمة إلى أهلك المسكين . ليرا . . .
إن السعادة بين شفتيك . تكلمي . مالي أرى جبينك يتصبب عرقاً ؟ ألحققتك مني أهانة ؟
ليرا : كلا (مرتجفة) .

تشانديس : ليرا ! إنني أنتظر أحد أمرين ، القبول أو الرفض .
ليرا : (تنهد) يا إلهي ، إنك أخرجتني . (تبكي) مستر بارل ، أنقذ أبي ، وأنا أقبل ماتريد (وتسقط على المقعد واضعة يدها على جبينها) .

تشانديس : (لنفسه) وأفرحتاه ! (إلى ليرا) إنني سأقوم حالا بوفاء الدين .
ليرا : شكراً لك . (يتأوه) .

تشانديس : إنك الآن تحسنين إليّ وإلى أهلك . (يقترب منها) ما أوفاك في عيني الآن !
ليرا : (تبعده بلطف) تمهل . هكذا أرادت مشيئة الله . إبق هنا حتى أخطر أبي وجرفت بذلك ، وما إخالها يرفضان .

تشانديس : (يرغب) لا تفعل هذا يا ليرا ، إذ يجب أن نخفي ذلك عنهما .
ليرا : (بتعجب) لا أفعل ؟ . أيجب أن أخفي ذلك ؟ (بدهشة) إنه من الشهامة إعلان الزواج فهل هناك سر ؟

تشانديس : (بحيث) نعم ، أعيرني سمعك . إن ثروتي العظيمة تحت إشراف أحد أفراد أسرتي . وإذا أعلن زواجي هذا الآن كان سبباً في ضياع تلك الثروة الكبيرة ؛ ونحن في حاجة إلى المال ، لأنك كما تعلمين فقير .

ليرا : (بذهول) زواجي يقضى على ثروتك بالضياع ؟
تشانديس : ليس زواجك فقط ، بل كل زواج بغير شرط الوصية .

ليرا : أنشترط الوصية زواجا خاصاً ؟

تشانديس : . بلى ، ولكن إلى أجل محدود ينصرم بعد سنة . وحينئذ أكون حراً مطلقاً التصرف

لسيرا : إذا نؤجل زواجنا حتى تحصل على ثروتك .

تشاندس : (بخوف) والدين ؟ . أنسيت أن أجله قد حل ؟

لسيرا : ولم لا تقوم بالسداد ويكفيك منى العهد ؟

تشاندس : ومن يضمن لى ذلك ، والعذارى قلوبهن هواء ؟

لسيرا : كأنك تطمن فى أمانتى .

تشاندس : (بغضب) إذا أنت ترفضين ، والرفض يفضى بأبيك إلى الهلاك . فهل تختارين له

التماسة والشقاء ؟ . أنت لا تعلمين الخطر المحدث بكم . إنكم بعد ثلاثة أيام ستطردون

جميعاً من هذا السكوخ والمزرعة و يسلب منكم قهراً جميع ما تملكون .

لسيرا : (تبكى) آه يا آلهى وارحمناه !

تشاندس : لا تجزعى يا ليرا ، فقد وفق الله لك منقذاً يحبك من كل قلبه .

لسيرا : ليكن ما أراده الله .

جرفث : (يدخل) لقد طال انفرادكما ، فهل لذلك من سبب ؟

لسيرا : (باضطراب) وأبى ، كيف هو الآن ؟

جرفث : (بامتعاض) أبوك ! أظن أنه لم يعد يهتمك أمره . وإلا لما تأخرت عنه وهو يناديك فى

غيوبته ، فلا يجاوبه غير صدى صوته (إلى تشاندس) أبهذا تدعوك المروءة يامستر بارل ؟

لسيرا : (برجفة) يدعونى أبى فلا يجدنى ؟ (تجرى إلى الباب وتخرج) .

جرفث : فيم كتما تتباحثان ؟

تشاندس : كنا نتكلم فى أمر العناية بالمريض .

جرفث : (بسخرية) المريض بين يدى رحمة الله ، وهو فى حاجة إلى الدواء ، وسأذهب لاستحضاره

من پترال . فكن حارس المنزل حتى أعود .

تشاندس : أأنت فى حاجة إلى مساعدة مالية ؟

جرفث : (بازدياء) ومن قال لك إننا فقراء ؟ (يخرج مسرعاً) .

تشاندس : (لنفسه) لقد تم مرادى ، وحالفنى التوفيق ، بأن صرفت التحويل . سأشتري تلك

الغادة بمبلغ خمسمائة دينار . وإنه بلا شك ثمن بخس . لى نسيت الكاهن . وأين

أجد كاهناً يقبل أن يعقد لي عليها؟ وماذا يكون جوابي إذا علم أنني اختلسها؟
(حيرة) وإذا تم العقد ، فهل يتيسر لي الهرب ؟ ولو علم دأين بذلك فكيف يكون
موقفي أمامه ؟

جرفث : (يدخل) مستربارل ، إني لم أكّد ابتمد عن المنزل حتى اعترضني رجل . وسألني عنك .

تشانديس : (برجفة) عنى أنا ؟ وبماذا أجيبته ؟ وهل ذكر لك اسمه ؟

جرفث : نعم ، علمت أن اسمه روبرت رودن .

تشانديس : (مذهشة) روبرت رودن ؟ وكيف علم هذا الرجل إنني هنا وبماذا أسماني ؟

جرفث : (بتعجب) بماذا أسماك ؟ . وهل لك اسم غير دو جرفري بارل ؟

تشانديس : كلا .

جرفث : إنه وصفك دون أن يسميك .

تشانديس : (باطمئنان) كيف وصفني ؟ وما ملخص هذا الوصف ؟

جرفث : سألتني عما إذا كنت من سكان هذه الناحية ، وعما إذا كنت أعرف العائلة التي

تسكن هذا الكوخ ، فأجيبته بقولي أنا من سكان هذا الكوخ . فعلى من تسأل ؟ .

فأردف قائلاً : أسأل عن سيد بلغني أنه نزل ضيفاً على أهله . إثر حادث ألم بساقه

وأزورك أيضاً أنه شاعر وموسيقى فعلمت أنه يسأل عنك .

تشانديس : (باهتمام) وماذا كان جوابك ؟

جرفث : قلت نعم ، إنه لا يزال عندنا . . أنجب أن تراه ؟

تشانديس : لا بأس ، دعه يدخل . واذهب في لقضاء حاجتك .

جرفث : إني عهدتك شريفاً . لذلك سأذهب مطمئناً (يخرج) .

تشانديس : (لنفسه) هاقد حضر الشقي روبرت . فلا أستخلصه لنفسي . إنه شيطان رجيم . وهو

نعم الكاهن المطلوب .

روبرت : (يدخل) المذرة ، ياسيدي تشانديس (رافعا قبعته) إذا جاءت زيارتي على غير دعوة منك

تشانديس : أهلاً بك يا روبرت .

روبرت : لقد دعيتني إليك الحاجة الشديدة ، يا لورد .

تشانديس : وأنا لا أنكر الوفاء بوعدى .

- روبرت : لقد أوشك الدائنون أن يسدوا في وجهي جميع الطرقات .
- تشانديس : (يضحك) إنك داهية ، يا روبرت . أخبرني كيف علمت أنني هنا ؟
- روبرت : انتظرتك طويلا ، فلما لم تشرفني بزيارتك ، كما وعدت ، تنسيت أخبارك .
- تشانديس : حسنا ، لقد كنت أفكر فيك قبل دخولك على بيض دقائق ؟
- روبرت : (بدهشة) عسى أن يكون الأمر خيرا .
- تشانديس : رأيت أن أنفحك بمبلغ كبير ليكون لك رأس مال يضمن لك حسن المستقبل .
- روبرت : (بدهشة) مبلغ كبير ! إنك بذلك تبرهن على مجد أجدادك .
- تشانديس : سأقذك خمسين ذهباً .
- روبرت : (بدهشة) خمسين ذهباً ؟ إني لا أكاد أصدق ذلك .
- تشانديس : إنها الصداقة تدفعني إلى مساعدتك ، يا عزيزي روبرت .
- روبرت : سأتمكن بهذا المال من القيام برحلة تعود عليّ بالثروة .
- تشانديس : وسفرك إلى بلادك ثانية هو جل مرغوبي .
- روبرت : (بدهشك) جل مرغوبك ! إن هذا لعجيب .
- تشانديس : إني أتمنى لك السعادة والخير من وراء ذلك السفر .
- روبرت : لقد عدنا إلى الفلسفة ، إذ يريني منك هذا العطاء .
- تشانديس : إنه يهمني أن يكون صديقي غنياً ، فأبعد عن رأسك سوء النية .
- روبرت : الآن صرت على تمام الثقة ، فهل يمكنك أن تدفع لي الآن شيئاً على الحساب ؟
- تشانديس : لاشك .
- روبرت : (بدهشة) إنك تعاملني اليوم معاملة ما كنت أتوقعها . ويغلب على ظني أنك ستطلب مني قضاء مهمة .
- تشانديس : لاتكن كثير الفضول ، يا روبرت ، فستصبح سعيداً .
- روبرت : إنك أسرنتني بلطف معاملتك . وستجدني طوعاً أمراً من الآن .
- تشانديس : (بدهاء) ولولا ثقتي بك ما اخترتك (يضع يده على كتفه) روبرت ! أتذكر عهد المدرسة ؟

روبرت : نعم .
تشانديس : استجمع ذاكرتك . واذكر السنة الأخيرة من دراستنا ، وأخبرني هل تتمثل أمام عينيك الرواية التي مثلناها في ذلك العهد ؟

روبرت : نعم وأتخيلها الآن . وكنت فيها تجيد تمثيل البارون أليس كذلك ؟
تشانديس : (يضحك) ونسيت أنت الدور الذي كنت قائماً بتمثيله ، وأحرزت فيه سبق على جميع الممثلين .

روبرت : (يضحك) نعم . القس .
تشانديس : منذ ذلك العهد شاهدت روايات عديدة . ولم أوفق لرؤية ممثل أجاد دور القس إجادتك إياه . لذلك أطلب منك تمثيل هذا الدور غداً في التاسعة صباحاً .
روبرت : (بدهشة) غداً في التاسعة صباحاً ! .

تشانديس : نعم لتعقد زواجاً بين شاب وفتاة .
روبرت : لاشك أنك تمزح ، إذ كيف يكون العقد محترماً أمام القانون ؟
تشانديس : دعنا الآن من القانون ، وافترض أنك تمثل ذلك تمثيلاً . .

روبرت : الممثل غير مسؤول بالورد .
تشانديس : لك ذلك . . فأجبنني : هل تقوم بهذه المهمة فتستحق الذهب ، أو ترفضها فأضطر لمساومة سواك ؟

روبرت : (باهتمام) وأين يكون العقد ؟
تشانديس : في كنيسة القديس مرقس القديمة .
روبرت : على الضفة اليمنى من نهر التو .
تشانديس : إذاً يجب أن تكون هناك قبل الساعة العاشرة من صبيحة الغد .
روبرت : ومن هما ؟

تشانديس : أما الشاب فهو أنا .
روبرت : (بدهشة) أنت نفسك ؟
تشانديس : نعم ، ألم أقل إنها اللعبة ؟

- روبرت : وهل هي راضية ، وتعلم سر الموضوع ؟
- تشانديس : عليك أن تقوم بواجبك كقفس حقيقي . سلها أراضية هي أم لا ، وسوف يجيبك .
- روبرت : (بانزعاج) إسمح لي أيها السيد أني أشعر بأن هناك سرّاً ، وأخشى أن يكون خطراً علىّ .
- تشانديس : إطمئن ، فلا خطر عليك .
- روبرت : ومن هذه الفتاة ؟
- تشانديس : هذا ليس من شأنك :
- روبرت : وهل سنكون وحدنا في الكنيسة ؟
- تشانديس : خوفاً من افتتاح أمرك ، سأحضر معها فقط . فهل أنت على استعداد ؟
- روبرت : تنقصني ملابس القس ، وسأستأجرها اليوم .
- تشانديس : (يضع يده في جيبه ويخرجها بالذهب) خذ هذا على الحساب . يجب ألاّ تستريب بك الفتاة .
- روبرت : كن مطمئناً (بعد الذهب) والباقي من الخمسين ؟
- تشانديس : سأدفعه بعد تمام العقد .
- روبرت : (يمد يده) إلى الملتقى .
- تشانديس : (وهو يصاحفه) غيرت إسمي هنا ، فأصبح دجوفري بارل . (بصوت خافت) فإذا صادفك الخادم الشيخ وسألك فلا تنسى .
- روبرت : فهمت دجوفري بارل (يخرج) .
- تشانديس : (لنفسه) لقد تم كل شيء . وأصبحت ليرا لي ، ألهو بها ماشئت . فيالسعادتي !
- جرفث : (يدخل ومعه الدواء) لقد أحضرت الدواء .
- تشانديس : حسناً . أسرع إلى المريض . (يدخل جرفث إلى مخدع المريض)
- تشانديس : سأمثل دوري الأخير ، متى حضرت ليرا .
- ليرا : (تدخل متلقتة) يخيل إليّ أني كنت أسمع محادثة هنا . كانت تدور بينك وبين رجل آخر . . . فهل أنا على يقين ؟

تشانديس : (باهتمام) هل وصل إلى سمك منها شيء .

ليرا : كلا إني كنت منصرفه بكليتي إلى العناية بأبي .

تشانديس : اسأل الله له تمام الشفاء .

ليرا : شكراً ، يامستر بارل .

تشانديس : لقد دعيتي حوادث مهمة وظروف حرجة إلى المبادرة بإتمام عقد زواجنا قبل فوات الوقت

ليرا : إنك غريب الأطوار ياسيدي . ماهي تلك الدواعي المهمة ؟

تشانديس : هنالك سببان قويان . أولهما أنه وردت الآن رسالة إلى أبيك من مستر دجارفن الدائن يطلب فيها وجوب وفاء الدين بعدغد ، وإلا أضطر إلى تنفيذ ما اتفقا عليه ورقفاً بحال أبيك ، سأخفي عنه ذلك .

ليرا : ويلاه ! (مرتجفة) أين هذه الرسالة ؟

تشانديس : هاهي معي لأبرهن لك بها على صداقتي وحسن نيتي (يهمهم بإخراجها ليوهما أن ذلك حقيقي) .

ليرا : (بسذاجة) دعها إنك صادق . تكفيني منك الصراحة .

تشانديس : أما الثاني ، فقد حمل إلى الرسول الذي كان هنا الآن نبأ مزعجاً ، لا وهو أن عمتي البارونة في فراش النزاع ، وهي لاوريث لها وتسألني العودة حالاً لأستلم الوصية .

ليرا : (تتهدد) إذاً ستسافر حالاً ؟

تشانديس : يمكنني تأجيل السفر إلى ما بعد إتمام العقد غداً .

ليرا : ولم هذه السرعة ؟

تشانديس : لأدفع المبلغ مطمئناً هادئ البال .

ليرا : وماذا عليك لو دفعت المبلغ وسافرت ، وبعد عودتك يتم ما أردت ، وربما تماثل

أبي للشفاء ، فيشترك معنا في هذا الزفاف ؟

تشانديس : كان بودي أن أقوم بجميع أوامرك . غير أنني أخشى تغيير رأيك .

ليرا : أتخشى أن أنقض عهدك ؟ أقسم لك بأبي وأمي . . .

تشانديس : لاداعي للقسم ، وخير البر عاجله .

- ليرا : آه ، ولكن
- تشانديس : لا تترددى وتشجعى .
- ليرا : أنشترينى بالمال ، يامستر بارل ؟ إبنى أعتبر هذا قسوة منك .
- تشانديس : كفى . ها أنا راحل عنك . آسف لرفضك يدى .
- ليرا : (تبكى) إرحم دموى ، يامستر بارل ، أيسمح شرفك أن تترك هذا الذى وسعك فى منزله واعتنى بك أيام آلامك لكى يذهب ضحية المال ؟
- تشانديس : كفى أيتها العذراء . فإيقاذ أيبك يتوقف على كلمة منك .
- ليرا : آه ! أيتها القاسى ! لا تزال مصمماً . (تنهد)
- تشانديس : لن أتحول قيد شعره عن عزمى . وأقسم لك بشرفى أنك إن لم تدعنى لأمرى ارتحلت عنكم حالا . إن كلمة واحدة تزف إليك السعادة .
- ليرا : أليس للرحمة سبيل إلى فؤادك ؟
- تشانديس : لا أمل فى استعطافى ، أيتها العذراء . واحد من اثنين إجابة أم رفض .
- ليرا : (بجنون) تمهل . انتظر يا صاحب المال . نج أبى ، وافعل ماشئت (تبكى) .
- تشانديس : (يعود عودة الظافر) إنك الآن تستحقين حبنى ، يامس ليلا . فهل أنت راضية عن زواجنا ؟
- ليرا : والمال ، أندفعه حالا متى قبلت ؟
- تشانديس : بلى ، وها أنا على قدم الاستعداد . فغداً صباحاً يعقد العقد ويدفع المال .
- ليرا : (برعب) ويلاه . غداً يتم هذا الزواج العجيب !
- تشانديس : فى كنيسة مرقس القديمة .
- ليرا : (بذهول) يا آله السماء ! (لنفسها) أأدنس هيكليها المقدس ! آه . كيف أطرد خياله عنى . يا آلهى . (تسقط) .
- تشانديس : (يساعدها على النهوض) ماذا أصابك ؟ (لنفسه) بماذا كانت تتمتع كأنها مأخوذة ! لابد أن يكون لها سرٌّ سأكتشفه بعد . (إليها) انهضى يا ليلا .
- ليرا : (تفيق قليلا . وهى تهذى) زواج ؟ هيكل القديس مرقس ؟ كهف صباى ؟ لا ! لا !

تشانديس : لييرا ! عودي إلى رشك :

لييرا : (تمسح جبينها) نعم . (تقف) أنقذاني . وأعلم أن لييرا العذراء باعت نفسها لتفدى شرف أبيها .

تشانديس : مسكينة أنت ، يا لييرا . (بضع يده على كتفها) أعيريني سمعك ، سأذهب إلى برنستابل الآن لاستحضار المال . وأعود في الثامنة صباحاً إلى الكنيسة مصحوباً بالأب المحترم . فيجب أن نجذك . ولن يكون لنا رابع أفهمت ؟

لييرا : نعم ، فهمت .

تشانديس : وماذا أنت قائلة ؟

لييرا : (تتنحب) لاشيء . وإن لم يتيسر لك الحصول على المال ، فإذا يكون العمل ؟
تشانديس : التحويل معي ، فاطمئني جداً . إلى الغد (يخرج) .

لييرا : (لنفسها) ما أشد ما أفاقي ! (تسقط على الكرسي) آه . أين أنت يا أماء ؟ إني أكاد أرى روحك الطاهرة تخلق بأجنحة رحمتها فوق غصن شبابي الذابل . أماء ، كيف تتركيني فريسة هذا الوحش القاسي ، ينشب مخالب قسوته في هيكل أبتك المقدس ؟ أبت ، أين أنت لتذود عن أبتك ؟ لقد ضرب سوء طالعي حولك سورا من حديد . . (تقف) ويلاه بماذا أشعر ؟ ماذا أرى ؟ أفي يقظة أنا أم في منام ؟ لورد داين ، أيها الحبيب ! أين رحلت غنى شهامتك في وقت الحاجة إليها ؟ عفواً أيها الشريف ، إني مرغمة . ترى أين أجذك الآن قبل أن يفوت الوقت ؟ (تنهد) إلهي أنت وحدك القادر على الأخذ بناصري . فإليك أضرع وبك أستجير . إلهي أترضى أن بيع نفسي كالسلعة ؟ أقدرت على العذاب ، وكتبت لى الشقاء ؟ أنا لم أقترف ذنباً أستحق عليه هذا الجزاء . فلم كتبت على التعاسة والشقاء ؟ (تبكي) إلى أي حمى غير حماك ألتجئ ؟ وبأي قدرة غير قدرتك أتوسل ؟ كنت أكل أمري إلى أبي وحبيبي ، بيد أن مشيئتك أفصتتهما غنى . (تبكي) إلهي إني أكاد أجن من هول هذه الضربات المتواليات . آه ، ماذا أرى ؟ (بحزن) وحقك يا ملك الموت (تركع) رفقاً به ، رحمة بأبي . أتوسل إليك ، أتركه لى . (تبكي) . أيتها الروح الطاهرة ، أتوسل إليك بدموعي (تحدق ببصرها وترنح فاتحة ذراعيها)

أماه ! أماه ! يا من أرى سعادتي في قربها ، هل أنت راحلة كسابق عادتك ، أم اخترت
البقاء لحماية أبنيتك ؟ ويلاه ! إنها حانقة على . أماه رفقاً بأبنيتك . لم أجن ذنباً ، إني
بريئة . مارضيت إلا كرها ، وما قبلت الأمر إلا مرغمة . اختفى عني من كان يستطيع
إنقاذي ، لو علم . أبي يحتضر ، المرابي لا يرحم ، الدين يجب أن يدفع بعد غد .
(تجش بالبكاء) أماه ، إنقاذاً لشرف أبي قذفت بنفسي إلى الهاوية . نعم ، سأكون
بالكنيسة في الأجل المضروب . (تسقط على الأرض وهي تلفظ أ... ما... ه...
... إ... في لاحقه... بك) .

(تسدل الستار على مهل أثناء نطق الجملة الأخيرة)

تم الفصل الثالث

الفصل الرابع

المنظر الأول

(طريق النهر)

(تدخل ليرا بملابس سوداء وعلى رأسها القبعة متأهبة للسفر)

ليرا : أخشى أن يفوتني القطار ، ومسز ليزلى فى انتظارى . لماذا لم يحضر جرفث ، وقد وعدنى ألا يتأخر ؟ (تتأمل) كفى أيتها الدهر ، أصبحت خيالا . (تبكى) مات أبى ، نعم قضى من كان يحيا من أجلى . أيتها السماء ، أمطرى قبره غيوث رحمتك ، ومرى ملائكة الرحمة أن تبارك جسده الطاهر . (تبكى) أيتها الوالد الشهيد ، إن إبتنتك قامت بالواجب عليهما ، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان . فلا تلغى ، واشفق على لقد قبلت بغير علم منك ، وذهبت معه إلى الهيكل بدون مشورتك . نعم هذا عقوق . إني لم أحترم أبوتك التى أقدمتها ، ولكنى كنت مرغمة . ولوعلمت السبب لغفرت لى ذنبى . (تبكى) ترى أين ذهب ذلك الوحش المفترس ، إنه كان يحسبني أبيع شرف أبى . لذلك أبى أن يسلمنى المال الذى تعاهدنا عليه حين علم بموت أبى المسكين . إنه لنذل دنىء .

جرفث : (يدخل ومعه حقيبة السفر) ألا تزالين مصممة على السفر ؟

ليرا : نعم وأشعر أن فيه سعادتى .

جرفث : (يمسك يدها ويضع الحقيبة على الأرض) ليرا ، يحزننى جداً أن أراك تقذفين بنفسك بين أمواج عالم لم تتعوديه من قبل . وكيف تظنين أن هناك السعادة ، وشيطان الشر كثير الجنود ؟ ليرا ، أنعمى النظر جيداً فى خادمك الأمين ، ولا يربك منه شعره الأبيض . هاهو لايزال أمامك يشعر أن قوة شبابه تعاوده ، ويخيل إليه أن ما أصابه من البلاء بموت أبيك وضياع الكوخ . . .

ليرا : (تقاطعه) نعم لقد خسرنا كل شئ . (تبكى) .

جرفث : (يستطرد) كل ذلك طرد عنى ضعف الشيخوخة ، وأرجع إلى شرخ الصبا وفتوة

الشباب ، حتى أراى الآن أنافس ابن العشرين جلدًا على العمل . فلماذا لاتتقين بقوة ساعدى ، وقد أوقفت حياتى على خدمتك منذ نعومة أظافرك يا ليرا ؟ أنسيت أن شخص أمك وروح أبيك يتمثلان الآن فى شخصى أنا ؟ فلم تطوحين بغضّ شبابك اليانع بين برائن ذلك الدهر القلب ؟ أما تخشين ماعساه يحبثه لك القدر ؟ إرجعنى إلى صوابك ، يا أبنتى ، واختارى البقاء معى فى كوخنا الحقير .

ليرا : فى كوخنا الحقير ؟ هل أرجعه لنا دجارفن بعد أن سلبه منا أمس ؟

جرفث : لقد تنازل لى عن إيجار الغرفة التى كنت أتخذها مخدعًا لى .

ليرا : أما تعلم أنّ هذا التنازل فى نظير حر ستك أملاكه الجديدة ؟ (تبكى) .

جرفث : إن هذا يقطع كبدى . فهو نى عليك ، وأخبرينى علام عولت ، إذاً . ألا تزالين على عزمك ؟

ليرا : هذا لاشك فيه . سأذهب حالاً إلى برنستابل ، ومنها إلى لندن لأقابل صاحبة العنوان مسز ليزلى ، وإنى لأظنها ربة قصر تروز .

جرفث : نعم إنها رئيسة حاشية القصر ، وهى المكلفة من قبل الليدى بانتخاب الوصيفة .

ليرا : حسناً ، إنهم يريدون فتاة يتيمة (تبكى) تحسن القراءة ومن أسرة شريفة ، تعيش فى القصر لغير أجل محدود . وقد توفرت فى كل هذه الشروط ، ولما تتوفر فى سواى ، لذلك أراى مطمئنة لهذه الوظيفة الجديدة .

جرفث : إنك هكذا يا ليرا ، فعلى الطائر اليمون يا ابنتى العزيزة ، واذكرى أنك تركت شيخاً أحنى ظهره الكبير ، وأضعف بصره الهرم ، حملك طفلة بين ذراعيه ، وكان يحنو عليك حنو الأم ، ويرضعك لبان الأدب ، حتى نشأت مثال الطهارة والعفة ، وساعده على ذلك أنك سليلة النبل والشرف (يبكى) . تذكرى هذا الهيكل القانى يا ليرا ، وإذا ما واثقت لحظةً بممكنك فيها أن تكتمى فلا تدعيها تمر عبثاً ، وإذا شعرت بوحشة فأسرعى بالعودة إلىّ لأفتح لك ذراعى وأضمك إلى قلب يتقطع لفراقك ، ولأستنفد آخر نقطة من دمي فى الذود عنك ، باذلاً قصارى ما وهبني ربى من القوة فى حمايتك من غائلة الفاقة يا ليرا ، لازالت لدى القوة الكافية لكسب ما يطرد عنا ألم الجوع ، فلم العجلة ؟ أما كان يحذر بك انتظارى حتى أوارى لحدى ؟ وما ذلك اليوم ببعيد ، إذ ذاك أموت قرير العين وأرقد هادئ البال .

ليرا : (تبكى) إنك تقطع أحشائي بتوسلاتك المرة ، ولكن فات الأوان ؛ إني فقدت كل شيء ، أصبحت لا أجد مخلوقاً يحنو على سواك ، ولما كانت راحتك غاية مناهى ، فقد آليت على نفسى الشقاء والعمل ، فابق أنت ، واعلم أنى أسعى ليعيش كلانا آمناً على نفسه من الفقر . جرفث ! هون عليك أمر فراقى ، وثق أنى لن أنسان ولن أنفاساك ، يامن أضعت زهرة حياتك فى الدفاع عن عفتى وشرفى ؛ إني أعترف لك بالفضل ، وأشكر لك حسن الصنيع ؛ ولما كنت آخر مخلوق له على حق التصرف ، وله وحده ميزة الرعاية ، فها أنا ذى لا أخطو خطوة واحدة إلا بأمر منك ، وإنى لازلت ربيبتك اللطيفة .

جرفث : (يبكى) إنى لا أحب أن أكون حائلاً بينك وبين السعادة ، فمادمت تشعرين بالهناء لسفرك هذا ، فإنى ألزم الصبر مرغماً ، وأوصيك خيراً بشخصك المحبوب وبشيخوختى الفانية .

ليرا : كن مطمئناً فإنى سأجعل طريق المراسلة مفتوحةً بيننا وإن أوصدها مادمت أنسم هواء الحياة ، وسأبحث لك بكل مرتبة الشهرى لتقتصده عندك ، حتى إذا اضطررتى الحياة أن أهر لندن عدت إليك فنعيش مابق لنا من العمر آمنين طوارىء الدهر .

جرفث : آه ياليرا ، إنك طيبة القلب (يبكى) إلهى ! أقدرت لى أن أراها نانية !
ليرا : هدىء من روعك ، فالحياة كلها شقاء . وأخبرنى ، هل أصبت الشقى حين أطلقت النار عليه ؟

جرفث : أى شقى ؟ نعم ، تذكرت : دى جوفرى بارل المعتوه ، أليس كذلك ؟
ليرا : نعم ، هذا الوحش المفترس .

جرفث : كلا ، إنه نجا بأعجوبة ، ذلك لأنه توارى عن نظرى بين ملتف أغصان الغابة فأخطأته ، ولكنى أعدك أنه هالك من يدى . قى وقع بصرى عليه ، وسأتبع آثاره ولو تعلق بأهداب الرياح ، إنه جنى علينا جنابة ما أظنها تفتقر ؛ ذلك لأنه كان السبب فى موت أبيك ، لأن ذهابك معه إلى كنيسة القديس مرقس كان شؤماً على سيدى ، إذ ظن ما لا أحب أن أطلعك عليه .

ليرا : أبى ظن بى السوء ؟ (تبكى) .

جرفث : ومع هذا ، أخذت أبرهن له جهد مستطاعى ، فلم أفلح . (يبكى) مسكين لقد قتله
بارل باختطافك من يده وهو على فراش النزع . أنظرى ، ياأبنتى ، كيف مات أبوك
وهو يتوسل إلى أن أنقذ عفتك من الضياع .

ليرا : أبى ! أشهد الله أنى طاهرة بريئة . نعم ، نعم هادئاً ، وستعلم فى قبرك أن ابنتك
دافعت عن نفسها أحسن دفاع . (تبكى) إنه غشنى وكفى . فاترك الله عقابه .

جرفث : إبنى حتى الآن لم أعلم شيئاً عن هذا السر الذى أخفيته عنى فهل لك أن تطلعينى عليه
حتى يستريح ضميرى ؟

ليرا : آه ، يا جرفث . لست أستطيع ولسانى لا يحسر أن يفوه بكلمة . وكفانى تعذيباً .
ولكن اطمئن فساجعل اعترافى لك على لسان الرسائل . والآن أخاف أن يفوتنى
القطار ، فاستودعك الله ؟

جرفث : رغم تبكيت ضميرى سأنتظر .

ليرا : وداعاً يا جرفث . وسترانى إن شاء الله بارة وفية .

جرفث : (يضمها إلى صدره ويقبلها بحرارة) إلى الملتقى يا ليра . تجلدى ياأبنتى . واعتقدى
أن الله سيتكفل بحراستك بعينه التى لا تنام . فلن تصل إليك يد الشر ، مهما
كانت قوية . ليرا ! سأعود إلى غرفتى فأوصد على بابها ، وأمتنع عن رؤية العالم بأسره
واضعاً أمام عيني الضعيفتين صورتك الحبيبة . ويخيل إلى أنى لن أرفع نظرى عنها
إلا متى تناولت منك الكتاب الأول مبشراً بسلامة الوصول . فبالله عليك لا تركينى
فريسة الانتظار ، واعلمى أنه لاسلوان لى ، أنا الشيخ الفانى ، سوى الرسائل .

ليرا : هون عليك ، ياوالدى المحبوب . واسمح لى أن أدعوك بوالدى منذ اليوم
(تعانقه وتبكي) .

جرفث : بارك الله فيك ياأبنتى . (ينظر فى الساعة) لقد أذنت الساعة . فعلى الطائر الميمون .
ليرا ! ها أنا ذا أضرع إلى الله أن يسمح لى برؤيتك قبل أن أموت .

ليرا : أستودعك الله . (تبكى) جرفث ! أسألك الصبر والجلد . (تعانقه بحرارة) إلى الملتقى
أيها الأمين (تخرج) .

جرفث : (لنفسه بذهول بينما يمسح دموعه) إلى الملتقى يا من نزعت الروح عنى بفراقك
(يبكى) إلهى لقد مات تشستر ، وسافرت ليلا ، وبقيت أنا ، فلم اخترت هذا ؟
ولم لم تترك الوالد لابنته ، حتى لا تضطر الفتاة العذراء إلى ما اضطرت إليه الآن ؟
سبحانك . ويا إلهى ، كن معها أينما حلت ، وهىء لها الخير أنى توجهت ، وأبعد عنها
الأذى (يمشى . إلى الباب ببطء وتفكير) .

(يغير المنظر بعد أن تطفأ الأنوار بغاية السرعة)

المنظر الثاني

- (غرفة فاخرة بقصر كاستل ترّوز . بها مكتب وبيانو على الجانبين)
- (ليدى تيودوسيا هاينلت جالسة على مكتبها وأمامها أوراق تفحصها وأمام المكتب قسان : مارتن فاترو والفرد ، وعلى الجهة اليسرى امرأة في سن الأربعين ، مسز ليزلى)
- تيودوسيا : (تكتب ثم ترفع رأسها) ألم يتأخر أحد الأعضاء أمس ؟
- فانشو : كلا يا حضرة الليدى ، وقد قرأت لهم ورقة الاعتذار المقدمة منك .
- تيودوسيا : وهل وافقت قبولا ؟ (تعاود الكتابة) .
- فانشو : نعم (يدخل دايّن أرمتايدج)
- دايّن : (يحيي القسيس برأسه ويبتسم لتيودوسيا ويجلس بجانبها)
- فانشو : (ينظر إلى اللورد بامتعاض) متى شرف حضرة اللورد ؟
- دايّن : الآن .
- تيودوسيا : (ترفع رأسها فتري اللورد) دايّن ، أهلا بك يا ابن العم ، نحن في اجتماع كما ترى ، وأنت سيد القصر فاختر لنفسك أى مكان تستحسن ريثما ينفذ الاجتماع .
- دايّن : حسناً (يظل جالساً ينظر إلى فانشو من طرف خفى)
- فانشو : يلوح لى أن سيدى اللورد يفضل أن يحضر الاجتماع .
- دايّن : (بسخرية) إن هذا يشجّنى على عمل الخير .
- تيودوسيا : يا حبذا لو صح ذلك ! (تستطرد وهي تكتب) ستة وثلاثون ياردة من الفلانيل بحساب شلن وخمسة بنسات للياردة الواحدة (ترفع رأسها فتري دايّن)
- دايّن : أنا لا أظن أنى كنت كاتب حسابات .
- تيودوسيا : عفواً ، أنا لم أوجه إليك عملية الحساب .
- فانشو : (عابساً) جنيهان وأحد عشر شلناً فقط .
- تيودوسيا : (تكتب) نعم ، جنيهان وأحد عشر شلناً بالضبط ، وكم عدد الأعضاء ؟
- فانشو : (ينظر فى الأوراق) ثمانية وعشرون عضواً .
- تيودوسيا : وكان كل عضو يدفع قيمة اشتراك قدرها بنس فى الأسبوع ، فبعد كم من الزمن يدفع الثمن ؟

- داين : (بسخرية) بعد مائة سنة .
- فانشو : دع عنك المزاح يا لورد ، أنسيت أن اجتماعنا هذا لصالح الفقراء ؟ فلم التهمك ؟
- داين : دعذرة يا حضرة المحترم ، أنا لا أتهمك .
- فانشو : لا داعي للسخرية بنا يا حضرة اللورد .
- تيودوسيا : أتجهل أهمية هذا العمل يا عزيزي داين ؟ إنا نجتهد في تأليف قلوب جماعة من الموسرين لنحصل منهم على مبلغ من المال يكفي لشراء ملابس للفقراء تقيمهم قسوة البرد .
- داين : أما أنا فإني على استعداد لدفع هذا المبلغ فوراً ، ولا داعي لهذه المشاغل .
- تيودوسيا : ليس هذا هو الغرض ، إنما الغرض هو الاستمرار في عمل الخير ، فلو لم تشكل جمعية تقوم بكل ما يطلب منها من المعونة دون إرهاق ، أغنى بدفع مبلغ زهيد في كل أسبوع ، لاستحال على فرد واحد أن يقوم بأى عمل خيرى مستديم .
- داين : وإذا لم يتيسر جمع المبلغ من حضرات الأعضاء ، فلا شك أن العقاب سيقع على الفقراء المساكين .
- فانشو : (بفضب) إنى أستحسن أيتها الليدى المحترمة أن تؤجل هذا الاجتماع إلى فرصة أخرى .
- داين : هل أزعجكم وجودى ؟
- فانشو : كلا يا لورد . فقد أضعنا من وقت حضرة الليدى زمناً طويلاً في هذا العمل ، وهى الآن تحتاج إلى الخلوة والراحة . فلنؤجل هذا الاجتماع إلى ما بعد الغد إن أمكن ذلك . (يقف) .
- تيودوسيا : رأى موفق . (تقوم وتصافح القسين) إلى ما بعد غد .
- فانشو : إلى الملتقى يا حضرة اللورد . (بصافحه) .
- داين : (يمزح) أنحب أن أكون أحد الأعضاء في الاجتماع القادم ؟
- فانشو : أنت السيد الأمر . (يخرج ورفيقه)
- تيودوسيا : (يجلس يا داين) لماذا لم تسألنى عن صحتى كما هى عادتك ؟
- داين : لأننى وجدتك مشغولة (يجلس) وأحببت ألا أصرفك عن المهم .

تيودوسيا : أو تجتقر عملنا هذا بالورد ؟

داين : كلا يا عزيزتي . إنما أستسهل دفع المبلغ عن جمعه في سنوات .

تيودوسيا : إن دفع هذا المبلغ وأضعافه صفقة واحدة لمن السهل جداً على فرد غني ، ولكن من المستحيل أن يستمر ذلك .

داين : إني أنظر إلى هذا الموضوع من وجهة نظر تخصني وحدي . ومعنى ذلك أني أفضل دفع ألف شلن عن أن أشتغل بعمل كهذا نصف ساعة .

تيودوسيا : إنك مخطيء جداً بالورد — وباليات المصور أبدعك في القالب الذي أفرغت أنا فيه .

داين : أعوذ بالله (يضحك) أصبح عاشقا للمخابر والأوراق ؟

تيودوسيا : وهل في هذا عار عليك ؟

داين : كلا . ولكني أميل إلى الهدوء والسكينة .

تيودوسيا : دعنا من هذا ، وأشرح لي أين كانت سياحتك . وهل ، كنت تشعر فيها بالسعادة ؟

داين : نعم كنت في سعادة وهناء ، غير أنني لم أكن أعلم شيئاً عن استار منستر ، ولا كاستل تروز . ذلك لأنه يندر أن تمس يدي صحيفة . ولاتنسني ذلك المحفل

مسز ليزلي : حماك الله من ذلك بالورد ! كيف تنسب لنفسك ما ليس فيك ؟

تيودوسيا : إنك بذلك تفتحني له سبيل التمادي في معتقده ، يا عزيزتي ليزلي .

داين : أصبت المرحى يا ابنة العم . فلا عدمتك أبداً .

تيودوسيا : (إلى ليزلي) كان يجب عليك مساعدتي لتفتحي لعيني طريق الخير فيسلكه .

داين : (يضحك) لقد انقضت جلسة الحسنات ، وبدأت جلسة السيئات . ولكني مع هذا أراك ملكاً مصححاً أيتها القديسة المحسنة .

تيودوسيا : إن آراءك هذه تبرهن على أنك لاتدرك كنه مركزك العظيم ، ولا تشعر بمقامك الرفيع . إن شاباً في صحتك و ثروتك وجاهك يجب أن يمد يد المساعدة إلى المحتاجين ؛ فيطعم المسكين ، ويكسو اليتيم ، وينتشل البائس من مهاوى الفاقة ، ويأخذ بناصر من أخني عليه الدهر .

داين : (غارقاً في تأملاته) أنرضي مكارم أخلاقك ، أيتها الواعظة الحسنة ، سليلة أسرة هاينليت ، أن تصميني هذه الوصمة ؟

مسز ليزلى : (إلى تيودوسيا) يظهر أن حضرة اللورد كان في تفكير عميق ، وكانت وجهته غير كاستل تروز ، وإلا ما كان قد فهم ما فهم .

داين : (ليزلى) شكراً لك أيتها الأمانة . لقد كنت أحسبك أكثر محبة لى مما بدا الآن .
تيودوسيا : إنها تقول الصراحة ، فما معنى التهم ؟ إلى أستحلفك بشرفك أن تخبرنى هل كنت مصفياً إلى كلماتى الأخيرة ؟

داين : لا أنكر عليك أنه فاتنى منها شيء .

تيودوسيا : وكيف استنتجت هذا الحكم الجائر على وعلى صديقتى العزيزة ؟

داين : أنه أوحى إلىّ به ، من صيد السمك . فما أسعد الذين ينقطعون للصيد !

تيودوسيا : (بأسف) دعنا مما لافائدة فيه ، واشرح لنا شيئاً عن سياحتك الأخيرة .

داين : لقد طفت بجميع المدائن والقرى الواقعة على ضفتى نهر التو ، وصادفت المعتوه فى فندق برنستابل .

تيودوسيا : (بدهشة) ومن هو هذا المعتوه ؟

داين : شاعر ، ومصور ، وموسيقى العائلة .

تيودوسيا : (تضحك) لقد فهمت (إلى ليزلى) إنه يعنى تشاندس ارمتايدج .

داين : نعم هو ذلك الأبله . ولقد وقعت بيننا مشاجرة عنيفة أدت بى إلى طرده من غرفتى .

تيودوسيا : إنك تمقته مقتاً شديداً يا اللورد . فهل من سبب ؟

داين : لاداعى لذكر السبب الآن ، لأنه مشين ومخجل . (يستطرد) ولما انقضت تلك

الليلة المشؤومة بكرت أتمم سياحتى حول النهر . فأعجبتنى بقعة أرض هناك كأنها روضة

من رياض الفردوس (يتنهد) فأحببت أن أستظل تحت وارف ظلها . وما أستغربى

الجلوس لحظة حتى ذكرت ساعة صيد السمك (يتنهد) وزن فى أذنى أن الصيد خطيئة .

تيودوسيا : إذن ، ماذا صنعت ؟

داين : بدأت أصيد . (يتذكر) وما هى إلا هنيهة حتى هبت ربح عاصفة كادت تقتلع أشجار

الوادي ، فارتدبت معطفي . ومرعان ما فارقت تلك الروضة الأنيقة (يتنهد) التى

سلبتنى عقلى لما أبدعته فيها يد الطبيعة من الرونق والجمال .

تيودوسيا: أو تستبيك روضة ، يا لورد ؟

داين : إني بدأت أنعم الغزل . . (يتأوه) ولكن آه ! فارقتى حسن الحظ .

تيودوسيا : إنك تتكلم بلغة تستر تحتها أسراراً غامضة .

داين : لا وحقتك ، يا ابنة العم . إني خلو من الأسرار الغرامية ، إذا كنت ترمين إلى ذلك .

تيودوسيا : لا بأس . ألم ترشاندس منذ تلك الليلة ؟

داين : كلا ولا أحب أن أراه .

تيودوسيا : لقد كتب إلى منذ شهر لأقبله عضواً عاملاً في جمعيتنا الخيرية ، وقبلناه . وقد طلب ما بقي له من إيراد هذه السنة ، فأرسلت إليه تحويلاً بمبلغ خمسمائة جنيه . وعلمت منه أنه نزل ضيفاً على عائلته فقيرة في طريق برنستابل ، دون أن أعرف السبب . ومنذ ذلك الحين انقطعت عن أخباره تماماً .

داين : نزل ضيفاً على عائلة فقيرة في طريق برنستابل ؟ هذا مالا أصدقه (لنفسه) إنها ليست فقيرة . (يستطرد) ولكن مالنا ولهذا الأبله ! .

تيودوسيا : ماعهدتك على هذه الدرجة من الكراهية له قبل الآن . أنسيت أنه يحمل لقبك ؟

داين : إنه لا يستحق هذا اللقب . (يصمت قليلاً) نسيت أن أسألك عن صحة حضرة الإيرل المحترم ، والدى .

تيودوسيا : بخير . . يواصل عمله بهمة لا تعرف الملل ساعات متواليات .

داين : إني أشعر بألم الجوع .

تيودوسيا : (إلى مسز ليزلى) مرى يا عزيزتى بإحضار المائدة .

ليزلى : (تقف) هل نسيت مولاتى موعد قصر جاردن سكوير فى لندن ؟ .

تيودوسيا : (تنظر فى ساعتها) يجب أن تسافرى بعد الطعام مباشرة ؟ هل بعثت بالعنوان الكافى لوصيفتنا الجديدة ؟ .

داين : (إلى تيودوسيا) أبعثت فى طلب وصيفة جديدة ؟ .

تيودوسيا : نعم ، لأترك شؤون القصر إلى ليزلى . وأختص بها لنفسى .

ليزلى : نعم أمرتها أن تصل إلى محطة واترلو ، حيث تكون العربى فى انتظارها . وسأقبلها فى قصر مولاتى بلندن ، ثم أرافقها إلى هنا .

تيودوسيا : أسرعى بتنفيذ ذلك بعد فراغك من المائدة مباشرة .

ليزلى : (تنحنى وتخرج) .

تيودوسيا (إلى دايين) ألم تعلم أن أباك سيشرفنى بزورته اليوم ، يا لورد ، فلقد تناولت كتاباً منه أمس وعدنى فيه بأنه سيشرف قصرى اليوم . فما أشد سروره برؤيتك هنا !

داين : كان يدور فى خلدى أن أترك كاسل تروز إلى استار منستر اليوم حيث أشرف بمقابلة . أما وقد صار على وشك الوصول ، فمن الواجب انتظاره هنا .

شارل : (ينحنى ويدخل) المائدة فى انتظار مولاتى .

تيودوسيا : ومسىز ليزلى ؟

شارل : تجهز أمتعة السفر .

تيودوسيا : (تقف) إلى المائدة يا لورد .

داين : (يقف) هات ذراعك يا أبنة العم . (يخرجان)

شارل : (لنفسه وهو يرتب الصالون) ما أسعد حياة الأغنياء وما أهنأها !

وليم : (من الداخل) شارل ! شارل ! (يظهر وليم بالباب) شارل ! لقد وصل مولاي الإيرل .

شارل : (يسرع الخطى إلى الباب ليستقبل الإيرل) أوصلت العربى إلى باب القصر ؟

وليم : استعد ، فهو الآن على الدرج .

الإيرل : (يدخل فينحنى شارل ووليم) أين مولاتكما ؟

شارل : (ينحنى) على المائدة .

الإيرل : ألم تصلكم أخبار عن ولدى لورد دايين ؟

شارل : مولاي اللورد هنا فى القصر من صبيحة اليوم .

الإيرل : (بدهشة) دايين هنا فى كاستل تروز ؟ (لنفسه) ولم لم يصل رأساً إلى أستر منستر ؟

(إلى شارل) إذن هو على المائدة الآن ؟

شارل : (ينحنى) نعم ، يا مولاي .

الإيرل : حسناً ، لا تعان خبر قدومى إلى الليدى إلا بعد انتهاء المائدة .

- شارل : (يدخل ينحنى ويخرج ووليم) .
- الإيرل : (لنفسه) أحمد الله ، فقد وصل سالمًا بعد رحلته الطويلة (ينادى) شارل !
- شارل : (يدخل وينحنى) مولاي !
- الإيرل : إني أسمع الأميرة تودع إنسانًا ، وأخشى أن يكون اللورد .
- شارل : إن مولاتي تودع مسزليزلى . لتلحق بقطار لندن كي تحضر وصيفة جديدة .
- الإيرل : إنك شديد النباهة يا شارل .
- تيودوسيا : (تدخل ومعها دايين) لقد شرفتنى بزورتك قصرى ، ياسيدى الإيرل . (تصافحه) .
- داين : (يصافح الإيرل) تحيتى إلى الوالد المحترم .
- الإيرل : أهلا بك يا ولدى . (يجلسان . دايين عن يمينه وتيودوسيا عن شماله) .
- تيودوسيا : أهلا بك من كل قلبى ، ياسيدى اللورد الأكبر .
- الإيرل : (لتيودوسيا) أشكر لك هذه العناية . (لداين) وأين كانت سياحتك الأخيرة ؟
- داين : إننى بفضل رضاء سيدى الوالد المحترم أتمتع بالصحة والهناء فى كل مكان .
- الإيرل : وهل كنت سعيداً فى تلك السياحات الفريدة ؟
- داين : نعم ، وكنت أمتلىء قوة ونشاطاً .
- الإيرل : (مبتسماً) أوكان قلبك يذكرنى ، وأنت فى سرورك ولهوك ؟ ماظننت ذلك !
- داين : (بحياء) أما فى سرورى فنعم ، وما أظننى ألهو الآن .
- الإيرل : بارك الله فيك يا ولدى ، أعرنى أذنًا صاغية . (إلى تيودوسيا) أسمحين بمشاركتنا يا عزيزتى اللىدى ؟ (إلى دايين) أما آن لك أن تفكر فى مستقبلك ؟
- داين : يسعدنى أن أكون مشمولاً من سيدى الوالد بالمعطف ، أما مستقبلى فهو ما يوجهنى إليه حظى .
- الإيرل : أعددت لك مركزاً سامياً لايحتاج إلى إجهاد ، وسترى أنه سيحسدك عليه كل شريف تيودوسيا : ستملاً قلبى ابتهاجاً بقبولك ، يا عزيزى دايين .
- داين : إن رحلاتى الكثيرة فى معظم مدن الدنيا المتحضرة زادت ثقافتى وأكسبتنى خبرة وإطلاعاً ، وإني آنس فى نفسى القدرة على القيام بكل مايسند إلى من الأعمال .
- تيودوسيا : (بشفقة وحنو) عزيزى دايين ، إنك ترفع دعائم بيتك العريق بحسن ثققتك بنفسك .

الإيرل : لو أنعمت النظر ، يا ولدى ، فيما نطقت به الليدى ، لعلمت مقدار حبها لك وشغفها بحسن مستقبلك .

شارل : (يدخل وينحنى) مولاتى الليدى !

تيودوسيا : (باهتمام) ماوراؤك يا شارل ؟

شارل : إن جمعية ملجأ الأيتام الجديد التى شرعت مولاتى فى إنشائه قد تكامل أعضاؤها ، وهم فى انتظار حضرة الرئيسة .

تيودوسيا : ألم تعلم أن حضرة الإيرل هنا ، وهو ضيفنا اليوم ؟

شارل : أعلم ذلك يا مولاتى .

تيودوسيا : ولم لم تستعمل عقلك حين الحاجة إليه ؟ كان يمكنك أن تقدم اعتذارى ، أو أن تنيب عنى حضرة القس .

شارل : حاولت إنابة حضرة القس المحترم فلم أفجح ، ولقد ألح على أن أعرض على مولاتى الأمر أولا ، فإذا صدر أمرك السامى بإنابته ، قبل مرغماً .

تيودوسيا : (بدھشة) مرغماً ؟ وما معنى ذلك يا شارل ؟ (بحدة) .

شارل : إن بعض الأعضاء غير راض عنه ، هذا هو سر الخلاف .

تيودوسيا : وكيف علمت ذلك ؟

شارل : رأيتهم يتغامزون ، وسمعت الناقمين عليه يتهايمسون ، فتجلت أمام عيني نار الحقد التى تشتعل فى صدورهم ، وخفت سوء العاقبة . لذلك أسرعت لعرض الأمر .

تيودوسيا : إذا يجب أن أتلافى الموضوع بنفسى قبل أن يستفحل . (إلى الإيرل) أيسمح لى سيدى الإيرل بيبضع دقائق ؟

الإيرل : لقد أعجبتنى شهامتك ، يا عزيزتى . لك ما تشائين .

تيودوسيا : (إلى شارل) شارل . أعلن قدومى . (ينحنى ويخرج . تقف) لا تقلقنا لغيابى (تخرج) .

الإيرل : فى حراسة الله (إلى داين) إنها أشرف فتاة كللت تاريخها بأكليل المجد . ولقد أضافت إلى أسرتنا أحسن ذكرى بما خلدت فى آثارها من الحسنات .

داين : الحق معك يا والدى العزيز . إنها مثال الفضيلة والخير .

الإيرل : إني أخلو بك الآن . فهل تحب أن تتكلم فى شأنها ؟ وما هو رأيك ؟

داين : تتفاوض فى شأنها ؟ وكيف أعلن لكم رأيى فى شأن لا علم لى به ؟

الإيرل : أملكك نسيت الخطبة التي أرتبطت بها منذ حدثتك ؟

داين : (باضطراب) إني لم أفكر في هذا الشأن قط .

الإيرل : ولكنني أهتم بسعادتك . أتجهل أهمية هذا الموضوع ، وما يقع كلانا فيه إذا فُصمت عراه لا قدر الله .

داين : نعم أعلم ذلك .

الإيرل : لقد أرحت ضميري بها التصريح . وكان يخيفني أن تكون أصبحت قليل العناية به .

داين : وكيف لا أهتم بما أنت مهتم به . وغرضك الهناء والراحة لي .

الإيرل : أحمد الله الذي وفقك إلى معرفة الواجب عليك .

داين : إني أحترم رأيك ، يا ولدي المحبوب ، وأقدس طاعتك . بيد أني أخول لنفسى الحق في شيء واحد . .

الإيرل : (يقاطعه) هو الزواج . أليس كذلك ؟ إني لحت غرضك بمجرد الإشارة .

داين : نعم . أحب أن أطلق لنفسى فيه حرية الاختيار ، حيث أرى السعادة والشقاء مقرونين به .

الإيرل : أنت محق يا داين . وأضف إلى ذلك أنني أبوك . فلا تقطع صلة أبوتى واحترم مقامى .

داين : (بنجل) احترام مقامك واجب مفروض على . ولايجزؤ أقوى عامل في الحياة أن يعبث

به أو أن يززع من مركزه . ورأيك فوق ماتحجب أن يكون . غير أني في هذا الموضوع

أميل بطبعي إلى دقات قلبي ، وأنصاع إلى نداء ضميري . فبالله عليك ، يا والدي ،

دعني وشأني في أمر زواجي . ولا تنزف بيدك ، التي ما تعودت غير الرحمة والعدل ،

التعاسة والشقاء لوحيدك الخاضع المطيع (يتنهّد) والدي العزيز ! لعد عودتني الجراءة ،

وعلمتني الصراحة ، فلا يفضبك أني استعملتهما في حضرتك وأمام شخصك المحترم .

الإيرل : (يتنهّد) لقد سال منك دم الشرف على أسنة الطيش ، إذ سولت لك نفسك مخالفة

أبيك ، فرضيت له الإهانة ، وقد بلغ هذه السن .

داين : رحماك ، والدي !

الإيرل : إني تعاهدت ولورد هاينلت على ذلك — فكيف يسوغ لك أن تسفه رأيي ، وأنا

نافذ الكلمة . إنك بذلك الرفض تمزق أحشائي ، وتصم أسمى بوصمة عار لا تمحي .

أأختم حياتي بهذه النتيجة ؟ ومن المحزن أنها لاتصدر إلا عنك أنت !

داين : (بخشوع) هدى روعك ، يا أبى ، وأسمح لى بتقبيل يدك اعترافاً منى بالخطأ ، (يقبل يده) وجباً فى طلب العفو ، (باستعطاف) يا والدى العزيز ، أعلن أنى طوع أمرك .

الإيرل : (بارتياح) أرضيت أن تكون زوجاً لليدى تيودوسيا هينلت ؟

داين : (ينظر إلى الأرض باضطراب) نعم قبلت ، ولكن أمهلنى ريثما أكون على استعداد .

الإيرل : لك منى ذلك . ولكن ضع نعيب عينيك تنفيذ رغائى . وتعهد لى من الآن ألا ترفض يدها مهما كانت الأسباب .

داين : إنى أعاهدك يا والدى الأعز على احترام رأيك ، واتباع مشورتك .

الإيرل : (يضع يده على كتفه) بارك الله فيك . وآمل أن أبى استاز منستر لا ينقض عهده .

داين : أبت لا تسترب بعهدى لك .

الإيرل : (ينظر فى الساعة ثم ينادى) شارل !

شارل : (يدخل وينحنى) مولاي !

الإيرل : إنى تركت أوراقاً هامة فى حقيبتى الصغيرة ، فسل خادمى أن يسلمك الحقيبة بما فيها وأثنى بها .

(شارل ينحنى ويخرج) لك أن تساعدنى فى ترتيب أوراق يهمنى إنجازها اليوم .

ولقد اخترت لك ذلك حتى لا تسأم وحدتك هنا .

داين : إنى طوع الأمر .

شارل : يدخل فينحنى ويضع الحقيبة أمام الإيرل .

الإيرل : حسناً ، ها هو العمل يا دايى فهيا بنا إلى غرفة المكتب .

داين : هيا بنا (يتناول الحقيبة . يقف) .

الإيرل : (إلى شارل) شارل ! إذا انتهت حضرة الليدى من عملها قبل أن نترك غرفة المكتب

وسألت عنى واللورد ، فعرفها أننا ندرس أوراقاً هامة ، يجب أن ننتهى منها الليلة .

(يخرج جان) .

شارل : (ينحنى . يرتب البهو) يندر وجود شيخ بهذا النشاط .

وليم : (يدخل لمساعدة شارل) شارل ! ما رأيك فى هذا الشيخ الجليل ؟

شارل : هذا هو الرجل العامل النافع اليقظ . . وياحبذا لو حذا لورد داين حذوه .
وليم : (يمسح البيانو ويفتحه ويلعب بأصابعه عليه) إنها العوية منعشة (يعزف بأنغام
رديدة) غريب ! يظهر أن الأصابع التي تدق على هذه الآلة (ينظر إلى أصابعه)
هي أصابع الأغنياء والجيالات فقط ، لذلك أرى أصابعي تخونني ، لأنني ألتبس
ماليس من شأني .

شارل : (يسرع إليه ويفلق الآلة) اسكت يا متهوس . متى تترك الرعونة أيها الأحمق !
ماذا يكون عقابك لو داهمتك مولاتي الآن ؟

وليم : (غاضباً) إنك تهينني ، ياشارل ، وسأطلب من مولاتي ألا أكون معك في عمل
واحد منذ اليوم . (يخرج) .

شارل : (لنفسه) إني أنعذب جداً في إصلاح هؤلاء الخدم ، فلا بد من استبدال غير النافع
منهم . (يخرج) .

(سكوت طويل . تظلم الأنوار تدريجياً . تدق الساعة ٦ دقائق)

مسزليزلي : (تدخل وتقبعها ليرا ووراءها وليم) مالي أراك غاضباً ياوليم ؟

وليم : لست على وفاق مع شارل ، وسأنتظر ريثما تنتهي مولاتي من اجتماعها ، فأبسط
إليها شكايتي .

ليزلي : كن واسع الصدر ياوليم .

وليم : إن شارل أهانني .

ليزلي : إنه يمزح معك ، وهو أكبر منك سنًا وأطول عهداً في خدمة مولاتنا الليدي .
فلا تتعجل في عمل ماعساه يعود عليك باللائمة والتعنيف . . أقدم لك الآنسة ليرا
تشستر وصيفة مولاتنا الجديدة .

وليم : (ينحنى) لقد شرفت كاسل تروز .

ليرا : شكراً ، ياوليم .

ليزلي : (إلى ليرا) استريحى ، ياعزيزتى . فقد صرفنا وقتاً طويلاً في السفر . (إلى وليم)
إذهب بأمتعة الآنسة ليرا إلى مخدعها الخاص .

- وليم : (ينحنى . يهيم بالخروج) .
- ليزلى : انتظر ! لم لم تخبرنى أين مولاتنا الليدى ؟
- وليم : مولاتى فى اجتماع أظنه أوشك أن ينتهى وأرى أنها لن تنتظر أكثر من ذلك .
- ليزلى : حسناً ، اذهب ، ومر خادمة الغرفة أن تجهزها ، (يخرج وليم) إنى سعيدة بك ياعزيزتى ليرا .
- ليرا : إن شفقتك على ياسيدى ، جعلتنى أسيرة إحساسك الشريف
- ليزلى : أشكر لك هذا العطف وأزيدك علماً بأن مولاتنا مثال المروءة ومكارم الأخلاق .
- ليرا : والله إن قصرأ يحويك بين جدرانہ نخليق بأن يكون معبداً مقدساً ، فإذا كنت أنت بهذه المكارم ، فما بال سيدة القصر ؟
- ليزلى : شرحت لك ، ياعزيزتى ، مايجب اتباعه لمولاتنا من الواجبات ، فإذا اتبعت مارسمت لك ، كنت سعيدة .
- ليرا : إنى وعيت كل شىء ، فاطمنى .
- ليزلى : بارك الله فيك يا ليرا . (تنصت) ماذا أسمع ؟ الخدم يهرجون .
- شارل : (يدخل بمجلة) أين وليم ؟ ولماذا لم يوقد الشموع وقد هم الظلام ؟
- ليزلى : ما بالاك ، ياشارل ؟
- شارل : (ينحنى) عفواً يا حاضرة الرئيسة (يجرى إلى الباب وينحنى) مولاتى الليدى ا
- الليدى : (تدخل) أهلا بك يا ليزلى (مشيرة إلى ليرا) ليرا تشستر ؟
- ليزلى : (تنحنى) أجل يا حاضرة الليدى ، لقد وصلت إلى جاردن سكوير فى الموعد ، ولم نأبث أن قفنا إلى كاسل تروز .
- الليدى : (تجلس) إنى سعيدة جداً برويتك يامس ليرا ، وأنعمش أن تكونى صديقة لاصيفة .
- ليرا : (بابتهاج) إن هذه أسعد لحظة مرت بى منذ تنسمت الحياة .
- الليدى : اجلسى بجانبى يا أميرة الكوخ ، وقصى على أدوار حياتك موجزة . (إلى ليزلى) اجلسى يا ليزلى .
- ليرا : (تجلس بجانب الليدى) إن قصتى محزنة .

ليزلى : لقد أهاجت عواطفى منذ أول نظرة وقع بصرى عليها فى جاردن سكوير .

الليدى : من هو أبوك يا ليرا ؟ ومن أى أسرة ؟

ليرا : (تنهد) أبى آدون تشستر ، كان شريفاً غنياً ، سكن أمريكا وأثرى فيها ، ولكن خانه الحظ ، وأظنه فقد ثروته فعاد إلى إنجلترا يحملنى طفلة بعد أن ماتت أمى ، وكنت فى الربيع الأول (تبكى) .

الليدى : لا تجزعى يا عزيزتى ، وثقى أنك أصبحت منذ اليوم فى أحضان أخت وأم معاً .

ليرا : عاد أبى إلى برنستابل يحملنى رضيعة ، وابتاع كوخاً صغيراً على ضفة نهر التو أمام كنيسة القديس مرقس القديمة ، وكان يقوم بتريقتى شيخ أمين (تنهد) ظل فى خدمة أبى أربعين عاماً ، ولقد قام بتهذيبى خير قيام ، وكان يحنو علىّ حنو الأم . فيدراً عنى كل مكروه حتى ترعرعت لا أعلم عن الدنيا غيره ووالدى ، ولم أصادق رجلاً غيرها لأننا كنا فى معزل عن العالم (تنهد) ومنذ أيام قلائل داهمتنا مصيبة يالهولها (تبكى) أوقعت الفشل فى ذلك العش الهادىء المطمئن وشتت شمل ساكنيه (تبكى) .

الليدى : يا إلهى (بحزن) وما موضوع ذلك المصاب ؟

ليرا : فوجئنا بدين كان على أبى منذ سبع سنين . وكان لمراب غليظ القلب جامد العواطف ، وكان ذلك المرابى قد شعر بعجز أبى للمسكين عن وفاء دينه . فبعد أن كان يقنع سنوياً بالفائدة ، جاء يسأله دفع الدين صفقة واحدة ، وإلا سلب منا جميع ممتلكاتنا ، وطردها من الكوخ . (تبكى)

الليدى : يا إله السماء (بشفقة) ليتنى علمت ذلك فى حينه ! مسكينة ! وكم كان مقدار ذلك المدين ؟

ليرا : (تنهد) خمسمائة ذهباً .

الليدى : فقط ! نعم ، لقد كان عظيماً عليكم لأنكم لا تملكونه .

ليرا : أجل يا مولاتى — لقد تصدى لنا ذلك المرابى الصخرى القلب ، وأقسم أن يسلبنا كل

ممتلكاتنا ، إذا انقضى أسبوعان ولم نوفه دينه . فهوى أبى الشيخ المسكين مصعوقاً (تبكى)

على فراش الألم . وظل ينزع حتى بقى من الأجل المضروب يوم واحد (تبكى) فلم

يجسر على رؤية شمس ذلك اليوم الرهيب ، فاستغاث بملك الموت ، فأغاثه . (تبكى)

نعم ، لقد لفظ النفس الأخير وهو يباركنى . وتركنى أتخبط فى ديجور الشقاء .

(تخنقها العبرات) آه ! إنها ذكرى يقشع لها بدنى ، ياسيدتى . (يغمى عليها)
آه ! رحماك أيها الوالد المسكين .

الليدى : (بحزن واهتمام) شارل ! على بالمنعشات . مسكينة أيتها الفتاة . (يخرج شارل) .

ليزلى : إنها قطعت نياط قلبي بحديثها المؤلم .

شارل : يدخل على عجل بالمنعشات) هاهى يامولاتى .

الليدى : (وتتناول الكأس . ليزلى) بيدى أنا لا بيدك يا عزيزتى .

ليزلى : إنك رحيمة يامولاتى .

الليدى : (ترش ماء الزهر على وجه ليرا) انتظرى ياليزلى ، إنها ستكون أسعد فتاة فى
كاسل تروز ، وربما كانت أسعد منى .

ليرا : (تستفيق) عفوا ياسيدتى . (تحاول الوقوف فلا تتمكن) إنى خادمة .

الليدى : (تجلسها بيدها) كلا إنك أميرة هذا القصر ، ياليرا ، فاستقبلى السعادة والهناء
وإذا كان الدهر قد لعب معك دوراً محزناً ، فأنا أرغمه على أن يزف السرور إليك
كرها لا اختياراً .

ليرا : (بسرور) أنت جديرة بالعبادة يامولاتى ، فلا عدمتك أبداً . (تنهد) مات أبى
وهجم علينا ذئب المال فأجلانى وخادمى الشيخ عن الكوخ . ولما سالت عبراتى على
يديه وأوسعها تقبيلا ، هبط رسول الرحمة إلى قلبه الصلد ، فتنازل لنا عن أجره
سكنى غرفة خادمى نظير حراسة الكوخ . (تنهد) مسكين أنت يا جرفث ! فظلنا
بها إلى أن أراد الله أن أكون تحت رعايتك ؟

الليدى : لآتحزنى . فأنا أمك وأبوك ياليرا . وماذا صنعت بخادمك المسكين ؟

ليرا : تركته فى غرفته يئن لفراقى حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا . (تتأوه) .

الليدى : إن هذا المحزن (تشعر بأن الصالة مظلمة ، تنادى شارل) مالى أراكم أهملتم الواجب

هذا المساء ؟ لم توقدوا الشموع كالعادة ؟ أين وليم ؟

شارل : (ينحنى) هذا من واجب وليم يامولاتى . وإنى أراه غائبا .

ليزلى : لقد ذهب إلى مخدع مس ليرا .. ليرتب أمتعتها .

الليدى : وأنا بنفسى يجب أن أرتب لها غرفة النوم . فہلم بنا يا عزيزتى لأوصلك بيدى إلى مخدع هنائك الجديد (تقف الليدى وليرا وليزلى) .

ليرا : إنك تعجزين لسانى عن الشكر ، يا مولاتى .

ليزلى : (إلى شارل) سأرسل لك ولیم يساعدك على إنارة البهو ليسكون فى استعداد لإستقبال حضرة الليدى بعد قليل .

الليدى : شارل ! لقد نسيت أن أسألك عن حضرة الإيرل واللورد ، فأين هما ؟

شارل : (ينحنى) فى غرفة المكتب . لقد شدد على مولاي الإيرل ألا أزججه ، لأن عمله هام جداً . وإذا رغبت مولاتى أن تشاركما فيه فلتتفضل .

الليدى : (بسرور) وهل قبل اللورد أن يشترك مع أبيه فى العمل ؟

شارل : نعم

الليدى : (بارتياح) إنها لمعجزة مذهشة . دعهما فى عملهما ، لأننى أرافق مس ليلا إلى مخدعها وعليك أن تصدر تنبيهاً عاماً إلى جميع خدم القصر أن يكون أحترام مس ليلا من احترامى ! أفهمت .

شارل : (ينحنى) سأنفذ أمر مولاتى . (تخرج الليدى وليرا وليزلى . يبدأ بإيقاد الشموع) .

وليم : (يدخل) لماذا بعثت فى طلبى ؟

شارل : (يضحك) . ها . . لقد عدت يا أحق . أنسيت أنى أقوم بواجبك الآن ؟ .

وليم : (بذهول) ولكنى غاضب منك ، فما رأيك ؟

شارل : أنا رئيسك ، فيجب أن تطيعنى . ونحن أمامى من الآن وإلا . . .

وليم : (بغضب) أنحنى أمامك من الآن ؟ ومن أنت ؟ أصبحت مولاتى ؟

شارل : (يضحك) إنك ظريف جداً يا ولیم . هل أنت غاضب منى ؟ إلى كفى أمزح معك .

وليم : قبلت اعتذارك . وأرجوك ألا تكثر مزاحك لأننى سريع الغضب .

شارل : هل رأيت الوصيفة الجديدة ؟ وهل بلفتك الأوامر ؟

وليم : رأيتها ، ما أجملها . ولكن لم أستسلم أوامر ؟

- شارل : صدر أمر مولاتنا الليدى أن تخاطب الوصيفة الجديدة بيامولاتنى بعد الانحناء .
- وليم : (يضحك) ومن بلفك هذا الأمر الجديد ؟
- شارل : مولاتنا الليدى نفسها . فاذهب وادع جميع الخدم لأصدر إليهم الأوامر الجديدة .
- وليم : (ينحنى) لك الطاعة يامولاي (يضحك ثم ينحنى ويخرج) .
- شارل : إنه خفيف العقل والروح معاً (يتبسم . يدخل الخدم جميعاً ويقفون حول البهو) هل بلفكم أمر مولاتكم ؟
- الجميع : لا يا حضرة الرئيس .
- وليم : (غاضباً) كيف لا ، أيها الأغبياء ؟ أنسيتم الانحناء ؟ (ينحنى) ألم أنبهكم معشر البلداء ؟ (يضحكون) .
- شارل : اسمعوا (يصمتون) لقد نزلت بقصرنا اليوم آنسة جديدة تدعى ليرا تشستر ، فصدر أمر مولاتنا أن يكون احترامها من احترام مولاتنا . أفهتتم ؟
- الجميع : نعم .
- وليم : (يجرى إلى الباب ثم يعود مسرعاً وينحنى) الأميرة !
- الليدى : (تدخل ومعها ليزلى و ليرا فينحنى جميع الخدم) أقدم لكم مولاتكم الجديدة مس ليرا تشستر ، فيجب احترامها كشخصى فى كاسل تروز ، ولقد أصبح لها حق التصرف فى شؤونكم جميعاً . . . أفهتتم ؟
- الجميع : (بانحناء) لتحنى الأميرة .
- الليدى : اذهبوا إلى أعمالكم ، وليبق شارل ووليم بالباب . (يخرج الخدم ، وتذهب الليدى إلى جهة المعزف) ليزلى ! ألك أن تطربينا قليلاً احتفالاً بليرا ؟
- ليزلى : لك الطاعة ، ياربة الإحسان . (تجلس وتعزف)
- الليدى : (تجلس بجانبها) اجلسى ياليرا . أتعجدين التوقيع على هذه الآلة المشجية ؟
- ليرا : (بخجل) كلا ، ياسيدتى . وماوقع نظرى عليها قبل اليوم (تضع يدها على جنبها) .
- الليدى : ما باللك ؟ أنتشعرين بألم ؟
- ليرا : إن شدة سرورى سببت لى دواراً خفيفاً .

- الليدى : لا بأس عليك . إنه سيزول حالا متى استرحت قليلا ، فاجلسى (تجلس ليرا) .
- ليرا : إن السعادة التى أشعر بها الآن أنستنى كل آلامى . فلا عدمتك يا إلهة المسكارم .
- الليدى : (بسرور) إنك بدأت حياة جديدة ، فاصرفى عنك الهم .
- شارل : (يدخل وينحنى) مولاي اللورد .
- داين : (يدخل مسرعاً) هل أنتم محتفلون بأبى ؟ (يذهب إلى الليدى) تركته وأسرت بالهرب . (يضحك) .
- ليرا : (تصرخ وترتمى) آه ! (تتمتم) . هو بعينه . إذاً هى تيو . . . (يغمى عليها) .
- داين : (يرى ليرا) ويلاه ! إنها هى (يتراجع) ليرا (يمسح جبينه) افتحوا النوافذ . إنى أكاد أختنق . بماذا أشعره ؟ آه ! (يرتدى على مقعد) .
- الليدى : (تقف مشدوهة وتسكت ليزلى عن العزف) أسعفوها بالمنعشات (تنظر إليها تارة وإلى اللورد أخرى) انتظروا ، احملوها إلى غرفتها (يحملون ليرا ويخرجون) لورد (تذهب إلى داين) لورد ! ماذا دهالك ؟ (شارل) إلى بطبيب القصر حالا . (يخرج شارل) هل أصابك شىء ؟ (تجلس بجانب اللورد) تكلم يا داين . ماذا اعتراك يا عزيزى ؟ لماذا لا تتكلم ؟ ويلاه ! (بقلق) لماذا لم يحضر الطبيب ؟ لقد تأخر .
- الطبيب : (يدخل مع شارل) بماذا تأمر الليدى ؟ (ينحنى ويرفع قبعته) ماذا أصاب اللورد ؟ (يهتم به جداً) .
- الليدى : لا أعلم سوى أنه دخل البهو ونحن فى شبه احتفال ، وما إن توسط القاعة حتى انتابه ماترى .
- الطبيب : (يعالجه فيفريق) لا بأس عليه . . . لقد ثاب إلى رشده .
- داين : أين أنا ؟ الطبيب ! ليدى هاينلت ! (يتلفت على ليرا) ماذا أصابنى أيها الطبيب ؟ (يتمتم) أين هى ؟
- الطبيب : إنك فى إغماء بسيط يا لورد لن يلبث أن يزول تماماً . وأنصح لك أن تذهب لتسترخ فى غرفتك .
- داين : (يساعد الطبيب على النهوض) نعم يجب أن أستريح . ولكن مالى أرانى ضعيفاً ؟
- الليدى : (تقف) شارل . وليم .

الخدامان : (يدخلان وينحنيان) بماذا تأمر الأميرة ؟

الليدى : ساعدا اللورد حتى نخدعه ، وافتحا جميع النوافذ . ولا تنعجا حضرة الإيرل .

الطبيب : نعم ، سيعود إلى رشده تماماً بعد نصف ساعة (يخرج الخدامان باللورد) .

الليدى : (للطبيب باهتمام) ما رأيك فيما اعتلى اللورد من الإغماء ؟ وما هى أسبابه ؟ (تصمت

قليلاً) أعزنى سمعك ، فسأطالعك على سر صغير شاهدته بعينى الآن . (تنهد) لقد

دخلت فى خدمتى وصيفة جديدة . وهذه الليلة هى أول عهدا بالقصر . ولم يقع نظر

اللورد عليها سوى هذه اللحظة التى فارق فيها شعوره . ولقد أصابها ما أصابه فى نفس

الزمن . فأمرت بنقلها إلى غرفتها فى الحال ، فماذا ترى فى هذا الاتفاق الغريب ؟ إن

قلبي يحدثنى أن هناك صلة قديمة بين اللورد وهذه الفتاة ، ويزيد من هذا الشك أنه

تتم باسمها وتتمت باسمه . فما هو رأيك ؟

الطبيب : (بدهشة) لم أر ، حين اختبرت قلب اللورد ، ما يدل على ذلك . بل كان ما عنده

نتيجة إفراطه فى عمل أجهد فيه نفسه . فهل كان مشغولاً قبل أن يدخل

البهو مباشرة ؟

الليدى : صدفة غريبة . نعم كان فى عمل مع حضرة الإيرل ومكث مدة طويلة ، ولقد سئم

العمل فهرب مسرعاً .

الطبيب : هذا سبب إغمائه ، فإن كثرة العمل العقلى مع شدة الضوء والإكثار من التبغ ، كل

هذا يسبب الإغماء السريع .

الليدى : عليك إذاً أن تعود الوصيفة الآن فى مخدعها ، ثم تطلعن على النتيجة . وها قد

شرحت لك ما يحدثنى به قاي ، وإنى فى انتظارك هنا حتى تعود ، وإذا كانت

تهذى فراقب كل كلمة تخرج من فيها .

الطبيب : سأعمل الواجب على . (يتسم) أرى حى ضميرك ، ولا تسرعى بنقمتك ، فربما كانت

الفتاة مظلومة . (يخرج) .

الليدى : (خانقه) ما أغرب طوارىء الحدثنان ! لقد بدأت أشعر بحركة جديدة ، أنا التى

ما تعودت غير السعادة والصفاء . داي . ياأبن ستار منستر : حذار أن تكون قد

نقضت عهدى ، فتكون بذلك قد وصمت أسرتك بعار لايمحى . (تفكر) ولكن

كيف ذلك ؟ أى ذنب جنت تلك المسكينة ، إذا كان قد أوقعها سوء حظها فى حبه وكان ذلك منذ عهد طويل ؟ أترضى مكارمى أن أفرق بين عاشقين تعاهدا على الحب والوفاء ؟ أنا التى أوقفت حياتى على البر والإحسان . كلا ! (بشفقة) أسبب المصائب لفتاة تعمة منكودة الطالع ، جرعها الدهر مر عذابه ، ورماها بسهم نغمته وغضبه ؟ أفقدها أمها رضيعة ، واختطف أباه فجأة ، وسلب مالها ونعيمها ، وطردها شريفة من عشها الهادى . كل ذلك بنير ذنب جنت . أيليق بى أن أنتزع منها آخر أمل لها فى تلك الحياة المحزنة ؟ وإذا كانت قد أحبتته وأحبها . فمن الظلم أن أفرق بينهما . (بشهامة) أيتها الفتاة ، قرى عينا فساؤفه إليك بيدى إن كان هذا ميمناك . ليرا لقد أحبيتك لأول نظرة ، فمن الشرف والمروءة أن يظل حبي لك كما هو . ليرا .

شارل : (يدخل وينحنى) الطبيب يامولاتى .

الليدى : ليدخل . (يخرج شارل) .

الطبيب : (يدخل مبسما وفى يده ورقة صغيرة كتب فيها ماسمه من ليرا) لقد علمت كل شىء . الفتاة فى إغماء طويل ، وهى تهذى فتذكر ألفاظا لادخل لها فى الموضوع ، لقد سمعتها تلفظ أمه ، مسكين أنت يا والدى ، رحماك يامستر دجارفن ، تنح عنى يا بارل ، هون عليك يا جرفث ، إنى أكاد أختنق ، ترى أين أجذكأ إليها النأى عنى ؟ (يقرأ هذا فى ورقة) وتغمغم فيما بين ذلك ألفاظا غريبة ، فعلت أن هذه الفتاة قد أصابها الدهر بضربة قطعت نياط قلبها ، فهى فى بؤس لا غرام ، لأن ألفاظها هذه تشف عن آلام نفسانية ، وهياج عصبى شديد ، وظهر لى أنها قروية لم تطأ قدمها القصور قبل اليوم ، فكثر الأضواء واختلاف ألوانها وشدة السرور بعد نهاية الحزن ، كل ذلك سبب لها هذا الهياج الدموى الشديد ، فهى بريئة من حب اللورد ، كما أنه برىء من حبها ، إذ لا علاقة بين لورد عظيم وفتاة قروية مسكينة ، فاصرفى ماعندك يامولاتى واعتقدى فى براءتها .

الليدى : لقد اقتنعت الآن ، هل أمرت لها بالدواء ؟

الطبيب : نعم وأعطيت التعليمات الكافية إلى خادمتها .

الليدى . واللورد ، أتركه بغير عناية ؟

الطبيب : وهل يليق ذلك؟ إن دواءه النوم، فنتى أغضض جفنه ساعة، حصل على تمام الشفاء، ولكن ذلك لا يمنع أن أعوده الآن.

الليدى : حسناً، إني أقدم لك شكرى لجليل خدمتك.

الطبيب : (ينحنى) لا شكر على واجب (يخرج).

الليدى : (لنفسها) إن الحوادث التى صادفتنى اليوم لخليقة بالإعجاب.

شارل : (يدخل وينحنى) لقد نام هادئاً يامولاتى.

الليدى : هل كان يهذى فى نومه؟

شارل : كان مضطرباً يغمغم ألفاظاً مافهمت منها شيئاً.

الليدى : ومولاتك الجديدة، هل زرت مخدعها؟

شارل : كلا يامولاتى.

الليدى : اذهب فادع مسز ليزلى إلى هنا (يخرج) لابد أن تكون ليزلى قد علمت منها أكثر من الجميع.

الإيرل : (يدخل) أأناذن لى حضرة الليدى بالدخول؟ (بابندسام).

الليدى : (تقف) أهلاً بك يا حضرة الإيرل المحترم.

الإيرل : (بسرور) لقد شغلته مدة طويلة، ولكنه غافلتى. تركنى أنعم النظر فى موضوع هام

وهرب (يضحك) لا بأس، سأعوده شيئاً فشيئاً (يجلس وتجلس الليدى) حالماً

تركنى وخرج، سمعت جلبة وضوضاء سكت على أثرها صوت المعزف، ثم ساد سكون

غريب... فى القصر. فهل هذا صحيح، أم كنت واهماً؟

الليدى : نعم حدث ذلك، إثر مصاب ألم بالقصر ومن فيه.

الإيرل : (بدهشة) إثر مصاب؟ وما هو؟

الليدى : أجل. لقد خرج اللورد من غرفة المكتب إلى البهو، فألفانا فى شبه احتفال بقشريفكم

وكانت الوصيفة الجديدة وصلت القصر منذ أكثر من ساعة، فما توسط البهو، ونظر

إليها، حتى سقط فى إغماء.

الإيرل : (باضطراب) دايان؟ ولدى؟ يغمى عليه لرؤية خادمه؟ ما معنى ذلك؟ إنك بلا شك

واهمة يا حضرة الليدى.

الليدى : ومن غريب الاتفاق أن هذه الفتاة ما إن وقع بصرها عليه حتى سقطت مغنى عليها أيضاً ! فماذا ترى فى هذا الاتفاق المدهش ؟

الإيرل : (بغرابة) وأيضا الفتاة ؟ إن هذا لغريب إذاً ، كيف اتفق ذلك ؟ وماذا قال الطبيب ؟
الليدى : لقد اهتم بهما اهتماماً عظيماً . ولشدة دربته أسند إغماء اللورد إلى كثرة عمله العقلى وشدة الضوء والتدخين ، وأسند إغماء الفتاة إلى سرورها الفجائى بعد حزنها العظيم ، وإلى الانقلاب الذى شمل حياتها المضطربة ، فأخرجها من حقارة الأكواخ إلى جلال القصور .

الإيرل : نعم الطبيب . لقد أجاد التعليل . وأين دأين الآن ؟
الليدى : فى مخدعه ينام نوماً هادئاً . فاطمئن عليه . ولقد أفهمنى الطبيب أن دواءه النوم .
الإيرل : (يقف) يجب أن أراه .

الليدى : إنه سيفيق بعد ساعة ، فن الحسكة أن ننتظر حسب أمر الطبيب .
الإيرل : سأراه بعينى فقط ، ولن أكون سبباً فى إقلاق راحته . فهل لك أن ترافقينى يا عزيزتى ؟
الليدى : (تقف) سألقى بك متى حضرت مسز ليزلى ، لأننى أرسلت فى طلبها الآن . (يخرج الإيرل . لنفسها) إنه شديد المحبة لولده ، وبهمه ألا يكون اللورد عاشقاً .

شارل : (يدخل وينحنى) مسز ليزلى يا مولاتى . (تدخل ليزلى) .
الليدى : كيف حالها الآن ، يا عزيزتى ليزلى ؟
ليزلى : لقد تحسنت ، بيد أن إغماءها الطويل جعلها تنفوسه فى هذيانها ، بما يصدع الأفتدة حزناً عليها .

الليدى : وما رأيك فى هذا الاتفاق المدهش ؟
ليزلى : إن رأيى يعزز رأى الطبيب ، يا حضرة الليدى . وأنا أثق من براءتها وثوق من نفسى ..
الليدى : لقد آليت على نفسى ألا أكون حجر عثرة فى سبيل هنائها ، إذا صح ظنى .
ليزلى : إنك أسمى من أن تنقصى حياة فتاة مسكينة . إنها احتمت بنا ، فمن المروءة ألا تتخلى عنها فى آونة الشدة ، وفوق ذلك فإن قلبى يحدثنى أنها بريئة .

الليدى : لقد أقتنعت برأى الطبيب .
ليزلى : ومولاي اللورد ، كيف هو الآن ؟

الليدى : انه بخير . ولقد أقر الطبيب أن علاجه النوم . ومنذ برهة خرج حضرة الإيرل من هنا ليعوده ، ووعدته أن الحق به ، فاذهبي أنت للعناية بليرا .

ليزلى : سأقوم بواجب المروءة خير قيام . (تخرج) .

الليدى : (لنفسها) سوف ينكشف الغطاء ، ولكنى لن أنقض عهداً نطقته به . إني أعتقد فى قدرة الله . دايين ، لورد ارمتايدج ! كن كما تحب أن تكون . إني وهبتك مالى ونفسى ، فإن أحببت كنت لك قريبة صادقة ، وإن أبيت كنت لك صديقة مخلصه . وأنت ، أيتها الفتاة المسكينة ، لا تخفك انتقامى . إني سأكون لك درعاً متينة . تدرأ عنك الأذى ، وتقيك شر حوادث الدهر . فكونى هادئة مطمئنة ، واستقبلى السعادة والهناء .

« يسدل الستار »

تم الفصل الرابع

الفصل الخامس

(غرفة فاخرة بقصر أستار منستر ، مهيأة لإقامة حفلة شائعة) .

(ولفرد خادم لورد دايين ارمتايدج يرتب البهو).

ولفرد : ما أعجب حوادث هذا الدهر ! (يبتسم) لقد أصبح مولاي اللورد منمرماً ، أيها اللورد !
بالسعادة من بها كلفت ! غريب ! من كان يظن أن دايين ارمتايدج رب استار منستر
العظيم تستببه وصيفة ؟ أيسمح شرفه العظيم أن يفصم عرى الخطبة التي ارتبط بها
مع ليدي تيودوسيا هاينلت الشريفة الغنية ؟ وكيف يكون مركز مولاي الإيرل ،
لوتم ذلك ؟ (بمجب) . لقد بات القصر ، ولا حديث فيه غير غرام اللورد .
وما أظن هذا بخاف عن مولاي الإيرل ، ولا عن الليدي نفسها . أصدق أصدقائه ،
لورد سانت أوين يعزله هذا الحب ، ويساعده على إشهاره . من يجسر أن يحول
قلب العاشق إلى غير من يهوى ؟

بول : (يدخل) هل بلغك خبر الحفلة ، يا ولفرد ؟

ولفرد : أى حفلة تعنى ؟

بول : الحفلة الشائعة التي ستقام هذا المساء في القصر . ولقد أوفد اللورد رسولا إلى ليدي
تيودوسيا أميرة كاسل تروز ومسز ليزلى ومس ليرا تشستر ليحضروا هذه الحفلة .
وسيكون لوجود مس ليرا شأن عظيم في هذا الاجتماع .

ولفرد : أى شأن ياترى ؟

بول : ربما أصبحت مس ليرا تشستر ليدي دايين ارمتايدج ؟

ولفرد : ويحك ! كيف تجرؤ على هذا التصريح ، ومن أفضى إليك بذلك ؟ أوافق أنت
مما تقول ؟

بول : إنه اتفق لي أن سمعت محادثة بين مولاي اللورد ، وبين لورد أوين ، علمت منها
ما تنبأت به الآن .

ولفرد : (بدهاء) لا تنطق بكلمة واحدة مما سمعت لأى إنسان في القصر ، وإلا انتبرت خائناً .

بول : آليت على نفسك ألا انطق بحرف مما سمعت .

- ولفرد : (بخداع) اجتهد أن تنسى كل حرف فاه به مولاك . أفهمت ؟
بول : نعم . لك منى ذلك .
ولفرد : ومن يؤيد لى ذلك ؟
بول : يمكننى أن أسر لك ما سمعت . و إذاك يكون السر بينى وبينك . فإذا أذيع هذا السر ، كنت أنت الواشى .
ولفرد : (بانتصار) حسناً إنى أوافق على هذا رأى . اجلس . (يجلسان) .
بول : كان مولاى بغرفة المكتب على موعد من صديقه لورد سانت أو بن . وما أن دخل الصديق ، حتى أسرع مولاى فأرصد الباب . وكنت إذ ذاك فى الغرفة المجاورة أرتبها ، فسمعت مولاى يتأوه ، فاستفزنى الفضول أن أنصت عسائ أعلم شيئاً عن سبب آلامه فأقتديه بمهجتى إذا لزم الحال ، وبينما كانت تساورنى تلك الشواغل ، إذ سمعت مولاى ، بعد أن ، تنهد ، يقول : صديقى الأعز ! سألتك أن أراك فى خلوة كى أشرح لك ما صادفنى فى رحلتى الأخيرة . فأجاب اللورد : إنى مصغ لك ، يا عزيزى ، وستجدنى أجود بدمى راضياً فى سبيل هنائك ! فأجاب مولاى : هذا أملى فيك أيها الصديق ! واستطرد : لقد اتفق لى أن رأيت عادة يتلاعب بها قارب صغير فى مياه التوأمام كنيسة القديس مرقس القديمة . وخيل لى أن الفتاة تحاول إنقاذ نفسها من الفرق ، فألقيت بنفسى فى الماء ، وكدت أغرق لولم تسعفى بقاربها . وسرعان ما انتشلتنى من الماء . وهنا توقف مولاى قليلاً وتنهد من أعماق قلبه ، ثم أردف : وصل بنا القارب إلى الشاطئ ، فساعدتنى حتى عشنا الجميل ، وهو كوخ صغير آية فى الإبداع ، وقدمتنى إلى أبيها ، وهو شيخ جليل عليه سيما الوقار . فاستضافنى حتى جفت ثيابى ، ولسوء حظى كانت المدة الوجيزة التى لاتبرح ذاكرتى كافية لولوعى بتلك الحسنة . نعم إنها جديرة بحبى ، إنها فتاه عفيفة حوت وحدها نصف جمال العالم ، تعيش بين شيخين أحنى ظهرهما الكبير : أب وخادم أمين . وهنا اشتد تأوه مولاى ، فغاطبه اللورد قائلاً : وهل تبادلتما نظرات الحب ؟ فأجاب مولاى بتأوه : نعم ولكن وأسفاه ! وعدتها أن أعلمها صيد السمك فى صبيحة اليوم التالى ، وما برزت شمس ذلك اليوم حتى أسرع لى إليها وفاء لوعدى . وهنا كاد يبكي ، ثم أردف : ليت شمس

ذلك اليوم ماطلعت ! فلقد كانت سبب بلائي ، إذ دفعني طيش الشباب إلى اختلاس قبلة ، يالمول ذكرها ! فانتصبت جامدة كأنها تمثال ، وأرسلت إلى نظرة أنخلع لهولها قلبي ، ثم فرت شاردة كالظبي دون أن تعير توسلاتي أقل التفات ، فطار صوابي ، ووقفت جامداً كالصنم أشيعها بنظرة الندم حتى توارت عن عيني الدامعتين . وهنا أفاض المبرات ، وأردف قائلاً : فرجعت وأنا أعرض بنان الندم في يأس وأسف . وهنا سمعت مولاي الإيرل يستأذنها في الدخول ، فانقطع الحديث ولم أعد أسمع شيئاً . إنني أسمع وقع أقدام . (يجرى إلى الباب) يقف ولفرد .

داين : (يدخل داين وبجانبه لورد سانت أوين إلى ولفردوبول) ستشرف القصر بعد قليل ليدي تيودوسيا ، فيجب أن يكون قصري على تمام الاستعداد . انصرفا . (يخرجان بعد أداء التحية إلى سانت أوين) أجلس يا عزيزي . (يجلسان) عدت إلى كاستل تروز فعلمت عزم حضرة الإيرل على زورة القصر في ذلك اليوم ، فرأيت وجوب أنتظاره . (يتنهد) وما حضر حتى خلق لي عملاً شغلني . ولما سئمته خرجت إلى ردهة الاستقبال ، وما توسطتها حتى جمد الدم في عروقي ، ذلك لأنني فوجئت برويتها .

سانت أوين : (بدهشة) ومن جاء بها إلى كاسل تروز ؟

داين : (يتنهد) إنها دخلت في خدمة ليدي تيودوسيا على إثر حادث مؤلم أفقدها أباه ، وأقصاها عنوة عن عشاها الهاديء الجميل .

سانت أوين : حديث مؤلم . وماذا حدث حين وقعت العين على العين ؟

داين : شعرت أن الأرض تموج تحت أقدامي ، وكأن سماء البهو تهبط فوق رأسي ، ومالبت أن سقطت لا أعى شيئاً وتصادف أن غشيها ما غشيني ، فأسرعواً بنقلها إلى مخدعها . ولقد دخل الشك قلب الليدي ، بيد أن الطبيب أزال هذا الريب . ولما أقفقت بادرت إلى غرفتها واعتنيت بها بنفسى (يتنهد) .

سانت أوين : ذلك الذي ولد الشك ثانية في قلب الليدي ، وأكثر اللفظ بين الخدم .

داين : أجل ، ولكن تم ذلك رغم إرادتي ، ولم أحفل بكل ما أذيع عنفاً في القصر . بل ظلت بجانبها حتى أفاقت تماماً . ويظهر أن الليدي تباحت في الأمر مع حضرة الإيرل ، فبرح القصر دون أن يراني ، فساءني ذلك جداً ، وعرفت أنني لن أدخل

استار منستر ماحييت . غير أن حضرة الإيرل لاحظ خطأه ، فبادرنى برسالة سألتنى فيها سرعة الوصول لأمر جليل ، فلم أبدأ من الطاعة . حاولت أن أخلو بالفتاة لأشرح لها الأمر ، فلم أفاج بادیء ذى بدء ، إذ رفضت بتاتا أمر اجتماعنا . خلوت بها فترة قصيرة بعد جهد جهيد ، فوجدت منها نفورا جعلنى أرتاب فيها . كانت تسمح دموعها المتناثر فوق خديها كأنها تسكنتم سرا غامضا تندلع نيرانه فى فؤادها ، فأنبئت إلى التوسل ، فلم يجد نفعا . (يتأوه) لم أتمالك أن فاتحمت فى أمر الزواج . فنظرت إلى نظرة ملؤها الرعب ووثبت من مكانها كالمأخوذة . كانت دموعها أكبر شفيع لها عندي ، فأصبحت كالمصعوق تكاد رأسى تحترق . سألتها عن سبب ذلك الإعراض وقد وضعت تحت أقدامها تروتى واقبى وحياتى ، فأجابتنى وهى ترتجف وقلبها يكاد يفارق صدرها من هول ما هى فيه من الاضطراب : إليك عنى ، فلم أعد لك . وتولت حياء بعد أن سترت وجهها بيديها ثم وقفت وأرسلت إلى نظرة لن تبرح مخيلتى إلى الأبد . ثم صاحت : وداعا يا لورد إنك لن ترانى بعد الآن . ولا أمل فى خلوتك بى بعد ذلك . ثم غنممت بصوت خافت : قائلة ليمتك علمت ، وبالتنى رأيتك فى حين الحاجة إليك ، ثم اختفت وهى تقول : مات الأمل . (يتأوه) ماذا تراه يا صديقى فى كل ذلك ؟

أوبن : يلوح لى أن ما أشقى الفتاة أنها كملت قلبا وقلبا ، فبالسعادة من كانت له !
داين : هذا كل ما أشقى من أجله . ولقد قضيت ليلة الأمس حتى انبلج الصبح وأنا أقنع والدى الإيرل بوجود زواجى منها ، فهاله الأمر ، وشق عليه احتماله . فأخذ يعنفنى ، ولكنه كان يضرب فى حديد بارد . ولما آانس فى نفسه اليأس ، لجأ إلى إرهابى والغضب متمكن منه .

أوبن : وبعد ؟
داين : لم يثن ذلك من عزى وصممت على فعم عرى الخطبة التى بينى وبين تيودوسيا ، وأن أعود فأتوسل إلى ليرا .

أوبن : وهل أطلعت حضرة الإيرل على ذلك التصميم ؟

داين : نعم بعد عناء طويل .

أوبن : وهل وافقك أخيرا ؟

داين : واقفنى مضطراً ، ووعدنى مكرها ، ولم يقبل إلا بعد أن تولاه اليأس .

سانت أوين: وعلى ماذا عولت ، حين تحضر الليدى هنا ؟

داين : أترك كل شيء لوالدى ، فقد أخذ على عاتقه ذلك .

سانت أوين: ومن تظنه يتقدم ليطلب يد الليدى تيودوسيا هاينلت ؟

داين : لقد قضت السنين الطويلة فى صحبة رجل تقول إنه مثال التقوى ، رجل خلق

ليكون لها ، كما أنها لم تخلق إلا له ، انقطعت إليه بكليتها ، فهو لا يفارقها لحظة واحدة بدعوى أنه مساعدتها فى عمل الخير .

سانت أوين: ومن هو ؟

داين : مارتن فانشو .

سانت أوين: (بدهشة) القس ؟

داين : هو بعينه !

أوين : إذا صحَّ ذلك تَمَّ ما أرادت .

ولفرد : (يدخل . وينحنى) سيدى الإيرل .

الإيرل : (يدخل إلى سانت أوين) هل أنت هنا . يا أعز الأصدقاء ؟ (يخرج ولفرد) .

أوين : (يقف وداين) نعم منذ ساعة ، ياسيدى الإيرل .

الإيرل : هل صرح لك داين بآلامه ونواياه ؟

أوين : نعم .

الإيرل : وما رأيك الخاص فى موضوعه الهام ؟

أوين : إن صديقى محق فى كل ما صمم عليه .

الإيرل : حتى وفى رفض يد الليدى تيودوسيا ؟

أوين : أجل ياسيدى الإيرل ، فإنه إن لم يرفض يدها اليوم ، وسترفض هى يده غداً .

الإيرل : (بغرابة) ومن أين أوحيت إليك تلك النبوءة المستحيلة ؟

أوين : لم أتنبأ ، بل هى الحقيقة . إن ليدى تيودوسيا هاينلت على وفاق تام مع حضرة القس

مارتن فانشو . لا تعجب ياسيدى الإيرل ، هذا هو الواقع ، وهى التى تفكر فى إيجاد

الطريقة التي تسوغ لها قطع علائق تلك الخطبة التي تربطها باللورد . لقد آن لك ياسيدى الإيرل أن تعرف كل شيء ، فإن كان صديقى (مشيراً إلى دايين) يفكر فى إيجاد طريقه يقطع بها تلك الخطبة ، فهذا نفس ماتفكر فيه الليدى الآن .

الإيرل : إنك اليوم غيرك بالأمس ، ياعزيزى أوبن . فلم التحامل على الليدى ؟

أوبن : حاشى أن أنحامل على من أقدس احترامها . إنها أشرف أميرات هذا العصر .

الإيرل : (بآلم) إني كنت أدخرها لولدى .

أوبن : أيقوى سيدى على معاندة القدر ؟ إنها أصبحت والهة بحب فانشو ، وكذلك هو .

الإيرل : إني لم أكن أنتظر ذلك .

أوبن : أما وقد علمت كل شيء ، فقد وجبت عليكم مساعدة صديقى (مشيراً إلى دايين) .

الإيرل : إن أستطعت ما تأخرت .

أوبن : وكيف لا يستطيع سيدى الأيرل ، إذا كان يريد ؟

الإيرل : ذلك معناه أنى كنت لا أود . .

سانت أوبن : (باستفهام) زواج الأنسة ليرا تشستر من صديقى اللورد ؟ (مشيراً إلى دايين) .

الإيرل : أجل .

أوبن : لأنها فقيرة ، أم لكونها فقدت والديها ؟

الإيرل : لا هذا ولا ذاك . بل لأننى لا أعلم شيئاً عن سر مولدها ، ولا عن أسرته .

أوبن : كيف لم تمر بذاكرة سيدى الإيرل أسرة تشستر فى لوكشير ، وهو يعلم كل شيء

عن جميع الأسر الكبيرة ؟ .

الإيرل : (يفكر) أسرة تشستر فى لوكشير ؟ نعم إني أعلم أشياء كثيرة عن هذه الأسرة ،

إن أملاكها تتاخم أملاكنا فى لوكشير . إنها أسرة كبيرة فهل مس ليرا منها ؟

أوبن : نعم . وهى ابنة أكرم رجل فى تلك الأسرة .

الإيرل : نعمت الفتاة . إني قبلتها عروساً لداين .

داين : (بفرح شديد) لاعدمتك ، ياوالدى الأعز .

الإيرل : إني أسعى وراء سعادتك يادايين ، وأنت تعلم علم اليقين أنى واسع الثروة وأنها ستؤول

من بعدى إليك ، فما دمت تحب ليرا تشستر ، فهاهى ثروتى بين يديك ، وهى تضمن لك ولزوجك السعادة عن سعة . طيب نفساً واجتهد فى أن ترف ليرا تشستر إليك .

ولفرد : (يدخل وينحنى) لقد وصلت مولاتى الليدى يامولاي .

الإيرل : (إلى دايين) أسرع فى استقبال الليدى يادايين ؛ (لسانت أو بن) وأنت إذا سمحت يالورد (يخرج جان وولفرد) .

الإيرل : (لنفسه) إنه يهواها ، وليس لى أن أسيطر على القلوب . تيودوسيا ، إنه لم يخفك ، ولكنك انشغلت عنه ، ولأهملت الاتصال به ، فليست لك عليه من حجة (يسمع ضوضاء) هاهى الليدى !

وافرد : (يدخل وينحنى) مولاتى الليدى !

الليدى : (تدخل وبجانبتها سانت أو بن ومن ورائها دايين و ليرا ومن خلفهما القس فانشو ومسز ليزلى) تحيتى إلى سيدى الإيرل المحترم .

الإيرل : (يقف) أهلا بك يا ابنتى العزيزة . (يصافحها) لقد شرفت استار منستريا أميرة كاسل تروز . (يصافح ليرا ومسز ليزلى) إنى سعيد جداً بتشريفكن قصرى .

الليدى : إنى بلسانها أقدم إلى السيد الإيرل شكراً عظيماً على هذه العواطف السمحاء . (مشيرة إلى فانشو) وأقدم لكم حضرة القس مارتن فانشو المحترم .

الإيرل : (يصافح فانشو) أهلا برجل التقوى . لقد حملت إلى قصرى بزورتك هذه ملائكة الرحمة وآيات الفقران .

فانشو : (ينحنى) أعز الله سيدى الإيرل .

داين : (لتيودوسيا بفرح) إنى أرى كل شئ يبتسم .

تيودوسيا : (بسرور) إنى سعيدة جداً برؤيتك ، يا أبن العم .

الإيرل : (يجلس) تفضلوا بالجلوس (يجلسون ، إلى ليرا) لقد آنت استار منستريا لاسليلا أمرة تشستر العظيم !

داين : (يفرك يديه من شدة الفرح ويهمس إلى دايين) إنه رفع مقامها فى عين الليدى .

ليرا : (تبتسم بفرح) إنى بالإنابة عن مولاتى الليدى اشكر عواطفكم السامية يامولاي .

- الليدى : هل تعزف أسرة مسز ليرا ، يا حضرة الآيرل ؟
- الإيرل : نعم ، وهى من أجد الأسر القديمة ، ولا تزال أملاكها تتأخم أملاكنا فى لوكشير .
- الليدى : (بعجب) فى لوكشير ؟
- الإيرل : نعم ، ولا غرابة فى ذلك فأنا أعرف رؤوس هذه الأسرة الكبيرة ، وكأنه يلوح لى منذ عشرين سنة إنى سمعت عن كبير تلك الأسرة الشريفة إنه رحل إلى أمريكا ، هاجراً بعض أفراد أسرته ، فأرى هناك وأصبح من كبار المالىين .
- ليرا : (باهتمام) أتذكر يا مولاي اسم هذا الشريف ؟
- الإيرل : (يتذكر) أظننى لا أستطيع ذلك الآن لأن مشاغلى العظيمة أبعدت عن ذاكرتى مثل تلك الروايات (يصمت قليلا) . هاقذ فطنت ، إنه بلاريب السيد آدون تشستر .
- ليرا : (تبكى) هو والدى ، يا مولاي .
- الجميع : (باندھاش) أبوها !
- الإيرل : (بسكون) أبوك ، أنت ، يا ابنتى ؟
- داين : (بفرح واهتمام) نعم يا والدى ، وقد سبق لى أن تعرفت به فى سياحتى إلى برنستابل ، وتناولت الشاى فى بيته ، وهناك رأيت المس ليرا تشستر لأول مرة .
- الإيرل : (باهتمام) ولم تخبرنى عن هذه المصادفة الغريبة ، يا ولدى ؟ .
- داين : لم أكن أعرف شيئاً عن ذلك يا سيدى الوالد .
- الإيرل : (إلى ليرا) وما السبب فى عودتكم من أمريكا ، يا ابنتى العزيزة ؟
- ليرا : لا أعرف السر فى ذلك ، وربما عرفه خادمى الأمين ، جرفت .
- الإيرل : وأين جرفت ؟
- ليرا : يسكن كوخنا ، لا يزال فى برنستابل .
- الإيرل : وهل هو مسن ؟
- ليرا : نعم ، إنه أكبر من والدى سنّاً . (تتأوه) لقد كان ساهراً على حراستى وهو طيب القلب .
- الإيرل : (يتذكر) نعم ، إنى رأيته مع أبيك غير مرة فى المزرعة . ولقد أعادت هذه الذكري إلى ذاكرتى أشياء كثيرة عن هذه الأسرة التى ربما تكونين أنت وريثتها الوحيدة .

ليرا : (بفرح ، واهتمام) أفي يقظة أنا أم في منام ؟
الإيرل : (بسرور ، يضحك) في اليقظة يا عزيزتي ، وسأرد لك ماسليك الدهر ، وأزف بيدي
هذه إليك الهناء والسعادة .

ليرا : (بفرح عظيم) كم أنت كريم يا مولاي !
ولفرد : (يدخل وينحنى) المائدة على استعداد .
الإيرل : (يقف) هلموا إلى المائدة (إلى الليدي) تفضلي يا ليدي .
الليدي : (باندھاش) تفضل يا سيدي الإيرل (تقف) .

داين : (إلى الجميع) إن قصر استار Münster يتلأأ نوراً بضيوفه هذا المساء (يتأبط ذراع
الليدي يخرجون) .

بول : (يدخل ليرتب البهو) حقاً لقد أحسن رئيسي ولفرد في اقتراحه عدم التدخل في
شئون الأسراء . نعم إنني لست سوى خادم ضعيف يمكن استبداله من أجل هفوة ،
فكيف أجحد هذه النعم ، ولا أشكر الله عليها ؟

الإيرل : (يدخل متوكئاً على ذراع ليلا) رغبة في الخلوة بك ، دعوت الليدي إلى قصرى هذا
المساء ، وسألتها بإلحاح أن تصحبك بمعيتها . (يجلس) اجلسي إلى جانبي يا ليلا ،
وأعيريني كل التفاتك .

ليرا : (تجلس) ها أنا ذى خاضعة لأمرك يا مولاي .
الإيرل : أنعلمين إنني عظيم الثروة ، وليس لي وريث شرعى غير وحيدى اللورد داين ، وهل
تعلمين أيضاً كم أحبه ؟
ليرا : (تنهد) نعم أعلم ذلك .

الإيرل : وكنت قد تعاهدت وأخى لورد هاينلت أن تزف تيودوسيا إلى داين متى عرفا معنى
الحياة . وكانا إذ ذاك في المهد . ولما ترعرعا شرحت لهما إرادتنا فوافقا عليها . غير
أن الدهر أبى أن تتحقق تلك الأمانى ، ووقع داين في حب غادة شريفة سواها .

ليرا : (باهتمام) ومن هي هذه الغادة التي كلف بها اللورد ؟

الإيرل : أظنك لا تنسين صيد السمك على ضفة نهر التو .

ليرا : (تخفى وجهها بين يديها) أبلغ مولاي ذلك السر ؟
الإيرل : نعم ، أعلم كل شيء . (يمسح شعرها بيمينه) كوني مطمئنة فلم يخرج السر من لسان
الولد إلا إلى صدر الوالد .

ليرا : يا مولاي !

الإيرل : اطمئني ، فقد اخترتك عروساً لولدي ولم يبق إلا كلمة القبول من فك .

ليرا : (بانزعاج) أنا ؟

الإيرل : وهل في ذلك شك ؟

ليرا : ولكن . . . (في تفكير عميق) .

الإيرل : ولكنك فقيرة ، أليس كذلك ؟ أنظنين ، يا أبتى ، أن الفقر عار ؟

ليرا : لا ، يا مولاي (بدهشة) ولكن . . .

الإيرل : ولكن ماذا ياعزيتي ؟ أراك مرتبكة فهل يؤلمك سر اعتراك في حياتك الأولى ؟

ليرا : (ترتجف) آه ، يا مولاي ! (تبكي) .

الإيرل : تبكين أيضاً ؟ أرفض أنت طلبي ، يا ليلا ؟

ليرا : إن المضطر يركب الصعب يا مولاي .

الإيرل : وهل يضطرك شيء إلى رفض طلبي ؟

ليرا : (بنجمل) ربما كان ذلك ، يا سيدي ، وأراني مرغمة .

الإيرل : أتبخلين على بشرح ما يؤلمك ؟

ليرا : (بألم) لا يجسر لساني على النطق ، يا مولاي .

الإيرل : (يمسح شعرها بيمينه) أنظري ملياً في المسألة ، واعلمي أنني أريد لك الخير .

ليرا : كان يسعدني ذلك ، لو استطعت .

الإيرل : إنه ليدهشني رفضك يد اللورد ، مع أنها تسعد أغني شريفة في لندن .

ليرا : هذا صحيح ، يا مولاي .

الإيرل : إذاً ، كيف ترفضينها ؟ وفوق ذلك فهي يد من يهواك لدرجة العبادة .

ليرا : يا إلهي ! (بحزن) إن رفضي يد اللورد يقذف بي إلى هاوية الهلاك أياماً قليلة ، ثم

يبعث بي إلى عالم الأبدية ، حيث أرتد هادئة بعيدة عن تلك الآلام التي يصعب على احتمالها .

الإيرل : لا بد أن هناك سرًا تدفينه على صدرك الكتوم . ولكن مهما كان هذا السر فلا أعلن أنه يحول دون قبولك الاقتران بالورد .

ليرا : (تبكي) مولاي ، أستحلفك بكل عزيز أن تغير موضوع هذا الحديث !
الإيرل : تطلبين محالا يا أبتى ؛ لأنك بهذا العمل ترعجين حياة شاب أوقفها لحبك ، وأقسم بشرف أمرته ألا يتزوج سواك .

ليرا : (ترتجف) مولاي ، رحمتك ! واذكر أنى فتاة ضعيفة .
الإيرل : (باستغراب) من منا يطلب الرحمة ؟ واذكري أيضاً أنى إيرل أستار منستر أطرح تحت أقدامك ثروتي وسعادة ولدى ، وأنت ترفضينها ! فيالك من قاسية !
ليرا : (تنتحب بشدة وتنظر إلى السماء) إلهي ، رحمتك ، أسألك المعونة !
الإيرل : (بحنو) ليرا ، اذكرى أنني شيخ يلعب بي الفناء ، فلا تسكدرى على صفو لحظاتي الأخيرة .

ليرا : (تسمح جبينها إثر دوران شديد) ارحمني ، يامولاي ، فإنى أكاد أختنق . واسمح لي بالانصراف لأنشق الهواء ، وأماننا متسع كبير من الوقت نعاود فيه الحديث ، (تقف ببطء فتخونها رجلاها ، فتسقط) أهدني ، ياسيدي ، وأسعفني بالهواء ... الهواء !

الإيرل : (يسرع إلى النافذة فيفتحها) لا بأس عليك يا عزيزتي . (باهتمام) كيف أنت الآن ؟
ليرا : (بكلام متقطع) أحمد الله ... إن الهواء أنعشني ... فشكراً لك ياسيدي الإيرل .
الإيرل : سأتركك قليلاً ، يا عزيزتي ، لمفاوضة الليدي في فسم عرى الخطبة ، كنى أزف إليكما السعادة . (يخرج) .

ليرا : (لنفسها) إلهي ! أمي ! أبي ! أين أنتم ؟ لماذا لم تسرعوا لنجدي من هول ما أنا فيه ؟
داين ! حبيبي ! إني أحبك لدرجة العبادة . ولكن ما حيلتي وقد رماني الدهر بنسكة لا يخرج لي منها ، وقيدني بأغلال لافكاك لها ؟ (تقف) دي جوفري بارل ! ليت شمس

اليوم الذى عرفتك فيه ماطلعت ، بل ليتنى مت قبيل أن أضع يميني البريئة في يدك الخائنة آونة ذلك العقد المشؤم . إلهى ! كيف سمحت لهذا الوحش المفترس أن يرتبط إلى الأبد بفتاة يتيمة بائسة ! مات أبى الذى كان يرعانى ، ورحلت أمى التى كانت ترحم دموعى ، وفارقت خادى الأمين الذى أوقف حياته لحراستى . ويلاه ! أتلفت حوالى فلا أرى منهم أحداً . (تنظر إلى السماء) لم يبق لى سواك ياخالق الرحمة . النجدة ، ياإله السماء .

(فى هذه اللحظة يسمع صوت ينادى : مولاتى ! فتلفت لتجد ولفرد منحنيًا وفى يده طبق فيه كتاب) .

ولفرد : (يدخل فى يده طبق فيه كتاب) مولاتى ! (ينحنى) .

ليرا : (بانزعاج) ماوراؤك ؟ (لنفسها) إنه سمع كل شىء .

ولفرد : كتاب برسم مولاتى المس ليرا تشستر بقصر كاسل تروز .

ليرا : (تتناول الكتاب بيد مرتجفة) برسمى أنا ؟ تنظر العنوان برنستابل (بفرح) لاشك أنه من جرفث . (تقبله) .

ولفرد : هل من خدمة يامولاتى ؟

ليرا : هل وقع نظر مولاتى اللىدى على هذا الكتاب ؟

ولفرد : نعم ، وهى التى سلمتنى إياه وأمرتنى بتسليمه إليك متى وجدتك فى خلوة .

ليرا : (بدهشة) فى خلوة ؟ ولم ذلك ؟

ولفرد : هكذا أمرت ، ولم أعلم السبب .

ليرا : حسنًا . أنا لا أحتاج إلى شىء . (ينحنى ويخرج . تفتح الكتاب باهتمام) إنه وصل متأخرًا . (تنظر فى التوقيع) جرفث . (تقبل الاسم) ما أطيب قلبك الطاهر ! (تجلس وتقرأ) « سيدتى وابنتى الوحيدة ، رعاك الله فى غربتك . لقد انقطعت عنى أخبارك منذ سفرك . إنه ليزعجنى ذلك لأنى لا أعلم السبب . هل أنت سعيدة كما أتمنى ، فأشكر إلهى لقبوله توسلاتى أم تتألمين فأعذراعى إلى ضمك إذا أحببت العودة ؟ أو أطير على أجنحة الرياح إليك إذا فضلت البقاء ؟ ابنتى ، لقد شاهدت حادثًا أمس يهمنى الاطلاع عليه ... » . (لنفسها) يهمنى الاطلاع عليه ! ماذا عساه يكون ؟ (تعيد القراءة

« بينما كنت أتصيد بجانب المغارة ، أبصرت جماعة على ضفة النهر يهرجون ، فميرث النهر إليهم ، فإذا هم مجتمعون حول جثة رجل حملها الماء إلى الشاطئ ، واسكنها مشوهة جداً وممزقة الثياب . فلم يتمكن أحد منا من معرفة صاحبها ، فساعدتهم على حملها إلى المغارة ولقد حانت منى التفاته ، فألقيت على القطعة الباقية من معطف الفريق زراً من الأزرار اللامعة المصنوعة على شكل كوكب والتي كنا نراها على معطف دى جوفرى بارل . . . » (لنفسها) يا لله ، أيمكن أن يكون هو الفريق ؟ (تواصل) « . . . ولما خلعنا المعطف عن الجثة ، وجدنا في جيب الصدر الداخلى دفترًا تذكرت أنى رأيت مثله معه ولما فتحناه لم نتمكن من قراءة شيء ، بل عثرنا بين طياته على أوراق مالية قيمتها خمسمائة جنيه . . . » (لنفسها) خمسمائة جنيه ! هذا سر لا يعلمه أحد غيرى أنا وحدى . (تواصل) « . . . أخذنى الفضول فبحثت الوجه جيداً ، فرأيت فيه علامات دلتنى على أن الفريق إنما هو دى جوفرى بارل بعينه . . . » (لنفسها) وأفرحتاه ! (تقبل الكتاب تقرأ) « . . . لقد مات من كنت تخشيه ، يا عزيزتى . فسكونى هادئة ، وأطمئنى . وإنى أهنتك على خلاصك من التصورات المؤلمة التى سببها لك هذا الوحش القاسى . أنا لا أعلم السر فى ربك منه للدرجة التى شاهدتها . . . » (لنفسها) نعم ، إنه لا يعلم . (تقرأ) « . . . صحتى جيدة . ليس لى شاغل سواك . سأحضر متى حانت الفرصة . منى إليك قبلى الأبوية . المربى جرفت » (تطوى الكتاب وتضعه فى صدرها) الآن أشرق نجم سعادتى ، فشكراً لك يا إلهى .

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاي الإيرل .

الإيرل : (يدخل) لعلك أحسن حالا الآن يا ابنتى .

ليرا : (تنحنى) شكراً لمواطنكم الرحيمة ، يامولاي .

الإيرل : لقد تم كل شيء ، وقبيل اللبىدى عن طيب خاطر ، وستجهز لك بيدها ملابس

العريس . إنها طيبة القلب ، ولم يبق لى الآن إلا أن أسمع كلمة القبول منك .

ليرا : (بفوز) إنى مطيعة يامولاي .

الإيرل : بارك الله فيك ، يا ابنتى ، إذا كنت راضية .

ليرا : (بخجل) نعم رضيت . وإنى رهينة أمر مولاي .

ولفرد : (يدخل وينحنى) سيدى اللورد وصديقه لورد سانت أوبن .

- الإيرل : ليدخلا . (يدخل داي وسانت أوبن) .
- سانت أوبن : نرجو ألا نكون قد أزعجنا سيدي الإيرل ومس ليرا .
- الإيرل : (يضحك) إنه يسرني حضوركما ، لأنه جاء في الوقت المناسب . (ينظر إلى داي)
- إني أهنك يا ولدي العزيز بعروسك (مشيراً إلى ليرا) .
- سانت أوبن : وأنا أيضاً أقدم تهنئتي القلبية لصديق الأعز .
- داين : (بفوز) أحمد الله ، وأشكر لسيدى الوالد هذا العطف الكبير .
- الإيرل : اجلسا يا ولدي . (يجلسان) .
- سانت أوبن : إن ليدى تيودوسيا قابلت هذا النبأ بكل سرور .
- الإيرل : يسرني أن تكون سعيدة ، لأن لها في قلبي مكانة الإبنة .
- ليرا : إنك أثقلت كاهل الجميع بحسناتك المتواليات ، ياسيدى الإيرل .
- الإيرل : لم أفعل غير الواجب على كما لو كنت ابنتي . هيا بنا يا عزيزتي إلى مكتبي الخاص .
- (تقف فيقف الجميع ويتأبط ذراع ليرا) أيسمح لنا ولدي ؟ (ينحني داي وسانت أوبن)
- ولفرد : (يدخل وينحني) مولاتي الليدى أأمرت بإعداد المركبة .
- داين : إلى كاسل تروز ؟
- ولفرد : نعم
- داين : (إلى سانت أوبن) يجب أن تشيعها ، يالورد .
- سانت أوبن : حسناً هيا بنا . (يخرجان) .
- ولفرد : (يرتب الأثاث) لاشك أن هذه العذراء الجميلة تقربت إلى الله بثوب العفاف والطاعة حتى أن الله زف إليها هذه السعادة التي كانت تتمناها أجل وأثرى النبيلات .
- بول : (يدخل) هل من خدمة يا حضرة الرئيس ؟
- ولفرد : هل تحمل أخباراً عن عراك القلوب الذي يدور اليوم في قصرنا الذي ظل هادئاً السنين الطويلة ؟
- بول : لقد لاحظت أن سيدتى الليدى قد سرها فصح عرى الخطبة التي تربطها بسيدى اللورد ويظهر أنها ستستعيعض عنه بحضرة القس المحترم ، لأنها - على ما سمعت - تميل إليه

كل الليل ، وأنا لا أنكر أنى قرأت فى وجهه علام البشر والارتياح ، إذ سمعته يقول لها وهو يكاد يطير فرحاً : إنه بدأ يشعر منذ اليوم بالأمل والسعادة الدائمين .

ولفرد : حسنًا ، سيدى اللورد ، علام عول إذا ؟

بول : إنه بلا شك سيتزوج الحسنة صاحبة القصة التى عنفتنى على سماعها .

ولفرد : إنك بعيد النظر ، شديد الذكاء ، يا بول . إنى أسمع جلبنة ، فمن القادم يا ترى ؟

بول : لا تشغل بالك ، فحركة القصر اليوم غير عادية . (يدخل داين وفانشو وسانت أوين)

داين : (إلى ولفرد) هل لا يزال مولاك الإيرل فى مكتبته مع مس ليرا ؟

ولفرد : أجل ، يا مولاي .

داين : ليطمئن فى خلوته (إلى ولفرد) انصرف . (يخرج ولفرد وبول . . إلى صديقيه)

تفضلاً بالجلوس (يجلسون . لفانشو) لم رفضت الليدى أن نصحبها إلى كاسل تروز ؟

فانشو : لم تسكن وجهتها كاسل تروز . إنها أسرعت لترأس اجتماعاً خيرياً هاماً .

داين : ولم لم تستصحب حضرة المحترم ، كما هى عادتها ؟

فانشو : لقد أنابتنى فى رئاسة اجتماع آخر لم يحن وقته بعد ، فأثرت البقاء معكم ربنا يأتى .

الوقت المناسب . (بدهشة) وهل يسوؤكم وجودى ؟

داين : : استغفر الله . إن وجودكم بيننا يضاعف سرورنا .

فانشو : أشكركم .

ولفرد : (يدخل حاملاً بطاقة صغيرة ويقدمها إلى فانشو) حامل هذه يلتمس مقابلة سيدى

شخصياً .

فانشو : (يتناول البطاقة وينظر فيها . بدهشة) مره بالدخول (ينحنى ويخرج) .

ولفرد : (يدخل) أرجوكم المذرة يا سادة (إلى فانشو) عندنا رجل يحتضر ، وقد ألح كثيراً

فى طلبكم شخصياً للاعتراف . ومن غرائب ما شاهدت منه أنه يغمغم بين آن وآخر

بكلمة ارمتايدج ولم نعلم لذلك من سبب .

داين : (باهتمام) أرمتايدج ؟ إن هذا عجيب . من هو ياترى هذا المحتضر ؟ أعلمت ما أسمه ؟

ولفرد : نعم ، لقد قال إن اسمه روبرت رودن . ويظهر أنه كان من رجال الكنيسة ، لاحظت ذلك من ترتيله في صحوة أناشيد الهياكل الكهنوتية وبعض المقدسات .

داين : (يجهد ذاكرته) روبرت رودن ؟ إني لا أعرف عن هذا الاسم شيئاً ، ولكن من يدري ، فربما كانت له علاقة بذلك الأحمق تشاندس ؟

فانشو : (إلى ولفرد) هأنذا ألبى نداء الواجب المقدس . (إلى داين وسانت أو بن) أنسمعان لي بالانصراف لتأدية هذه الخدمة الدينية (يقف اللورد وسانت أو بن) .

داين : أيمن أن نصحبكم ؟ وهل يجوز ذلك ؟ أراني مدفوعاً بعامل حب الاطلاع إلى سماع اعتراف هذا المحتضر .

فانشو : هذا شأن يتعلق به وحده ، فإن شاء كان ، وإن رفض استحال .

داين : مادام يذكر ارمتايدج ، فهو لاشك يرتاح لوجودي .

فانشو : هلموا بنا ، وسننظر في ذلك متى وصلنا . .

داين : (إلى ولفرد) هيئوا لنا العربّة . (يخرج ولفرد . خرجون ، تدخل ليرا)
ثوب أبيض) .

ليرا : ما أطيب قلب ذلك الشيخ ! إنه يذكرني بوالدي . (تجلس) إن حنانه ضاعف في قلبي من حب داين ، ليتة يعيش طويلاً كي أنسى بقربه فقدان أبي . (تصمت قليلاً ثم تلمح جبينها) ربه ، بماذا أشعر ! إن دقات قلبي تنذرني بحدوث أمر ، فاهو ياتري ؟
ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاتي ، وصل إلى القصر شيخ طاعن في السن ، فسأل عنك . ولما علم بوجودك هنا ، طلب مقابلتك في خلوة ، فدهشت من ذلك الطلب ، ولما رأيته متردداً ، قال : لا بأس عليك ، اذهب إلى مس ليرا ، واذكر كلمة جرفث .

ليرا : (تصرخ بإندهاش) جرفث ! جرفث ! هل حضر ؟ أحقاً ما تقول ؟ إني لا أكاد أصدق . ليدخل ! (بدھشة) وافرحتاه . . . لا تعجب . . إنه أبي . ما أشد سروري !
(يخرج ولفرد) .

جرفث : (يدخل ممتلئاً سروراً) حلني الشوق إليك ، يا أبتى .

ليرا : (تجرى إلى الباب وتطوقه بذراعيها وتقبله) جرفث ؟ جرفث ! هذا أنت ؟ أهلا بك .

أفي بقلعة أنا أم في منام !

جرفث : هاأنذا ، يا ابنتي العزيزة ! أأنت سعيدة ؟

ليرا : تمت سعادتي بوجودك الآن .

جرفث : (بانسراح) ضاعف الله سرورك . (يجلس وتجلس ليلا بجانبه) كنت أعرف أنك

تسكنين كاسل تروز مع ليدى تيودوسيا هاينلت . ولما وصلت إلى القصر علمت أنك

انتقلت إلى ستار منستر فما سبب هذا الانتقال ؟

ليرا : نعم (تتأوه) إن الحوادث التي مرت بي والمصائب التي تطلبت في أحضانها ، تذوب

لهولها صم الصخور .

جرفث : (بدهشة) أتتكلمين عن شخصك المحبوب .

ليرا : (بتوجع) نعم ، عن نفسي أنا .

جرفث : أما كني ما جرى حتى تضاعفي أحزاني بحر شكايك ؟ لابنتي ، بالله عليك ما سبب

هذه الآلام ؟

ليرا : فارقتك بعد المصائب الفادح إلى كاسل تروز ، مصحوبة بمسز ليزلي التي أروضتني لبان

نصائحها ، وبالغت في مواساتي . (تنهد) وعندما دخلت القصر قابلتني ربة الإحسان

وسيدة كاسل تروز ، ليدى تيودوسيا ، بكل حفاوة وترحيب ورفعت مكاني بين

حاشية القصر ، حتى أصبحت مكاني لا تقل احتراماً عنها . وقد مزقت بأيديها البارة

الكريمة تلك الحجب الكثيفة التي كانت تحجب حول سعادتي ؛ وأقصت عن قلبي

المزوج جميع الهموم والأحزان . (تتأوه) ما أطيب قلبها يا جرفث !

جرفث : (باهتمام) وبعد ؟

ليرا : كنا نحتفل بالورد الأكبر إيرل ستار منستر . وقد أخذ القصر زينته . وكنت

موضع إعجاب الجميع ، وما هي إلا لحظة (تنهد) حتى رأيته يدخل فجأة (ترنحش)

ويلاه ! (تسكت) .

جرفث : (بغرابة) من هو ؟

ليرا : (تنهد) بربك ، كفي ! لا تضطرنني إلى ...

جرفث : (بشغف) إلى ، إلى ماذا ؟ أتخفين عني ما يؤلمك ؟ .

ليرا : (بحزن) كلا . (بحجل) ولكن ...

جرفث : أنا أبوك

ليرا : نعم . أنت وحدك الذى يهتمك شأنى (تبكى) لورد داين ارمتايدج

جرفث : (يتسم) فهمت ، الذى علمك صيد السمك ، أليس كذلك ؟

ليرا : نعم هو بعينه . (تتنهد ، فيرتفع صا.رها) .

جرفث : لا شك أنك تحببته . أقرأ فى عينيك .

ليرا : نعم ، أحببته منذ ذلك الحين .

جرفث : وماذا حدث عند دخوله ؟

ليرا : لما وقعت العين على العين انتابنى إغماء شديد ، فسقطت على الأرض فاقدة كل حس .

ولم أعلم ماذا جرى بعد ذلك . (تتنهد متوجمة) ولما أفتت وجدتنى فى سريرى

وبعض الخدم يعقنون بى ، وعلمت فى صحوتى أن داين أصابه ما أصابنى فى نفس الوقت

ونقل إلى سرير الليدى ، وظل الكل حوله حتى أفاق .

جرفث : (بدهشة) اتفاق غريب . (يدنو من ليرا) .

ليرا : (بحجل) شاع على الألسنة منذ تلك اللحظة أن حبنا متبادل وقديم . نعم ، (بحنان)

إلى وهبته كل قلبى منذ أول نظرة . وثق أنه خيل إلى أن الليدى أخذتها الغيرة ، إذ

أن الجميع كانوا يعتقدون أن ليدى تيودوسيا ولورد داين قد خلق كل منهما للآخر .

وبهذا كانت تتم رغبة الإيرل وأخيه لورد هاينلت .

جرفث : (باهتمام عظيم) هل نالك من غيرتها أذى ؟

ليرا : (بحنو وعطف) حاش لله أن تمد ليدى تيودوسيا يدها بإساءة إلى مخلوق ، مهما نعمت

عليه ، إنها مثال العفو والإحسان .

جرفث : (بانسراح) إذاً ، كيف تخيلت أن الغيرة تسربت إليها ؟

ليرا : تجسم لى ذلك من اهتمامها واستدعائها الطبيب ، وسؤاله عن سبب الإغماء ، وكيف

أنفق أن يقع فى وقت واحد ولأول مقابلة . (تتنهد) .

جرفث : حسناً ، وماذا تم بعد ذلك ؟

ليرا : (تنهد) لم يقو اللورد على إخفاء ما يخالج نفسه نحوى ، فكاشفنى بحبه ، ورجانى أن أقبل يده فأكون عروساً له ، فلم أقبل .

جرفث : (بغرابة) عروساً له ؟ ولم لم تقبلى ؟

ليرا : ولما يئس من قبولى لجأ إلى حضرة الإيرل والده ، فقضينا الساعات الطويلة وهو يرجونى بالخلع ، وأنا مصممة على الرفض .

جرفث : (بدهشة وخزن) إنى لا أجد سبباً لامتناعك . فهل لذلك من سبب ؟

ليرا : (تتأوه بألم شديد) ويلاه ! (تفرك على يديها) إنك لاتعلم . . .

جرفث : لا أعلم ؟ (باستغراب) أحدث لك هنا شىء مؤلم ؟ .

ليرا : (تبكى بحزن) هنا ؟ (تنتفض) أما هنا ، فلا ؟ .

جرفث : (بفرع وغضب) إذاً هناك ، قبل أن تبرحى العش .

ليرا : (بوجل ورعب) نعم هناك . (تصمت قليلا) يالها من ذكرى مؤلمة . . .

جرفث : إنك قد صوبت سهماً إلى صميم قلبى . نعم لقد تحققت هواجسى . إنى كنت ألاحظ عليك يوم سفرك أنك تكتمين عنى آلاماً كانت ترسم على محياك ، وتوسلت إليك أن تصارحينى ، فالتزمت الصمت . (بتأمل وأسف) ولكن ما علاقة كوخ المطحنة بقصر ستار منستر ؟ .

ليرا : (تمسح دموعها) مسكين أنت ، يا جرفث . إنك لاتعلم شيئاً . نعم ، أخفيت عنك كل شىء . .

جرفث : (باهتمام) كيف سولت لك نفسك هذا ؟

ليرا : (بتوسل) رحماك ، يا إلهى ! (تنهد) .

ولفرد : (يدخل وينحنى) مولاي الإيرل فى حاجة إلى رؤية مولاتى حالا .

ليرا : (تقف مذعورة) الإيرل ؟ (إلى جرفث) هلم معى لأقدمك إلى سيد القصر ، ولنؤجل ما نحن بصده حتى نعود . (يقف جرفث ويخرجان) .

ولفرد : (يرتب المقاعد) إنها ملاك ، فليهنأ بها مولاي اللورد . يلوح لى أن هذا الشيخ الذى يتجسم الشباب فى سواعده ، ويتجلى الإخلاص تحت جبينه المتجمد ، وتسطم الشهامة

حول شعره الأبيض ، قد أفرغ كل ما وهبه الله من حكمة في تربية هذه الزهرة حتى أينعت .

داين : (يدخل ومعه فانشو وسانت أو بن . إلى ولفرد) هل لا تزال مس ليرا تتشرف بصحبة الإيرل ؟

ولفرد : (ينحنى) ذهبت الآن مع جرفث ، بناء على طلب مولاي الإيرل .

داين : من هو جرفث ؟

ولفرد : خادمها الشيخ . لقد حضر اليوم من برنستابل .

داين : (باهتمام) حسناً ، إذ ذهب وهيء الغرفة المجاورة لهذا البهو . إني أريد أن أسمع بأذني كل كلمة تدور بين هذا الشيخ ومس ليرا . أفهمت ؟ (ينحنى ولفرد ويخرج) .

داين : (إلى فانشو وسانت أو بن) مارأيكما في اعتراف روبرت رودن ؟ (يجلسون) . فانشو : إنه غاية في الغرابة .

سانت أو بن : إني لا أكاد أصدق ما سمعت .

داين : إن ما يدهشني قبولها يدي ، وهي تعلم ما بينها وبين تشاندس من العلاقات .

فانشو : هذا الموضوع غريب في بابه ، فلا بد أن يكون قد وصلها عن تشاندس أخبار تأكدت منها أنه لن يعود ، وبعد ذلك قبلت يد اللورد ، ومع هذا فهي بريئة ، ألقت بنفسها بين محالب ذلك الوحش تحت تأثير حادث مؤلم سوف نعرف حقيقته .

داين : أحب أن أسمع كلمات روبرت رودن الأخيرة ، فأين الورقة ؟

فانشو : (يخرج الورقة) ها هي (يقرأ) « . . . جاءني يوماً صديق لي عرفته في المدرسة ، وسألني أن أساعده في تمثيل رواية ، وكان يعلم ماضى وأنى كنت من خدمة الكنيسة ، فعرض على أن أمثل دور قس . وكنت حين ذاك في أشد حالات الضيق لتراكم الديون على ، وكنت سكيراً ، فسقاني وشرب معي حتى نزع عني البقية الباقية لي من الضمير ، ثم أخرج المال ، فألجأني الفقر إلى موافقته . إن هذا الرجل كان شيطاناً ، فزين لي المستقبل ، وكان غرضه أن أمثل عقد قران نظير إعطائي مبلغاً كبيراً من المال . فاتفقنا على أن يحضر هو والفتاة إلى كنيسة خربة ، فأعقد له عليها . . . »

سانت أو بن : لا شك أنه زواج باطل .

فانشو : (مستأنفاً) « . في اليوم المعين ذهبت إلى الكنيسة المهدامة ، وآسفاه ! ويلاه ، إني أشعر الآن برهبة ذلك المكان الموحش ! وبعد قليل أقبل هو والفتاة ، وكنت أتوقع أن أرى فتاة عادية ، فإذا بي أرى عادة خلافة المحاسن لها سذاجة الأطفال ، تغلب عليها معاني الطهارة والشرف . . . »

داين : ويل لذلك النذل ، إن انتقامي سيكون شديداً .

فانشو : (مستمراً) « . . . ومع أن ذلك الرجل الشيطاني كان يؤكد لي أنها جاءت مسوقة بإرادتها فإنه لم يظهر عليها ما ينم عن ذلك ، كان يلوح لي أن حزناً عميقاً ، أو مصيبة عظيمة دفعتها إلى ذلك المكروه . . . »

سانت أوين : (لدابن) أرايت يا عزيزي أنها كانت مسوقة رغم إرادتها ؟

داين : سننظر في ذلك يا لورد .

فانشو : (يواصل) فلم أقو على ضبط نفسي ، ولكن الشيطان كان يبسط إلى كفيهِ ، فأرى الذهب يلمع ، فيصل بريقه إلى أعين الفتاة التي كانت تحيط بي من كل مكان ، فسولت لي نفسي الطامعة أن أقرأ كلمات الإكليل . رحماك يا إلهي ! وبعد أن تم ذلك أخذت المال ووافرت إلى أستراليا ، إلا أن خيال تلك المسكينة المنكودة الحظ كان يطاردني أينما ذهبت ، ففررت إلى الهند ، ثم جيت بلاداً كثيرة أملا في أن يحتفي عن عيني شبح تلك الفتاة الطاهرة . ولكن عبثاً كنت أحاول . ولقد داهمتني الأمراض حتى رمتني الأقدار بين أيديكم . إني أحتضر الآن . . وهذا يريحني ؛ إذ به أتخلص من رؤية ذلك الشبح الخيف . اسمي روبرت رودن واسم الفتاة ليرا ، والاسم الحقيقي للرجل تشاندس ارمتايدج ، واسمه عند الفتاة دجوفري بارل . واسم الكنيسة القديس مرقس ، بيرنستابل قرب النهر . إذا كانت لكم معرفة بالفتاة أو أمكن أن تعثروا عليها ، فاسألها الصفح والمغفرة .

داين : (بألم) إن حواسي تضطرب . فما الرأي ؟

ولفرد : (يدخل وتنحني) مس ليرا وخادمها الشيخ قاصدان البهو .

داين : (يقف وسانت أوين وفانشو) هلموا بنا إلى الغرفة التي هيأها لنا ولفرد . (يخرجون

من باب داخلي) .

ليرا : (تدخل وجرفت يتوكأ على ساعدها) إنه يحبني ، كما لو كان أبي حياً . أرايت كيف أكرمك وطلب إليك ألا تفارقنا أبداً ؟

جرفت : إن لساني ليعجز عن وصفه .

ليرا : (بألم) إني وعدته ، فكيف العمل ؟

جرفت : (بدهشة) ما معنى هذا ؟

ليرا : أنصت إلى سأطعمك على الحقيقة ، وكنت اتكتمها حتى الآن ، ولم أبح بحرف منها لخلق .

جرفت : (باهتمام) ما هي هذه الحقيقة ؟ اشرحها حتى أسدى إليك نصيحتي فيستريح ضميري .

ليرا : ارجع قليلا إلى السكون ، وفكر ، في حياتنا الأولى . لقد حضر معي شاب كاد يفرق وانثقلته من الفرق . وفي اليوم الثاني حضر ليعلمني صيد السمك . هذا هو اللورد دايان ارمتايدج ابن الإيرل . وهو المخلوق الوحيد الذي أحبيته منذ أول نظرة . (تبكي) .

جرفت : ولم البكاء ، وقد أصبح قرانكما مؤكداً .

ليرا : إسمع . بعد أن سافر دايان (تنهد) حضر إلى كوخنا ذلك الشيطان دجوفري بارل ، الذي استضافناه مدة طويلة .

جرفت : إطمئن ، فأنا ما حضرت إلى هنا إلا بسببه .

ليرا : لقد أفهمني أن أبي مدين في خمسمائة ذهباً ، وأن صاحب الدين هددنا بطردنا من السكون واستيلائه عليه وعلى مزرعتنا الصغيرة . وجسم لي مصيرنا ونحن نتسول في الشوارع ، وبرهن لي على ذلك حتى أقنعني أن هذا صحيح . وفعلنا ككفت أقرأ على وجه أبي علامات الضجر والخوف كلما قرب أجل الدفع . ولما زادت العلة على أبي تمكن من ذلك الشيطان ، وأكد لي أن نجاته في دفع الدين . وتوسلت إليه وأنا في حالة اليأس ، أن يدفع هذا الخطب عنا ، إذا كان ذلك في مقدوره . فأخبرني أن المال موجود ، ولكن هناك شرط يجب أن أقبله ، فسألته مطمئنة ، فقال إنه يدفع الدين ، إذا قبلت أن أتزوجه (تتأوه بألم) .

جرفت : يا للشيطان ! وبعد ؟

ليرا : حاولت تارة بتوسلاتي وطوراً بدمعي ، أن أثنيه عن غرامه ، فلم أفلح . وكنت كلما أبصرت أبي يتوجع ، طار قلبي شعاعاً وانفطر هلعاً . فجنوت على أقدامه متوسلة أن يدفع المال وينقذ شرف والدي ، فأبى إلا بالقبول . ولما رأيت أن أبي هالك ، وتحققت ألا نجاة إلا بقبولي . (متنهدة) قبلت . . .

جرفث : (باهتمام عظيم) ليرا ، ماهذا الذي أسمع ؟

ليرا : عندها أخبرني أنه ذاهب حالا إلى بترال ليصرف المبلغ ويحضره معه ، وطلب مني أن أكون في صباح اليوم التالي في كنيسة القديس مرقص القديمة على ضفة النهر ، حيث يكون في انتظاري مع القس (تنهد) أدهشتني هذه السرعة ، فسألته عن سببها فأجاب بأنه سيدافر في أقرب فرصة للحاق بعمة المريضة . ولما سألته عن سبب تكتم هذا الزواج . قال : إن عمة لو علمت بزواجه حرمة من الوصية . (تأوه) مضت تلك الليلة .

جرفث : ياللمصيبة ! ليتني علمت منك هذا في حينه .

ليرا : ذهبت إلى الكنيسة (بتوجع) فألقيته ، القس روبرت رودن في انتظاري والاضطراب باد عليهما ، إذ كنت أقرأ في عيني القس علامات الخوف والتردد كأنه كان يخشى أن يفاجأ ، أو كأنه كان مسوقاً رغم أنه إلى عمل يأباه ضميره . وبعد تردد تلا كلمات الإكليل وهو يرتجف ولسانه يتلعثم . ومد دجوفري بارل يده إلى القس بقبضة من الذهب . فتناولها القس وخرج يعدو . وكأنه لص يتواري عن أعين لاحقيه . (تبكي) .

جرفث : ياللعيانة ! إنه عقد باطل ، لأن هذا القس لم يكن سوى لص مأجور ، لتتوهى أن هذا صحيح . كفكفي الدمع يا ابنتي ، وكفي فقد انتقم الله لك من عدوك .

ليرا : حاول أن يظفر مني ولو بابتسامة ، فشردت عنه ولم أتمكن يده الدنسة أن تمس حتى طرف ثوبي . رجعت ودموعي تتدفق على فقد حبيبي ، وما وصلت الكوخ حتى وجدت أبي جثة هامدة . (تبكي بحرقة) فوقفت جامدة أمام جسده الطاهر أندب سوء حظي . ولما رأيته بجاني طلبت منه المال لأدفعه عن أبي محافظة على وعده وشرفه ، فرفض بدعوى أن الدين أصبح حقاً لي بعد موت أبي . فطار صوابي وصرخت ، عندما رأيته ،

وكان ما كان من هروبه . ولم أسمع عنه شيئاً حتى الآن غير ما جاء بكتابك من أنه مات غريقاً .

جرفث : أبشرى يا ابنتى ، فإن هذا العقد باطل ، والرجل الذى يخيفك قد هلك .
ليرا : (بفرح) بالله ، زدنى إيضاحاً .

جرفث : إسمعى يا ابنتى : حدث بعد أن بعثت إليك بكتابتى أن دجوفرى بارل ، ذلك الشيطان ، حضر يتنسم أخبارك ، ظناً منه أنك لا تزالين فى عشك القديم .

ليرا : (باستغراب) عجيب ! إلى السكوخ ؟ (باندھاش) وبعد ؟

جرفث : أخذ يحوم حول المزرعة ، فأبصرنى ، ففزع لرؤيتى .

ليرا : وبعد ؟

جرفث : تناولت معولاً من حديد وهممت أعدو وراءه فأخذ طريقه إلى النهر ، فانطلقت أثب خلفه كالنمر يطلب فريسته .

ليرا : (بتلف) وبعد ؟ وبعد ؟

جرفث : قفز إلى قارب المزرعة ، واتجه إلى الشاطئ الثانى ، فصممت على اللحاق به سابحاً . وما كاد يصل إلى الشاطئ حتى ألقى بنفسى فى الماء ، وما توسط النهر حتى أخذه رعدة وأقسم أنه ما أراد بك سوءاً ، وأن زواجه منك ما كان إلا مهزلة أو العوبة ، وأنه غير شرعى ، لأن القس لم يكن سوى رجل بائس فقير كان يمثل دوراً مأجوراً عليه .

ليرا : هذا مدهش . (بسرور) ، إنك أحييت ميت آمالى ، وأعدت لى الحياة المطمئنة التى كنت قد يئست من الحصول عليها .

جرفث : لم تؤثر فى تلك الكلمات ، بل استشاطتنى غضباً ، لأنى كنت خالى الذهن من كل هذا ، فألقيت بنفسى فى الماء ، وقد أخذتنى رعدة هائلة ، فلما أبصرنى قذف بنفسه إلى الماء طلباً للفرار سابحاً إلى الشاطئ الثانى . ولما كان لا يحسن السباحة ساعده حسن الحظ بأن رآه أحد الصيادين وهو يستغيث فأغانه بقاربه .

ليرا : (باهتمام عظيم) يا إلهى ! وبعد ؟

جرفث : بينما كان يعصر ثيابه على الشاطئ الثانى وكنت أنا فى قارب المزرعة ، أعالج تحويله

عن كومة الرمل لا تزال به ، قرعت أذنى صرخة مفزعة ، فسرحت نظرى ناحية الصوت ، فرأيت جمعاً محتشداً تقدمه امرأة غارية الرأس مبعثرة الشعر ، وهى تصيح :
هو هو بعينه !

ليرا : (بخوف) وبلاه ! إنى أرتعد .

جرفث : وما كدت أصل إلى الشاطئ ، حتى كانت المرأة قد أنقضت عليه ، واندفعت به إلى الماء مطوقة إياه بذراعيها ، وماهى إلا لحظة حتى غاصا معاً تحت الماء فى النهر . حاول الكثير من الحضور إنقاذهما فلم يفلحوا . . . كانت المرأة قابضة على عنقه فاستحال عليها الخلاص ، وهلكا تحت الماء . . .

ليرا : (بذهول) إذا لقد مات دجوفرى بارل ؟ وافرحته !

داين : (يدخل وسانت أوين وفانشو) شكراً لله ، لقد هلك الخائن .

ليرا : (تقف وجرفث . تنظر إلى الأرض بخجل . بارتجاف) داين ؟

داين : (بانسراح) نعم ، إنه أنا (ينظر إلى جرفث) لقد شرفت قصرنا ، وأدخلت علينا السرور ، وجلبت لنا الهدوء بتشريفك ستار منستر اليوم .

جرفث : (ينحنى) شكراً لك ، يامولاي .

ليرا : (مشيرة إلى جرفث) إنه مربي الذى أرضعنى لبان الفضيلة .

داين : نعم الرجل . لقد عرفت كل شيء . (ينظر جرفث إلى ليلا اختلاسا) لا تنظر إليها ، فإنى أرى قلبها يرقص فرحاً . (يبتسم) لا تعجبا من هذا فإنى سمعت كل كلمة دارت بينكما ، ووعيت الحديث من أوله إلى آخره .

ليرا : (بخجل) أسمعت كل شيء ؟ (تتنهد) .

داين : وأعلم عنك أكبر مما تعلمين . (يلتفت إلى فانشو وسانت أوين) أقدم إليك صديقنا فانشو مارتن ، الأب المحترم ، ولورد سانت أوين .

ليرا : (تنحنى) لى عظيم الشرف .

داين : (إلى صديقه) إنى أتشرف بأن أقدم لصديقى المخلصين ليدى ليلا ارمتايدج .

سانت أوين : (بسرور) إنى أهنتكما من كل قلبى بهذا الانصال الدائم .

جرفث : وأنا الآن لا يسعني شيء من الفرح الذي هز قلبي من أعماقه ، ذلك القلب الذي لم يدخله السرور منذ عهد الشباب إلا هذه اللحظة فقط . (يمسح عينه) هذه دموع الفرح تجلجل شعري الأبيض ، فليباركك الله يا ولدي .

داين : اسمعي يا عزيزتي ، فسأزيدك ثقة بأنني لم بالموضوع أكثر من إلمامك به . لقد حضرنا ، أنا وصديقي ، اليوم اعتراف محتضر . ولم يكن هذا المحتضر سوى اللص ، روبرت رودن الذي كان يرافق ابن عمي تشاندس ارمتايدج ، الذي تعرفينه باسم دجوفري بارل .

سيراف : (بأسف ورعدة) ابن عمك ؟ هذا عجيب .

جرفث : (بصوت خافت) ابن عمه ؟ يا للدهاية !

داين : لا تأسف ، فإني غير آسف ، لأن سلوكه كان مشيناً ، وستعلمان عنه أشياء كثيرة . لقد شرح روبرت كل ما حصل في كنيسة القديس مرقس القديمة . وها هو ذا اعترافه مع صديقي المحترم (مشيراً إلى فانشو) . سأطلعكما عليه فيما بعد ، إن روبرت لم يكن راضياً عن ذلك وقال إنه كان دوراً هزلياً وأن هذا العقد لاشك باطل . واعترف بأنه عطف عليك لأنك كنت ملاك الطهارة ، وكنت غير راضية عنه ، مسوقة إليه بدافع قوى لا يعلمه ، وختم كلامه بطلب العفو منك فأسألك الصفع عنه .

جرفث : حقيقة إن مولاي يعرف أكثر مما نعرف والآن ، وقد وضح كل شيء ، لا يسعنا إلا أن نشكر الله على هذه النتيجة .

داين : وأكثرت من هذا أن أنباء غرق تشاندس وصلت إلينا على لسان البرق وفي صحف لندن ولم يعلم والدي إلا بمرور ذلك بعد .

فانشو : إنا نقابل هذا الخبر بمزيد الأسف .

سانت أوين : وأنا أشارك صديقنا فانشو في هذا الأسف .

داين : بارك الله فيكما ، هذا مصير كل حي . والآن أسألكما ألا تطلعا والدي إلا بمرور ذلك شيء من هذا الحادث ، لأنه سريع التأثير ، وصحته تهمني . ألا توافقان على ذلك ؟

سانت أوين : أصبت . وإني سأتناهى منذ هذه اللحظة كل ماعلمته عنه .

فانشو : الحق معك ، يا عزيزي داين ، وأنا أشارك اللورد (مشيراً إلى سانت أوين)

في عواطفه السامية .

داين : أشكر كما على هذا الإخلاص . (إلى ليرا) بقى على أن أسمع من فك الطاهر الخلق
الجميل كلمة القبول ، فهل أنت راضية ؟ .

ليرا : (بابتهاج) نعم راضية ، ومن كل قلبي .

سانت أوين : (بسرور) أهنتك ، يا عزيزي ، بهذه الدرة القيمة . (يصافحه) .

فانشو : إن ملائكة الرحمة تحرس هذا الهيكل الشريف (مشيراً إلى ليرا) ، وإني أتمنى لك
عمرأ طويلاً ، وحياء طيبة سعيدة .

جرفث : أما الآن فلا يسعني ، أنا الشيخ الذي لعب به الدهر زمناً طويلاً إلا أن أتقدم بقدم
ثابتة وحنان قوى إلى آنسة ليس لي في هذه الدنيا غيرها (يأتي من الخلف فيمسك يد
داين بيمينه ويد ليرا بشماله ويضعهما معاً . ينظر إلى داين) هذه هديتي إليك ، وأمانتي
عندك ، فاحتفظ بها إنها كنز ثمين . (ثم يضع يديه على رأسيهما وينظر إلى السماء)

اللهم باركهما ، وهب لهما العمر والهناء !

« تسدل الستار »

تمت بعون الله

فهرس الديوان

صفحة

٥

دراسة لحياة الشاعر وعصره : الأستاذ عامر محمد بحيرى

١٦

أبو أميمة شاعر الكونيات : للدكتور أحمد كمال زكى

الديوان :

٢٧

النونية الكبرى

٧٦

المعزية الكبرى

١٠٥

مرآة الزمن

١١٨

رحلة

قصائد اجتماعية ووجدانية :

١٢٩

حرب طرابلس

١٣٢

إلى الأمير

١٣٥

تشرىف الأمير

١٣٧

تهنئة

١٣٩

فى تهنئة محمود ذهنى

١٤٣

وداع

١٤٦

فى قطار

١٤٨

تقريظ

١٤٩

يا عظيمًا

١٥٠

فقيد الطيران

١٥٢

على أبو الفتوح

١٥٤

رثاء

١٥٦

إلى زوجة راحلة

١٥٨

فيدورا

١٦١

المنصورة

١٦٢

وردة

١٦٣

ناظك - إليها

١٦٤

هى أشعر

١٦٥

مطارحة - مدح - ثناء - مدح

صفحة

١٦٦	وصف الحبيدة - غزل - عزيزة الروح
١٦٧	صبري - إلى صديق
١٦٨	قطريز - الشيخ فهمي الصيرفي - تهنئة
١٦٩	متناثرات في الهجاء
١٧٠	رسالة
١٧١	عاشق - للصباح
١٧٢	مصر
١٧٣	رفاء
١٧٤	غزل
١٧٥	غزل
١٧٦	صدودك
١٧٨	سلام
١٧٩	استنهاض
١٨٠	تحية
١٨١	تكريم
١٨٢	مصر
	<u>غزل الاغانى :</u>
١٨٣	ستريس ، عذراء منف
١٨٥	هو القدر
١٨٦	العاشق
١٨٧	عيون و عيون
١٨٨	حيرة
١٨٩	لواعج
١٩٠	إليها
١٩١	وهبتك قلبي
١٩٢	راقبوها
١٩٣	سحر الجمال
١٩٤	شكوى
١٩٥	يا عيوناً
١٩٦	إليك وفاني

صفحة

١٩٧	حرب
١٩٨	القلب القاسى
١٩٩	أين اليهود ؟
٢٠٠	جفون
٢٠١	دولة الحسن
٢٠٢	معلتى
٢٠٣	متى اللقاء
٢٠٤	فدى لك روحى
٢٠٥	جرايها
٢٠٦	ملككت الفؤاد
٢٠٧	عن غادة
٢٠٨	سؤال
٢٠٩	وفاء
٢١٠	هو الحب
٢١١	رجاء
٢١٢	يوم الوداع
٢١٣	لمن أشتكى ؟
٢١٤	قسم
٢١٥	استسلام
٢١٦	لقاء خيال
٢١٧	هينى لحظة
٢١٨	سلى الليل
٢١٩	سأصون العهد
٢٢٠	عهد
٢٢١	كم تحملت
٢٢٢	الحقيقة
٢٢٣	لولا الهوى
٢٢٤	إليها
٢٢٥	ليلة
٢٢٦	لحظ الميون

صفحة	
٢٢٧	ربة الحسن
٢٢٨	حبية القلب
٢٢٩	مناجاة
٢٣٠	يا حياتي
٢٣١	قسماً بشعر
٢٣٢	إلى قلب
٢٣٣	غيرت حالي
٢٣٤	لقاء
٢٣٥	نذات عاشق
٢٣٦	خبرها
٢٣٧	قصة لقاء
٢٣٩	عنها
٢٤٠	متى يكون النداني ؟
٢٤١	رفقاً بحالي
٢٤٢	أغنية حب
٢٤٣	حقيقة الحب
٢٤٤	الضاحك الباكي
٢٤٥	تفريدة
٢٤٧	دلال
٢٤٨	بأنه رفقاً
٢٤٩	كيف أصنع ؟
٢٥١	فانفتي ارحمى
٢٥٢	إلى رقيب
٢٥٣	أنت بدر
٢٥٤	بالبل
٢٥٥	دمعي يخفف كربى
٢٥٦	تمنيت شهدك
٢٥٧	لقاء على كأس

صفحة

أوبريت وأناشيد مدرسية :

٢٥٩	حنين الأرواح (تاريخ السلم الموسيقى)
٢٦٣	الموسيقى والليل
٢٦٤	القطع الغنائية بفلم شجرة الدر
٢٦٦	صحوة العلم ونشوة المال
٢٦٩	مجد مصر
٢٧٠	صوت الضمير
٢٧١	أناشيد مدرسية :

(شبرا ٢٧١ - العباسية ٢٧٢ - خليل أغا ٢٧٣)

(محمد على ٢٧٥ - عابدين ٢٧٦ - القرية ٢٧٧)

(الشيخ صالح ٢٧٨ - مصر الجديدة ٢٧٩)

(مسرحية مترجمة عن تشارلس جارفس) ربيبية الكوخ

٢٧٣	الفصل الأول
٣٠٠	الفصل الثاني
٣٢٨	الفصل الثالث
٢٢٣	الفصل الرابع
٣٦٠	الفصل الخامس

استدراك

ورد اسم الدكتور أحمد كمال زكي في صفحة ١٩ واسم شارلس جارفيس
في صفحة ٢٨١ بحرفين فلزم التنويه ، هذا ونعتذر أيضاً عن ورود بعض
أخطاء طباعية بسيرة لا تغيب عن القارىء .